



مجمع المختار السوسي

العقول
بجيب

١

المغرب

مقدمة

بين الأمس والغد

من طبائع الايام التحول من حال الى حال؛ ففي كل يوم طلوع جديد لم يكن معروفا. أو أقول معروف كأن لم يكن في يوم ما جديدا. فما يآلفه الاجداد حتى يكون جزءا من حياتهم قد يكون عند الاحفاد منكورا. وما يكون منكورا عند جيل قد يكون عند جيل آخر مألوفا. وهذا ما يراه الانسان في نفسه. فيكون في كهولته غيره في شبيبته فكرا وذوقا ورغبة في شيء أو رغبة عنه؛ وهي اطوار جيلت عليها هذه الحياة. سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا

والتحول في الهبة الاجتماعية في غالب الازمنة؛ يعهد منه ان يتتابع ببطء حتى لا يكاد يفتن له الا الامميون؛ حتى جاء هذا العصر؛ عصر الذرة والصواريخ، فاذا بها تكاد تتحول من حال الى حال في طرفة عين. خصوصا في بعض الاقطار كقطرنا هذا الذي هجم عليه هذا العصر المسرع هجوما مباغتاً؛ فاذا به بين عشية وضحاها كأنما انقلب راسا على عقب.

أمس

اننا اليوم في (المغرب) لفي عهد يعده من يعيشون قبله؛ ثم يمتد بهم العمر الى أن يعيشوا فيه عهدا غريبا عجيبا. فقد شاهدنا كل شيء الى تحول سريع. فقد كنا نحيا في بيئة لا تكاد تمت اليها هذه البيئة الجديدة بأى لون. كنا في دين وفي عادات وفي هيئات وفي افكار وفي مقاييس وفي اوضاع. ثم هانحن اولاء مندفعون الى ما يعاكس كل ما ألفناه على خطمستقيم.

أمس كان الدين ومثله العليا. والتخلق به. والتحاكم اليه. والحرص على علومه. واحترام حملته. هو المعروف المجمع عليه لا يختلف فيه اثنان لأن ذلك راسخ في النفوس؛ وتواترت عليه القرون؛ منذ عرف المغرب الاسلام في القرن الاول الهجرى الى أن ادرکنا نحن ذلك في أوائل القرن الرابع عشر

أمس كانت الحضارة الشرقية هي المعروفة وحدها عندنا بأذواقها وآدابها والوانها وهدوئها واتساع ساحتها. وهي التي استمطاعت أن تلتهم حضارة فارس وبيزانطة. ثم تبلورت في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة. ثم كان مغربنا هذا من له من ارث هذه الحضارة كنوز كاديحافظ عليها وحده منذ أن انهات الاندلس. واستولى التركيون على الشرق الادنى كله ما عدا هذا القطر السعيد. الذي لم يعرف الا الاستقلال منذ عرف الاسلام ائى الآن. فكان يعرف مقدار كنوزه هذه ويعتز بكل ما فيها من ألوان وافكار وفلسفة وعلوم وآداب ومعمار

أمس كانت عندنا تقاليد محترمة في اللباس وفي اختيار التأثيث وفي حياة الجلوس وفي اقامة الحفلات وفي مزاولة الاعمال. فتكونت لنا هيئة اجتماعية توافقت لانها كانت متسلسلة عن الاجداد. لا يحس فيها بانها تتغير في كل جيل، وان كانت في الحقيقة لا بد أن يكون فيها تغير ما في كل جيل — فكانت لها موازين خاصة مألوفة. اليها يتحاكم ذوو الاذواق والافكار عند الاختلاف. فيتخذ حكمها مسطاً. وقانونها مرتكز في أعماق النفوس لا مسطر في الطروس. تلاءمت فيه مقتضيات حياتنا وديننا وعادات مجتمعتنا تلاؤما تاما. دين العربية ولغة الدين. وعادات تكونت تحت نظرهما في قطر امتزج فيه العرب والبربر تمازج الماء القراح بالراح

هكذا كنا أمس نعيش عيشة راضية نقر بها عينا ونرضى عنها كل الرضاء لا نرى بها بدیلا. بل لا نطن أن هناك من يجيا حياة طيبة مثل حياتنا التي نجياها في أمسنا انحلو اللذيد؛ يوم كنا في عزلة عن العالم. في قطرنا هذا المحاط من جميع جهاته بسمود طبيعية. فمن الجنوب بالمحراء الكبرى، ومن الغرب والشمال بالبحر الواسع الذي لا نكاد نملك فيه ولو سفينة واحدة لركوبه. ومن الشرق بالجزائر التي سدت ايضا دوننا منذ أن استعمرها الفرنسيون من عقود من السنين. فهذه هو محيطنا الذي لا نعرف سواه قد الفناه وسعدنا فيه سعادة من يتشأ في محل خاص في عمره كله. فلا يتصور أن هناك حياة أخرى غير ما هو فيه

اليوم

وفي هذا اليوم دهم علينا الاستعمار بخيله ورجله. بلونه وفكره. بسياسته ومكره. بحضارته المشعة. بعلومه الحيوية المادية. بنظامه العجيب؛ بمعامله المنتجة السريعة؛ بكل شيء يمت الى الحياة الواقعية. فوقع لنا كما وقع لاصحاب الكهف يوم رجعوا الى الحياة، فوجدوا كل ما يعرفونه قد تغير تغيرا تاما. وحين كان المغرب لقنا حاذقا سريع التطور. مندفعا الى كل ما يروقه. اقبل بنهم شديد على التهام كل ما فى هذه الحضارة الغربية العجيبة. التى تغير على جميع نواحي الحياة. فتحدث من التغير ما يجرف التقاليد والافكار وكل ما يمت الى العادات. فاذا بالمغرب يتحول فى عهد قصير الى مغرب آخر يفاير كل ما كان معروفا منه فى الامس. فاذا بامتائنا نحن الذين كنا نعيش فى شرح شبابنا فى المغرب المستقل قبل 1330 هـ. قد كدنا نكون غرباء فى طور شيوخومتنا فى المغرب المستقل من جديد 1375 هـ. فقد حرصنا أن لا ننكر الا ما يستحق أن ينكر. وان نحمد كل ما يمكن أن يحمد واجتهدنا أن نساير العصر. وان نفهمه فلا ننكر أخذ ما لا بد من اخذه من أساليب الحضارة ونظما وعلومها - لان الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها انى وجدها - ولكننا مع ذلك نشاهد اسرافا فى التحول السريع الذى لم يراع فيه - حسب انظارنا نحن المسمنين - حكمة ما بين التفريط والافراط؛ فنحاول ان نجتمع بين محاسن أمس واليوم. ناصبين ميزان القسط. فاذا بنا نكاد نعيش الآن على هامش الحياة العادية التى اندفع اليها هؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال. واعظم ما نهتم له شيئان: احدهما التفريط فى المثل العليا التى لا ترسخ فى الشعوب الا بعد جهود قرون؛ ومتى اجتثت من اى شعب بمثل هذه الاندفاعات العمياء فان ابناء ذلك الشعب سرعان ما ينحرفون عن الصراط المستقيم فى الحياة. وثانيهما التفريط فى المحافظة على اللغة العربية وآدابها التى هى شعار المغرب وكثره الموروث المحافظ عليه كلفة رسمية حتى يوم عمت تركيا لغتها فى جميع انحاء بلاد العرب منذ اوائل القرن العاشر الهجرى. وليت شعري لما ذا كنا نحصر على الاستقلال ان لم تكن أهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة فى اسم ديننا الحنيف؛ والمحافظة على هذه اللغة التى استمتت المغاربة كلهم عربهم وبربرهم فى جعلها هى اللغة الوحيدة فى البلاد

ومعلوم ما تلمعوا بين والمرابطين والهوحدين والمرينيين من تمجيد هذه اللغة وهى دول بربرية صميمة وذلك هو موضوع العجب. واما ان يحافظ الادارسة والسمعيون والعلميون عليها فان ذلك امر طبيعى.

لان الجالسين منهم على العرش عرب اقحاح. هكذا اصبحنا نرى كثيرا من ترائنا يضمحل بكل سرعة. ثم لا يطمع ان يتراجع اليه الاخلاف الا بعد زمان نطلب الله أن لا يطول

الغد

نحن نوقن انه سيأتي يوم يشور فيه اولادنا او احفادنا ثورة عنيفة ضد كل ما لا يمت الى غير ما لآبائهم من النافع المحمود. ثم يحاولون مراجعة تاريخهم ليستقوا منه كل ما في امكانهم استدراكه. فلهؤلاء يجب على من وفقه الله من أبناء اليوم أن يسعى في ايجاد المواد الخام لهم في كل ناحية من النواحي التي تندثر بين اعيننا اليوم. وما ذلك الا بايجاد مراجع للتاريخ يسجل فيها عن امس كل ما يمكن من الاخبار والعادات والاعمال والمحافظة على المثل العليا. بل يسجل فيه كل ما كان ولو الخرافات؛ او ما يشبه الخرافات، فان نهم من سيأتون في الغد سيكتهم كل ما يقدم اليه كيفما كان؛ ليستنتج منه ما يريد ان يعرفه عن ماضى اجداده. وهذا احد مغاى هذا الكتاب الذى بين يدي القارىء

فكرة جمع الكتاب

كنت مرة زرت الزاوية الدلالية من ايت اسحق في سفح الاطلس الكبير. فصرت ابحت هل اجد هناك اثرا من آثار اولئك العلماء الادباء العظام؟ فلم أقع على أى أثر فأغمضت عيني برهة فصرت استحضر كل ما كنت قرأته من الكتب التي تحدثت عن هذه الزاوية. وعن اعمال رجالتها. فاذا ذاك عرفت ان الخلود لامثال هؤلاء لا يكون الا بالتسجيل بالاقلام فاخمرت هذه الفكرة في نفسي عن ناحية سوس الذى اعرف فيها من امثال الزاوية الدلالية عشرات ف عشرات كأدوزو تيمكيدشت وأكشتيم وطاطة وتاتلت والمعدر وتادارات واسرير وتاكوشيت وتيفيراسين وأغبالو ماسة وتامانارت وأقا وتازموت واكرار وتاغاتين والمحجوب وامثالها. فمنها ما اندثر قبلنا. ثم لا نجد عنها الا مثل الوشم على ظاهر كف العجوز وذقنها. ومنها ما لا يزال فيها رmq. يعرف منه ماضيها المجيد. فكنت أتمنى وأنا اذذاك في مراکش في موالاة الدروس لمن يحلقون حولي لو اجد فراغا لما يختمرفي نفسي حتى أودى هذه المهمة التي كانت عندي اذ ذاك كفكرة حديثة بسبب الاخ المونعماني ابي هذه الفكرة. ثم جاء النفى مختتم 1355هـ. الى مسقط راسي

حيث ألزمت القبوع والانشياش والبعد عن المجتمعات. فامتشقت القلم فاتخذته انيسا فى اليوم الثانى لزولى فى (الغ). وحين لم أجد من اخالط الا من فى زاويتنا فنعت بتسجيل ما يتيسر من بعض اذكياهم. وفى عشمية يوم كنت مع اخى احمد رحمه الله؛ فقال لى وقد رآنى مكبا على تسجيل كل ما اسمع مما جمع فى كتاب (من افواه الرجال) ولا انظم ما اسوقه فيه ولا اختار؛ ماذا تصنع الآن؟ فان كنت لا بد كاتباً؛ فهىء لنا كتابا عن (الغ) وعن كل من مر فيه من العلماء والادباء والحوادث. ليكون لنا ككتاب آل زاوية تيمكيدشت الذى الفه العربى المشرفى الفاسى؛ فكانت هذه الكلمة من الاخ هى البذرة الاولى من هذا الكتاب. ثم نظمته تنظيميا يكاد يستوفى كل اعمال زوايا سوس ومدارسها مع الالمام باخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم. وجمع رجالات الاسر العلمية تفصيلا. وقد رتبت الكتاب على خمسة اقسام. فاشتطت اننى كلما ذكرت رجلا ممن كانوا على شرط الكتاب ان اذكر كل ما حواليه من رجالات اسرته من العلماء ومن تلاميذه ومن اساتذته وبهذا استطعت ان احشر فى الكتاب كمية عظيمة من زوايا العلم بسوس وبعض ديار الرياسة. فطال الكتاب بذلك حتى كانت مجلداته تنقسم الى هذه الاجزاء

3 فى الالفين العلماء والرؤساء

5 فى اساتذتهم كالجشتميين والادوزيين والتيمكيدشتين وآل ماء العينين والمزواريين والتامانارتين والاقاريضيين.

3 فى تلامذة مدرستهم كاليزيديين والسالميين والحضيكيين والتادراتيين والناصرين والوهداويين الاساويين

6 فى الاخذين عن زاويتهم كالاكراديين والمحبوبيين والكرسيقيين والمعدريين والركنيين والتاتلتيين

3 فى اصدقاتهم السوسيين منهم رؤساء كالجرايين والتامانارتين والمقائد المدنى والمقائد الناجم وغيرهم. وبهذا صار الكتاب عن سوس موسوعة فيها تسجيل كل ما امكن من اخبار بعض العلماء، وبعض الصوفية؛ وبعض الرؤساء. وانما قلت البعض لان هناك كتابا خاصا بعظماء سوس. وآخر فى رؤسائهم. والمقصود ان اسجل أكثر ما يمكن لى تسجيله للغد بهذه الكتب عن هذه الناحية من المغرب

هذا وقد يجد القارئ من ابناء اليوم مما اكتبه ما يعده من سقط. المتاع ومما لا ينبغي أن يهتم به مما يعده عند نفسه فى ذوقه من الخرافات

ولكن لا ينسب اننى مؤرخ؛ وقلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل ما امامها حتى ما تقضى به الاعين. فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة تلتقط الظلال الغائمة فان لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك، فانه قلم انتصلي والمسخ للحقائق. لان واجب المؤرخ ان ينقل قارئه بوساطة يراعيه الى الذى يتحدث عنه حتى كانه يشاهد عيانا. واما ان يهذب او يشذب ويحذف ويزيد حتى يضمحل القارئ عن الحقائق فذلك هو الزور بعينه ولهذا احرص انا فى التراجم أن اذكر كل شئ مدحا وقدحا وان كنت اعمل فكرى واختار وارجح. لان هذه ايضا من وظائف المؤرخ. ولا خير فى مؤرخ جماع فقط من غير ان يظهر اثر فكره فيما يكتب

وبعد فها انذا اجعل امام القارئ بعض ما سودته عن سوس فى هذا الكتاب الذى هو احد تلك الكتب. وسيمجد فيه احيانا تكرارا فى التحدث عن شئ واحد فى مختلف التراجم. والمقصود ايجاد الصور المختلفة باختلاف الروايات لحادثة واحدة. ليستطيع من سيدرس الحادثة غدا ان يستوعب كل ما حوالبها. فينظم الكلام فى صعيد واحد. وانا لا ازمع فى هذا الكتاب الا انه مجموعة مهمة لمن سيمتقى منها غدا ما يريد. ولذلك احرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار. والنكات الادبية. والنوافى وان لم تكن بمستساغة عند الاذواق العالية فى الادب؛ كما لا ادعى اننى بلغت الغاية او اتبع المنهج العلمى فى الدقة. وانما ادعى اننى حرصت على امانة النقل عن المصادر - وغالبها من افواه رجال الات الاسر - واجتهدت على أن اتبع الترتيب المنطقى ان حاولت الاستنتاج. باذلا جهدى ما استطعت - لان المقصود اولا وآخرا ان يرى القارئ مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب. يضم طائفة من ابناء امازيغ الشملجين المديوين. فى نشر اللغة العربية وعلومها وآدابها وقد اولعوا بذلك ولوعا غريبا. فقاموا باعظم دور فى ذلك بجهودهم الخاصة من غير ان تعينهم الدولة.

ومن مفاخر المغرب ان هذا العمل بنفسه او اكثر منه كان فى بوادى درعة وفى تافيلالت وفى دكالة وفى الريف. ولكن اين من يجمع لنا مما هناك مثل هذا التجمع. وان لم يكن جمعا واسعا كما ينبغي. ولا مستوعبا كما كان يجب

ثم اننى ابن زاوية وابن بيئة امس. مومن بالروحيات الصادقة. فاقبل خرق العادة ان صرح ان ذلك واقع. ولذلك يعذرني من ليس له هذا الايمان ان وجد فى بعض التراجم من الكتاب مثل ذلك فله دينه ولى ديني

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف

فليعلم المطالع لهذا الكتاب، باجزائه العشرين انه سيخوض فيها اخبار الفقهاء والادباء والرؤساء والصوفية وكل ما يعن من احوال الابدانية وسيكون كالدخل الى السوق التى تجمع كل شىء. فليأخذ ما يعجبه وليعرض عما لا يعجبه. فان ما لا يعده الا شميئاً تافهاً؛ ان كان لا يذوق حلاوته. قد يكون ازاءه قارئ آخر لا يعجبه هو الا ذلك. فالكتاب كما يقولون كالمائدة الطافحة بانواع الاطعمة، يأكل كل واحد منها ما يشتهيها فمن ليس باديب لا يرتاح للادب. ومن ليس بفقير لا يرتاح لحوال الفقهاء. ومن ليس بصوفى يستنكر حتى ما هو حق من احوال الصوفية. نعم ان من يكون مؤرخاً يريد ان يستنتج يفرح بكل شىء ولو الخرافات فضلاً عن الحقائق .

وأخيراً

فقد وضعت امس كتاب (سوس العالة) أمام القارئ. وهو كالنافذة لهذا الكتاب واخوانه من الكتب الاخرى. وهاك الآن (الجزء الاول) من هذا الكتاب الثانى الذى ستمتع من اجزائه الى العشرين ان شاء الله. فالله ييسر بفضلها؛ فان لم يخرج القارئ بكل ما يريد من الكتاب عن (سوس) فانه على الاقل يخرج بفائدة كانت عنده قبل الكتاب من المجهولات. نطلب الله ان ياتى بمن يستتم ما ينقص فى الموضوع • او يصحح الاغلاط • وما ذلك على شبايننا الذى تراه يشارك اليوم فى هذا الميدان ببعيد

م خ س



بيان

غالب الاعلام فى لغة الشلحة لا ينطق بها كما هى عند اهلها الا مضبوطة مشكولة وحين كان ذلك الآن كالمتعذر فى مطابعا العربية المغربية سلكت الطريقة التى تعتاد فى أخوات الشلحة من اللغات العجمية فأجعل الالف مكان الفتحة والواو مكان الضمة والياء مكان الكسرة وكل حرف ليس أمامه الف او ياء فانه مسكن فمثلا تجد (تمنرت) فى اقلام الكاتبين السوسيين فلا تهتدى الى قراءتها ولكن ان كتبتها هكذا (تامانارت) فانك تفتح التاء والميم والنون وتسكن الراء فاذا بك نطقت بها نطقا صحيحا وكذلك (ايدىكل) و(ازاريف) و(اكجكال) و(تيفمى) و(ءاقا) و(تامادولت) و(تيفنوت) (تاكازا) و(ايسى) و(تالبرجت) و(تيفرميت) و(تاكومت) و(ايلغ) و(الغ) فالفرق بينهما ان الاول مكسور اللام والثانى مسكنها وبهذه الطريقة يستغنى عن شكل ألفاظ شلحية لا حصر لها فلم يبق لنا الا معرفة الحرف المشدد من غيره فلم أقع الى الآن على ما ينبه به على التشديد الا الشكل فمثلا (تيمكيدشت) فجميع الحروف يظهر ضبطها مما تقدم فلم يبق الا الكاف المشددة وكذلك (أكادير واو) فان الواو والياء مشددتان كما يبقى لنا أيضا ما يتعلق بالتفخيم والترقيق فى الحرف؛ والكاف المعقودة التى تكون بين القاف والكاف وهى كثيرة فى الشلحة؛ مثل (اكلو) (اكريسف) و(ايكوسالن) و(تاكنتيت) فان هذين وهما ما يتعلق بالتفخيم والترقيق وما يتعلق بالكاف المعقودة أمرهما خفيف فى نظرى الآن فحينئذ يتلخص لنا أن الذى يكون لنا حجر عثرة فى مطابعا التى لم تزود بالحروف المشكولة هو الحرف المشدد وحده؛ وسنجهتد ان نبين ذلك آخر كل جزء فنرتب الاعلام التى فيها الحرف المشدد على حروف المعجم باعتبار اول الكلمة والله الموفق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم؛ ففتح العيون؛ وأرشف الاذان؛ وهدى النجدين؛ وانطق الانسن باللفات؛ وخص كتابه الكريم بأفصح اللغات لغة العرب خير لغة أخرجت للناس؛ بعد ما هذبتها لسن العرب العرباء؛ ثم شذبتها حكمة القرآن بالمثل العليا. فاستحقت أن تكون كلغة عامة لجميع من يعتنقون الاسلام من أقصى المشرق الى أقصى المغرب. فالحمد لله الذى هدانا حتى صرنا - نحن أبناء الخ العجم - ندوق حالاتها؛ وندرك طالاتها؛ ونستشف آدابها؛ ونغوص امواج قوافيها، حتى لنعد انفسنا من أبناء يعرب وان لم تكن إلا أبناء (أمازيغ). فالانسان بنوقه وبما يستحليه عند التعبير؛ لا بما رضعه من ثدى أمهاته، واللسان بما تفتح له به المعانى الحاوة؛ لا بما يتهدج به من لغة يرثها لا تعد من نبع ولا غرب (1)؛ فاللغة العربية عندنا - معشر الالغيين - هى لغتنا حقا التى نعتز بها. لان بها مراسلتنا ومخاطبتنا حين نريد أن نرتفع بأنفسنا عن مستوى جيراننا، وأبناء جلدتنا من الحربليين والوققاويين والمجايطين والساموكنيين؛ وتلك نعمة أنعم الله بها علينا بفضلله وكرمه؛ حتى اننا لنرى أنفسنا من ورثة الادب العربى؛ فنغار ان مسه ماس بفهاهة؛ ونذود عن حماه ان أحسنا بمن يريد أن يمسه باهانة؛ فنحن عرب أقحاح؛ من حرشة الضباب، والمستطبيين للشيوخ والقيصوم؛ وان لم تكن أصولنا الا من هؤلاء الذين يجاوروننا من أبناء السملجين الاماجد

(I) النبع: كفلس والغرب كالفرح من شجر البادية تصنع منها السهام. قال أبو تمام
تخرصا واحاديثا ملفقة ليست بنبع اذاعدت ولاغرب

والصلاة والسلام على من بعثه الله من خير أرض وإن لم تكن
 الا صحراء قاحلة؛ فكان للانسانية جمعا قبل أن يكون مخصوصا في مبادئه
 الحق للعرب الخالص؛ رفع راية الحرية والمساواة والاخاء؛ فأوى الى ظلها
 كل الذين هداهم الله فاستظلوا بتلك الراية من قلبين فاندونيسية الى هذا
 القطر المغربي الذي نكون نحن - أبناء الخ - في أقصى ذنبه الذي هو ذنب
 الطاووس - فيما نرى - ورضى الله عن الصحابة وتابعيهم الذين شرفوا
 وغربوا بهذه الراية المباركة، حتى ركزوها وراءنا في الصحراء الكبرى
 تركيزا؛ ثم لم تقدر أربعة عشر قرنا أن تززعها عن محلها؛ لان ما مراكزه
 في القلوب لا يمكن أن يتزعزع بالاغصير، فحيا الله تلك الهمم الشماء
 التي تفتح القلوب باللسان العربي وبكتابه الكريم؛ قبل ان تفتح البلاد؛
 وهل عرف العالم فاتحا مثل العرب كما يقول غوستاف لوبون ؟

أما بعد فقد اولعت منذ عرفت قبيلي من دبري؛ وميزت يميني من
 شمالي. بالتاريخ والادب؛ وبمطالعة كتبهما فلا أظل ولا أبيت منذ كحلنتي
 العربية باثمهدها، وأذاقتني حلاوة معانيها الطلية فأنشئتني بخمرتها؛ الا بين
 كتاب ابتدئه وآخر أختتمه؛ منذ بكرت الى مطالعة كتاب (الف ليلة وليلة)
 في فجر حياتي؛ اذ كان اول كتاب طالعته وأنا ابن نحو عشر سنين؛
 فأخذت بحكاياته التي تدل على ما لمدينة العرب في بغداد ومصر وما اليهما
 من اناقة ولطف وحسن ذوق؛ ورفاهية عيش، ثم لما زدت قدما؛ طالعت مثل:
 المستطرف وحياة الحيوان للدميري وابن خلكان؛ ومروج الذهب؛ ونفح
 الطيب؛ وقلائد العقيان، والاستقصاء؛ ونزهة الحادي؛ والصفوة - وهي
 الكتب التي طالعتها في حياتي الاولى في الخ وما الى الخ من افران واغشان -
 ثم لما كملت تراب الارض بقدم الهجرة (1) ووجدت خزائن تطفح بالكتب
 الكبرى؛ أقبلت بنهم الذي لا يشبع على التهام كل ما تقع عليه عيني كيفما
 كان الكتاب؛ ما دام يمت الى الادب والتاريخ، فلا ارد أي كتاب سنج؛ ولسان
 حالي ينشد قول ابن المعتز

قلبي وثاب الى ذا ذا ليس يرى شيئا فيأباه
 يهيم بالحسن كما ينبغى ويرحم القبح فيهواه

ثم لما حلت بفاس أتى الوادي فطم على القرى (2)؛ فبدلت أخلاقا
 غير التي عهدت من نفسي قبل؛ وأنا في مراکش واحواز مراکش، فقد تلقحت

(1) لا يدرك المرء في اوطانه شرفا حتى يكيل تراب الارض بالقدم
 (2) مثل عربي، انقرى كغنى: مسيل الماء من الوادي؛ وطم الماء على الشيء:
 اذا غمره .

في جو فاس بما لو لم اتلقح به لما كانت لي فكرة، ولا تحركت بي هممة؛
ولا نزعتم بي نفس عزوف تقول بملء فيها
لي هممة عالية فذة طموحها ليس له منتهى،
لو ملكتم كل الثرى لا عتلت الى امتلاك سدارة المنتهى

تكونت لي في فاس فكرة دينية فرقت بها ما بين الخرافات الموهمة،
وبين الروحانيات الربانية؛ كما نبتت مني غيرة وطنية نسيت بها نفسي
ومصالحى الشخصية؛ فاعدت نفسي فداء لدينى ولوطنى ولامتى التى هى
أمة العرب والاسلام جمعاء وانا بين هاتين: الفكرة والغيرة اسبح في آداب
حية طلع بها هذا العصر الجديد؛ فصرت أقرأ من نشر المنفلوطى وفريد وجدى
ومحمد عبده واضرابهم، ومن شعر شوقى وحافظ ومطران وامثالهم ما عرفت
به أن الذى كنت أسبح فيه منذ صغرى ليس الا ضحاحا كدرا؛ لا يبرد جسدا؛
ولا يفثا غلة؛ ولا يقضى على لهفة •

ثم لما ابت من فاس. وقد الممت بالرباط. حيث احتقبت أيضا علوما
وفهوما وانظارا وبحوثا؛ لم أقع عليها الا في الرباط وفي مشايخ الرباط.
حالت بالحمراء وقد اقيمت فيها مراساتى، وأنوى أن أقضى الواجب على
لدينى ولوطنى ولشعبى؛ ما بين تلميذ يهذب؛ وبين درس ارشاد يلقى؛ وانا
في جانب ذلك اناغى اليراع فيما عسى أن يرفع من شأن هذه الامة؛ من احياء
ما اندثر من آثار ماضيها، ومن المحافظة على العربية الفصحى التى أراها
اذ ذاك في انهيار؛ ففي هذه الميادين الثلاثة قضيت أزمانا؛ تكشف عن أعمال
كان فضل الله على فيها عظيما؛ ومن بينها اشتغالى بجمع مؤلف حول (العصر
الذهبي لمرآكش) يوم كانت عاصمة المرابطين والموحدين، أعدت له من المراجع
ما لو تم بها لكان - فيما كنت أقدر - صنو (عصر المأمون) حجما واسلوبا
وافادة وروعة، لاننى وجدت من ذلك مكان القول ذا سعة؛ ولكن جاء النفى
بغتة؛ فذهبت تلك المراجع مع ما كتب من الاصل الى سلة المهملات

ها انا ذا الآن انفى الى الخ؛ الى مسقط راسى؛ حيث امنع من ان اتصل
بالناس؛ فوجدتنى فجأة أمام بيئة كنت نسيتها، فخطبت من هناك بهذه
القصيدة التى الممت فيها ببعض لعب الولدان الالغيين؛ وبذكرىات اول
شبابى؛ أتمطق بها الآن بكل حلاوة :

اليكم - بنى امى - أثيب ركائبى فياليت شمعى هل انا خير آئب (1)
فقد غبت احقابا طوالا وذا انسا اعود كان لم اغد - قط - بغائب

(I) أثيب؛ تقرأ الهمزة الثانية بالهاء تسهيلا على ما عرف من القاعدة
إذا اجتمعت همزتان .

صدفت الى ان كان ميل اليكم
كان لم يكن الف بلادى التى بها
كان لم يكن اصلى ومنبت نبتى
كان لم تكن لى ارضها خير مرتقى
وروض وصال قد تمتعت برهة
اذ الدهر بشر والحياة مسرة
ويوم الصبا يوم ضجوك كأنما
نهارى حبور ثم ان زرت مضجعى
قليل هناء والنهار سعادة
تناغيني الآمال من كل وجهة
فامى واختي لا تريدان غير ما
اشير فيوتى لى بكل الذى اشأ
فاحسبني بالامر والنهى اننى
تطارحنى نفسى الهنى فاطل فى
فلم ادر الا ان انال المراد كى
فاسدر فى ميدان لهوى وانسى
اجول كما اشمى واجرى كما أشأ
الاعب أترابى فتغادرو الى المسا
نظل على فر وكر كأنما
على قصبات شمقت جنباتها
نجيل اذا جلنا بها فى اكفنا
فتمصمدم والمنقع المثار مطنب
فنجرى ولا تدرى المجلى بيننا ؛
نحاول تنظيمها وسرعان ما ترى انه
وافضل يوم عندنا يوم نفتدى ،

ورجعاى هذا اليوم احدى الجانب (1)
سموت به فوق الذرى والمناكب
ومجمع اخوانى ومغنى اصاحبى
سربت صغيرا بين شمتى المسارب
بأزهاره بين اللمى والنواذب
وروض الامانى مستهل المعاشب
تغازل صبا سافرات الكواعب
فاطيب بحلم مستلذ المشارب
وعيشى طليق الوجه عذب المشائب
مناغاة أم الطفل مهما تلاعب
أريد جناه من جميع المرائب
وان كان مجناه مناط الكواكب
امير على اهلى وكل صواحبي
خمانلها أجنى ثمار رغائبى
اساجل اقرانى بكل الملاعب ؛
اخال- ذكاء قد علمت كل ثاقب (2)
واسحب ذيل سحب سكران شارب
وما ان درينا كيف مس المتاعب
تلاطم ميدان الوغى بالكتائب
ولكنها من تحتنا كالأشواذب (3)
عصيا نرى منهم امضى القواضب
كما اعترضت فى الجوسودالسمحائب (4)
واى نظام بين خيل الملاعب ؟
ستارا كوهى العقد فوق الترائب
حفاة بجري المذكيات السراحب (5)

(I) صدف عن الشيء: مال عنه

- (2) السادر: الذى لا يهتم ولا يباى بما صنع؛ والفعل سدر كفرح، وذكاء
بضم الدال ممنوع من التصرف ولكنه مصروف هنا ضرورة: الشمس
(3) أفرس الشارب: الضامر. والصبيان يشقون من أخريات قصباتهم
التي يركبون عليها لتثير الغبار كالخيل عند اجرائها
(4) طنّب بالمكان: اقام فيه
(5) المذاكى من الخيل: التى اتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان؛
وفرس سرحوب: طويلة.

وقد اعصرت ريح التفافم بيننا
وصرح بين القريتين تضارب
وفرقع فى الميدان «الد» وصوتت
وقد جالت الاحجار فوق كانها
وقد زجلت اصداء سرعتها كما
وقد علمت الاصوات منا ومنهم
وقد حمل الاذمار حملتهم وقد
ونابت ايادينا عن «الد» واختها
ياز قرين قرنه حين يتدى
يغالب كل قرنه فمجنديل
اذا بعضنا صرعى وبعض ازاءهم
فيجندم الخصمان حيناً فينتحى
فيأتمر الجمعان ان يجعلوا الذى
فترا ب بالصاح القلوب اذا بهم؛
كان لم تلتطخ بالدماء رؤوسهم
كان لم يدقوا بينهم عطر منشم

واقبلت الضبيان من كل جانب
فداوت رحي الهيجا بين المقانب (1)
«تزبا» وخاض الحرب كل محارب (2)
عصائب طير صادات عصائب
تصل قطا عطشى سرت للمشارب (3)
فكمل يعانى ان يرى جد غالب
تلاحم صفانا بشوس محارب (4)
وضقنا عن اعمال القنا والقواضب
تهاسكنا فوق القرى والجوانب (5)
على الارض او جلد امام المغالب
وقوف. وبعض ماسكو بالتلابب (6)
ذو الرأى منا نحو صلح مقارب
مضى مثل امس غابر العهد ذاهب؛
عناق كان لم يلتقوا فى المعاطب؛
فسالت على اغناقهم والمناكب
باحجار «الد» الجائيات النواهب (7)

- (1) القريتان: قرية آل سليمان. وقرية الزاوية العليا. والمقنب بكسر الميم من الجيش. قطعة من الفرسان الى ثلاثمائة
- (2) الد بكسر الهمزة وسكون اللام وكسر الدال؛ وتزبا - بكسر التاء والزاي؛ ثم باء مفتوحة مشدودة: نوعان من المقاليع يصنعان من الحلفاء؛ وترمى بهما الاحجار، وبهما يقع تضارب بين الصبيان
- (3) الزجل. محرك من زجل كفرج: الصوت. قال الشاعر يصف قطاة غادرت ولدها وقد استولى عليها انظماً. فكان لها صليل أى صوت.
- غدت من عليه بعد ما تم ظمئها تصل وعن فيض بزياء مجهل
- (4) الذمر بالكسر الشجاع؛ والاشوس: الناظر بمؤخر العين تكبرا او غضبا؛ والمحارب جمع محراب؛ المبالغة فى الذى يحارب؛ واسقاط الياء فى مثل المحارب قياسى؛ فنقول: المحارب
- (5) القرى بالفتح: الظهر. ولزه: ربطه بشيء آخر قال:
- وابن الميرون اذا ما لز فى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس
- (6) اصله التلابيب. ولبيه: اخذه بتيابه من فوق صدره.
- (7) عطر منشم: يفسر بالعطر الذى يجعل فى الاكفان: كانت امرأة عربية تسمى منشم تبعه؛ وهو تعبير جاهلي. ومن معلقة زهير
- تداركتما عيسا وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وان لم تكن فى اهلنا بالاقارب
جديدا بشوق الصب نحو الجائب
لنحو «ضا» تثنى زمام الركائب (1)
لنا حيث يدمى القرص كف الملاعب (2)
نفثس نفزع فى اغابى بضائب (3)

نروح جميعا بالوثام اقاربنا ،
الى لعبة اخرى فنتفتح بابها
فجينا الى (الاسداء) نمضى وتارة
وطورا الى (شلوك) افضل لعبة
وآونة نعدو الى الاختبا فان

نصيخ لجوع لافح النار ناصب
ولا نتقى ليلا بطيء الكواكب (4)
(اقلمون) فى جمع الثرى للالعاب (5)
بدكن كاسمال الشكالى السلائب (6)
مناغاننا او ضمنا للترائب ؛
نضار اليرنا بين سود الذوائب (7)
قضيينا عويمات بغير مراقب ،

كذلك نمضى يومنا مرحا فلا
فلا نتقى بردا ولا نتقى حفا
ولا نتقى الاكمام والحجر لا و - لا
نجى بقمص كالزهور وننشئ
فان غمقم الاهاون فالامهات فى ؛
يمطن الاذى بالبشر ثم يسكن من
ونصبح ايضا عود بدء وهكذا

(I) استندى الصبيان واسدوا: اذا كانوا يلعبون بالجوز: ونحن جعلناه
اللعب بالحصى؛ وهى المسماة: (ءاكترن) وضما معلوم: صنو الشطرنج.
(2) شلوك بفتح الشين وضم اللام المشددة: لعبة بالحصى يقرص على
ظهر كف من غلب فيها

(3) والمقصود بلعبة الاختباء ما يسمى بالشلحة (توتكلا) بسكون التاء
وفتح الواو المشددة وسكون التاء الاخرى وسكون الكاف المعقودة وفتح
اللام المشددة. ومعناه طابت العصيدة؛ وهى لعبة يختبئ فيها الصبيان؛
فيفتش عنهم أحدهم؛ وقد يباغته احدالمختبئين فيفرعه؛ وهو الضائب، ولهذه
اللفظة الغربية تسمى هذه القصيدة عند بعض الادباء بالضاغبية. ولعل
لعبة (الغميضا) تشبه لعبة الاختباء. وسيرى القارىء وصف هذه اللعبة فيما
ياتى

(4) ينظر فيه الى قول الشاعر:

كلينى لهم يا أمية ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

(5) أقلمون بفتح الهمزة والقاف وسكون اللام هو ما يسمى بالقب
للجبة والبرنوس: ما يجعل فوق الرأس منهما
(6) السلائب والشكالى بمعنى واحد. والدكنة معروفة فى الالوان. والاسمال
السياب الخلقة

(7) اليرنا: الحناء. ودهن الراس بالحناء الملتوت للصبية عادة الغية.
وهو احمر الملون كالنضار: الذهب

وليس لدينا من نخافهم سوى
 اذا ماسمعنا الهمس من صوبهم فلا
 مساورة من مشبل وسط خيسه
 عبسوس المحيا قمطيرير كأنما
 فلم يدر الا البطح فالهشم ان تقل
 او اللكم والركل المفض اذا وئت
 نسر الرشاكى نستدر ليونة
 فلولاه كان العصر عصر الصبا لنا
 ولكنه ادى الثقاف صلابة ؛
 فتبصرنا تحت الذقون كأنما
 فرضنا على رغم الانوف ومن يجل
 فمر بنا عام فعام فبدلت
 فطاف بنا عقل جديد فحلقت
 بدت من سماوات المعارف برقة
 رأينا المعالي كلها فى مرادها
 فغادرت الغا والشبيبة غصة ،
 اريغ العلا بالنص فى كل فدغد
 اعرض حر الوجه نحو سموه؛
 فجبت الجبال الشامخات؛ وخضضت
 فخيمت بالحمراء حيننا وسابقت
 وطورا ارانى فى الرباط وقد طمت
 فافرغت فى هاتى وتلك وتلكم

ليوث اطلوا من صدور الكتائب
 تسيل عن قلوب فى الضلوع ذوائب
 اخف علينا من ملاقة طالب (1)
 تجهت السعلاة فى وجه هارب
 عصاه بنا كالنمر بين الثعالب ؛
 يدها بعبل من جبال ازاغب (2)
 لو ان الصخور الصم درت لحالب
 الذى زمان لم يهس بشائب
 مؤيدة بالقرص من كل جانب
 يحاول ضار خنقنا بالمخالب
 بقواته سوى جميع المصاعب (3)
 ضرائب منا سدج بضرائب (4)
 امانى اخرى لاغتنام مآرب
 اثرا لها -نرتاد- قود النجائب
 فطرنا اليها بالنفوس الرواغب
 ووجهى وغصنى مثل ابيض قاضب
 تفل به الخريت شتى المشاعب (5)
 فيكسوه من اثواب سود غرابب (6)
 سراب البطاح الفيج هوج ركايب
 من ابناء فاس آونات سلاهبى (7)
 على غيوث الهامعات السواكب
 جهود مجد فى التفوق راغب ؛

-
- (1) اسم الطالب يطلق فى الغ على استاذ التعليم فى المسجد. والمساورة: المواثبة. والاسد المشبل: الذى له اشبال والخيس بالكسر: عرين الاسد.
 (2) العبل: الغليظ. رحبل ازغب: اختلط بياضه بسواده. وكثيرا ما يبرم حبل الطالب القاسى من حلفاء ومن شعر ليكون أمتن
 (3) ريش الفرس: اذا وطئ للركوب. ورضنا بكسر الراء.
 (4) الضرائب: الاخلاق.
 (5) المشاعب: المذاهب. والدليل الخريت: العارف بالطرق. والنص: نوع من السير السريع. واراغ الشيء: طلبه
 (6) غرابب: اصله غرابيب؛ ومن القرآن غرابيب سود؛ والكلمة للاتباع.
 (7) الافراس السلاهب: الطويلات

وشغل الوحيد الدرس فى كل محفل
فاجثم فوق الركبتين كاننى
اقيد عن ذاك الشوارد تارة
فيوردنى الاشياخ بحرا عظمما
ويجلون ابصارى بفكر كانه
فابصرت نورا مشرقا متلائما
فابت بحمد الله فى حالة - اذا؛
عرفت قبيل من دبى بها ومن
وصومت ان اقضى الحياة جميعها
لعلمى ان المسره حيث توقفت ؛
وان نفيس العمر خير ذخيرة ،
فملت الى درس المعارف معرضا
فاقصر همى كله حول نشرها
بمراكش الحمراء حيث الغريب لا-
كان كان عن جداته وصحابه
ينال من التبجيل ذكرا كانه
ويصفون اثواب التجلات فوقه
ويوثر بالشئ النفيس لديهم
فمن تره منهم تر البشر نيرا
كان قطوب الوجه لا يعرفونه

درد بدر خالص المواقب
ريئة قوم جائم فى المراقب (1)
والقى لذا طورا يبحث مجاذب ؛
اغوص به حتى تقشى ذوائبى
صباح تجلى من سجوف الغياهب (2)
تنظم منه جزءها يد ثاقب (3)
تنقصتها أثنت عليها حقائبى (4)
درى حالتيه لا يحتر فى المذاهب
وانى بعيد عن دنيا المشاغب (5)
به النفس فى آرائه والمذاهب
تصان عن اطماع الحياة النواهب؛
عن العرض الفانى الممر العواقب (6)
أصيره غايات كل مطالبى
يحس بان قد حل بين الا جانب
واترابه فى مهده غير عازب ؛
زهور نمت بين الصبا والمذانب (7)
الى أن ترى رجلاه فوق المناكب
ويشكر أن يقبله من يد واهب
عليه. كائنوار النجوم التواقب
فلست ترى من بينهم اى قاطب

(I) المراقبة المحل الذى يراقب منه العدو ومشله. والريئة: الطليعة للجيش
للمراقبة

(2) السجف: استتار

(3) تلميح لقول ابن الطمحان
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم

(4) تلميح لقول الشاعر

يمرون بالدهنا خفا عياهم

(5) يعنى بالمشاغب: مشاغب التجارة كما يرى عند بعض السوسيين.

(6) انما عبر هذا البيت عن أن كثيرين من السوسيين انما يتغربون اليوم
فى العرض الفانى لا فى المعارف. وامر الشئ ومر اذا كان مرا غير حلو

(7) المذانب: الجداول

إذا أوقدوا نارا وشبوا وقودها
يجلوننى فى حضرتى. ثم ان اغب؛
أمن بعد ذا يا اهل (الغ) الأمان؛
فها انذا فى اليوم غادرت قطرهم
فهل اجد المألوف منهم لديكم،
فانى انخت العيش يومى بالغكم
وقد انكرت عيناي منه وانكرت؛
فقد غيرت منى ومن جنباته
فقد عهدت منى رباه غليما
فعاد اليها اليوم كهل تعرفت
كان خطاه فى المسير خطا الذى
ربوض بمشواه فليس بناهض
كان عاد فى الرهبان يقفو قفاهم
كذلك أنا انكرت (الغ) وارضاها
تنكبها حتى تنكر جوها
أرى جوها فى بهرة الصبحو باهتا
اذلكم (بردى) الذى كان حقبة
وهذا (أمقسو) شامخا فكانسه

فما هى للعاشى سوى نار غالب (1)
فليس التناء الرطب عنى بغائب
نسيت بهم اهل وكل أقاربي ؟
ودارت بينى دائرات السدوالب
فاحسبني لم اغد عنهم بعازب ؟
والقى أنا ايضا زمان الملاعب
رباه سبالى واستطالة شاربي ؛
نوائب تترى تاليات نوائب
نشيطا سريع الخطو امرح لاعب
جوانبه مستأسدات المصائب
تمشى بكبل فى شفير السرادب (2)
لغير ديون تقتضى فى المحارب (3)
ايبعد عن كل الورى غير راهب ؟
وحال رباها والبطاح الاجادب
على واعلام الصوى والمذاهب (4)
كان جملته قاتمات الغياهب (5)
إذا احتفل النوار مفعنى الكواعب (6)
مدارج منها يرتقى للسحائب (7)

-
- (1) فيه تلحيج لقول الفرزدق فى جده غائب من قطعة:
إذا آتسوا نارا يقولون ليبتها وقد خضرت ايديهم غالب
- (2) هذا يشبه قول مسلم بن الوائيد:
إذا ما علت منا ذؤابة شارب تمشت به مشى المقيد فى الوحل
- (3) يعنى الصلوات
- (4) الصورة: ما يجعل من الاحجار فى الفيافى لتعلم به الطرق؛ وفى الحديث: ان للاسلام صوا ومنارا كمنار الطريق
- (5) ضوء باهت: ضعيف. والكلمة ينتقدها الالغيون؛ فانهم لم يجدوا لها هذا المعنى فى المقاموس
- (6) بردى بفتح فسكون فдал بعدها الف مقصورة: الناحية الشمالية من بسيط الغ
- (7) أمقسو بفتح الهمزة والميم وسكون القاف وضم السين: اعلى جبل من جبال الغ الشمال الشرقى

وهذى (تكنزا) فوقها الحصن مشرفا
 فأين (قهي) و(العنصر) العذب ارشدوا
 لا نفع من تلك المشارب غلتى
 معالم كانت فى زمان طفولتى؛
 وعهدى بها مسكية الترب. والصبا
 اذا وجهها فى اليوم أجرد كالح
 فله الخ يوم ذاك فانها ،
 أجر بها شرح الشباب واننى
 وأما أنا فى اليوم فالطرف شاهد
 فمن كان فى سنى يرى مثل ماأرى
 وشاهد ما شاهدت من رد أرؤس
 فأجدر به ألا يهز فؤاده
 فما أبعد الكهل الكئيب عن الهوى
 ففى همه المشبوب أشغل شاغل
 اذا غمر الهم الفؤاد فهل ترى
 أشغل الا بى لا أبالك فى الهوى
 فلا كان حر تطبيه سوائف
 ولا ولم يحل دون القريض الجريض ما

كندوة فحل اشرفت فوق غارب(1)
 أخاكم وقودوه لتلك المتاعب (2)
 فعهدى بها من قبل أحل مشارب
 مسارح ابصارى ومجلى ملاعبى ؛
 شذا. ونثر الدر بين المحاصب(3)
 تصرصر فيها معصرات الجنائب؛
 حدائق رفت بالحقول المعاشب
 خلى رخي البسال بين اصحابى
 بحاضر حالى مستشف لغائبى
 وطاف به ما طاف بى من غرائب
 مكلمة بالمجد تحت العراقب
 جاذر ان عنت بزى الاعارب (4)
 وعن ذكريات قبل عنه ذواهب
 له عن مناغة الدمى فى المسارب
 له لفتة للرائعات الرعاب؟ (5)
 وقد سيم ما قد سيم من كل جانب؟
 وان لسعت اصداغها بالعقارب (6)
 كفت يراعى عن قواف صواخب

بنى الخ هذا صنوكم وعشيركم؛
 فقد جاءكم من بعد عشرين حجة؛
 فان تنكروا منه وينكر لديكم
 فعما قليل يقرن الدهر بيننا
 عليكم جميعا من اخ حل بينكم

يؤوب. أيفدو بينكم خير آتب
 غريب المبادئ والحجا والجلابب
 خلألق فالاغضاء أوجب واجب
 فليس لزوم الطبع ضربة لازب
 حلول السها بين النجوم التواقب

- (1) وتكنزا من جهتها جبل فوقه حصن جنوبى انخ وهى بفتح التاء والكاف
 وسكون النون وفتح الزاى
- (2) قهى بكسرتين والعنصر بفتح العين والصاد: بيران امام دارنا.
 ومشعب الماء مجراء.
- (3) فيه تلميح لما قاله الشاعر سيدى الطاهر الافرانى فى ارض الخ
 أرض ثراها عبير. وأنسيم شذا والماء راح. وكالياقوت حصباء
- (4) تلميح لقول المتنبى:
- (5) من الجاذر فى زى الاعارب حمر الحلى والمطايا والجلابيب
- (6) جارية رعبوب: بيضاء حسنة رطبة حلوة
- (6) اطباء : استماله؛ اطبى يطبى؛ افتعل يفتعل .

سلام كما طابت شمائل منكم وفاحت لديكم طيبات المناقب،
يعمكم يا آل الخ فانتهم جميعا أودائي وعر أقاربي ؛

خاطبت الالغيين بهذا النوع من الشعر العربي القح. لانهم لغويون
أقحاح يستحضرون كل ما ربما يعده غيرهم غريبا يحتاج الى مراجعة
القواميس قبل فهمه؛ وكان مقصودي فتح الباب بيني وبينهم؛ وإزالة كل
الحجب التي تكاثفت في العشرين سنة التي فارقتهم فيها من عام: 1336 هـ.
الى عام: 1356. ثم سرعان ما ما زجت القوم؛ فانثالوا على بقائدهم؛ فاجبت
كل واحد قافية بقافية حتى تكون من ذلك ومن تسجيل احاديث وذكريات
كتاب يطول الى ان كان في ثلاثة أجزاء، وهو كتاب (الالغيات)؛ فلما شاهدت
ما شاهدت خطر في نفسي أن أكتب حول تاريخ الخ؛ لاسجل ما يمكن من
آثاره الادبية؛ واخلد ما يستح من حياة عظمائه الذين أسسوا لمجده؛ وعرسوا
فيه بأعمالهم ما عرسوا؛ وقد كنت أخذت عن اخي البجائة الاديب سيدي
الحسن بن احمد البونعماني نبذة من تاريخ جزولة، اثر جولة جالها هناك
حوالي عام: 1351 هـ. فثارت منى نغرة جزولية؛ ينبت مثلها من كل بشر
نحو مسقط راسه؛ ولذلك لما وجدت الآن الفراغ في هذا المنفى؛ ووجدت
بعض المواد؛ اقبلت على جمع كل ما اتصل به من وفيات علماء، وقوافي
أدباء؛ ورسائل المخاطبات؛ فلما رايت ذلك متشعب الطرق؛ غي متساو في
الكفات، صرت أميز بعضه من بعض. فجعلت للادباء السوسيين كتابا خاصا.
وهو (الترعات) وللرؤساء السوسيين آخر وهو (رؤساء سوس في العهود
الاخيرة) وللعلماء السوسيين ديوانا آخر؛ وهو (سوس العالة) الذي من
تمامه كتاب (رجال العلم العربي في سوس)؛ وفي أثناء ذلك أجدني مقصرا
في كل ما اكتب لدواع شتى؛ فقلت في بنيات صدرى: «لما ذا لا أخص اهل
هذه القرية الادباء وهذا البسيط الذي يضمها بين قراه الاخرى بكتاب
خاص؛ يسهب في كل ما أعرفه عن (الخ) وذلك بإيحاء بعض أهلينا؛ فلم
تكده هذه الفكرة تخطر لي حتى نفذتها، فاكتب عن شيوخ هناك مسنين كل
ما يصلح ان يدخل في كتاب؛ فاجمع التراجم؛ وأقيد الاوابد؛ وانظم احاديث
مجالس الخ الادبية؛ والوقائع وحوادث حياتهم، فاستطعت - بفضل الله -
أن أقر عين الاخ البونعماني الذي هو ابو كل أفكارى في هذا الموضوع؛ وقد
رايت استيفاء لكل ما اتصل به من آثار الغية او سوسية ان اسمي الكتاب:

« المعسول »

«في الالغيين واساتذتهم وتلامذتهم واصدقائهم السوسيين»

فاشترطت أن أسهب في ترجمة كل استاذ أو تلميذ، حتى لاذكر كل علماء

اسمته. وكل من أخذوا عنه. ولا أقصد - يعلم الله - إلا أن أفتح الباب
لذكر كل من اعرف عنه شيئا من الاسر التي تمت الى الخ بالاستاذية؛
أو بالتلميذية أو بالصدقة؛ لان الكتاب مائدة أدبية تاريخية؛ لا يوصد
دونها باب؛ ولا يكون دونها حجاب.

فهاك أيها القارئ تاريخ قرية متواضعة خدمت العلم والدين والارشاد؛
ليلك تضمه الى التواريخ التي كتبت في هذا العهد: عن (العويرة) بقلمى
اخينا سيدى محمد المراكشى والسيد الريراكى الرباطى، وعن (مراكش) بيد
شيخنا القاضى سيدى عباس وعن قبيلة (زيان) وما اليها بقلم الاديب الكبير
سيدى احمد الزيانى القاضى. وعن (درعة) بقلم ابن الحبيب الدرعى. وعن
(دمنات) يراعى القائد السيد عمر بن المدنى الاكلوى؛ والفقيه المرحوم مولاى
على الدمناتى. وعن (آسفى) بجهود البجائة المغفور له الكانونى. وعن قبيلة
(عبدة) بقلم الفقيه السيد الصبيحى السلاوى. وعن (الرباط) و(سلا) باقلام
المرحومين محمد بن على دنية؛ وبوجدار؛ ومحمد بن على السلاوى. وعن
(مكناس) بيد شيخنا يافوثة الشرفاء مولاى عبد الرحمن بن زيدان. وعن
(فاس) بهمة شيخنا محمد بن جعفر؛ وعن (تطوان) براحة اخينا الاديب
محمد داود الذى بذ كل هؤلاء بكتابه الذى لا نظير له، استيفاء وتهذيبا
وترتيبا. وعن (طنجة) بقلم السيد محمد سكيرج.

على أن كتاب (الخ) المتواضع الذى لا يغترف الا من وشل؛ وليس موضوعه
الا بادية قاحلة؛ وأدباء بدويين؛ واخبارا شخصية اقليمية؛ ليستحى أن
يقف ازاء هذه المؤلفات العظمى؛ استحياء قزم وقف ازاء عماليق من أبناء
بنى عبد المدان (1)؛ ولكنه حين افاد عن تلك الجهة ما لا يفيده غيره؛
فيحسبه ذلك قيمة بين اخوانه من هذه المؤلفات
فيل لابن الرومى: لم لا تشبهه كشبهات ابن المعتز؛ وانت اشعر منه؛
فقال: انشدوني مما استعجزتموني عن مثله؛ فانشدوا له فى وصف الهلال
قوله

انظر اليه كزورق من فضة	قد اثقلته حمولة من عنبر
وقوله فى وصف زهرة آذريون	
كان آذريونها	والشمس فيه كالية
مداهن من ذهب	فيها بقايا غالية

(I) قال حسان

وقد كنا نقول اذا راينا	لدى جسم يروق وذى بيان
كانك ايها المعطى بياننا	وحسنا من بنى عبد المدان

فصاح: واغوثاه! تالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها؛ انما وصف ماعون
بيته؛ وما ذا أصف أنا؟ ولكن انظروا اذا وصفت ما أعرف أين يقع قولي
من الناس؛ فانشد

ما أنس لا أنس خبازا مرت به يدحو الرفاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء يلقي فيه بالحجر

وبعد: فهذا جنای في هذا المنفى أقدمه للقارئ لقمة سائغة؛ واعتذر
له ان وجد بين أثناء الكتاب عدم الوحدة في التعبير؛ لان الكتاب كان يجمع
من أزمان شتى. فيستلحق فيه كل طرف او ترجمة أو تنمة ترجمة كيفما
يتيسر؛ فحيناً بلغة ساذجة تسحب ذيول الفهاة؛ وحيناً يحاول ان تكسي
العبارة ملاءة مذهبة يرضى عنها الذوق؛ وحيناً تغلب فيه فكرة الادباء؛
وحيناً فكرة الصوفية الاصفياء؛ وحيناً أكون من هؤلاء العصريين الذين
لا تدور اعينهم الا في مجالاتها المعتادة؛ وحيناً يجد هؤلاء ما يعدونني به من
المخرفين البله؛ وانا بين كل هذا لا أتعلم؛ ولا أتكلف توحيد التعبير؛ لانني
هكذا خلقت؛ نشأت في زاوية؛ ودرجت بين الطلبة؛ ثم عاشرت حيناً أبناء
العصر، فلا بد أن أتأثر بكل ناحية أتصل بها؛ ثم تكونت مني مجموعة تضم
كل ما اقتبسته من هذه البيئات

فالله أسأل؛ أن يوفقني للعمل الصالح؛ وأن يختار لي كل ما فيه
رضاء؛ فقد قادتنى الاقدار للكتابة حول هذه القرية؛ بعد ما كنت عزمت
على أن أكتب حول (مراكش في عصرها الذهبي) (قاله يعلم وانتم
لا تعلمون) ولو خیرت لاخترت

وصف (إلخ) الجغرافي

بسيط الخ البعيد عن تزئيت شرقاً بـ 84 كلم. يكاد يكون مستديراً؛
تحيط به الجبال من جميع جهاته الأربع؛ فمن الشمال يبتدئ الشمال
الشرقي بجبل أمقسو العالي القمة؛ وهو آخر ما يرى قرص الشمس عند
وجوبها؛ ثم يمتد الجبل من شعب أكنى اديان. فجبل توكال. فالجبل
العظيم الممتد في كل الشمال الى (آيت وفاقا) وهو جبل (الايغسانين)
الذي في سفحه (أيجنى نتاكزين) - شعب العصر - ثم يحوط البسيط
غرباً جبل له قمة مسنونة عليه مشهد صالح يسمى ابا بكر. من بعد ان

تمر ببصرك بمكان المدرسة الوافقوية. فمتسوق يوم الخميس ازاء (صخرة تعزى)؛ ثم يسير الجبل جنوبيا الى ثنية (تيزكى نحموعيس) حيث يطلق الالفيون الى مجاط؛ وراء قرية (تافكاغت) الى الشعب الذى يطلق فيه من يذهب الى (أكادير ايزرى)؛ ثم يحوط البسيط من جنوبه جبل آخر غير عال الا فى ناحية (تاكازا). حيث بنى الحصن القديم؛ وهو الذى تسمى به القرية تحته (دوكادير) - تحت الحصن - ثم الى محل الخلوة؛ ثم يمر الجبل بثنية (أكنى والبان)؛ ثم الى (أكنى ادقى) الى أن يتصل البصر بجهة قرية (أكجكال) الى (تافيلتاست)؛ ثم من سمت هذه القرية يتبدى جبل آخر غير عال. فيمر بمعدن النحاس؛ ثم بـ (أكادير وايو)، ثم يستمر الى جوار قرية (ايزربى). حيث مدفون الشيخ سيدى عيسى بن صالح.

هذه حدود بسيط الخ من جهاته الاربع. واما حالة هذا البسيط فانه أجرد بلقع مسطح. لا تكاد العين تجد فيه الا كدى صغيرة، واعلاها كدية أسياك؛ ولم يكن فى اوساط البسيط الآن ماء لا من عيون ولا من آبار الا ما كان من بعض قرى فى اطرافه؛ فهناك عين جارية فى قبل قرية (تأحاوت) تسمى العناصر؛ وقد تجرى المياه فى بعض الاعوام الممطرة من آبار؛ فتسيل فى الجداول، لكنها سرعان ما تفيض متى قلت الامطار. وفى قرية (أغرابو) بآيت وافقا وفى اكلى وفى قرية (دو كادير) آبار على هذه الوتيرة؛ منها بئر أمغار. والكثير هو الآبار المنتشرة فى جوانب البسيط حيث تتكون حولها القرى؛ فتستغل الآبار استغلالا عاديا فى سقى الحقول وفى بعض اشجار قليلة من اللوز والزيت والتين، وقلما ترى العين غير هذه الاشجار على قلتها، وان كانت الارض تصلح للمزيتاتين صلاحية ممتازة كما يقول أبواب الفن؛ ويوجد بعض كروم وليمون ورمان وخوخ ومشمش؛ ولكنها قليلة جدا؛ بل لا توجد الا فى بعض بساتين خاصة؛ واما البقول والخضر التى يعتنى بها، فاللفت والجزر والبصل والفلو والباذنجان والفلفل الحار؛ والقرع بأنواعه. فهذه هى التى تزخر بها الحقول حول الآبار؛ ثم ييبسون ما يفضل عن معيشتهم من اللفت والجزر والفلو؛ كما يخزنون البصل والقرع؛ هذا ما يفلحونه ويسقونه

وأما ما يحترثون فى البور فالشعير وحده، لان منه معيشتهم؛ وقلما يحترث بعض أغنيائهم من أصع من القمح او من العدس او من الحمص؛ ويكاد بسيط الخ الغربى والجنوبى يحترث كله؛ ولا يفلت منه الا القليل الذى لا يصلح للحرث؛ ان كان محجرا غير منقى؛ ولا تكاد تجد منه وقت الكلا مرعى واسعا، ولذلك ينتجع الالفيون بمواشيهم منتجعات (اسافن)؛ وهو خلاء يباب متسع افيح فى الجنوب من بسيط الخ؛ اذا أخصب يكون كنزا

للمواشى الالغية؛ الا أن (بردى) فى شمال الغ الذى لا يحتر كثيرا يكون من المراعى للقريين منه؛ ولكنه لا يكون كاسافن

وارض الغ لا تخصب كثيرا؛ حتى انها قلما تفى صاع محروثة فى الاخصاب الا بنحو عشر الى اثنتى عشرة، ولهذا يتعذر الإتساع فى المعيشة بالغ؛ الا لمن له مستمد من خارج الغ، ويروى عن بعض حكمائهم: ان كل بلدة تسعى على اهلها، الا الغ فان اهلها هم الذين يسمعون عليها. وعن آخر: ان الغ لا يطيق أن يمد الساكن فيه الا بوجبة الغداء فقط؛ هذا ان دام فيه الخصب - وقلما يدوم - واما الهجورى (1) فمن تامانارت؛ يعنى بالتمر. وأما العشاء فمن ماسة؛ يعنى بذرة ماسة التى تجعل منها العصيدة؛ كما هى العادة الالغية غالبا من أن العشاء يكون بالعصيدة، ولكون الجذب والاقفال هو الغالب على من فى الغ؛ ترى أهل الغ يجدون ويجتهدون فى كسب المعيشة؛ ويقتصدون غاية الاقتصاد؛ ثم لا ترى واحدا منهم خاليا من أى شغل من أشغاله؛ حتى اذا جلس اليك، او كان أمام المسجد ينتظر اقامة الصلاة بعد ان يتوضأ. يشتغل بإبرام حبل؛ او اصلاح دلو او وطبة؛ او بخرز نعله؛ او بخياطة ثوبه او رفوه او ترفيعه؛ وهكذا ادركانهم ولا أزال أستحضر أحد المسنين من أعمامنا يقول: اننا اهل الغ قسمنا ايام السنة على اشغالنا؛ ففضل لنا يوم واحد فجعلناه للاتيان بالدباغ من جبل (أمقسو). ورحم الله العلامة محمد بن العربى الادوزى الذى قال: لا يقدر على الجمع بين الدين والدنيا الا اهل الغ؛ لما آتسه منهم من الاكباب والاشتغال الدائم، مع اهتمامهم بالدين

ثم ان لالغ ذكرا من قديم؛ فقد قرأت فى كتاب يسمى ديوان مولاي احمد الذهبى (2) جمع فى مختتم القرن العاشر؛ ان الذهبى نزل فى الغ وهناك قام بضيافته الحربيليون والاعشانيون والوافقاويون؛ ولعل محلا يوجد الآن فى وسط هذا البسيط يضاف الى السلطان - اغرم أكليد - كان منزل الذهبى اذ ذاك؛ ثم علمت ايضا أن الملك مولاي الرشيد مر بالغ فى سنة 1081 هـ. بعد تخريبه لايلىخ؛ كما علمت ايضا ان جيشا اسماعيليا يقوده القائد الكبير عبد الكريم من القواد الاسماعيليين نزل فى الغ ايضا عام 1124 هـ. واذ ذاك اعتقل رؤساء قرية (ايكلى)

واما سكان (الغ) فانهم منسوبون الى القبائل التى تجاور هذا البسيط؛

(1) الهجورى بفتح الهاء: ما يوكل بين الغداء والعشاء .

(2) نشرناه فى كتاب (ايلىخ قديما وحديثا)

ضرورية ان لكل واحدة طرفا من (الخ)؛ امتدت اليه من محلتها، ففي الشمال قبيلة (ايغشان) الحريلية فان لها بعض القرى الالغية: ايكل؛ آيت الحسن أعلى؛ أكنى اديان؛ توكال، وارض هذه القرى محسوبة من قبيلة ايغشان؛ وفي غرب بسيط الخ: قرى اغرابو؛ دو تمرنوت، تافكاغت؛ فهذه تعد من قبيلة آيت وافقا؛ وفي شرقيه قرية اكجكال تعد من قبيلة ساموكن، واما قرى اكادير وايو - تونين - ازار اوعيسى - ازربي؛ فهي من قبيلة امانوز، ولم يبق الا القرى التي في الجنوب؛ فانها للمرابطين الالغيين اولاد الشيخ سعيد بن عبد الله بن سعيد. ووراء حدود هذا البسيط من الجنوب الغربي؛ قرى اخوان هؤلاء المرابطين في (اكادير ايزري)

قرى (إلغ) كلها

لنلق نظرة على كل هذه القرى البسطية ولنبدأ بالجنوب ثم الشرق ثم الشمال ثم الغرب، فالتى في الجنوب او كالجنوب :

- ١ - تافكاغت من ايت وافقا
- ٢ - الزاوية من دو كادير من المرابطين آل عبد الله بن سعيد
- ٣ - آل سليمان من دو كادير منهم ايضا . ويقطن معهم بعض الحريبيين الذين هم اصلاء في القرية
- ٤ - تيبوت القاسمية من المرابطين وحدهم .
- ٥ - تيبوت الواوكرضائية؛ من المرابطين وحدهم . وقد اشتروا من آل واوكرضا تلك الارض. وهم من الساموكنيين وربما قطن بعضهم هناك
- ٦ - تاحاوات تميل الى وسط البسيط من المرابطين وحدهم .
- ٧ - تافراوت كذلك ازاء التى قبلها من المرابطين وحدهم
- ٨ - انويدر كذلك ازاء التى قبلها من المرابطين وحدهم

والقرى التى فى شرق البسيط هي

- ٩ - اكجكال من قبيلة ساموكن لا يقطنها مرابطى واحد .
- ١٠ - اكادير وايو من قبيلة امانوز ليس فيها مرابطى واحد .
- ١١ - تونين من امانوز ليس فيها ايضا مرابطى واحد .
- ١٢ - ازار اوعيسى من المانوزيين ايضا، ليس فيها مرابطى واحد .
- ١٣ - ايزربي من المانوزيين بل هناك رئاستهم حديثا
- ١٤ - ايغيل وامان من المانوزيين ايضا

والقرى التى فى الشمال او كالشمال هي

- ١٥ - آيت الحسن أعلى من الاغشانيين .

- ١٦ - ايكلى من الايفشانيين ايضا حيث كانت رئاستهم قديما .
 ١٧ - اكنى اديان من الايفشانيين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
 ١٨ - توكال من الايفشانيين .
 واما القرى التى فى الغرب فهى
 ١٩ - ذوتنروت من الوافقايين
 ٢٠ - اغرابو من الوافقايين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
 ٢١ - تالزكى بين سوق الخميس وتافكاغت
 هذه احدى وعشرون قرية بسيطة؛ بينها قرى المرابطين فى قبياة
 آل عبد الله بن سعيد التى كانت مغمورة بين جيرانها الى العهد الاخير لفقر
 اهلها ولكون الاقوياء من جيرانهم يستضعفونهم حتى من عليهم بهذه الشهرة على
 لسان العلم والادب والدين والارشاد: من يمن على الذين يستضعفون فى الارض
 ويجعلهم ائمة ويجعلهم الوارثين؛ ولولا هذه الخصال لما كانت تلك القبيلة وتلك
 الارض الجرداء تستحق حتى الخط بالقلم وحين كانت وطننا وفيها مسقط
 رؤوسنا نجد فى انفسنا ما يجده كل البشر فى مثل موقفنا
 بلاد الفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذى ليس بالحسن
 كما تؤلف الدار التى لم يطب بها

هواء ولا ماء ولكنها وطن

بسيط اجرد قفر نزاحم به تفكها - بهذا الكتاب - اهل دمشق ولبنان
 واصحاب النيل والرافدين. وهذا ما قدر لنا. وقديما قيل - من قر عينا
 بعيشه نفعه -

بعض العادات الالغية

ان لكل بيئة عادات قد توافق عادات غيرها وقد تخالفها والغالب ان
 عادات المتجاورين تتشابه؛ ولذلك يعلم ان غالب ما نذكره عن الالغيين من العادات
 لا ينفردون بها عن جيرانهم الا ما قل ونذر والعادات تدخل كل ناحية
 من نواحي الحياة حتى الدين نفسه لا يتركز الا بعاداته؛ ولذلك نجد كثيرين
 من المتدينين انما اعتادوا الدين كالصلاة والصيام وآداب السلام واعتياد
 القول الجميل؛ والاخلاق الفاضلة، والا فهم قد يتكشفون عما فى حنايا
 صدورهم . فاذا بهم لم يمازج الدين ولا بشاشته قلوبهم وهذا ظاهر بين
 عند كل من يزن بتمييز ولا تنظلي عليه البواطن بزخاف الظواهر ولا
 بتمويهات اللسن (ولا ينبك مثل خبير)

نحن هنا لا ننظر الا للواقع المعتاد من غير أن نزن بميزان الشرع ولذلك
 نحكى ما كان للتاريخ والمعبرة وان كان بعضه من البدع او من الخرافات

او مما لا يرضى الالغيون ان يعرف عنهم لان التاريخ كالمراة تبين كل ما يقابلها كيفما كان

عاشوراء

اعتاد الالغيون أن يعتمد بعضهم فى عشية التاسوعاء الى الغناء الذى تتركه السيول ضفاف مسيلات الماء فيأخذون منه وهو يضم ما يضم من أبعاد وانواد صغار فيبخرون به الديار فى صبيحة عيد عاشوراء دفعا لتأثير الجن وقد رايت عجوزا تفعل هذا أول ما نفيت الى الغ؛ فكان ذلك هو السبب حتى صرت ابحت عن مثل هذه العادات. وكذلك يعتمد فى سحر عاشوراء الى استقاء الماء من الآبار؛ ظنا من الساقين ان الآبار تستمد من بئر زمزم فى ذلك الوقت ومن ذلك اليوم فيرش بذلك الماء جميع زوايا الديار تبركا خصوصا اعراء الزرع وحظائر المواشى

وفى ليلة عاشوراء يخرج رعاى الشباب زمرا زمرا الى بعيد من قريتهم فينادون - فيما زعموا - على الذئب ان يبعد عن غنمهم فيبتون هناك احجارا فى محلات ثم يرجع الجميع وهم يغنون غناء معلوما محفوظا متوارثا الى أن يصلوا القرية فيبيتون على لعب احواش وفى صبيحة عاشوراء يبكر جميع الناس رجالا ونساء الى زيارة المقابر . من غير اختلاط يترحمون على أهاليهم ويتصدقون والغالب ان يصبح الرجال وغالب النساء صائمين بل ترى الفقهاء والمتنسين يحرسون على الاثنى عشرة خصلة التى ذكرها العلماء من خصائص عاشوراء من صوم وصدقة وزيارة عالم وصلة رحم ومسح رأس يتيم وصلاة ركعتين وتوسعة النفقة واغتسال وعيادة مريض واكتحال وقلم اظفار وقراءة سورة الاخلاص الفا واهل الحديث يعلنون انه لا يصح من هذه الا الصوم والا التوسعة على العيال الذى ورد فى حديث حسن وقد رأيت احد عمد الالغيين من اهل العلم يوصى بغسل ثيابه ذلك اليوم وكذلك يجتمع اهل القرى على توزيع بقرة ونحوها يفرقونها على الديار ويؤجلون فى ثمنها بضممان ومن كانت لهم غنم لها راع فان مغرس ذنب كبش عيد الاضحى الذى جعل قديدا يعطى فى يوم عاشوراء للراعى وهو ياكله فى ذلك اليوم (١) وهم يحرسون على ان يستدير شئ من قديد الاضحى على دور السنة فى ديارهم تبركا به

١ - وهذا مما تشارك فيه ألحواضر الغ، فان ذنب الاضحى يخبأ عندهم ايضا قديدا الى ان يוכל يوم عاشوراء . الا ان اهل الرباط وفاس ياكلونه أنفسهم . واما الالغيون فانهم يوثرون به الرعاة . لان الرعاة اولى به . لكونهم يلاقون المشقة فيه بالرعى

هذا ولا يشتغل بهذه العوائد فى عاشوراء الا الرعاع والعجائز واما العقلاء
فانهم لا يتنازلون الى تلك الميادين - وحاشاهم - فانهم لا يزالون ضد هذه
البدع .

ليلة المولد

فى الخ زاوية للفقراء ومدرسة للعلماء وكلاهما تعمر فى ليلة المولد
النبوى. فالزاوية بالاذكار ورب المدرسة يملا مجلسه بالامداح النبوية وقد
اعتاد العلماء والطلبة الذين يجاورون الخ ان يحضروا فى تلك الليلة التى
تتل فيها بالتغنى على السنة المشدين قصائد البوصيرى من الهزبية والبردة
وبانت سعاد ثم تقال قصائد نبوية على السنة اصحاب القريض من الحاضرين
فمن هناك منبع كثير من قصائد شيخنا سيدى الطاهر بن محمد، فيلقبها
بنفسه ان حضر؛ وان لم يحضر يرسلها من افران فتلقى هناك فى حضرة
شيخه سيدى على بن عبد الله؛ فهناك مطلع قصيدة من هذه القصائد النبوية
الطاهرية

وبرح الخفاء وصرح الوجد	وبدا الذى ما خلته يبدو
ومطلع اخرى همزية :	
راى برقا بكاظمة مساء	فامطر مزن مقلته دماء
ومطلع اخرى وازن بها البردة :	
بطيب ما نقلت عن جيرة العلم	ريح الصبا يشتفى قلبى من الالم
واخرى وازن بها (بانت سعاد)	
دع عنك لومى فما التعذال مقبول	(بانت سعاد فقلبي اليوم مقبول)
واخرى مطلعها :	
سرى طيف سلمى فسل ما اثارا	اثار دموعا واورى اوارا
واخرى مطلعها	
بارق الرقمتين جد ائتلافا	فجفونى القرعى ابت ان تلاقى
واخرى مطلعها	
اذا اغبرت الارجاء من آلهاشم	بوارق غيث من رباء ال هاشم(1)
الى آخر ما هنالك من القصائد المولدية الطاهرية؛ وغيرها، وهى عشرات ستراها فى ترجمته ان شاء الله	

(١) شام البرق اذا لمح والال السراب وبهذا يفهم الشطر الاول
من البيت .

ومن العادات المولدية، ان بعض العجائز من المتحجبات اللاتي لا يحضرن في ملعب احواش تنمحي وحدها الى زاوية من زوايا حجرتها حيث تعلق ثيابها على عود معروض - ويسمى عندهم احمال - فتقف ازاءه فترقص رقصا متواصلًا وهي تغني بامداح الرسول فرحا بليلة مولده، تفعل ذلك احتسابًا وتيمنا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا طلعت الشمس في عيد المولد ترى بعض الناس يرقصون لها ويقولون ما يدل على ان الشمس انها استمدت انوارها من نوره صلى الله عليه وسلم

العرس

متى اريد ان يخطب انسان بنتًا، فانه يبعث احد اهله او اصحابه ليخطب ويعدون من المجابهة والوقاحة ان يخطب الانسان لنفسه ، كما يرون مثل ذلك في ان يعرض انسان بنته على آخر من غير ان يخطبها، يذهب الخاطب بشي، ما يقدمه بين يدي نجواه : قوالب من سكر او كبشا حيا او مسلوخا او سطل سمن مع خبز. ثم اذا قبل المخطوب اليه فانه يملئ شروطه والغالب ان تكون نعال كل من في دار اهل السيدة ؛ وحليا خاصا يبينون نوعه من الاسورة والخواتم والاخراص والقلائد واللبان والثياب . ومن الغنم او البقر عند بعضهم ثم يتواعدون يوم العقد ، فيرسل الزوج من ينوب عنه ويختاره من ذوى اللباقة ومعرفة الاثمان، ومن اهل الوقاحة الذين لا يستحيون ويذهب معه بعض نساء اهل الزوج واهل الوجاهة والمختارون من اصحابه، فيتكون هذا الوفد الذى يسمى - اسلان - ويذهبون بالسكر واللحم والخبز ، فاذا طعموا في دار اهل الزوجة قدموا ما اتوا به مما هو شرط فاذا حازه اهل الزوج، يستخرجون كل ما أعدوا للزوجة مع ماأتى به الزوج كالشرط أو يهدى للزوجة أو قدمه أهلها لها. فيقدم ذلك كله وهو مكوم أمام الحاضرين شيئا فشيئا؛ فيقدر لكل شيء من الثياب والحلى وما اليهما الثمن الخاص ، فاذا ذاك تكون المعركة فيغالى في اثمان هذه اهل الزوجة ويماكسهم اهل الزوج وربما ادت هذه المماكة الى تفرق التجمع بلا عقد، ولكن ذلك قليل جدا لان المجلس لا يخلو ممن ترضى حكومتهم بعد المماكة. ولهذه المماكة يعتنى الزوج باختيار وكيله؛ ثم يكون العقد فيتلقى فقيه المسجد الرضا من الفريقين ، والصادق من الدراهم هو شيء معلوم في كل قبيلة قبيلة في تلك النواحي . ولذلك لا يذكر في الشروط المذكورة وانما يكتب عند العقد وفي المجلس يحوز وكيل الزوج كل ما توصل به من اهل الزوجة حتى يدفعه للزوج . هذا والالعاب اذذاك تقام على العادة خارج الدار رجالا ونساء، ثم ان غالب الالغيين يزفون العرائس نهارا من دارها الى دار زوجها، او من قريته الى قريتها على البغال . واذا ذاك تخرج العجائز

اللاتى يجلبون العروس بأغانيهن؛ ويركب وراء العروس على البغلة ولد يحيا والداه ثم لا ينزل حتى يعطى شيئا من الدراهم ويسمى الخاتمية وكذلك يقع لها حين تخرج من دارها فان اخاها او واحدا من اهلها يقف امام باب دارها فلا يتركها تخرج حتى يفرم زوجها شيئا؛ ومثل هذا يكرر امام دار الزوج فان العجائز الجاليات لا يدخلن حتى يعطين ايضا دراهم يسمونها بتلخمت - نسبة الى الخاتم - ويقف الزوج فوق السطح ويطل على باب الدار فيلقى على العروس نثرا من الزبيب واللوز والتمر ، فينتهب ذلك . وقد كان الشيخ الوالد سن لقرية آل سليمان اهله الاخصاء في اعراسهم عرسا يخلو من كثير من هذه العوائد حتى أن العروس تجلى تحت الظلام وفي صبيحة الجلوة يذهب بالعروس الى اقرب بير لتسقى الماء فيجعل الماء فى اناء نحاس يكون من جملة ما تاتى به من عند اهلها فيتجاذب الاناء المملوء بالماء بين اهل الزوج واهل الزوجة فمن غلبوا سقوا صاحبهم او صاحبتهم ويرون ان من سقى اولاً من الزوج او الزوجة لا يزال يغلب صاحبه هذا والالعاب تقام فى دار الزوج حتى يطعم الناس والعادة ان ياتى مع الزوجة من كل اقاربها كل من دب ودرج . وعهدنا بعرس الفقيه سيدى الدنى لما تزوج من الايفسانيين جاءوا بنحو ثلاثمائة وهكذا كل من يقصد النكاح باهل الزوج . وقد يتعنت احيانا اهل الزوجة فيأبون ان يطعموا حتى يقدم لهم اهل الزوج مكتلا مملوا بالخلي ليعلموا ان بنتهم حلت فى دار غنى وثروة ثم لا يكون ذلك الا ان تراه العين ثم يرجع الى مكانه ثم بعد اسبوع تزور العروس اهلها . ومتى ولدت الزوجة ولادتها الاولى ياتى اهلها - ولا بد - اما بشور او كبش . ومتى بلغ الولد الاول ان يمشى فاول نعل يحتذيها حذاء ياتيه من احواله . وعند حلق رأسه بادى ذى بدء لا يحلقه الا احواله . مع شرط ان يهبوه شيئا ما .

العقيقة

تري النساء ان النفساء نالت من العنت ما نالت به غفران كل ذنوبها فيحرصن على ان يزرنها فى الثلاثة الايام الاولى وتذهب كل واحدة بدقيسق وعليه بيض ولا يصنع لهن الا العصيدة ثم قبل يوم العقيقة ترسل الوالدة من تستدعى النساء المحضور فى العقيقة كما يستدعى الزوج ايضا الرجال وفى صبيحة يوم العقيقة تقوم عجوز من عجائز الاسرة تلف امامها الصبية ليجمعوا أضعافا من الاعواد المغار لتخبز بها (توفديلت) - وهى خبزة كبيرة يغطي مخبزها فيوقد تحتها و فوقها - وطالما فعلت بنا عجائزنا ذلك فنفرح له ثم اذا ذبح الكبش يعمد الى الكبد فتشوى على الجمر فيقطع منها لكل من فى الدار وتحرص النساء على ان لا يغفل من الاكل منها احد ويقلن ان ذلك يسبب

محبة الولد • وفي وسط النهار تجتمع النساء على حفنة عصيدة اولا ثم تقدم كل واحدة منهن ثيابا للمولود ودراهم زيادة على ما يوتي به من السكر واللحم والسمن من عند الاسر اللاتي تتعاطين بينهن ذلك ثم تجتمع الحاضرات لتظم قلادة المولود فتمنح كل حاضرة من قلادتها اما لبانة او عقيقة او قرشا - خصوصا القروش المربعة التومرتية. واراها كثيرا في قلاند الصبيان الالغيين - ثم اذا نظمت القلادة يذهب بها الى مخزن الزرع فتجر عليه تفاؤلا ان يكون المولود ذا رزق حسن ويستدعى الطلبة في العقيقة كما يستدعون في الاعراس وفي يوم من ايام رمضان لقراءة ختمة من القرآن والطلبة دائما في الغ بعزلون على حدة تعظيما لهم ورفعاً لشأنهم على العوام

الحداقة

متى ختم التلميذ القرآن تزوق لوحته بابيات شعرية مهلهلة تستدير باواخر البقرة - آمن الرسول الى آخرها - ويذهب مع التلميذ كل طلبة القرية وهو في لباس جميل، يدورون به في القرية ويزيرونه مشهدا يتبرك به ثم يكتب كل واحد من الطلبة في اللوحة كلمة من حزب الرحمن ثم تقام حفلة يحضرها الطلبة عند ابي التلميذ فيختمون القرآن على العادة. وهذه الحفلة لا تتجاوز يوما واحدا كالعرس نفسه. لان الالغيين مقتصدون لفقر بلادهم

وقد اعتادوا ان ياتي التلاميذ في كل اسبوع من كل يوم اربعة بيضة الى الاستاذ وان يوتي اليه بالبسيس والتمر او باحدهما كلما افتتح التلميذ حزبا من الاحزاب ويسمى ذلك (تاعريفت)

العواشر

متى اعلن استاذ المسجد لتلاميذه العواشر فانهم يحملون لوحة مزوقة بابيات من القرآن ويغلفونها بزيف احمر او ارقط فيجعلونها فوق قصبة فيحملها احدهم فيدورون امام الديار بقفة كبيرة يضعون فيها الزرع الذي يعطي لهم من الديار؛ والنساء يتبركن باللوحة والتلاميذ يرفعون اصواتهم بنشيد خاص لهذا الموقف فيه تمجيد القرآن وحملته •

الختان

يجتمع اهل المختون والجيران. واهل القرية في مكان؛ حتى اذا حضر الطعام؛ تنجي الطلبة. فقرأوا ختمة من القرآن؛ ثم يلتئم الحفل؛ فيوتي

بالصبي. فيختن وسط كل الحاضرين وهم يصاؤون على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم خليل الرحمن؛ في انشودة خاصة لذلك!

الحصاد والدراس وما إليهما

أدركننا الالفين اعتادوا أن يتعاونوا على اشغالهم - كالعادة في كل تلك النواحي - بل ينظمون كل اشغالهم العامة بنظام خاص؛ وقد جعلوا غرامة معالومة لكل من تعدى ذلك النظام؛ فلا يمكن ان يذهب اى انسان اجنى اللوز من حقله الا متى اذن فى ذلك الاذن العام؛ وكذلك يحافظ على الحقول والمزادع، فلا يزال الحراس الذين يجعلون لذلك فى تيقظ وجولان؛ فما وقعوا على بهيمة وغلت الى حقل او الى مزرعة الا غرموا صاحبها - وتلك الغرامات هي اجرتهم - حتى الحصاد والدراس لا يفتتحان الا متى اعلن ذلك بالنداء فوق المسجد؛ ومن تاخر فى الحصاد لكثرة مزروعاته؛ يتداعى اليه الناس فيعينونه؛ وعليه الاطعام؛ ثم لا يفتتح الدراس حتى يتم الحصاد، وتنظم كيفية الدراس بالتتابع؛ فالיום لفلان ثم لفلان؛ والدراس يكون بالبهائم المجتمعة من كل اهل القرية. او ممن يلتئمون على ذلك؛ وكل من سخطت عليه القرية؛ فانه ينبذ من هذا النظام؛ ومتى كان الدراس فى بيدر احدهم، فانه يذبح كبشا ويطعم الناس؛ ولذلك لا تزال عندهم ايام الدراس ايام الحفلات؛ وللالفين همة معلومة مذكورة فى اشغالهم؛ فاستحضر ان بيدرنا الذى كان يستخلص منه اذ ذاك - ونحن صغار - نحو عشرة آلاف عبرة؛ يدرس فى يوم واحد لكثرة البغال التى تجمع وليس المدرس، ثم ان هذا النظام لم تزل عراه تنتفض شيئا فشيئا الى الآن؛ وقد حكى لى الفقير احطيو كيف كانت صرامة النظام واحترام الحقول فى سقى قريتنا؛ دو كادير؛ منذ عقلة من نحو 1280 هـ. فذكر العجب العجائب الذى أدركننا نحن بعضه .

الجنائز

ان مما اختصت به الغ ان لا نيادة فى جنائزهم؛ حين تخرج من الدار فكل ما هناك بكاء النساء والصبيان داخلا. حتى ان الخارجين لا يسمعون بكاء الداخلات المفجوعات؛ وطالما حضرنا أمثال هذه المواقف، فلا نحس الا لوعة فى الصدور؛ او دموعا تترقرق مغالبة فى العيون؛ مع تجلد المصابين؛ والميت يغسل على السنة ويكفن ثم يحول فى الشبكة، ولا يعرفون الآلة الحذاء التى ذكرها صاحب (بانت سعاد)(1)؛ ثم يطلى عليه عند القبر؛ وتقرأ

(I) كل ابن انى وان طال سلامة يومنا على آلة حذاء محمول

سورة يس عند الاقبار. ثم يلقي الميت امثل الحاضرين؛ ثم يستحضر الطلبة في اليوم الثالث والمساكين؛ فيختم القرآن ويطعم الحاضرون؛ والبيت الذي يتوفى فيه لا يزال يبخر ويحترق الى ان تضعف ذكرى الميت؛ وتتعمد النكلى المحدة ان لا تلبس الا الثياب التي لا تلفت الابصار، ولا تكتحل ولكنها لا تترك الفسل والاعتسال ولا تقرب الصابون في غسل ثيابها؛ فيما قيل لي؛ ان هناك الا الاشنان

الحرف والصنائع

مما يتعجب منه المطلع في كل نواحي المغرب، انه يجد في كل جهة من الحرف والصنائع ما تدعو اليه الحاجة الحيوية؛ فلو كنت الآن بصدد كل ما اعرفه في سوس؛ من الصنائع التقليدية التي ادرناها لتعجب القاري من حداثة في كل انواعها التي من بينها صناعة السلاح من البنادق على الطراز القديم؛ ومن السيوف والسكاكين بانواعها؛ وهي صناعة سمالية، ومن الصياغة العجيبة؛ حتى ان الحل السوسي له ميزة خاصة؛ واما صناعة الصابون والجلود من الاكياس والجرب والقرب والوسائد وهي - صناعة ممتازة - فانها منبثة في جزولة وخصوصا في آل حامد، وكذلك صناعة السروج؛ بله الاكف؛ ولهذا الموضوع ذبول؛ لعلنا نؤدى له حقه مرة أخرى. نعم ان الذي يهمنا الآن هو الحرف والصنائع الالفية؛ وهي قليلة غير متسعة، لان اعمال الالفين انما تدور حول الآلة الكريمة: كلوا وارعوا انعامكم. فقد كان الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله يقول: ان هذه آيتنا نحن الالفين

الحداثة

توجد الحداثة في قرية (دو كادير) في أيدي اناس سود يتوارثونها من قرون؛ وهم عدة اسر؛ وكذلك في قرية (ايكل) من القرى الايفشانية؛ كانت فيهم ايضا تالدة. والعادة ان الحداثة كاستاذ المسجد؛ يعطيه من يستخدمونه في اصلاح محاربتهم او في صنع حداثها وما الى ذلك اجرتة على راس السنة من البيدر حين يجمع كل واحد محصول فلاحته؛ ومن اسماء الحداين الالفين من يسمى بعلي؛ وآخر أوشنا لقبان لهما - وقد درجا الآن وتركوا اولادهما؛ وقد اغتنم بعض الالفين الادباء هذين اللقبين فوري بهما في هذين البيتين

وكم عانس بكر تخطت زواجهما
الى ان غدت تقلى وتشنا لدى الاهل

إذا أصبحت نادت ألا ليت لي نوى
من (أشنا) لديهم والرواح الى (بعل)
وحدادو (ايكل) أمهر وأكثر اتقانا؛ بل هناك صناعة المجامير، التي
تتخذ - حديثا - من البراميل؛ تذكر فتشكر؛ وتخطت (تفراوت) لخفتها
وطلاوتها ورخصها الى الحواضر لرواجها

النجارة

أما نجارة المحارث مقابض والمعاول والمساحي؛ فقد يحسنها غالب
الناس، كالفقيه محمد بن المؤذن الذي مات أخيرا في قرية (دو كابر)؛
والفقيه بلقاسم السوقي الوافقاي؛ وأما النجارة المتقنة في الأبواب
والنواقد والاختونة والموائد؛ فانها في قرية (ايكل) وهي الآن في اولاد موماد
فانهم من احذق من هناك في صنائع متعددة؛ واعظمها النجارة البارعة التي
تضارع نجارة الحضريين، وهم الآن المذكورين في كل دائرة (تافراوت)
لا في الغ وحده

الدباغة والحذاء

اشتهرت قرية (تأحواوات) بالدباغة؛ ومن اشهر الدباغين هناك الفقير
بلقاسم بن احمد؛ في داره مدبغة يقصد لذلك؛ وهي حرفته؛ على أن هذه
الحرفة يحرص كل الالغيين أن يزاولوها، فلا تكاد تجد اى واحد لا يحرص
أن يلبغ جلد اضحيته بنفسه ليتخذ منه دلوا او جرابا او وطبا؛ او خمرة لصلاته
او يتخذ منه كل ما يتوقف عليه في داره؛ وقد رايت فيما قبل ان ما يدبغون
به يستوردونه من جبل (أمقسو) ازاءهم ويسمى عندهم (ابركل) وفي جبل
أمقسو اجمة لا باس باتساعها. وقد حماها اليوم رئيس الغابات

وما قلناه في الدباغة نقول مثله في صناعة الاحذية، فانها وان عمت
مزاوتها فهناك اناس اختصوا بهذه الحرفة؛ كمحمد بن مسعود التيوتي؛
ومحمد بن محمد من آل بلقاسم بن محمد التيوتي ايضا؛ وقلما يتفرغان
هما وامثالهما الا لهذه الحرفة؛ ولاهل (تاكازا) التي تطل على الغ صناعة
الاحذية الخاصة بالنساء، ولها لسان طويل يغطى بعض الساق؛ اشبه
شيء بالاحذية الفرنجية؛ والمشهور محمد بن قاسم ثم اولاده في (تاكازا)

الاكاف

الاكاف حلس البغل او الحمار؛ وقد اشتهر بها من قرية (دوكادير)

الفقير ناصر المتوفى أخيراً؛ وابن العربي؛ وابن همو؛ في قرية (تافراوت) (١) وهذه الصناعة شريفة عندهم مطلوبة؛ يحترم أهلها لاحتياج كل ذي بغل أو حمار إليها؛ ولها ثمن، حتى أن الأكاف قد يصل ثمنه إلى ألف ريال وأكثر الآن 1358 هـ.

الحبالَة والشما كمة

لكل واحد من الالفين يد صناع في قتل ما يحتاج اليه من الحبال البسيطة؛ حتى الشيوخان سميدي الحاج علي. وسميدي علي بن عبد الله. وهما ما هما - يبرمان بأيديهما ما يتوقف عليه العمل. حين يقفان على أعمال الحرث والحصاد؛ وعلى خياطة الاحمال عند الاسفار؛ الا ان اتقان تلك الحرفة واربامها وقتلها هي من صناعة الوافقايين، فلهم حذق في صنع انواع الحبال الرقيقة والغليظة والجوانيقي والزنايل، وفي صنع الشباك من الحلفاء او من القدام ان اتى بالقدام من محله (تامانارت)؛ ومما يصنونه من الحلفاء احذية تلبس في اوقات الشتاء في انطين. وقد قال بعض الالفين من قطعة قيلت ارتجالا يداعب بها بعض الوافقايين

خلق الله للحريز اكفا	واكفا لصنعة الحلفاء
حرفة الالفين قتل حبال	وشباك ودبغهم للدلاء
غير ان المرابطين منهم اتبحوا	عن سعود لمنصب العلماء
فبنو وافقا لقتلة حبل	والسعيدي لقتله البلفاء

نساجَة الصوف

اشتهرت الالفيات باتقان نسج الصوف شهرة تامة؛ حتى ان جيران الغ وكل من يلم بالغ يوصون بان ينسجن لهم ما يريدون بالاجرة؛ وقلما تجد دارا تخلو من مناويل النسج. ولهن عوائد خاصة حول النسج؛ كيوم خاص لا يفتتح فيه النسج؛ فمتى فعلت فاعلة غير ذلك فان المنسوج تصيبه مصيبة؛ ويحكين أن بعض العلماء السنيين انكر عليهن هذه الخرافة، فاذا بثور اصطدم والمنسوج فهتكه. فقال لهن: ان علمكن ايها النساء اصح؛ ولكون نسج الصوف في الغ هو حرفة الدار؛ تجد غالب اللباس منه؛ وهناك بعض العجائز لا يتقوتن الا من النسج، كالفقيرة الصالحة فاطمة

(١) هذا اسم قرية في بسيط الغ. وهناك (تافراوت) مركز المقاطعة في قبيلة املن .

(تابوبليت) وامثالها؛ وقد كان الالفيون يحرصون الى الآن ان يكون لكل واحد منهم غنم ليلبس من صوفها؛ وينتفع بثمن ما يبيعه منها؛ واما ان يذبح منها. فيكاد يكون حراما؛ الا في بعض الفترات من عند بعض كرمائهم لا تخرق اجماعا، ولا تتلم قاعدة؛ فلم يعتادوا الا التنمية للمواشى سنة عن سنة؛ حتى ياتي بعض الاعوام المجدة فيسنتون فتذهب مواشيمهم مواتا؛ ثم يستجدونها ايضا. متى وجدوا لذلك سمبلا؛ وقد بت مرة انا وصمية من اهلنا في مرتبع الغ (ايسافن) وباتت حوالينا من اغنام الالفين ماتت بعضها لمن هم اقاربنا؛ ثم لم ناكل اللحم الا بشرائي لخروف من عند بعض اصحابنا منهم، فلم يجز في اذهانهم ان هذا بخل عظيم؛ مع ان لي عندهم ما يزعمونه من الاجلال؛ واين هذا ممن كنا نبيت في قبائلهم في الحوز؛ اوليس من يحضرون منهم ينشدون ما انشده الاعرابي

واذا تأمل شخص ضيف مقبل متسربل برداء عيش اغبر
اوما الى الكوماء هذا طارق نحررتني الاعداء ان لم تنحري

لكنني في الحقيقة اعذر القوم. فانهم في بلد مقفر. لا يمكن أن يعيشوا فيه الا بالتقتير الشديد؛ والكرازة التامة - وقد كدت أكون كذلك الآن - ومن دخل ظفار حمر (1)

لا تعذل المشتاق في أشواقه

حتى يكون حشاك في احشائه

الخياطة

علم الطلبة باتقان الخياطة في جميع نواحي سموس؛ حتى ان الطلبة السموسيين الذين يشارطون في الحوز وما وراءه؛ يتخذهم من يشارطونهم كخياطين رسميين في القرية. لما عسى ان يتوقف عليه احد من اهل القرية؛ فينتفع بالاجرة الاستاذ زيادة على اجرة المشاركة؛ والطلبة الالفيون في عرض جماعتهم هذه في هذه الحرفة. ولذلك ترى الكثيرين من الذين يجيدون الخياطة في اثواب الصوف من السلاهم والجباب هم من الطلبة؛ بله ثياب الكتان. فهذا سيدى محمد بن الحسن التياسييتنى؛ والسيد على الاحطويى من اهل قرية (دوكادير) اشتهرا كنظائرها في اتقان هذه الحرفة؛ يقصدان بها من الالفين وغيرهم؛ وقلما تخلو قرية من امثالهما

(1) ظفار كحدام: مدينة لحمير باليمن. معناه: من دخل هذه المدينة تكلم بلغة حمير. وهو مثل مبنى على حكاية

إذا كان هناك كثيرون يحسنون الخياطة للجديد بكل أنواع الخياطة؛ فإن رفو القديم خصوصا ما يقع في وسط المنسوجات الصوفية من خروق؛ يحتاج الى حذق خاص؛ ولذلك يقل من يتعاطاه، ويسمى: (تاغزديست) وكثيرا ما اتعجب من ذلك الرفو إذا اتقن؛ فانه يكاد يكون كالاصل (وقد رايت مثل هذا من عند مصري رفا لي ثوبا في المدينة المنورة في حجتنا 1365 هـ. فلم اكده اتبين ما بين الخيوط الاصلية والجديدة؛ كانه لم يتخرق) ولم ار في المغرب في رفو الصوف مثل ما رايت عند الالغيين؛ ولعل قلة الثياب عندهم والحرص على استدامة القديم حتى يعود كطيلسان ابن حرب(1) هو الذي يحملهم على اتقان هذا الرفو العجيب، وهذا الترقيع مألوف عندهم حتى عند غير المدقعين؛ حتى في الاحذية فانها ترقع حتى ينمحي الجلد الاصيل أحيانا ؛ وكل ما يعاب في بيئة قد يعد مألوفا في بيئة أخرى .

الحزافية

لهذه الحرفة رواج عند الالغيين؛ لأن من عزمهم ومن ولوعهم بالتكسب أن يصنع كل واحد في داره عشرات او مئات من الاواني قدورا ومخابز ومعاصد وقصاعا وطواجن واكوابا وكل ما يحتاج اليه، فيستهلكون في دورهم على دور السنة ما يستهلكون؛ والباقي يذهبون به الى (تامانارت) وقت التمر فيبيعونه بالتمر؛ ولكن صناع هذه الحرفة الحاذقين انما يستوردون من (أفلاوكنس) من بعيلة ؛ وقلما يتقنها الالغيون .

الحجامة

لم اعرف الآن من الحجامين الالغيين الا الحاج الناجم من المرابطين من قرية دو كادير؛ والا السيدة بنت الفقير على بن يوسف التوكالي، ذاك للرجال. وهذه للنساء؛ وقد ينتجان بصنعتهما القبائل المجاورة؛ وهناك حجام آخر سموكني قطن الزاوية العليا يسمى ابن سى مبارك؛ ولكنه لم يشتهر كثيرا، كما ان هناك حجاما آخر من دو كادير غير انه جلا عن الغ؛ يسكن (تامانارت) او في (تيندوف) وهو عبد بن المحفوظ؛ ولكنه الآن ليس من الالغيين

(I) في هذا الطليسان قطع شعرية لشاعر. وتوجد في كتاب (زهر الآداب) المحصري .

انتذا ترى أن لالغ الفقيرة المسكينة طرفا من كل ما يحتاج اليه في الحياة من الله اللطيف الرحيم عليها به؛ فزيدك الآن ان التعدين ايضا من جملة تلك المن فان في كدية ازاء قرية أكجكال؛ معدن النحاس متوارثا. فيها غيران تمتد تحت الارض بطول الازمنة، كان اهل هذه القرية يعملون فيها هم أو من أذنوا لهم؛ فقد كان المعدنون يستخرجون منذ أجيال النحاس من المعدن ثم يبيعونه خاما الى مدينة (تازالاغت) في نحو القرن السابع وما قبله؛ او الى تارودانت المشهورة بصناعة النحاس. وقد الم المؤرخ عبدالواحد المراكشي باخبار هذه الصناعة في عصره بسوس توفي نحو: 624 هـ.

لهذا المعدن حديث في ايام الاحتلال؛ حين عزم المحتلون ان يزيلوه من ايدي اصحابه؛ وقد اثاروا عليهم جيرانهم المانوزيين، ولكن اصحابه الاكجكاليين دافعوا بحججهم وبرسوم ملكياتهم؛ فاستطاعوا أن ينتزعوا معدنهم من شركة استعمارية كانت بدأت بالفعل في العمل . وما هو ذا الآن المعدن ينتظر شركة الغية تستورد الآلات الفنية لتقوم بالعمل بالجد الموافق للعصر. (ثم بعد الاستقلال عمدت الحكومة الوطنية الى العمل فيه. من غير أن يوخذ رأى مالكيه الاصليين) مع ان ذلك يخالف القوانين

العالم والتدين و الاخلاق العامة

معلوم ان للسوسيين عامة من روح التدين؛ ومن مراعاة اخلاق الفضيلة ما لهم؛ وخصوصا منهم الجزوليين، حيث كثرة المدارس والزوايا وبيوتات العلم؛ ولكانة الغ. من جزولة كان لها ما لها، منذ نزل هناك المرابطون أبناء الشيخ عبد الله بن سعيد؛ فقد وقفت على وثيقة كتبت حوالى عام: 1090 هـ. يوصف فيها هؤلاء المرابطون باوصاف محمودة مغبوبة. شهد لهم بتلك الاوصاف فيها ثمانية عشر عالما من جيران الغ - ويجدها القارىء فى ترجمة الشيخ أمامه - ثم لما بنيت المدرسة الالغية. ثم الزاوية ازاءها، ظهرت الغ بمظهر آخر خفقت به الالوية؛ وسالت اليها ومنها الركبان؛ فمن رائد للمعارف؛ فيروى حتى يضرب بعطن؛ ومن مستجل لمرآته بالتصوف، فاذا به تشرق سربرته بالانوار. وقد كانت فى الغ مدرستان قبل: احدهما فى (ايزرربى) ولكنها لا تذكر قط؛ الا باسم المدرسة؛ ولم تود اى عمل فى ميدان التخريج، وثانيهما المدرسة الوافقاوية التى كانت منذ أسست بايدي السادة الكرسيفيين آل العالم؛ قد تضىء حيناً بنويرة من العلوم؛ ثم تنطفئ أحيانا؛ ثم لم تؤد عملا يستحق أن يبقى لها خلودا. ولكن المدرسة المرابطية

لم تكد تؤسس عام 1297 هـ. حتى صار المتخرجون منها تطفح بهم الطرقات وتتموج في سموس اولا؛ ثم في الحمراء بالرميلة، ثم في تطوان بابراهيم الالفي؛ ثم في ابن كريب بابراهيم بن احمد وابن ناصر؛ ثم بعد ذلك ذهبت فروع التخريج بمن تخرجوا من الرميطة. ومن بين ايدي ابراهيم كل مذهب؛ وما يوم حليلة بسر، وقد قال القاضي سيدي موسى الروداني ما معناه: لانعلم اليوم من يؤدون في سموس للمربية وللادب الواجب الا الالفيين». هذا مقام الالفيين في العلم الذي يلد العمل؛ وهو التدين؛ فيغلب على كل الفى ملازمة الصلاة في الصف؛ والحرص على صلاة الجماعة في السفر؛ وهم مشهورون بذلك؛ ومساجدهم عامرة فيها مجتمعاتهم العادية، ولم يسر الضعف الى هذه الناحية منهم الا بعد الاحتلال؛ ثم هم مع ذلك لا يزال تارك الصلاة منهم قليلا؛ ويعد في كل قرية من لا يبالون بالصلاة؛ والعادة ان يقدم للضيف اثر ما يطرق الوضوء؛ ثم مصاحبته الى المسجد في كل صلاة، ونساؤهم كذلك يغلب عليهن الصلاح؛ وقلما تجد من لا تصل منهن؛ وياتهن بالسمع من فوق سطح المسجد؛ وعهدى بمساكننا في (دو كادير) تقام فيها الصلوات في خمسة محلات: زاويتنا من الاسفل. ثم مسجد آل سليمان، ثم مسجد الحرييليين. ثم مسجد الزاوية العليا؛ ثم مسجد المدرسة في سفح الجبل وتسمع الاذانات في كل وقت؛ ويقوم المؤذنون في الاسحار بأذكارهم من قبل الفجر؛ وعادة الالفيين التكبير في أشغالهم فكل سفر يبكر اليه من قبل الفجر، وحين لم تكن الصلاة فقط المظهر الخاص للتدين؛ فان لهم في اخلاقهم وفي امانتهم وفي مثلهم العليا مظهرا اسمى واعلى؛ فيقل الكذب والنفاق والخيانة والعهارة؛ بل كان هذا كله أقل القليل في الجيل القديم؛ ولم تشع هذه الاخلاق الفاسدة الا بعد الاحتلال الذي جر كل وبال على المغرب؛ وقد كان شيوخ الغ حرصوا على قطع الالعب التي تفسد الاخلاق ولكن حدث بعدهم ما حدث، ولله في خلقه شؤون؛ والالفي على كل حال تجده غالبا متفقه في ديانته يعرف الحلال من الحرام؛ وان حادثك تسمع الحكمة - وان لم يكن الا عاميا - لمصاحبتهم للعلماء

واما اخلاق القوم من المشجاعة فلا أكذب على الله وعلى التاريخ؛ فانهم مستضعفون بين المجاطيين والبعقليين والحرييليين والمناوزيين ممن لا يردون الماء الا عشية (1) ولا تقضى حاجة واحد منهم ولا يتوصل بحقه الا بخفارة مجاطي او بعقلي او حرييل؛ وما ذلك الا لانهم ليسوا من ذوى السلاح؛ ولا من ذوى عصبية تناصر اخاها ظالما او مظلوما، خصوصا نحن المرابطين؛

(1) قال بعضهم في قوم مستضعفين من قطعة
ولا يردون الماء الا عشية اذا صدر الورد عن كل منهل

فاننا تكاة كل قوى؛ ومرعى لكل سارح؛ فلذلك كان لكل اسرة مجاطيها او بعقليها؛ يذود عن حماها؛ ويرد لها حقوقها، وهكذا كان الحال من قرون الى أن جاء الاحتلال؛ فاستوى الماء والخشبة؛ فامكن للمرابطين ان يكونوا قبيلة كالقبائل، فتستطيع أن تتملص ممن كانوا ياخذون كل اسرة باتاوة فنفعهم الاحتلال من هذه الجهة - ومصائب قوم عند قوم فوائد -

هذا وقد عرف الالغيون بانه لا عرف عندهم يذكر؛ ان هناك الا الشمرع فيه يحكمون؛ واليه يتحاكمون؛ وعاداتهم قبل الاحتلال ان من له دعوى يرفعها مع خصمه الى بعض الفقهاء تحكيمها؛ يشهدان بذلك على انفسهما. ثم ان لم يقبل المحكوم عليه الحكم ترفع الدعوى الى فقيه آخر يسمونه المفتى، كالاستئناف؛ وبذلك تقطع جھيزة قول كل خطيب (I)

واما ما يرجع الى الكرم فان قصد منه ان يتلقى الضيف الذى لا بد منه بما تيسر بلا تكليف؛ فان الالغيين يكادون يكونون كلهم كرماء؛ وان قصد ما يعهد من الاحتفال بالاضيف من ذبح الكباش وقل الدجاج؛ وبسط جفان كالجوابى. وقدور راسيات؛ فان بلدهم الموفر الاجرد لا يطيق ذلك ولو ارادوه، ولذلك ترى من أمكن لهم مثل ذلك لا يقصرون؛ كاهل الحاج ابراهيم الايفشمانى؛ وكالفقيهين ابنى عبد الله؛ وكالشيخ الالفى، ثم بعدهم الرؤساء من ايت واقفا وايزدبى وسيدى المدنى واخينا سيدى محمد؛ على أن الخ نالت مكانة مكيمة يوم المقاومة؛ فقد ظل الفقيه سيدى على بن عبد الله فى طليعة القبائل التى تقاوم الاحتلال من عام: 1330 هـ. فكان هو الامام المرشد الواعظ الحافز لهم الى ان توفي عام: 1357 هـ. ثم خلفه فى ذلك شميخنا سيدى الطاهر الإفرانى الذى ما فارق قط الصف الاول فى المقاومة فهذه بعض اوصاف الالغيين (وما قلت الا بالذى علمت سعد)

اطعمة الالغيين ووجبات اكلهم

راى القارىء من وصف الخ المتقدم اقفار ذلك البسيط؛ فلا اشجار تشر، و لامزارع مخصبة اخصابا يورث الثروة؛ ولا تجارة متسعة تفعوعم بارباحها الجيوب؛ فهل يمكن ان تكون معيشة من يقطنون فى هذا القفر اليباب، الا ما عسى ان يتبلغ به؛ من كسكسو مفتول من دقيق الشعير؛ أو عصيدة ملتوتة من دقيق الدرة - ان أتى بها من افران او ماسة أو

(I) اجتمع قوم من العرب ليصالحوا بين ذوى دم فيخطبون فيهم لذلك، فاذا بامرأة وردت عليهم تسمى جھيزة (بفتح الجيم) فاعلمتهم بان صاحب لدم قتل صاحبه. فقيل: قطعت جھيزة قول كل خطيب. فكان ذلك مثلاً.

تامانارت - او من جريش الشعير؛ وقد ادركنا حوالى عام 1323هـ. أن غالب
الافغيين لا يعرفون ان يصنعوا الحرية صباحا؛ فضلا عن القهوة والحليب؛
ولا ان يخبزوا الا اذا دعت الضرورة؛ فليس هناك فى الطعام العام الا
الكساكس المسنمة فى القصاع بالخضر كاللفت والجزر والقرع والبصل
والباذنجان، وهذا هو الغداء توجده ربات البيوت مع الضحى؛ الا فى وقت
الحرث فانه يوجد

من قبل ان ترشف شمس الضحى ريق الغواوى من ثغور الاقحاح
(كما يقول ابن رشيقي) لان الفلاح ذكرا او انثى يريد ان يبكر الى حرثه؛
وعند الزوال يكون التمر هو الهجورى - ما يوكل بين الغداء والعشاء -
وعند الغروب التعشى بالعصيدة ان كان فى البيت لبن؛ والا فالكساكس؛
هذه هي المعيشة المطردة؛ وكلما يخرج عن ذلك الا بضع ديار، وهي دار
آل صالح اغنياء القرية؛ والا رؤساء ايفشان ان كان عندهم اضياف (1)
والا فمثلهم مثل غيرهم فى المعيشة المعتادة؛ واما دارنا؛ فان الوالد وان
كان متسعا الا انه لتصفوه حريص على عدم الرفاهية فيما شى عادة البلد،
فلا لحم الا فينة بعد فينة بحيث لا يغير ذلك الا فيما يقدمه لبعض الاضياف
الذين يحتفل لهم وحدهم لا لابنائهم ولا لمن فى زاويتهم من المنقطعين؛ هذا
ما فتحنا عليه اعيننا. ثم بعد الاحتلال صارت المعيشة تتغير؛ فيدخل الاتى
فى المعيشة شيئا فشيئا. حتى عم البيوت بيتنا بيتنا؛ وكذلك اللحم صار
يزور جميع الديار فينة بعد فينة؛ وربما فى كل اسبوع، بعد ان كان غالب
الاسر لا ترى اللحم الا فى عيد الاضحى. او اذا وزع اهل القرية بذبيحة
يجتمعون عليها فى مثل عاشوراء. او كانت حفلة من الحفلات التى تقام
سنويا على المشاهد المحترمة؛ ولم تكن نعلم فى صغرنا من يدوم اللحم فى
دارهم الا دار الرئيس الايفشانى القديم؛ وتضاهيها دار الفقيه على بن عبد
الله؛ ثم تتلوها دارنا احيانا ان حضر والدنا وكثيرا ما يغيب؛ والا فنبقى
شهورا او اكثر لا ندوق مرقة الشعير هو عماد المعيشة؛ ولا يعرف
القمح بعض الاضياف الا فى بعض الديار حتى ان هناك حكايات مضحكة تقع
وتحكى كالنواذر؛ اودعنا منها فى كتاب: (قطائف اللطائف). واما الفاكهة
فلا يعرف هناك كثيرا الا ما يستورد من اكنارى من ايفشان ومجاط، فيدور
به البدلون امام الديار؛ وقد الطف بعض الادباء فى قوله بديهة يوما؛

(1) بات الاديب اليونعماني سنة 1354هـ عند الرئيس أحمد الايفشانى
فتعشى عنده العشاء المعتاد بالعصيدة واللبن. واول كان احتفل لتنكب
العصيدة لمثل هذا الاديب. لان الايفشانى اذ ذاك لا يرضى أن يقدمها لمثل
هذا الاديب. لو احتفل به وعرف قدره

وقد رأى بعض الناس يريد أن يشتري تفاحا لالغى:

فكده مصاحبك الالغى ما الفت	لهاه من (أكنارى) شمائك قاس
لا تتحفته بتفاح فشهوته	فى غير ما يشتهيه أكثر الناس
يعيش فى فطرة البادى الذى مرنت	يدا من مسك محراث الى الفاس
فواكه البدو اشهى ما استساغ فدع	تلك التفافيح للمصرى والفاسى
لذائذ البدو فى الاذواق اطيب من	سوائها منظرا وطيب انفاس
فلمدة المرء فى عاداته ومتى	تجووزت فظلام قائم عاسى

والخبز عند الالغيين انواع، اشهرها عند من ادركناهم؛ الخبزة الكبيرة التى تجعل فى الخبز. ثم تغطى بغطاء الخبز؛ فيوقد فوقها وتحتها؛ وتسمى (توفديلت) وبها تفد النساء من اسرة الى اسرة؛ وبها يتزود المسافر فتبقى معه اياما الى اسبوع؛ ومن انواع الخبز الرقاق، وخبزة الكانون؛ تلصق بجانب الموقد بداخله؛ بعد ان يلتظى بالنار الحامية؛ ثم تطيب الخبزة بالجمهر. وقد تطور هذا الى أن استحال الى ما يسمونه (المجبوذ). لان العجين يجعل شيئا فشيئا فى الكانون بعد ما يحمر بالنار فيجبد؛ وهو افضل ما يوكل فى الخ؛ وخبز الكانون عندهم حديث؛ لان المعروف القديم؛ هو خبز القران الذى يهيا للاعراس والمضيوف الكثيرين؛ وكثيرا ما تصنع الهلة للرعاة، وللعصيدة اخ يسمى عندهم (بوفى) وهو مطعم الرعاة فى مراتعهم؛ وقد يصنعونه من الحليب الماتون بالدقيق. وهو الذى ذكر فى بيتين ينسبان لليسوى؛ وهما

أرى الحب يستولى على القلب بغية
كمثل هجوم الغيث فى الصيف اغد اقى (١)
ومن كان هكذا فلسنت ارى له
دواء سوى أكل العصيدة أو (بفى)

هذا وقد عرفت معيشة القمح اليوم فى الخ؛ فترى السعيد وخبز الجوارى مما يقدم للاضياف، وكذلك حدثت الاوانى المتنوعة. ولا تكاد الآن تدخل دارا حتى تلمح الجديد من كل شىء.

فهكذا دبت الحضارة الى الخ بمطاعمها وبفرشها من الزرابى والخشاي والكساء الحسنه؛ وبالتليفونات والسيارات؛ والانفاق بسعة؛ لكن هذا كله لا يتمتع به الا من يستوردون من البيضاء الاموال بالعمل او التجارة؛ حتى البناءات بدأت تتغير شيئا فشيئا، وقد كان الاخ سميدى محمد اول من اتخذ

(١) اغد اقى معناه انهمر

السيارة بالغ عام: 1353 هـ. ويسوقها بنفسه. وهو اول من بنى رياضاً. واول من كانت له ابهة حضرية؛ وكذلك ماشاء الرئيس على الايشمانى وبلقاسم المانوزى وهو اغناهم؛ ثم يتاوههم الشيخ ابراهيم الوافقانى؛ والتاجر سيدى عبلا بن اليزيد. والباب مفتوح الآن على مصراعيه للمدنية؛ فمن يزور الغ الآن قد يستجلى ما يراه من اثاث واوان ومطاعم، ويجد فى بضعة ديار اخوة مبسوطة تحتوى على الحنيد. وخبز السهيد؛ والطواجين المزعفرة؛ والدجاج المحمرة؛ فضلاً عن السفنج الذى يستدير بسكرجات السمن والعسل وأملو - طحين اللوز - زيادة على القصاع المكلمة احما، المدفقة مرقا؛ وقد سنح ان نذكر هنا بعض تنظيم المائدة؛ فان المعتاد عند الالغيين أن يقدموا اولاً زديبات العسل وأملو والسمن مع السفنج؛ ثم يثنى بالشواء ثم بالدجاج ثم بالطواجين ثم بالكسكسو؛ ثم يثا بشراب الاتاى. وقد صارت الكوامخ تدخل المائدة ايضاً بدورها شيئاً فشيئاً؛ وهكذا تقدمت بضع ديار غنية الغية الى ميدان الرفاهية فى المطاعم وبعد هذا فلا باس أن نسوق هنا بعض أدبيات الغية حول بعض مطاعمهم نذكرها تفكها لا على انها من القرار. فالتكلف فى بعضها غير خاف عن ذوى الاذواق السليمة .

منها ما قاله بعضهم فى البسيس - واللفظة عربية فصحي - وهو طعمة تستلذ عند العجائز؛ فبها يجازى معلم التلاميذ ان افتتح التلميذ حزباً جديداً؛ وربما استكثروا من لقمه يوم الختمة؛ فقد عقلت ان والذى صنع يوم ختمتى ثمانين لقمة قدمت فى قصعة عود؛ فيتناول كل من فى زاويتنا من الفقراء لقمة لقمة، والبيس يصنع من السمن والعسل الملتوتين بالدقيق؛ مطبوخاً بالبيض؛ او من دقيق الزرع المقل؛ وهو الذ. ولذته قيل يوماً فى مساجلة مع المرحوم سيدى موسى بن الطيب ابن العم

بسيسك يا زهراء (١) خير بسيس	تطيب به فى المضع كل نفوس
صناع يد لتته لنا فكان من	اخاير ما قد ذاقه كل سوسى
فهن ذاق منه لقمة خال انه	يمس سهاء من مكان جلوس
فما الظلم من ثغر الحبيب معانقا	ازاء بسيس مثل ذا بنفيس

وقيل فى أملو

أملوا علينا من حديث (أماو)	ان حديث (أملو) لا يهل
تهزجه بالعسل المصفى	مع سفنج فى الخوان صفى

(I) زوجة محمد بلقاسم والد الفقيه سيدى بلقاسم الذى تاتى ترجمته فى الفصل الثالث .

تاخذ من هذا وذاك اخذة
ومن اتى الغ ولم يمتاع
وما البساطيل بهذا الباب
ولشيخنا سيدى الطاهر الإفرائى يمازح رفيقه الاديب سيدى العربى
الساموكنى؛ وهما على مائدة الحاج ابراهيم الايفشانى الالغى:

ان الموائد انت من شجعانها
لله درك فارسا يفرى بسيد
ويبك فى قعر الطواجن ظفـره
واذا كررت على الطبائى كـرة،
وتزج فى بحر المكايل غائـصا
وتعوم فى جمع من السادات فى
حادث بواكفها يدا بحر الندى
خير الاحبة احمد وابوه من
فرد مكارم مجده اعيت على
لازال فى شاو المكارم جاريا

والزرد حرب انت من فرسانها (١)
ف السن لحم الشاء عن اخسانها (٢)
اسرى الدجاج تقاد فى ارسانها (٣)
اهرقت رشفا من دما كيسانها (٤)
فلك السفنج قتنشى بحسانها (٥)
نعم همت كالمحب فى نيسانها
فذ العلا طرا سنا أنسانها
شاد المكارم فى ذرى غسانها (٦)
اعشى البلاغة أو على حسانها
طلق العنان الى مدى احسانها

وفى سنة 1356 هـ. اكملت مع الفقيه ابن العم سيدى بلقاسم السليمانى،
عصيدة من الذرة البيضاء تعلوها حفرة تطفح زبدة ذائبة؛ وقد امعنا فيها
بلبن طيب حلو سمانغ؛ فكان ذلك هو الحادى حتى قيات هذه القصيدة التى
نسوقها على ما فيها لانها أمس بالمقام؛ والقصيدة اعتنى بها فشرحت نحو
ثلاثة شروح الغية

وقبل أن نسوق القصيدة نقول: ان العادة فى العصيدة فى الغ
أن تصنع من جريش الذرة البيضاء؛ ويصب عليها حالة انضاجها الحليب،

(١) الزرد المقصود به معناه العامى الذى هو الزردة المعلومة حفلة
الطعام لا معناه العربى الفصيح

(٢) اخسان بكسر فحاء مسكنة لفظة شلحية معناها العظام
(٣) الارسان جمع رسن الازمة التى تقاد بها الخيل ونحوها
(٤) الطبائى جمع طبلة؛ وهى كلمة دخيلة وتطلق فى الغ على
الصينية وفى الرباط على الخوان والكاس تجمع على اكؤس وكؤس وأما
الكيسان فلم تقف لها على أصل
(٥) المكايل جمع مكيلة؛ ويقصد بها فى الغ الزبديات والسكرجات
يجعل فيها السمن ونحوه
(٦) يقصد بغسان قبيلة ايغشان؛ يحاول الالغيون بذلك تغليب الكلمة
وذلك غير جيد؛ لئلا يقع الالتباس فى المستقبل

ثم تطبخ طبخا جيدا بعد ما تلت بالمعصد - وهو عود تلت به العصيدة في مطبخها - لنا محكما حتى تغلظ؛ ثم تغرف الى الجفنة؛ وتسمن فيها ويحفر في اعلاها حوض مستدير يملأ بالزبدة الذائبة حتى يطفح؛ ويوتى باناء اللبن. واجود الالبان ما لا رائحة فيه من وطب، ولا ملق بالماء ولا حموضة؛ ثم يستدار بالجفنة؛ فياكل كل من جهته بكل ادب لقمة لقمة حتى اذا كان أمام كل واحد حفرة؛ او حفر فيها من اول وهلة حفرة؛ يصب فيها من اللبن ثم يلمته باصابعه؛ وهو يغرف من الزبدة قليلا الى ملتوته، وقد يغافل من معه ان ارتفعت الكلفة بين الاكلين؛ فيبثق من حوض الزبدة باصبعه؛ فترشح اليه الزبدة؛ وهتي لت أمامه وصار كالجريرة، يتناول منه بيده؛ ولا تعرف الملاق في مأكلكم؛ وهكذا دواليك. حتى يكتفى من الاكل اكتفاء غير النهمين الشرهين؛ وللقوم ادب عال في الاوكالة؛ هذا هو المعروف، واما هذا الذي وصف في القصيدة فانه مقصود للاحماض ولاريجية الادب

تلوح بلالا العصيدة يبرق ؟	لمن جفنة قيد اقبلت تتألق
شماريخ طود لم يكدي تسلق (١)	مسمنة حتى كان سنامها
تطيب بها كل النواحي وتعبق (٢)	وقد فغمت منها الخياشيم نكهة
أزاهيرها تحت الصبا تنفتق ؟	أهذا أريج المسك أم نفح روضه
من الذرة المعطار ان كنت انشق	نعم انها من غير شك عصيدة
فيا طالما شم البعيد فيصدق	وعهدى بانفى ليس يغلط شمه
وللشنب البراق فيه تألق	الم ترها كالتغر أشنب باسمها
متى جال فيها لحظ غرثان يشهق (٣)	تميس بلون الثلج ابيض ناصعا؛
كجائية الشيخ العراقي تفهق (٤)	لها قمة في وسطها حوض زبدة

فيوضع في الاطراف منها ويعنق (٥)	فيا ليت شعري من تحط أمامه
تخبطه وسط الدجنة أولق	ويخبط فيها باليدين كأنما

- (١) الشماريخ ج شمراخ بالكسر رؤوس الجبال وتسلق الجبل طلع عليه وتسلق الجدار
- (٢) الخياشيم ج خيشوم نقبة الانف وفغم العطرأنفه ملاء
- (٣) الغرثان الجماع
- (٤) الشطر الاخير من قصيدة الاعشى المشهورة؛ واوله (نفى الذم عن آل المحرق جفنة) وفهق الشراب في الكأس - اذا سال - من جوانبه لكثرة الامتلاء
- (٥) الايضاع والاعناق الجرى وسرعة السير :
- (٦) الدجنة : الظلمة الاولق الجن

يشن عليها غارة مشمعة
فيأتي على تلك العصيدة كلها
بلقم أكل آمن ليس يرهق (١)
إذا الجفنة الغناء جرداء سملق (٢)

* * *

فيا فرحى انى السعيد فانها
فيا طالما أجرى احاديثها وكم
تخط امامى والرجاء مصدق
اعرض فى نطقى بها وارقق (٣)
الى سيلها منذ ازمنات تشوق (٤)
فعما قليل سيلها يتدفق
افى كل يوم نهمة تتحرق ؟
الى كل حين لى جراز يفلق (٥)

* * *

دلفت اليها والعيون كانها
حللت لها طوقى وزحزحت معطى
نطاق حوالى ركبتى تحملق (٦)
والقيت عنى ما به اتمنطق
ستعمل ايضا معصماى ومرفق
يؤيده عزم اذا هم يصدق ؟
تأت له اللذات يفرى ويخلق (٧)
الى فوطة هم بتلك معلق (٨)
اذا لم يكن أمر حواليه مرهق ؟
فانفض نفص المعجلين فلم يمل
وهل يذكر الانسان امثالها سوى

-
- (١) الغارة المشمعة المنتشرة على الاعداء وارهقت الانسان عن عمله اعجلته عنه
(٢) الحديقة الغناء المزدهرة ؛ والارض الجرداء لا نبات فيها ؛ والسملق القاع الصفصف لا نبات فيه ولا أشجار
(٣) التعريض والترقيق اذا كنت تكنى عن الشيء ولا تصرح به ومنه المثل « اعن الصبوح ترقق »
(٤) المقصود بانسيل ملتوت العصيدة باللبن
(٥) الجراز السيف القاطع وهو بضم الجيم
(٦) دلف الشيخ فى مشيته مشى مشية المقيد
(٧) خلق الصانع الاديم اذا قدر كيف يقطعه وفراه قطعه وفى المثل ما كل من خلق يفرى اى ما كل من قدر الاشياء يتمها كما قدرها
(٨) الفوطة : عربية فصيحة والاشارة بتلك الى الجفنة .

واما اذا الارهاق عن فرما
 وادنى الى القعب يطفح رائبا
 وللمحض فيه نضرة وتلالؤ
 وما اثرت فيه الوطاب ولادنا
 ولا مخضته العانسات وقد بدا
 وتعلوه امثال القباب سميكة
 فاخذ منه حسوة بعد حسوة
 وما القصد الا ان ابل مصارنى
 وان تغتدى بدء الفتوح لحملة
 تخطف الشجاع الدرع اذ يتدلق (١)
 كغرب ملء ماؤه يتدفق (٢)
 كغضب على منتهى لمع ورونق
 الى اريه المبيض ارعن يمدق (٣)
 لشامات زبد من عليه ترقرق (٤)
 زجاجة لماعة تتألق (٥)
 كما يخشى الفعل الذى يترمق (٦)
 والا فهمى ما اليها احق (٧)
 تغرب فيها غارتى وتشرق

* * *

ومن فاز فى بدء فاجدر به اذا
 فاعلن باسم الله أن حانت الوغى
 فاحفر فى حرف العصيدة حفرة
 واجعل فيها يمنة ثم يسرة
 فاملأها محضا فاجدحها كماء
 تقدم ان يحظى بفوز يحقق
 ومن كان محفوبا به ليس يزلق
 موسعة كالحوض او هو اضيق
 سدودا صحاحا عاليات توثق
 يهيم طينا مشمعل محاق (٨)

-
- (١) تدلق السيل اندفع
 (٢) القعب بانفتح القدح الضخم وكثيرا ما يطلق على قدح اللبن
 قال تلك المكارم لاقبعان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا
 والغرب بانفتح الدلو الكبيرة وهو مذكر
 (٣) الوطب بالفتح جلد اللبن الذى يمحض فيه والارى العسل
 والارعن الاحمق ومدق اللبن بالماء مزجه به
 (٤) العانس لكثرة استخدام أهلها لها تتقن المخض وجمع الزبدة من
 المخوض فلا تبقى من الزبدة شيئا؛ بخلاف من لا تحذق ذلك
 (٥) المقصود الفقايع التى تعلو اللبن اثر ما يصب فى القعب
 (٦) ترمق الجمل الماء يشربه قليلا قليلا وكذلك يقلل فى اللبن
 (٧) الضمير فى اليها الى الجفنة
 (٨) جدح السويق لته ومنه المثل (جدح جوين من سويق غيره)
 والمشمعل الخفيف الطريف؛ والمحذق الذى تخرج فى حذق عمل حتى أتقنه

اخضعض فيها خضعضات بهمة
وانى فى امثال هذا لبالذل
فاجدح ما فى حفرتى جدح عازم
الى أن يرى والزبد يكسوه زرقه
اذن يبتدى التجديف والكف ترتقى
وقد رصصت فيها الانامل كلها
امططها حتى اوسعها وهل
فتاتى وتمضى كالدلاء تواليا
وللشدق صوت كلما صب وسطه
اذا ارتفعت مدت ذنابى كأنها
فاجدح ايضا ثم اجدح ثالثا
فأبقى ولاء هكذا وانامللى
وما فتئت جدحا وحملها كأنها
الى ان اخوض الحوض ثم اجوزه
وبطنى ينادى هل هناك بقية
وهل من مزيد فالعصيدة هذه
فكان جوابى فى سيول كأنها
ورائب قعبي فينة بعد فينة
وقد وسعت تلك المجالات فاغندت
فتلتاح قبل الجدح والمحض مانج
كبحر شديد مزبد قد تفرقت
وانى اوالى حملة بعد حملة

تكاد لديها جفنتى تشقق
جهود مجد فى المهمات يصدق
وسباتى فى جانبى الحوض تبتق (١)
كما بان طرف واسع الجفن ازرق
وتهوى كخطف البرق فى الجو يبرق
فعادت كسطل ليس فيها تشقق (٢)
يبلغك السؤل الاناء المضيق ؟
وللسيل فى وسط اللهاة تدفق
كما يجد المخنوق روحا فيصعق
تمدد ذيل حين يوضع ابلق (٣)
بسرعة خفق القلب ايان يفرق (٤)
بمنحدر حينا وحينا تسلق
عفاريت تزجى حملها وتغندق
ولى بعد اغذاذ امام ومعنق (٥)
فما من معنى منى بذلك ضيق ؟
الذ واحلى من رحيق يروق ؟
سيول الروابى والسحائب تغدق
يصب كما حل المزادة اخرق (٦)
بسانط لكن ليس فيهن مورق
وبعض لقيمات عليه تفرق
زوارق شتى فوقه وهى تفرق
كما يغتدى فى الزحف جيش مفرق

-
- (١) بئق النهر كسر شطه لينبتق الماء
(٢) السطل عربية فضيحة وهو الاناء الصغير للماء ويستعمل الآن
فى كل أناء ماء يحمل باليد وهو مجاز مرسل
(٣) الذنابى الذنب نفسه والابلق الفرس
(٤) فرق يفرق كفرح يفرح خاف
(٥) والمقصود بالحوض حوض الزبدة والاغذاذ والاعناق الجرى
(٦) الاخرق من لا يعرف كيف يصنع الاشياء ولا كيف يعالجها ؛
فاذا أراد أن يحمل مزادة الماء أفلت فاها فيندفع الماء :

وتعلى صياصيتها ويفتح مقلق (١)
على شبع والجوع خزيان يرمق
يلمم ما يبقى هنالك ملعق (٢)
رسا بي على سيف الاماني زورق (٣)
لمن كان يعطيني النعيم ويرزق
وبسطيلة جماعة ما يعرق (٤)
من الذرة الفراء اولي واوفق
على وجهها الوضاء طاه يزوق (٥)
سمقع فيما قاله والمخلق (٦)
مصارين بطن الجائعين تنقق (٧)
وطاف حواليتها ثناء مخلق

* * *

فتنسف هاتيك الجبال جميعها
الى ان ارى الفتح المبين وانسى
ولم يبق الا جولة وحدها لكى
فالحس كفى ثم اغسلها وقد
فاعلن حمدا خالصا من طويستي
فان يطعم الفالوذج الحلو فتيمة
فاني بحمد الله عندي عصيدة
فقد برئت من كل زور ولم يطف
فجأت بما لم يات فيما اتى به الـ
ادام لنا الله العصيدة ما غدت
وما سالت الارياق ان عن ذكرها

المشروبات الالغية

اذا كان الحضرى يجد بين يدي ترفه وبين يدي غناه من المشروبات
المتنوعة ما يجد؛ من شراب الموز والبرتقال والموز والمشروبات العصرية
فان ابن الغ المسكين لا يجد الا العذب الزلال الذى يستقيه من الآبار بدلوه؛
ثم ان اراد تبريده فانه يعلق الدلو او السقاء فى ممر الهواء فاذا به اعذب
وابرد من ماء الحواضر المثلج؛ وما رأى كمن سمع؛ خصوصا ان كانت
فيه رائحة القطران، وقد احسن من قال فى ماء الغ فى مطلع قطعة
ألا ليت لي من ماء الغ موقعا من الخمر قد سموه ماء على غلط

(١) الصياصى الحصون

(٢) الملعق الاصبع التى يعلق بها ما تبقى فى الاناء؛ على عادة البادين

الى الآن

(٣) سيف البحر شاطئه

(٣) سيف البحر شطئه

(٤) تحتوى البسطيلة على أطراف الدجاج والبيض والحلويات والسكر

وأمثالها

(٥) البسطيلة يزوق وجهها بالسكر والتوابل

(٦) للمقعن الكندى من قصيدته المشهورة حين يذكر أسباب الديون

التى عليه وفى جفنة لا يغلط الباب دونها مكللة لحما مدفقة ثردا

وأما ما قيل فى المخلق فقد تقدم البيت الذى قاله الاعشى فى قصيدته

نفى الدم عن آل المخلق حفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق

(٧) تنقق : صوت كنعيق الضفاديع

وقد كان العلامة سيدى محمد بن مسعود يقول: ان الله عوض الغ
الفقيرة الجرداء عن الفواكه هذا الماء الحلو العذب الزلال الساسيل
نعم ان مشروب الخ الخاص هو الاتاى الذى يعرفه كل احد؛ وقد دارت
قواف كثيرة حوله فى مناسبات؛ فمن ذلك قصيدة المشاعر الكبير ابن الخ
البكر سيدى الطاهر يوم تسابق السوسيون فى وصف الاتاى المشحر؛
بقصائد كثيرة (1) فقال هو

موشحاً مخبراً مطسراً
خصل المدى فى الفضل لما برزاً
متى سطاغنا له منازل
سلالتنا الخيرة الابرار
من صار فى قلب الحسود كهذا
من قد حكى نظامه الجماتا
من صنع تشجير الاتاى عبثاً
فيه ورده الاخير مادحاً
فصل القضية بقول منصف
أحدثها ذوو المجانة فقد
ترضى بان تفعلها او تقبلا
وربما تفسده افسادا
فيها النقاء وصفاء الظرف
وبذلوا النفيس فى شؤونه
حوت رماه البحر صيفا فنتن؛
فضده اذن تمام الحرج ؛
فى العود والمراش والمباخر
الا به رأى مبهج وطيب
كما استحال لونه وشمه ؛
بينه مثل الصباح الابلج
وبعدها رابعة سمعية
وهو كما قيل امام الكاس
بالطبخ» فافهم لا تكن بالساهى

هذا وانى قد رايت رجزا
قد دار بين سيدين احززا
كلاهما لدى الصيال بازل
هما هلالا هالة الاكرار
سيدنا محمد ابن احدا
وكفؤه سيدنا عثماننا
تجاريا فى حكم امر حدثا
فعابه الاول عيبا قادحا
فبان لى أن أجرى الفكرة فى؛
فاعلم بان صنعة التشجير قد
أما الطباع المستقيمة فلا
لانها تسخم البرادا
والكأس قد شرط اهل الظرف
لذا تغالى الناس فى ماعونه
وربجه اذا غلا اسهك من
وشرط طيب الكأس طيب الارج
لذا تنافس ذوو المفاخر ؛
فما زوال الهمم والتقطيب
كذاك ايضا يستحيل طعمه ؛
فهذه قطعاً ثلاث حجج ؛
وكلها حسية طبيعية ؛
قال فتى الظرف ابو نواس
فى وصف خمر «لم يشنها الظاهى

(1) يوجد بعضها بعين تراجم الاكراريين فى الفصل الثانى من القسم
الرابع كما يوجد بعضها فى ترجمة ابن العربى الادوزى فى القسم الثالث
وفى ترجمة العلامة ابى محمد الالغى قصيدة فى ذلك .

فهو كما سمعت سمي الطبخا
ان قلت ان قوله في الخمر
فالقصد أن الطبخ شين الكأس
فصح أن صنعة التشحير
لا هم الا أن يخاف البرد
أو اقتضاء سبب فلا حرج
لكن على السداد دون نفخ
فالبرد أيضا يفسد الشرابا
نص عليه جلة أكياس

شينا فهلا نتبعن الشيخا
قلت ومثلها الاناي فادر
بالنص والاجماع والقياس
قذى بعين الانس يا سميرى
جدا على البراد اذ يشتد
اذن على ما كان فيه من عوج
بقدر ما يسخن دون طبخ
ويغلق الشهوة بابا بابا
وكلهم فى زكنه اياس

* * *

المعتاد في اول السنة الفلاحية

من انواع الاطعمة الالفية ؛ نوع يسمى (اوركيمن) يصنع من حبوب
الذرة والقمح والفول والعدس واللفت اليابس مع الاكرعة التي تجمع لذلك
من قبل؛ يطبخ الجميع في قدر طبخا جيدا طوال النهار؛ ويتحين صنع هذا
الطعام في ليلة اول السنة ويوتر ان اصل جمع هذه الحبوب أثر من آثار
نزول نوح من السفينة؛ فقد طلب ممن ركبوا معه ما تبقى مما تزودوا به؛
فاتى كل واحد بما عنده فطبخ الجميع طبخا واحدا؛ والالفيات يطبخنه تيما
ودراء للعين والجن؛ ولذلك يعتمد بعضهن الى اراقة بعض مرق هذا المطبوخ
على بعض زوايا الدار؛ وازاء أسراب المياه من الساحات داخل المنزل وما هي
بالعادة الوحيدة التي تصنع ليلة اول السنة؛ فأذكر أن الناس يحرصون
على ان لا يبيت اى واحد خارج منزله مسافرا؛ ويرى بعضهم ان من لم يبيت
فى داره تلك الليلة لا يزال مفارقا لداره طول السنة

الالبسة

الذى أدرکنا عليه الناس عام: 1323 هـ. انهم يلبسون قمص الصوف
وسراويل الصوف - ويسمونها التبان - وعمائم الصوف، وذلك لباسهم
صيفا وشتاء؛ لا يعرفون اذ ذاك الكتان الا نادرا وذوو المروءة منهم يديرون
على أعالیهم شملة من صوف؛ او رداء تاما لمن كانوا ملحوظين كالرؤساء
والعلماء وائمة المساجد؛ وفي الشتاء يلبسون الخنيف - وهي لغة فصحي -
ويستورد من (أزانیف) مكان فى الاطلس الكبير الموالى سوس، وقد لبست
أنا - ما شاء الله - خنيفة غليظة حمراء وراها مما يقابل مقعدة الانسان ؛

وللناس اذ ذاك غالبا السلاهييم من الصوف المنسوج بالغ المعروف بجودته ولم ندرك عند الناس لا جبة ولا سراويل الكتان ولا قمصه وعمائمه الا نادرا ثم سرعان ما انقلب الزمان فظهرت قمصان الكتان وسراويله وعمائمه؛ ثم جيبه؛ ولكن وشكان ما اختفى ذلك ايضا فى ابان الحرب الثانية فراجع الناس معتادهم القديم الى ان انقضت وطفحت الاسواق بالكتان فعاد الناس اليه فهو الآن 1364 هـ. الملبوس المعتاد

واما النساء فان لهن عادتتهن الدائمة؛ من رداء الصوف تجمع المرأة اعاليه بمصنوع من الفضة مثلث على تدييها؛ واحد على جانب والآخر على الجانب الآخر؛ ثم يجمعن الاسافل عليهن اما بحزام او بادخال بعض فى البعض الآخر، وهذا الرداء يسمى (تفكوت) ان كان من الصوف؛ او الملحفة ان كان من الكتان الاسود او الازار ان كان من الكتان الابيض؛ واما الفطاء؛ فان كان من الصوف فاسمه (تحيكت) او من الكتان فيسمى (أدال) والغالب الى الآن 1364 هـ. أن لا تلبس النساء الا الصوف؛ الا المترفات؛ فانهن يلبسن الكتان قمصا وملاحف وازرا حتى السراويل التى ما كن يعرفنه قد دبت اليهن لبستها وشيكاء والفرجيات وجبات الساركة البيضاء او القهويية والسلاهييم المنسوجة من المنسوج الرفيع الرومى او البزيوى قد صار اكل الآن ياخذ مكانته بين البسة الرجال الكبراء والتجار بعد ما دبت الحضارة الى الغ ديبها

الفرش.

ما كان يعرف الا الحصر التى تستورد من قرية (أمتضى)؛ ومتى كان هناك حنبل او زربية على قلة ذلك؛ فان بقاءها فى الطى اكثر من بقائها منشورة تحت الناس؛ ولم يكن الناس يفرشون على عهد صغرنا الا الهياضر - جلود الكباش المدبوعة بصوفها - ثم لم تنتشر الزرابى الا فى عهد آبائنا فى ديار قليلة فى الغ؛ ولا يزال ذلك قليلا الى الآن وأقل القليل جدا المضارب والمخاد، ولا أعلم الآن دارا للاضياف استجمعت الفرش المعتادة فى الحواضر من المضارب والزرابى والمخاد الا نحو دارين؛ على أن ذلك لا بد ان يزداد بتزايد اتساع الحضارة

المعتاد فى المساجد

المسجد هو النادى العام لاهل القرية؛ ولا يتخلف عنه الا من لا خير فيه؛ ولاستاذ المسجد احترام؛ وهو الإمام والمؤذن - غالبا - وقارئ الحزب،

والحزب يقرأ في الخ على القاعدة الناصرية؛ تتبج الأحزاب الا في عشيا
الخميسات فيقرأ الكهف؛ وصباح الجمعة يس وتبارك، ولا يتعلق حزبهم
بالشهر؛ ويقرأ سبع من البردة في حزب كل عشية؛ وفي المدارس العلمية
تقسم الههزية ايضا على أحزاب الاسبوع الصباحية. ولهم دعوات خاصة
تقرأ وراء الحزب كما لهم دعوات خاصة كذلك كلما أريد التفرق من مجمع
خصوصا المجمع التي يحضرها اهل الخير، تحتوي على الصلاة الالهيمية؛
ثم الفاتحة ثم اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار؛ ثم الصلاة الالهيمية ايضا ثم سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

هكذا يختم كل مجلس؛ كما يدعى بذلك نفسه بعد الصلوات؛ ولاريب
ان هذا الدعاء المرتب قديم؛ لان مثل هذا مذكور في العهد الموحدى، ولكل
طرف منه أساس من الحديث؛ وفي ليلة ختمة القرآن؛ - وتكون دائما عشية
الاحد - تزداد دعوات اخرى؛ ويتحين محبو الخير من الرجال والنساء
الحضور، لما ثبت من ان ذلك الوقت يستجاب فيه الدعاء؛ ويأتى اهل
الفضل بالتمر ومقلو الذرة؛ او بقصعة طعام؛ وفي بعض المساجد من جيران
الخ توجد احباس لهذه الختمة

أما كيفية التدريب من الاستاذ؛ فلا تختلف عن المعتاد في كل المقرب
ضغطا وتكرير السور وغسل الألواح صباحا؛ ثم املاء الاستاذ على التلاميذ
كل واحد على حدة، ثم يكمل الاستاذ نصف اللوحة للتلميذ ان استظهر
نصفها الاول؛ الذي كتبه بيده؛ ولا يذهب التلاميذ الى الغداء الا بعد أن
يحفظوا؛ ثم يرجعون الى تكرير السور التي كانوا حفظوها الى الهاجسة؛
ثم من الظهر يقرأون ما سيمحى غدا ثم التكرار للمحفوظات، الى أن يقرب
المغرب؛ وحضور الحزبين صباحا وعشية من واجبات التلميذ؛ وتكرر
المحفوظات الى العشاء؛ وه عصر يوم الاربعاء تكون الراحة الى عصر يوم
الجمعة؛ الا أن التلاميذ يبكرون يوم الخميس ان لم يغب الاستاذ الى أهله،
لتكرير السور الى الضحى؛ والعواشر تكون اياما قبل العيد وبعده؛ وعلى
التلاميذ ضريبة الاربعاء والعواشر؛ كل بما تيسر، وقد كان المعتاد في الخ
البضعة الواحدة في الاربعاء وفرشا في العواشر؛ وذلك منذ نحو 40 عاما.
ثم جاءت الدراهم في الجميع؛ واجرة الاستاذ تجمع له من محصول السنة
من البيادر بعدد معلوم من الأصع على كل دار؛ ومع حرت تقوم به جماعة
القرية، ومع اضحية او ثمنها؛ ومؤنثه بالتناوب غداء وعشاء؛ دارا لدار؛

ولا هجورى ولا لهنة (1) فى الغ؛ وقد أدركنا ان استاذ المسجد هو موثق
القرية ان لم يكن فيها عالم؛ وعدلها الممتاز؛ وعاهد الانكحة؛ والمصلح بين
المتخاصمين

المعتاد فى المدرسة الالغية

كان سيدى محمد بن عبد الله المؤسس لمدرسة الغ عام: ١٢٩٧ هـ مجدا
فأسس فى الغ القراءة الجديدة، فحين ينخرط التلميذ فى المدرسة بعد
ان يحفظ القرآن يتدرج من الجرومية فالجمل والزواوى؛ ثم الالامية لابن
مالك مع ابن عاشر؛ ثم الرسالة فالالفية لابن مالك؛ ثم بعد ذلك التحفة
والمختصر والمقامات والزقافية؛ ثم المنهج وفى الرمضانات لا يقرأ الا الحساب
والفرائض والبخارى؛ وبين هذه الدروس يتلو الطلبة من عشية الاربعاء
الى عشية الجمعة فى كتب الادب بينهم يبتدون بالاسهل؛ كالستطرف
ومروج الذهب وابن خلكان؛ فسيرة ابن هشام؛ فالخواص بالمدينة ثم لايزالون
يترقون الى ان يقفوا بعد ان يشدوا فى نفح الطيب الذى هو الكتاب العالى
عندهم؛ والعادة أن كتب الادب لا تقرأ فى ايام الدراسة تفرغا للعلوم
الرئيسية ما عدا المقامات الحزبية، واما المعلقات والطفراية ولامية العرب
والهمزية والبردة والشقراطيسية؛ وبانت سعاد؛ فان هذه تقرأ فى العواشر
غالبا؛ واما الدروس الدائمة فالفقه والنحو والتصريف والتفسير احيانا؛
والمعتاد أن يطالع التلاميذ دروس الغد بينهم يطالعها لهم نجباؤهم، ثم
يقرأونها عند الاستاذ؛ ثم تعاد بينهم ايضا؛ ثم يتعهدهم الاستاذ فى حفظ
الشواهد والابيات التى تستطرد فى الدرس؛ ثم يواخذهم الاستاذ بالحفظ
لعدد من الابيات فى كل صباح من المتون مع تكرارها جماعة فى عشايا
الاربعاءات؛ واما ما بين العشاءين فى غير الاربعاء والخميس فانه لمطالعة
الدروس او لاعراب راس الحزب، حيث يجولون جولات فى كل المتون التى
يدرسونها؛ ولهذا تجد أبناء المدرسة الالغية؛ اكثر السوسيين استحضارا
للمتون؛ وعادتهم فى الدرس؛ ان يتغنوا بالابيات التى تقرأ جماعة قبل
افتتاح الدرس، وغالب قراءة الشادين فضلا عن المبتدئين فى الواحات؛
يشققون فيها المتون؛ ثم تفسر بيتا بيتا؛ كما تعرب كل الشواهد بالسنة
الطلبة لا بلسان الاستاذ كما أدركناه فى القرويين وابن يوسف؛ ويقرأون
الالفية أولا بشرح السيوطى ويتلو التلاميذ المكسودى مناوبة؛ ثم بشرح

(١) اللهنة بضم فسكون: ما يفطر به صباحا . فقد قال اعرابى لاناس

لهنوا ضيفكم

الاشمونى والموضح فى المرة الثانية؛ والرسالة بابى الحسن؛ والتحفسة
بالتاوى والتسولى؛ والمختصر بالدردير والمقامات بالشريشى؛ وللأساتذة
الذين مروا بالمدرسة الألفية استحضار تام فى الفنون لكثرة ما مروا بها
فلا يحتاج احدهم لاعداد الدرس؛ واكبر اعتناء الألفيين بالنحو واللغة والادب؛
فلا تمر كلمة الا عرف ضبطها؛ وإذا احتفل مجلس طلبتهم يأتى احدهم
بكتاب يتلوهُ؛ ثم لا يستجيب الصغير أن ينبه الكبير ان لحن فى اعراب
او فى ضبط كلمة؛ وقد تعجبت كثيرا حين خرجت من الغ فأسمع اللحن
ثم لا يوجد من يرده، ومتى فرط منى ذلك عن غلط او عن طبيعة يقوم مثل
الأخ التطوانى فى وجهى كنصيحة أن لا أنسب فى معادة الناس؛ فياللعجب؛
فهؤلاء شيوخنا كابى الحسن وابى محمد الألفيين وكشيخنا سيدى الطاهر
ما كان احد من الفتيان أمثالنا يستحى أن يرد على أحدهم؛ وهؤلاء كذلك
تلاميذنا عودناهم أن يردوا علينا؛ فسبحان من فرق بين البيئات

كتبت هذا للغد، ليعلم الغد كيف كان الغ واهل الغ فى هذا الميدان؛
وللألفيين أبيات سقيمة يفتتحون بها المقروء فى مجلس الدرس؛ فما كان
رجزا تقدم له ارجوزة فى أبيات قليلة؛ وما كان على بحر الطويل كالجهل
تقدم فيه أبيات أخرى؛ فالول أبيات الرجزية: اعوذ بالله من الشيطان ...
الغ ومن أبيات الطويل: قول حسان فيها اظن فى الرسول:

له هم لا منتهى لكبارها

وهمته الصغرى اجل من الدهر

وللمدارس فيما ادركنا قوانين فى حضور الصلوات وفى خدمة
الاستاذ، فكان من بينها للمدرسة الألفية من بينها قوانين اصعب بها
استقامت ما شاء الله حتى دب التدهور الى الجميع

دور المرأة الألفية

قديما يقول الحضريون: (المرأة الفاسية؛ امرأة وتجارة؛ والمرأة
البدوية امرأة وحمار؛ والمرأة المراكشية: امرأة وخسارة)

لا ريب أن لوصف المرأة البدوية بهذا الوصف حظا من الصواب غير
قليل فهذه المرأة الألفية ككل نساء تلك النواحي؛ هى التى تقوم بكل شؤون
بيتها، فتظل نهارها فى الاعمال المرتبة على اوقات اليوم؛ تقوم سحرا لتطحن
ثم تسخن ماء الوضوء مع الفجر؛ ثم تحلب البقرة؛ ثم تسقى من البير بالقلعة
على ظهرها تاخذ القلعة بحبل يمر بكاهلها؛ ثم ان أرادت ان تحطب فانها
تبكر ولا تطلع عليها الشمس الا وراء روابى الغ حيث لا يزال الشيخ الذى

هو الوقود الوحيد للالغيين؛ فتجتمع منه ابالة عظيمة تنظفها ثم ترجع بها على ظهرها والعجب أن ذلك الحمل الثقيل لا يؤودهن، فإن النساء الحاطبات يرجعن بالاغاني يتداولنها باصواتهن الرخيمة؛ ثم لا تكاد تدخل الدار حتى تهى الغداء ان لم تكن طبخته صباحا؛ ثم تمخض وطبها؛ ثم تنقى طحنها للغد؛ ثم تغربل طحين الصباح ثم تاتي بالخضر من الحقل، ثم تسقى البقر؛ ثم ان كان عندها سقى من البير للحقول فهي التي تتولى ذلك؛ وزد على ذلك أن تتعهد مغزلها؛ وترضع ولدها؛ ثم ان كان حرث او حصاد، فهي التي تقوم بذلك بمعاونة زوجها او وحدها ان غاب. بهذا تملا نهارها؛ ثم تطبخ العشاء؛ هذا كله والغالب ان تحافظ على صلاتها في دارها مع المسمع من المسجد، والمرأة الالغية هي سيدة الدار حقا - فهي الخازنة وهي المتصرفة في الشعير والسمن والمراعية للاضياف ولو لم يحضر زوجها ان كانت الدار دار الاضياف -؛ والطلاق في الغ لا يكاد يذكر؛ وكذلك الزوجة الثانية؛ فلا اعلم من الغ الآن دارا فيها عدة الزوجات الا ثلاثا فقط من المتوسعين الذين دفعهم دافع خاص الى ذلك ومن الامثال الالغية: أن المرأة تقول: (دعوا لنا المطبخ ندع لكم الراي) اي اتركوا لنا ادارة المنزل؛ نترك لكم ما في خارج المنزل، ومجمل القول أن المرأة الالغية تقوم ازاء زوجها الذي لا يعرف الراحة ايضا بدور عظيم في الحياة مع الصيانة وعدم الزلق الا في النادر الذي لا يكاد يخرم القاعدة؛ مع الصبر العظيم والاخلاص لزوجها والرفق في المعيشة؛ مع حفظها للسر وحفاظتها على مظاهر التدين والتصديق على المقابر؛ خصوصا ايام الجمعة وعاشوراء؛ فتذهب النساء بالتمر، ومقلو الذرة او القمح؛ فيفرقنه على الصبيان

الامثال الالغية

ان درس الامثال التي تطلق عفوا من الالسة هو عين الدراسة لفكرة الذين يطلقون تلك الامثال؛ ولذلك حرصت على جمع الامثال الالغية من قديم في كراسة استوفت زهاء ثلاثمائة؛ ثم اخذها منى الكولونيل المستشلع: (جوستنار) ففرنسا ونشرها في بعض المجلات الفرنسية؛ ثم رجعت كره أخرى ونحن في معتقل: (اغبالو نكردوس) فامنيتهما على الوزير الكبير اخي سيدي محمد الفاسي؛ فجمع منها عنى الفا وخمسين، ما بين منشور ومنظوم؛ وقد فسرنا كلها بحكاياتها بالعربية الفصحى فضمها الى المجموعة الكبرى التي جمعها في الامثال المغربية؛ ولهذا اكفكف القلم الآن عن تتبعها اكتفاء بما في مجموعة الاخ الوزير المحترم

الالعب الالغية

هى نوعان: فمنها ما هو مخصوص بالصبيان؛ ومنها ما هو مخصوص بعامة الناس؛ اما اللعب الصبيان فانها :

1 - الاسداء، تقول العرب: (اسدى الصبيان واستدوا: اذا كانسوا يلعبون بالجوز). وصبيان الغ انما يلعبون بالحصا؛ ولتشابه الملعب به سميننا هذا اللعب هذا الاسم

ياتى كل صبى بعدد من الحصا يتساوون ثم يعمد اولهم الى جمع الحصا فى كفه؛ ثم يلقيه الى الاعلى من بطن الكف؛ فيعرض له ظهر الكف؛ فيبقى ما يبقى ويسقط على الارض ما يسقط، ثم اذا تراكمت الحصيات على الكف؛ ينظر فى الحصا فما كان منه لا يمس الجلد وقد علا الحصيات؛ ياخذ اللاعب على انه ربحه؛ ثم يرمى ما على ظهر كفه ثانيا الى الاعلى فينتلقاه بباطن الكف؛ ولكن ان سقطت حصاة واحدة فقد خسر اللاعب؛ فيعطى الحصا لغيره واذا توصل لقبض كل الحصيات براحتة؛ يتدى اللاعب فى التقاط ما انتثر امامه مما لم يقع على ظهر الكف؛ فيرمى الى الاعلى حصاة من يده فى الوقت الذى يلتقط فيه حصاة اخرى مما على الارض؛ ومتى لم يفلح فى ذلك فقد خسر، وان امكن له ان يستتم التقاط المنتثر على الارض؛ فانه لا بد ان لا يمس عند اخذ حصاة غيرها؛ الا اذا بقيت اثنتان فقط فانه لا بد ان يجمعها مرة واحدة ولو تباعدتا؛ ومتى تمت اللعبة على هذه الوتيرة؛ فقد ربح حصاة واحدة ثم يعيد اللعبة؛ الى ان يربح الجميع او يخسر الباقي، فلا يتحصل له الا ما فاز به؛ ثم ينتظر حتى ياتيه دوره ثانيا؛ ومتى تمت الصفقة وانتهت الحصيات؛ يحسب كل واحد ما ربحه، فمن نقص له من العدد الذى كان له فان الرايح لاكثر من عدده يدفع له حصاة حماة مع ضربة فوق كفه لكل حصاة؛ وتسمى هذه اللعبة (اكترن)

2 - شلوك - لعبة تكون بنوى التمر؛ ياخذ اللاعب نوى فى باطن كفه؛ فيسأل صاحبه: أشفع ام وتر، ثم يقرص على ظهر كفه كلما اخطأ. وتسمى اللعبة عند العرب (خسازكا) قال الشاعر :

وشر اصناف الشيوخ ذو الربا

اخس يحنى ظهره اذا مشى

الزور او مسال اليتيم عنده

لعب الصبى بالحصى خسازكا

3 - ضما - لعبة أشبه شئ بالشطرنج؛ الا أن شروطها أخف؛ تلعب بالحصا مكان البيادق

4 - طابت العصيدة - لعبة للاختباء؛ يختبئ صبي حيث لا يرى ولا يرى؛ ثم يتفرق الصبيان في المخابي ثم ينادى احدهم بالشلحة: طابت العصيدة (توانكلا) فيخرج المختبئ فيفتش عن اصحابه فمن وقع عليه اولا يركب على ظهره مليا ويدور به بين الصبيان

5 - لعبة الجبل - وهي رياضة نافعة، يوخد جبل فيربط طرفاه فيدخل صبي في طرف وآخر في طرفه الآخر فيتجاذبان؛ لينظر من هو أقوى.

6 - لعبة الحمل - يحاول الصبيان في أن يحمل كل واحد صاحبه

الى غاية محدودة

7 - رماية الهدف - يضعون حجرا مفلطحاً؛ فيرمونه من امد محدود يقف فيه جميع الرامين؛ فمن اصاب الهدف يصفقون له ويصيحون بالصوت الواحد فلان فائز

8 - صيادة اليمام - يحفرون حفرة وينصبون ازاءها حجرا مفلطحاً غير كبير؛ ويسندونه الى عود يضيفون اليه خيطا بعقدة تنحل بمجرد ما يمسها ماس ثم ينثرون حوالى الحفرة الشعير، فيبتعدون؛ فاذا جاء اليمام يلتقط الحب فيتبعه الى الحفرة الصغيرة يدخل فيها؛ ولا بد ان كان في الحفرة أن يمس الخيط؛ فاذا بالحجر يغطى الحفرة فيبقى هناك حياً؛ فياخذه صاحب الحفرة

9 - لعبة الخيط بالحجر - يعمدون الى حجر صغير قدر ربال حسنى يسوون اطرافه حتى يستدير؛ فيثقبونه ثقبين في وسطه، فيدخلون فيهما الخيط المستدير؛ فيدخل طرفا الخيط في السبابتين؛ فيدار الحجر دورا بينهما مستمرا؛ ويسمى (امجرى)

10 - الخدروف - لعبة معلومة عند كل المغاربة، لا احتاج أن أتكلف وصفها تفصيلاً؛ وهي بالاجمال: طرف من العود مدبب الرأس؛ وفيه حديدة؛ والعود مستدير أملس يرمى بخيط يدار بالعود؛ ثم يدور بنفسه بسرعة.

11 - المضاربة بالفاطو - وهو طرف من عيدان التين، يقطع على نحو 7 سننيمات فيزال لبابه؛ ثم ينجر عود من الزيتون على مقدار الثقب المستطيلة؛ فيدخل في الثقب طرف صغير من الكاغد المجموع المبلل بالبصاق؛ فاذا وصل هذا الى طرف العود يبقى في محله؛ ولكن اذا ادخل مثله من الثقب، ويدفع بالعود يندفع الكاغد الاول بضغط الهواء؛ فيرمى بعيداً ما بصوت مسموع؛ يجعل الصبيان ذلك بمنزلة البنادق.

12 - المضاربة بالاحجار الصغيرة - وكثيرا ما يقع ذلك بين القرى المتقاربة؛ وترمى الاحجار بالمفلاع؛ والمقاليع على نوعين نوع يسمى (الدى)

وآخر يسمى تيزيبا يصنعان من الخلفاء ؛ ولا فرق بينهما الا أن الاول يجمع مكان الحجر فيه، والآخر يبقى حبالا صغيرة متقاربة يدخل طرفاها فى حبل الطرفين

13 - اللعب بالكرة - ولا تضرب هنا الا بالرجل؛ والمعهود أن تغاط من الخرق البالية؛ قبل ان تظهر الكرة العصرية من المطاط

14 - المراماة بالماء يوم العنصرة - على أن هذا اللعب قلما يتعاطى فى الغ كما يتعاطى فى غيرها

هذه هى الالعب المشهورة الخاصة بالصبيان الالفين. واما اللعب العام؛ فانه للرجال او للنساء - ولا يختلط الجنسان فى لعب (أحواش) بالغ؛ وهو لعب يعرفه كل الناس خصوصا شباب الحواضر الذى يعجب به ان رآه أو سمعه فى المذيع ويقام فى الاعراس والاعياد والإفراح، يديره رئيس يعرف ان يغنى؛ وفى يده دف؛ وحين يكون عرس او عيد او فرح كبير؛ كان المعتاد قبل احتلال تلك الناحية وقبل ان يزال منهم السلاح أن ياتى أرباب البنادق فيصطفون أمام اللاعبين؛ وتحت انظار النساء المطلات على اللعب من السطوح، فيطلقون بنادقهم بالترتيب؛ فى الوقت الذى تطلق فيه النساء الزغاريت؛ ويرسلن على الرؤوس - طاقات الحبق - وهو الثنب الطيب الوحيد الذى يعتنى به فى الغ حتى انه يستنبت عند كل ربة دار - وكذلك ترسل البندقيات هكذا اذا زفت عروس وقاربت ان تدخل القرية التى تزف اليها؛ والرجال اذ ذاك يغنون اغنياتهم؛ واما اذا كان لعب النساء فقط؛ فان الدعار من الرجال يستديرون بهن او يطاون، والغالب فى الغ قبل الاحتلال أن لا يذهب الى أحواش الا زمر المروءة؛ واما بعد الاحتلال فقد صار الرؤساء الذين لا مروءة لهم يستكثرون من أحواش النساء تقربا الى المستعمرين؛ وفى هذا اللعب يوجد بين الاغاني اشعار الحب؛ والاشعار الحكم؛ يحفظ منها الكثير

وهناك لعب آخر كنا نعرفه قبل الاحتلال هو الرماية للاهداف فى عشايا الاعياد؛ يخرج كل اهل القرى الى اطراف القرية يتعلمون الرماية ؛ فيتخرج الصغار بالكبار؛ وهذا مما طوى بدخول المستعمر .

وبعد؛ فقد كان اهلنا المرابطون يترفعون عن لعب احواش؛ وكان لبعض شيوخهم العظام سعى حثيث؛ فى قطع ذلك فى قريتنا حتى نادت القبائل بتفريم كل من اقامه؛ ولكن نبغ من اهلها من رد ذلك واعاده جذعا؛ ولله الامر من قبل ومن بعد.

أما أغاني الالفين فى وقت الحصاد وفى الدراس فكلها أذكار وحكم

واستفانة بالاشياخ المعتقدين عندهم؛ وهى لديهم معروفة بالتقليد؛ وكذلك ما يتلونه فى محافل المشاهد المسماة عندهم بالمعاريف؛ فانها ادعية مأثورة يحفظها المسنون؛ وبالأجمال: ان عوائد الغ فى الالعا بهى عوائد كل جزولة بلا تخصيص ولا تنصيص؛ بل هناك عند غير الالفين ازيد مما ذكرناه ثم ان ما ذكرناه لم يستوف الا قليلا. مع الاختصار فى هذا القليل.

ما قيل فى وصف الغ من الاشعار

وقفت على قواف غير قليلة حول الغ واهله؛ ولكننى لا اختار الآن الا ما له اساس خاص بارض الغ وبوصفه او التشويق اليه؛ او التشكى منه؛ وقد كنت انا نفسى صدرت منى اشياء من ذلك؛ فلاختر من كل ذلك ما يقارب الموضوع

قال شيخنا شاعر الجنوب وعلامة سوس ومفخرة الادب الالفى؛

سيدى الطاهر

نسيم الصبا هبى بنشر ربا الغ	ففى نشرها للعاشق الصب ما يبغى
تعلل شلوا لم تغادر يد النوى	به غير سميع لاهلانة لا يصغى،
يحن الى تلك المنازل انها؛	منازل بدر التم لا منزل الفرغ؛(1)
ربوع رباها المسك طيبا ونبتها؛	بوجه الفضا منها عذار على صدغ؛
تخال اذا ما الزهر نور أرضه	سماء حبا اثوابها الفجر بالصمغ
اذا أشمست أرجاؤها قلت انها؛	فتاة على أعطافها صفرة الردغ(2)
هى السؤل والمامل لوسمهحت بها	يد الدهر لكن شيمانة الدهر أن يبغى
وقال ايضا يخاطب شيخ الغ العلامة على بن عبد الله استاذة الوحيد؛	
من قصيدة مطلعها	

بانث فبان جميل الصبر أسماء وانهل من سحب الاجفان أنواء
يقول وهو يصف نفسه بانه كالجسد الملقى يكتنفه من الجوى
والدموع النار والماء

أرسي بأحشائه الشوق المذيب كما	للمجد فى أرض (تحت الحصن) ارساء
أرض ثراها عير؛ والنسيم شدا	والماء راح، وكالياقوت حصاء
وأربع طلعت فيها شمس هدى	فهى المنازل لا فرغ وعواء
تاهت بواحد الغ فقلت لها	ايه فقد سلمات مصر وزوراء

(1) الفرغ من منازل القمر

(2) الردغ: الوحل. هكذا فى اصول اللغة القاموس وشرحه: ولا يتم التشبيه الا اذا كان معنى الردغ ما له لون خاص كالزعفران مثلا. ثم وقفت على ان هذا المعنى فى الردع بالعين لا فى الردغ بالعين. ولا ادري ما وقع لشيخنا مع انه يتثبت فى اللغة

وقال الاديب سيدى محمد بن الحاج الافرانى

أيا ساكننا أرضا هي الأرض وحدها	بها ما يشاء القلب والأذن والبصر
أجل بلاد الله علما ورفعته	ومجدا وسؤددا فحق لها الفخر
بها العلم والهدى بها المجد والعلا	بها الدين والدنيا؛ بها الوعظ والسمر
فها شئت من عيش هنىء وحكمة	وعقل رصين لا تحوم به الغير
بهم ولهم عيشى يطيب ومرتجى	فؤادى وجودى معهم لو يشا القدر
يذكرنيهم جود سحب السما وان	تقاصر جودا عنهم وان انهمر
ألا ليت شعرى هل يتاح لناقتى؛	بروك لديهم كى يزايلها الضجر
فأبصر ايضا عيشة مطمئنة	ودهرا لطيفا كان اجمعه السحر
فاستجمع الصفو المرى لديهم	فتضحى عيونى بالمنى كلها تقرر

وقال الاديب العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود المعذرى :

ليهنكم يا آل الخ مفاخر	فخرتم بها ما بين غرب الى شرق
سموتم بدورا بل شموسا بنوركم	تفتق زهر الفضل من بعد ما رتق
فابقاكم للعلم والفضل والهدى؛	الاه حباكم فى العلا قصب السبق

وقال ايضا

حى ربع الرباب من (تحت حصن)	منجدا زائرا لا وثق حصن
وبوادرى العقيق فيه فرج	بالمطايا واعمد الى خير ركن
واقران تحية من مشوق	قاده لهواهم كل حين

وقال العلامة محمد يحيى الصمراوى لما مر بالغ سنة 1313 هـ. فمكت

فيه ما شاء الله ودرس فى المدرسة الالفية قليلا

يا أهل (تحت الحصن) أنتم فوقه	معنى وحصنكم بعلم يشرف
ما ضر من بالفوق معنى وصفه	أن كان فى حس بتحت يوصف
فارقوا بجد واجتهاد للعلا	ترقوا معالى حدها لا يوصف

وقد وقفت على قطعة للاديب سيدى محمد بن الحاج يجيبه بها؛

مطلعها

بأنغت فى الارشاد يامن ينصف	أهل الوفا؛ والنصح دين يعرف
----------------------------	----------------------------

وقال الإديب ماء العيين بن العتيق الصحراوي

يا آل (تحت الحصن) ان يقع النوى
لا زلتُم مأتى الوفود وان دعت
انا بلوناكم فالفيناكم
لم تضجروا فطباعكم محمودة
انتم مناخ بنى السبيل وحيكم
ان امرء جعل الطريق لبابه ؛
فعليكم أسمى التحايا ما شئت

فحفظ ودكم الفؤاد زعيم
سنة وناب من الخطوب عظيم
ما منكم فى النائبات مليم
والعرض مما يستند سليم
أبدا بقارعة الطريق مقيم
طنبا وأدى حقه لكريم (1)
ورق على أيك وهب نسيم

وحين وقف الاديب سيدى الحسن البونعماني على قطعة محمد يجيا
المذكورة؛ وعلى ما قاله ابن العتيق، قال

لله ما قد هاج ذاك الموقف
نظموا دموعهم قصائد وهي فى
كم توجوا قبل الرحيل مجالسا
ذهل المودع والمودع للنوى
حييت الخ فما أجلك مجمعا ؛
علماء صحراء الفسيحة جددوا
أحيا الولاتى فى الموات حداثا
وابن العتيق مطرب بقريضه
وعليهما نبغاء الخ أغدقوا
هم أفعموا من كل فن أكؤسا
صف بالمفاخر الخ فهى جديرة

وعيون الخ من الوداع تكفكف
حسن أجل من العقود واشرف
ولكم بشعرهم السامع شنفوا
فكانما دارت هناك القرقف (2)
لوفود شعر أين من يستنكف
فيها عكاظا للنهى تستوقف
غلبا بفكر فى المعارف تقطف
وعليه أعلام البيان ترفرف
كرما وآدابا وما يستطرف ؛
للوافدين وبالنوادير آنحفوا ،
وأنا بالغ فى المفاخر أعرف

وقال بعضهم

أبواب الخ لكل آت تفتح
يا من يؤم أنخ قلوبك واقترح
ففسيح ما أبصرته بسهولة ؛
أرسل لظرفك فى البسيط عنانه
لا أمت فيه لا اعوجاج كراحة
من ذلك استفتت الطباع من أهله

وصدور من يرجون منه تشرح
ان الجوائع منك طرا تنجح
كم كان فيه للمتجارة مبرج
فبسيط الخ كما تشاهد افيج
مبسوطة منها المكارم تطفح
(ان الاناء بما حواه يرشح)

(1) بيت قديم مبدل. وهو هكذا فى الاصل
ان امرء جعل الطريق لبابه طنبا وانكر حقه للثيم
(2) القرقف : الخمر .

وكتب الاديب محمد بابيه نزيل الخ الصحراوي الى عميد الخ
سيدي علي بن عبد الله قطعة شطرها بعضهم؛ نصها

لترى بعينك في الوري أجودا؛ وأطل به التطواف والتردادا قطاب والإجراس والاونادا بل بله عنك الحصر والتعدادا ما رد للآداب الخ عماداد أبناءؤه الاباء والاجهادا صيرت الفك للعاوم مهـاداد أن الشوق لم يزل مـزدادا	عرج بـ(تحت الحصن) يامن سادا وانزل هنا لك ما تشاء وطولن واكرع بمعهد ورد اعلامه الا وامكث هنالك ألف ألف راتعا؛ قوم تقفوا في صيانة مجده الخ وما الخ تلافى مجده فاقرأ السلام على الفقيه وقل له قبل يديه وأبلغن من خله
--	--

كان قاضي (أقا) ورد علي الخ فقابلته أدباؤها بقصائد ترحيب - علي
عادتهم - فقلت له انا من بينهم قصيدة؛ من اولها

أسعد بمن ظفرت يدها بـدره ان قام كل في الندى لفخره بالروض يونق من تدفق نهـره مدا وهل أحد راي من جزره وكنوز الخ جميعها في شعره والشعر افضل مقتنى من بحره وشمذا القريض تارج من زهره بجرا حقائبه برائع سحره أدى بما أسماه غاية شكره من كان فذا في العلا من غيره	ما الخ غير شعوره في شعره بالعلم والادب البليغ فخاره لم يحظ بالارض الخصيبة لا ولا لكن له أدب تدفق نهـره كل البلاد لها كنوز في الغنى ما الخ الا البحر يزبد علمه بل روض مجد خضلت جنباته؛ فيه يرحب بالنزِيل فيشتي فاذا افاض الشعر الغي فقد وبمدح الخ وتركه يدرى الوري؛
--	---

اصبحنا يوما في الخ في فصل الشتاء سنة 1356 هـ. فاذا بسيط الخ
بجباله يميم في حلة بيضاء من الثلج البراق؛ فحفز ذلك الشاب السيد
الحسن بن علي الصالحى، وهو ناشئ اذ ذاك في اول عهده بقرض النظم
فكتب الى

أهلا بوفد الخصب وفد سماء حنت اليه وكابدت بفراقه وتولمت حتى أتاح لها الا لا نثر السحاب زمردا فتزينت فترى البسيطة كالعروس تبرجت	نالت به الغبراء كل بهاء ألم الغرام وصرحت بعناء ه وصاله فتباشرت بهناء بعقوده وتبرجت للقاء وتتوجت بزهورها كسماء
---	---

جهدا قد احتفلوا بكل ثناء
نهج لفقير عباده وغناء
عند الإله لما سقى بالماء

وترى الخليفة بعد ما قد كابدوا
هذا بفضل الله ليس بغيره
لولا النبي المصطفى ورجاله ؛

بهذه القطعة الحسنية تحركت قريحتي. فقلت هذه القصيدة التي
صورت فيها جولتي في صباح ذلك اليوم

ثلجا يشع بلونه الوضاء
من لمعة في سائر الأرجاء
ميس العروس بحلة بيضاء
مصقولة براقعة اللالاء
س متى يشعشعها المدير بهاء
مخضلة من مسة الاندواء
مرآة من تعنادها بجلاء
بشعاعها الوهاج في الانحاء
حتى ليعشى أعين البصراء
شرك العيون وقتنة للرائي
كي تحتظي في لهجة بمراء
ترناد في البيضاء لا الغبراء
لماعة الانجاد والبطحاء
والقلب مجللو من الاسواء
أسرارها بالطلعة الفراء
يفتر صاحبه بصحو شتاء
ساحاتها باللؤلؤ الوضاء
منها المفارق باخضرار سماء
غطيته بكرامة خضراء (1)
في تينك الخضراء والبيضاء
مما أرى من روعة وبهاء
أيدي السقاة بخمرة عذراء
سقى المرء تحت الشملة الصماء
سقى بعد في الجدران تحت كساء؟
بمسائط مبيضة زهراء ؟

ما ذا رأى من لم يكن بالرائي
لا سيما ان عم حتى لا ترى؛
والارض من أثوابه مياسة ؛
فكانها وجه البسيطة فضة
وكانها كل الثرى حجب الكؤو
أو روضة أزهارها مبيضة
والجو صاف والسماء كأنها
والشمس قد اقلت لدى اشراقها،
فجلا بياض الثلج في برقانه
أنى التفت رايت أبيض ناصعا
تهوى به لو كنت اجمع أعينا
لله وقت ضحى خرجت لفزهة
والارض تبرز في قشيب ثيابها؛
واليوم طلق والحياة مسرة
والنفس تأنس بالطبيعة اذ بدت
فوضعت فوقى معطفي والعقل لا
فهميت أخطو والبسيطة نضدت
في جانبها شامتات توجت
فكاننى في صحن بلور وقد
فأجبل أبصارى اجالة حائر
متنقلا بلواحظي مترنحا
واللب مأخوذ كأن طاقت به
فأقول يا عجا أفى ذا اليوم يبي
من ذا يرى النعماء هذى ثم يبي
من ذا الذى لا يستغفر شعوره

(1) كرامة المائدة: غطاؤها. وبذلك فسر بعضهم (حبا وكرامة) أى
أناء وغطاءه .

أين القرائح أين ما يعتاد ان يبهر عجيب أعين الشعراء ؟

* *

قضيته زمننا أجول وانسى
متمتها بهناظر ما مثلها
وأنا أميس ومجنى في راحتي
حول بياض ناصع يقق ومن
ما كنت أحسب أنني متهل ؛
حتى رايت اليوم القا كلها
قد جللت بالشج يلمع صافيا
فاهتز عطفي نشوة وأثارني
فأحس من طيب الحياة وعيشها

فكه الفؤاد بهذه النعماء
من منظر، ما سامع كالرائي
كيلا تزل الرجل في الارساء
فوقي اخضرار طافح بصفاء
يوما هنا بهلامح السراء
بسهولها وجبالها الشماء
كالشعر حين تبسم الحسناء
ما يستثير خواطر الادباء
ريا كان قد عدت للمهراء (1)

* * *

العادة في الخ ان شهر مارس هو مقياس الفلاحة؛ فان أمطر جاء
الخصب والا فعكسه؛ فتأخر المطر في سنة الى هذا الشهر فصاب؛ فقيل
في ذلك

الغيث في مارس بعد
كالوصل جاء بغثة
بينا ترى الجفاف يس
والورق الرقيق سي
ولفحة السموم تر
وصرصر الاعصار يه
والياس يرسل على
اذا بمزن هامع
يحيى البلاد والقلو
فتسترد الارض زه
تلوح كالحسناء في
فاينما التفت أب
فكل حقل غادة
تبهز من يصرها
فاحمد لله الذي
ورد للربيع بال

د ما انقضى الصبر الجميل
من بعد هجران طويل
تولى على زرع الحقول
ثم باصفرار وذبول
مض البطاح والتلول
شم الفروع والاصول
أهل الفلاحة الذهول
مسترسل الغيث الهطول
ب بتموج السيول
وها من الزهر البليل
مطارف وفي حبول
صرت قشيبا مستطيل
ماست تجرر الذبول
تحت نسيمها العليل
روى بفضلها الغليل
حيا رواءه الجميل

(١) لا ينسين القاريء أن القصيدة قيلت بعد النفي من الحمراء الى الخ

ع غير قفر ذى طول	ما الغ فى غير الريب
فلا مبيت لا مقيلا	تجهم ووحشة
حوض بها لمن يجول	جرداء لا روض ولا
ع ما لارضها مثيل	لكنها فصل الريب
يحوطها الجو الصقيل	بسائط مخضرة
ها تجد الظل الظليل	فأينما انتهيت من
وعند زبرج الاصيل	لا سيما عند الضحى
هذا الفصل لا كل الفصول	حيث يا السخ به
ع فتحيتى تزول	فان يزل عنك الريب

ومما صدر عنى اذ ذاك وانا فى هذا البسيط اتلون بين فرح وحزن؛
فأقول كيفما تيسر ؛ فمن ذلك

لجوه فى طيبه من قسيم	يا طيب الغ فى الربيع فما
تقابل الطرف بوجه قسيم	ارجاؤه الفيحاء مخضرة
اسمتها بين بسيط وسيم	فكلما اسمته نظيرة
ذا غلة هناك الا النسيم	يموج بالصحة لست ترى
فيه يخيب حاطب او مسيم	يفوز فيه رائد العلم ان
والذكر ما زارته ذات رسيم	لولا ينايع العلوم به
فجاور العالم فيه الدسيم (١)	مدرسة جوار زاوية
لفالج القدح بمجد جسيم	وان صقعا مجده علمه

ومن ذلك :

وما يشم اذا حيت بريها	لله الغ ومراها ومجياها
قاربت ان تجتلى منها مجياها	وما تحس به بين الشغاف وقد
الغ السماء التى تدرى ثرياها	حتى اذا انكشفت بطحاؤها فاذا
آفاقها الغر حياها وبياها	سماء افق المعالى من يطل على
فى الغ فهو على الاماد مجياها	خصب القرائح لا خصب المزارع ما
أحيا العلوم على أرض قد أحياها	ففكر الغ حياة للعلوم ومن

ومما قيل فى وصف الغ وهو وصف حقيقى

عند القياس متناقضات	اوصاف الغ متنافيات
كفارسين يتصا ولا ن	ضد لغد يتقابلان

(١) الدسيم الذاكر

مناخها بجذبته المغبر
غير ربيعها بسيط يكلج
فلا تمت ارضها لاهلها
فكل من يزورها مرات
لا بد ان يصفها فيشهد
ان شرفت ارض بنينا فبنو
ومن اتى الغ فما اتاهها
فانه من علمها سيعجب
فانها من جهة لمخصبه
مجدبه كما ترى حقولها
فكم علوم من بنينا فائضة
وكم بحوث عندهم مفجرة
روض الفهوم عندهم مزدهر
خزائن العلوم دافقات
قلوبهم فى العلم بين العين
متعهم فى الادب الاندلسى
فكم قصائد لهم عصماء
وطيبهم من عرف (نفح الطيب)
فهذه الغ وذى اوصافها
سبحان من يجعل فى الاضداد

ومن ذلك

نعمة الالفى فتح
بين رشف الكؤوس
يتملى قابعا بيـ
بنعيم كان فيه
والاعاصير تدوى
فيكاد البيت ينـ
جنة الف وان حفت

ومن ذلك :

الغ بسيط بلقع مقفر
تجول فيه ما تجول فلا

مباين لعلمها المقتـ
صقيعه وقت الشتاء يطفح
الا كمت حزنها لسهلها
بين فصول متفاوتات
حينما يذمها وحينما يحمـ
الغ هو من شرفوا وزينوا
وانما اتى بنى رباها
لكنه من فقرها سيكـ
كما ترى من غير تلك مجدبه
لكنها مخصبه عقولها
وكم بئار فى رباها غائضة
وكم هضاب عندهم محجرة
وما هناك قط روض يزهر
ولا مياه متدفقات
والشيخ والخلفاء للعيون
لا فى الرياحين ولا فى النرجس
بين بسائط لهم جرداء
فى وسط ذاك الجرز الجديب (١)
وارحمنا لمن هو الالفها
لحكمة منفعة العباد

لكتاب وسط داره
واصطلاء حول نـ
من التفافات ازاره
دفتر قطب مداره
فوقه او فى جواره
ك جميعا بجداره
بأنواع المكـ

لا روض فيه لا ولا عين
تبصر فيه موقعا عين

(١) الجرج بضمـتين من الارض التى لا تنبت

يقطنه وان له كن
كانما يقطنه جن
حوليك دار الصوف والقطن
اعظم مما يجمد السدن
تكاد لا يندى بها المزن
ندامة وحسرة سن
تصخ الى اخباره اذن
الى تجاه ارضه يرنو
يعلو بهم بين الورى شأن
بهم لها الزين او الشمين

شتاؤه سم ذعاف لمن
يعصف فيه صرصر صافر
تشمق الاطراف منه وان
وتجمد الصهباء من قره
حتى مياه المزن فى افقه
كم قرعت من قم قاصده
لولا علوم من بنى الغ لم
ولا رأيت قط من مبصر
لكن قطرا زانه اهله
هل البلاد غير سكانها

ومن ذلك ما قيل ارتجالا لسبب اقتضى ذلك

تصاغ كما تبغى وفوق الذى تبغى
من الغ بليغ بالقصائد لا تصغى
شهود على هذا بمنزلة الرفغ
جوانبه الا طلائع من صددغ

اذا احتفلت اءاداب من كان فى الغ
فابة ارض حول الغ متى شادا
فالغ لكف الشعر والناس كلهم
لئن كان قفرا فهو كالخذ ليس فى

ومن ذلك :

لا الغ مال ولا الغ الامارات
يقر عينا بايات وآيات
مجد القصور ولا مجد الرياضات
والفهم حليتهم بين النديات
هبت عليك باءاداب ذكيات

الغ المعارف والاداب بلدتهم
من رام علما واءادبا وحل بهم
ومن يرد عرض الدنيا فليس لهم
فالعلم حرفتهم والبحث شيمتهم
ان تسألن الصبا عن زهر ارضهم

ومن ذلك :

صحة الجسم وجورائق
ف وماء مستلذ فائق
خضرة الروض وماء دافق
ضفة النهر خفيف شائق
بعد يهفو لهواه عاشق

الغ فردوس لمن منيته
ونسيم مستطاب فى المصية
أى مصطفى عجيب لوبه
انما المصطاف أشجار لها
فاذا اعوز هذان فما

كنت مررت فى سفرتى الى (تامانارت) بوادى (ترت) فصدرت منى
قصيدة فى وصفه ؛ - مطلعها

وضيق واد بترت طويـل كما امتد للماء خرطوم فيـل

ثم شفّعها الاديب الالفى سيدى الطاهر بن على بن عبد الله بأخرى
مطلعها :

لك الفضل ترت على ما به يخاطبك اللوذعى الجليل (١)

ثم مضت ايام بعد رجوعى من السفر وشيوع القافيتين ؛ فاذا بهـذه
القصيدة الجديدة؛ وقد قالها الاديب الالفى سيدى الحسن بن على بن عبـد
الله ؛ حكاية على لسان الغ تحتج على ذكر ترت ونسيانها؛ هي؛ والقصيدة:

كجدول ماء بخد اسيل	اتنى الغ بدمع يسيل
تحلى بعز ومجد اثيل	تنادى الاديب الاربب الذى
وكنز المحاسن لا لامثيل	جمال الوجود ومفخره
شفاء لكل فؤاد عليل	رئيس المعارف مختارنا
تبجل (ترت) بذكر جميل	تقول اليس من الحيف ان
حظيت لديكم ولو بقليل	اينشر ذكر لترت وما
ب وينسيك أهلا وكل خليل	وما ترت الا مهر يشيـ
ط اذا ما مرنا به فى مقيـل	يذكر ضيقا مهر الصرا
وأنتم سليل ونعم السليل	على أننى للعلا محتـ
ثناء لغيرى وحقى جزيل	ولكن هجرت فاحفظنى (٢)
وما يحتوى من سرى نبيل	اينسى بسيطى وما فوقه
روخير قرى يتلقى الزـيل	وما وسطه من ربا للزهـو
ين وما مهدوا من سواء السبيل	وما بين ذلك للزائر
تسر مبردهم والخليل	اتنسى علوم من انجو كم
سم هنا ما لهم من مثـيل	اينسى نحادر فى كل علـ
سوى مستحق اعتراف الجميل	اشادوا المعالى وما فيهم
مكانة الغ المقام الجليل	الا فانظرن يا ابن الغ الى
ق الغ اهتبالا بكل دليل	فى كل ناحية يستحـ
عزيز وما (ترت) غير الذليل	وما الغ بين البلاد سوى
ل اذا كان فى الشعر قال وقـيل	أينفى العزيز ويبقى الذليـ
فتسفف هذا الكتيب المهـيل	الا غيرة منك الغية
ست لتشكر عن الغ فى كل جـيل	لعلك ترأب ما قد صدعـ
كطيف خليل سرى لـخيل	فالغ سرت تحت ذيل الدجا
منك ومن صنوك المستـيل	تراود انصافها بالقريض

(١) والقصيدتان فى (الرحلة الثالثة) من كتاب (خلال جزولة)

(٢) احفظه : اغضبـه

فان القوافي لتنصف ما تسارع انت وذاك الزميل
فتكلفت الجواب تكلفا لا يرضى الادب مطلقا لا الالفى ولا الادب العام

فقلت

فما لك بين القرى من مثيل
اليك بها كم وفود تسييل
يزورك الا نسيم الاصيل
بيان المروق بالسلسيل
لدى وان لم يكن من دليل ؟
لروعته كل طود يميل
فهوم كما جال سيف صقيل
عزائم ما لهم من عديل
ش فيصدر كل ببرد الغليل
يزور مقامك وهو عليل
ك تشم كزهر بروض بليل
الا اعجب لذي صحة بالليل
ف حوليك كل قبيل قبيل
راى من عليم فصيح نبيل
يردها مثلا كل جيل
ترى كعذار بخد اسيل
يكذب انك قطر جليل
ك ومنك لاجلك كل سبيل
تجاوره فهو ايضا جميل
ت واشباهها ولنعم المنيل
ت وكل قريض ففى الغ قيل
ابيت بالغ وفيها اقبل
خ مغاخر ما ان لها من مثيل
خ ؟ فيالك ظنا كبرق يخيل
عن مرقم لم يكن بالبخیل
ن لالغ المعارف خير سليل
اخى خير نسل وخير زميل

حنانيك الغ المكان الجميل
اما كنت فى بهجة فذة
اما كنت روضا اريضا فما
قرائح منك يفجرها الـ
اينكر شانك بين القرى
اما فيك شعر بليغ ترى
اما فيك علم تفننه الـ
اما فيك صوفية لهم
اما فيك رى لكل العطا
ثراك شفاء لكل فتى
صباك تفوح بخلق بنيـ
فيا طالما صح من شمها
شرفت شرفت الى ان تشر
فلله ذاك البسيط فكـم
اذا قال قافية فذة
او ان حبرت كفه مهرقا
كذلك يا الغ انت ومن
فلا عجب ان يطيب اليـ
فيدرك (ترت) نصيب ومن
فانت تنيل الجمال لتـر
فكل مديح لهدى الجها
ايطرق لى بالحصا وانا
وفى كل وقت انت عن الـ
أمنى عقوق يظن لالـ
وكيف وانى أوالى الثنا
سينكشف الدهر عن يكو
اذن يعرف الناس منى ومن

ولنختم هذه القوافي الالغية بأخرى كانت صدرت مني يوما قبل أن آلف
الالغيين وأمازجهم اثر ما نزلت بهم في منفاى عام ١٣٥٦ هـ

(يقولون واقول)

فقلت نعم لكننى كيف أصبر ؟
فقلت لقد حاولته ثم أقهر
أباغت حيناً بالدموع تفجر
تباعدت لكننى على الرغم أحضر
فقلت لعيش بينهم ليس يكفر
الى أن يعودوا ؟ قلت لا لست أقدر
على كل حال اننى لست أغدر
يفى فى النوى الا فتى متخير
ولكننى من ودهم لا أحذر
ومن هو أذكى مخبراً حين يخبر
وليس كراء من بذلك يخبر
ومن مورد منهم حميد ومصدر
سيورد من شتى البحار ويصدر
لبحث عويص دونه الفكر يعثر
كجذوة نار فى يفاع تسعر
فقلت انا مختارهم ما أخير
فقلت بلى لكن لمن ليس يشعر
فقلت متى فى البدو فضل مشهر ؟
فقلت وءاداب بها كان يذكر
تظنون انى للولادة منكر ؟
فقلت لانى بعدكم متحضر
فقلت وخلق من كلىنا مغير
فقلت وخلف بيننا اذ نفكر
يعنفنى ان صحت بالشكو معسر
مداركهم لم تدر كيف التفكر
حياة بتنقيص الجمود تمرر ؟
فاودعها شعرا بليغا فتدخر
جزوع عظامى بالاسى تتكسر
بان صفاة الحر لا تتأثر

يقولون صبرا انسه بك اجدر
وقالوا تكلف ما استطعت فربما
وقالوا تجلد فى الندى فقلت قد
وقالوا تباعد ما استطعت فقلت قد
وقالوا انبكي كل من قد تركتهم ؟
وقالوا ألم تقدر تناسى ذكرهم
وقالوا اهم ايضا وفوا ؟ قلت انسى
وقالوا قد استعبدت بالشوق قلت هل
وقالوا الست الحر ؟ قلت لهم بلى
وقالوا من أعلى الناس عندك سؤدا
فقلت بنو الحمراء شيخا وبافعا
وقالوا ومن اولى الورى بجوارهم
فقلت بنو الحمراء من كان جارهم
وقالوا ومن اذكى الانام اذا سما
فقلت بنو الحمراء اصحاب فكرة
وقالوا سبى المراكشيون عقله
وقالوا اما فى الغ والاهل غيبة
وقالوا اذن انكرت فضلا مشهرا
وقالوا اما فى الغ علم وحكمة ؟
فقالوا ألم تولد بالغ ؟ فقلت هل
وقالوا لماذا اليوم تعرض جامعا ؟
وقالوا اهذا كل ما كان وحده ؟
وقالوا سيكفيك التخلق امره
وقالوا وما التفكير ؟ فقلت أبعد ذا
فانى يكون الحر بين معاشر
امن بعد هذا تستطاب بالفكر
ومن عجب أنى أجيش بفكرة
فيحسب من فى الغ أنى خائر
فيعطف بعض كى يسلى وما درى

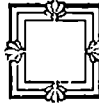
وما هي الا وثبة من خيالسه
فتودع في الاشعار خير ذخيرة
فكم شاعر فحل تخيل نكبة
فكيف أنا يا قوم أفلتها وقد
اكل مصاب فاض بالشكو جازع
فما كل ذى رزء اذا ان خائسر
ينظر من اى البراكين ان طغى
وفورة جاش تستهل فتزفر
لكل اديب لا فح الفكر يشعر
لكيما يجيد القول فيها فيبهر
عركت بها عركا يقض ويسهر
خصوصا اذا يشكو خليا ويستتر ؟
ولا كل ذى شعر شكا متأثر
من احشائه الاتون الا التفجر ؟

هذه القوافي هي التي وقفت عليها مما قيل فى الغ التي كنت قلت
فيها من قديم متشوقا :

الا ليت شعري هل ابتن ليلة
وهل اردن يوما مياها بعنصر ؟
بالغ وحولى الشيخ يطهى به سكسو؟
وهل يبدون بردى لطفى وأمقسو؟

والشيخ هو الوقود الوحيد فى الغ وبه طبخهم : وسكسو هكذا ينطقون
به لا (كسكسو) والعنصر بفتحين بير غلبة الماء امام دارنا وبردى
بفتح الباء وسكون الراء وفتح الدال : من بسيط الغ الشمالى وأمقسو:
بفتح الميم وسكون القاف جبل عال فى الشمال الشرقى من الغ
والبيتان عورض بهما البيتان المشهوران اللذان عورضا كثيرا من الادباء
قديما وحديثا

الا ليت شعري هل ابتن ليلة
وهل اردن يوما مياها مجنة ؟
بواد وحولى أذخر وجيل ؟
وهل يبدون لى شامة وطفيل ؟



تقسيم الكتاب

١ - القسم الاول في المرابطين ابناء الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد الذين يقطنون في الخ وفي اكادير ايزرى وامثالها من كل مكان فيسسه مساكنهم بتلك الناحية . وفيه فصولان

الفصل الاول في المرابطين ابناء الشيخ الذين درجوا قبل عام ١٣٧٥ هـ
الفصل الثانى في المرابطين ابناء الشيخ الذين لا يزالون احياء بعد عام ١٣٧٥ هـ

٢ - القسم الثانى في الالغيين غير المرابطين من المانوزيين والايغشانيين والوفقاويين والاغوديدين ؛ وقد نذكر من هؤلاء من لا يسكنون في الخ ؛ بل في قبائلهم الداخلية ؛ وفيه خمسة فصول
الفصل الاول في الاغوديدين
الفصل الثانى في النازلين بالسكنى في قرية (دوكادير) وليسوا أصالة من الالغيين .

الفصل الثالث في الوفاويين
الفصل الرابع في الايغشانيين
الفصل الخامس في المانوزيين
٣ - القسم الثالث في أساتذة الالغيين في القرآن والعلوم والتصوف .
وفيه فصولان :

الفصل الاول : في مشايخهم في التصوف
الفصل الثانى في أساتذة الالغيين في العلوم وبينهم بعض كبار من اسانذتهم في القراءان

٤ - القسم الرابع في تلامذة الالغيين علوما وتصوفا ؛ وفيه فصولان :
الفصل الاول : في تلامذة مدرستهم الالغية خاصة .
الفصل الثانى في مشاهير الاخذين من زاويتهم من العلماء واللامعين من غير العلماء

٥ - القسم الخامس : في اصدقائهم الموسيين الذين يترددون اليهم .
أو كانوا هم الذين يترددون عليهم حتى تكونت بينهم حمة كالاستاذية والتلميذية . والمقصود بسوس جنوب مراكش

هذه هي اقسام الكتاب • وارجو من الله ان يوفقني ويسهل لى
حتى يتم كما قدرته وخزنته في نفسى • فانه ان تم على ذلك النمط
سيؤدى مهمة تحيى غالب الاسر السوسية او بعضها على الاقل ؛ كما ستنتشر
من تراجم المتأخرين صحفا ان نشرت كما نريد فستفتح لسوس تاريخا
واسعا يمكن لمن بعدنا ان يستتم عليه • وانا منذ الان اقر بعجزى وبقتصر
باعى • وبكونى بلا ريب اقع فى اغلاط • ولكن حين بذلت جهدى
وافرغت ما فى وسعى فلا عتب على والكمال انما هو لله وحده



الفصل الاول

من القسم الاول

ويتضمن تراجم هؤلاء :

عبد الله بن سعيد الجد الاعلى للمرابطين السعديين
احمد بن عبد الله بن سعيد ولده
محمد بن عبد الله بن سعيد ولد له آخر
علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
حسين بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
احمد بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاخضيري
ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد التكايزي
بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد التسيوتي
احمد بن بلقاسم ولده
سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه في اهله السليمان
ابراهيم بن سليمان ولده
احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه في الصالح
صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن بلقاسم التسيوتي الفقيه الاول في القاسمين
الحاج علي التسيوتي الفقيه
الحاج عبلا بن صالح ابو الاعلام
العلامة سيدى محمد بن عبد الله ولده مؤسس المدرسة الالغية منبع مجد
الشيخ سيدى الحاج علي بن احمد الدرقاوى مؤسس الزاوية المنبع الثانى لمجد

العلامة سيدى على بن عبد الله
 الفقيه سيدى الحسن التياسينتى
 الفقيه سيدى صالح بن احمد الاوفقيرى
 الحاج بلقاسم بن عبد الله
 سيدى عبلا باولا
 النجيب سيدى احمد بن محمد بن عبد الله الصالحى
 الفقيه سيدى البشير بن الطيب
 الفقيه سيدى موسى بن الطيب
 النجيب الحسين بن احمد بن الحاج صالح
 السيدة تاكدا أم الشيخ الالفى
 سيدى ابراهيم بن احمد الطالى
 سيدى احمد ابو الفدام
 الفقيه الاديب سيدى على بن صالح الاوفقيرى
 النجيب سيدى الحسين بن ابراهيم الصالحى
 النجيب سيدى عبد الله بن احمد الصالحى
 سيدى صالح بن احمد الصالحى
 سيدى احمد بن محمد التاهالى
 سيدى احمد بن الشيخ الالفى
 سيدى عبد الرحمن بن محمد الصالحى
 النجيب سيدى محمد بن عبد الله بن محمد الصالحى
 النجيب المعبط عبد الحى بن عبد الله الصالحى
 العلامة سيدى المهنى بن على بن عبد الله الصالحى

سیدی عبد الله بن سعید التہالی

نحو ۹۵۵ هـ - بعد ۱۰۵۱ هـ

نسبہ :

عبد الله بن سعید بن حسین بن یبورك؛ اوحسین بن مسعود علی ما فی بعض الرسوم اوحسین بن یبورك بن مسعود ان جمعنا بین ذلك وقد رنا ان یبورك انما سقط فی بعض الرسوم .

هذا هو الجد الاعلی الذي تنسب الیه قبیلتنا السعیدية؛ وهو علی شهرته غامض من نواح عدیده؛ حتی ان اصله ومسقط رأسه غیر معروف الا رجم ظن ؛ وأقاویل تتداولها الالسنه ؛ والمعروف أيضا من سلسلة نسبه لم يتجاوز اولئك الثلاثة او الاربعة؛ والكلام حوله للباحث قلما یجد ما یتضمن به فی طریق بحثه الوعرة المدلهمة؛ وها نحن اولاء سنبدل جهدنا فی ذلك؛ علی حسب ما یتراءى لنا من كلام المؤرخین ومن رسوم وظهائر توصلنا بها؛ ونستعین مع ذلك بسوق ما یقوّه اولاده او یشیع عنهم هنا وهناك .

ما شاع عنه فی الالسنه

شاع عند اولاده شیوعا متواترا أن أصله من (تامدولت أوقا) وأن ولادته هناك ثم انتقل بعد الى أكادیر تنبسیست بین ساموکن وتامانارت؛ ثم من هناك اتصل بشیخه الرجل الصالح سیدی یحیا بن عبد الله التملی (وشیخه هذا فی التاریخ معروف موصوف بأنه شیخ یربى المریدین؛ ویرشد السالکین؛ ویصفی القلوب لتتصل بالمالا الاعلی؛ وهو من اهل القرن العاشر؛ وقد توفي نحو عام ۹۹۹ هـ) فلأزم خدمته علی سلب الارادة؛ فبحسبى انه وکله علی غرس بستان من الرمان؛ فقام علیه منذ الغرس حتی اثمر؛ وبعد ذلك امره ان یاتیه برمان لاضیاف عنده؛ فاتاه به؛ فاذا به مر؛ فقال له ما هذا؟ او ما تعرف اننا اردناه للاکل؛ فقال له : اننى لاعرف مذاقه؛ فقال له الشیخ : او لا تعرف الحلو من غیره فی البستان وأنت القیم علیه من أول يوم؟ فقال : انک یا سیدی لم تأذن لى فی الاکل منه؛ فكان ذلك اول ما لاحظه الشیخ ملاحظة خاصة (۱)؛ ثم فی يوم آخر وقد تکاثر اضیاف آخرون

(۱) مثل هذه الحکایة توتر قبل ذلك العصر بین الشیخ التباع و بین

نلمیذه الغزوانی .

عند الشيخ؛ امره ان يوقد الفرن للخبز؛ فصار يتردد الى الشيخ بعد ما
 حوى وطيسه يعلمه باتقاد الفرن حتى اضجره؛ فقال له بغضب : ان اتقد
 فادخله فبعد لاي قال الشيخ لاضيفه قوموا بنا الى ذلك الابله ؛ فانه
 لا يبعد أن يلج الوطيس لما سمعه مني من الكلمة الفارطة ؛ فوجده داخل
 التنور جالسا؛ واللفظي في الاشتعال؛ غير انه لم ينله ادنى ضرر؛ الا ما كان
 من رؤوس اظافر رجله فقد نالها بعض احتراق؛ فامره بالخروج ثم ودعه؛
 فامره ان يسكن في وادي (ايصور) حيث قضى عمره كله

ويقال ايضا انه لما سكن هناك دبت عقارب الجسد في اهل
 البلد؛ فراح عنده الشيخ يوما؛ فاشتكى عليه؛ فامره باغماض بصره ثم
 بفتحته؛ فاذا به يرى الوادي كله يسيل خيلا ورجلا؛ فقال له هذه جنودك؛
 تتسلط على كل من تعدي عليك؛ فصار اهل البلد كلما امتدت من احد يد
 اليه يصاب بسوء فانكفوا عنه بذلك .

التطفيات التي اسسها في القفار

ثم يقولون ان من حكاياته ان له نظفية في (دراووغ) فمر به هناك
 بعض الملوك بجيش كثير ؛ فاضر بهم العطش في ذلك المحل - وهو
 معطشة الى الآن؛ - فقال الملك لمن حضر من يقدر ان يسقيني انسا
 وجيشي؟ فلم ينتدب احد؛ فكرر ذلك فمثل بين يديه عبد الله بن سعيد؛
 وهو مشتمل برداء؛ فقال له أنا أسقي الجميع ؛ فقال له : او تقدر
 على ذلك يا صاحب الشملة ؟ فقال له ستري؛ فمال بالجيش الى نظفية
 له كان قبل بناها هناك؛ فصار الجند يمر بها فيصدر ريا؛ وهو يتناول لكل
 من شرب خبزة يتناولها من تحت ابطة حتى روى الجيش .

ثم يذكرون ان عادة الشيخ ان يدور مع تلاميذه في القفار؛ فيؤسس
 النظفيات حتى انه اوصى اولاده فيما اوصاهم به؛ ان يقوموا على نظفياته ؛
 فقام بنوه على ذلك الى الآن ؛ ووال أكادير ايزرى هم القائمون بهذه المهمة ؛
 لا يفرطون فيها ويعدون تلك النظفيات اثنتي عشرة؛ وكانت تسمى بنات
 الشيخ عند المتحدثين وهي

١ - (انبد نتوميلين) في الطريق المارة بين (اكرض وايشت) بوادي
 (تامانارت)

٢ - في (بو الجير بين تاكجكالت نيت تيكني) وبين (اوسا)

٣ - في الطريق بين (اداي) و (افران) في قفر هناك

٤ - في ايخف ايقير وينتكونا ؛ بين (تيمولاي) و (بوزاكارن)

٥ - فوق المراكع فى (تازاروالت) وسمعت من بعضهم ان هناك اثنتين
اخرين

٦ - فى ايت (بومريم) فى مسجد بناء هناك

٧ - المذكورة فى (دراووغ) التى اصدرت ذلك الجحفل اللجب ربا حتى
ضرب بعطن فيما يقال :

٨ - فى (سمون ايسان) فى القفر الذى يوجد فى جنوبى الخ

٩ - فى (تينوضفيوين ييزين) فى طريق تامانارت من الخ

١٠ - فى (قم ايفاغ) فى شرق (اكجكال) بالغ

١١ - فى اودرى بتهالة

١٢ - فى (اكرض ايمالان) بـ (ايسى)

هذه هى النظيفات التى تواتر عند المرابطين ان جدهم هو الذى
اسسها ثم اوصاهم بتعهد ترميمها؛ ولا يزالون على ذلك الى الان

ويقولون ايضا انه هو الذى بنى مسجد ايت بومريم ولا يزال قائما
يضاف الى الشيخ *

تلك هى الترجمة التى يلقيها اليك جميع مرابطينا؛ وهى فى الحقيقة
لا تتجاوز فى بعض ما فيها ماتعج به بعض الكتب التى يهرف بعض اصحابها
بما لا يعرف اذ كان يقول ما لا يدري؛ ونحن لا نستبعد ان يقع كل ذلك
لأننا نعتقد ان قدرة الله لا يتعاضدها شئ؛ وان الامانة التى تدل عليها
الحكاية الاولى؛ وخرق العادة فى عدم الاحتراق فى الحكاية الثانية؛ واصداره
جميع الجيش طعاما وشرابا بتناوله من جنبه كل ذلك ممكن؛ ولكن الاصل
بقاء سنة الكون على ما هى عليه؛ ونحن كما امرنا بالانصياع لشريعة
الكتاب المنزل امرنا ايضا بالانصياع لسنن الكون؛ وهذا هو اصل ديننا؛
ولا ننقل عن هذا الاصل الا بوقوع غيره وقوعا محققا او مظنونا بما
تثبت به المعلومات؛ واين السند الذى يثبت به هذا؟ على ان امثال هذا
الشيخ رضى الله عنه يمكن ان يقع منه مثل ذلك او اكثر؛ وقدرة الله لا
يتعاضدها شئ؛ ومثل ذلك متواتر عن امثاله قديما وحديثا؛ لا يتوقف فى
امكان وقوعه الاغبي جاهل؛ او من يكفر بقدرة الله تعالى؛ لكن المحدثين
يوثمون من اطاع امره فى مثل دخول القرن؛ لحديث لاطاعة لمخلوق فى
معصية الخالق؛ الوارد فى مثل هذه القضية نفسها حين امر حذيفة من معه
فى سرية ان يتساقطوا فى نار امرهم بايقادها. هذا رأى المحدثين بل
رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى مثل هذه القضايا؛ ثم لا نفن بمسلم
عاقل ان يتخطى ذلك الا اذا غلب على حاله؛ وذلك ما يؤول به ما يقع
لبعض الصوفية فى هذا المقام. وبهذا تعلم ان لكل من المحدثين والصوفية
وجهة هو موليا استباقا للخيرات؛ وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا فى كل
قضية على حدة *

وثائق واقوال المؤرخين

قرأت معنى ترجمة الجد التي يتداولها احفاده؛ وتعال معنى لنسلك طريقا اخرى بين الوثائق التي بأيدينا وبين العبارات التي وجدناها لبعض المؤرخين . فلعلنا نجد في اثناء ذلك ما يثلج الصدر؛ او ينقع الغلة على الاقل لعلنا نقع فيما بينها على ترجمة الرجل الحقيقية التي يمكن لمن يعرف كيف يؤرخ الرجال باعمالهم ويوزنون بقدر افعالهم التي يمكن الاطمئنان اليها ؛ لادراك كنه هذا الشيخ منها ؛ فانا لواجدون هنا بصيصا من النور يعرف به من هو الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد؛ ان لم نجد النور الوهاج الذى يلقي الشعاع التام على حياته

١ - نسخة من رسم (بعد ما يندب تقديمه لافتراق المنافع به ؛ والام بيد سيدى محمد بن ابراهيم الغرموزى الكرسيفي؛ قال فيه بعد الثناء على الله والصلاة على نبيه المختار تزوج على بركة الله وسنة نفيه عليه السلام المرابط السيد عبد الله الایمورى زوجه المباركة زينب بنت احمد بن ابراهيم الغرموزى بصادق معلوم غير مجهول سماه لها عنه وكيله على (بن حسين بن يورك) بعد ثبوت وكالته اياه بعد دفعه صداقها وهو خمس وسبعون دينارا فضة - كذا - قبضه وكيلها (قبض معاينة) وهو جدها عمنا الطالب محمد بن ابراهيم الغرموزى بوكالتها (بالنطق) اذ هسى ثيبة (لها طلبة) باثثة من الازواج واعتدت عدتها؛ وعلى امساک بمعروف او تسريح باحسان؛ وبه شهد وشهد من ساقته القدرة للحضور محمد بن الحسن بن عبد الله بجمادى الاولى سنة واحد وثمانين وتسعمائة؛ ابراهيم ابن ايوب فى هذا التاريخ .

الحمد لله تفكير؛ ما فى وجهى الاساوير خمس وعشرون دينارا ونصف دينار ودرهم وثلث درهم؛ واربعة خيوط مفصلين بادز - كذا - واربعة حروز . الحمد لله؛ جملة الجهاز للمجهزة المذكورة؛ وصداقها بمقلوبه ٦٨ حمد ٠٠٠ ابراهيم ٨ ٠٠٠ (١) ٧ دراهم وذلك (١) ر بلاقسم ابراهيم من دين زوجه فاطمة بنت عبد الله ٣٤ درهما انتهى ما ظهر وتبين لنا نسخة من اصله بالاولا وكتبه من شهد فى المقابلة والمماثلة من غير زيادة ولا نقصان والله اعلم؛ باواخر ربيع الثانى عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على بن احمد بن ابى بكر الغسانى وفقه الله تعالى)

هذا ما وجد مع بياضه الاصلى وقد ابقينا من البياض ما لم نهتد لفهم الساقط منه؛ واما ما اهتدينا اليه فقد وضعناه بين قوسين؛ واما قولنا

كذا بين عارضتين فهو ازاء كلمات لم نعرف المقصود بها؛ او لم تتضح لنا غاية الوضوح . وقد رأيت في آخر الرسم ما يظهر منه انه بقية كلام سقط من المنسوخ منه اصالة؛ وهو تنمة كلام فيه وصف الجهاز وقد تنبه لذلك من نقل عن الاصل فاعتذر بما رأيته .

٢ - فحامله المرباط الخير السيد عبد الله بن سعيد التهاlesi الساكن بوادي ايمور ابقيناه على ما كتب له مولانا ابو فارس اعزه الله من اسقاط كافة التساخير المخزنية واكرياتها ويبقى على ما عهد له من الاحترام التام والوفار العام وعلى الواقف ان يعمل به ولا بد؛ وكتسب بجمادى الاولى عام ٩٩٩ هـ خديم المقام (١) ٥٠٠ (١) ثم في الطرة ما نصه المذكور بعرضه؛ لا تخرق عليه العادة؛ وكتب عبد الله مملوك مولانا نصره الله لطف الله به اه . كما نقل من أصله ؛ وقد سقط اسم الموقع للاصل واما ما في الطرة فهو بخط آخر لهذا القائد الذي سمي عبد الله؛ ولا شك ان هذا من قواد السلطان احمد الذهبي؛ وما ذكره في وسط الكتابة وسماه ابا فارس؛ هو الذي اشتهر من بين اولاد الذهبي ومن المتولين بعده؛ وقد كان قائدا لابيه على سوس في اواسط العقد العاشر من هذا القرن

٣ - الشيخ احمد بن ابراهيم سلام عليكم؛ وبعد فموجه ان الفقير المرباط السيد عبد الله بن سعيد من وادي ايمور تجرون امره على ما كتب اليه القائد احمد بن منصور حفظه الله في احترامه من السخر والا (نصافات والضيافات) والسلام عام ١٠٠٧ هـ كتب به عبد الله تعالى ٥٠٠٠ لطف الله اه كما وجد؛ وقد وقع فيه بتر في المحل الذي تركنا فيه البياض

٤ - ابقينا الفقير المرباط السيد عبد الله بن سعيد على ما كتب به القائد احمد بن منصور في احترامه من جميع السخر والضيافات وسائر الانصافات والسلام وكتب به اواخر رجب عام ١٠٠٧ هـ عبد الله تعالى وكتب احمد بن ابراهيم التهالي لطف الله به

وفي الطرة ما نصه يبقى المرباط المذكور على احترامه من كافة الانصافات والضيافات يبقى على توقيره واحترامه على عادة امثاله المرباطين وقيده عبد الله اوائل شعبان المعظم عام ١٠٠٧ هـ انتهى كما هو؛ ويظهر ان القائد احمد بن منصور قائد عام على هذه النواحي واحمد بن ابراهيم التهالي رئيس آل تهايا؛ ولم نعرف الان القائد احمد بن منصور ولا احمد ابن ابراهيم التهايا؛ وما اضيع تاريخ بلادنا

هـ - ٠٠٠ وباطنا يفزع اليه من كان ملهوا فيغيته؛ ومكسورا فيجبره
ومن نزع الشيطان بينه وبين اخوته يداويه ؛ ويصلح بين الناس عامة ؛ مع
كمال اوصاف دينه ؛ ومن عسرت حاجته قدم في طلب قضائها فقصيت؛
ذو بركة في جميع احواله؛ وينبعه المريدون ويرشداهم من البلاد واقطارها
وجعل له ولاة الامور وقارا وجاها ؛ فابعدوا ساحته من مطالبهم كما حرروه
وعظموا حرمة من غير طلب ذلك منهم بل بمجرد علمهم انه اهل لذلك
فواظب على حالته كذلك حتى فارق الدنيا بالوفاة فترك اولاده متمسكين
بأوصافه سالكين سبيله ؛ على جهد الاستطاعة ؛ وهم ممن يستحقون التوفير
وان يدخلوا في جملة المتبعدين عن المطالبة بالوظائف المخزنية لبعدهم عما
فيه المستحقون للمطالبة بذلك؛ فترغب من امير المؤمنين المنصور بالله امام
وقته مولانا أبو العباس أحمد الشريف نصره الله تعالى وأيده ؛ أن يلحقهم بأمثالهم
في التحرير والخروج بهم عن المطالبة على عادته في اهل الخير والصلاح ؛
والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه
وسلم وبه كتب اعلاما به اصغر عباد الله؛ بأوائل رجب عام ١٠٩١ هـ احمد
ابن علي بن ابراهيم التوييتي لطف الله به

الحمد لله؛ الامر كما ذكر وان المذكورين تجردوا عن الناس وملابستهم
واستقلوا بالله وبانفسهم ؛ عازلين انفسهم عن سواهم؛ ولم ينسبوا انفسهم
لقبيلة بل مستقلون لعبادة ربهم وما فيه صلاح دينهم ودنياهم؛ وتركوا ما لا
يعنيهم ؛ اعلمكم به ابراهيم بن الحسن بن محمد بن علي بن داود
السملائي لطف الله به؛ ومحمد بن محمد بن عيسى لطف الله به .

الحمد لله الامر على الوصف المذكور حسبما ذكر شهد به كاتبه محمد بن
محمد بن سعيد السملائي؛ وفقه الله بهمه

الحمد لله اعلم بشبوته وصحته احمد بن علي بن عبد الله السملائي؛ لطف
الله به ؛ ومحمد بن علي بن عبد الله بن احمد بن الحاج عمرو السملائي لطف
الله به .

المرابطون المذكورون اهل التوفير والاحترام كتب العمل على ما رسم
اعلاه ٠٠٠ فيه أعلم بن محمد التمل به حيا وميتا ؛ وله الاعتناء بمصالح
المسلمين الى ان مات رحمه الله ؛ وقام اولاده بعده باقتفاء أثره ٠٠٠ بسلوك
طريقته؛ موثرين طريق المسكنة؛ ومحبين لاهل الخير والصلاح فيما ظهر ؛
والله يعلم ما تكنه الصدور ؛ وكتب اعلام العبيد الذليل؛ لربه الجليل أبو بكر
بن عبد الله التمانناري؛ كان الله له وليا ونصيرا وسمح له بمنه ويمنه؛ ومحمد
ابن عبد الله بن عمر التمل لطف الله به؛ وسعيد بن علي بن ابي بكر السملائي

لطف الله به في الدارين آمين وعبد المومن بن محمد بن علي بن محمد الدنيا
العصماوى وفقه الله بمنه؛ ومحمد بن احمد بن الحسن الجمارى لطف الله
به؛ ومحمد بن عبد الله بن عمر الساموكينى بمنكب ابى القاسم عفا الله
عبيد الله تعالى محمد بن احمد بن عمر من (فم الحصن) تاب الله عليه؛ وع
الله تعالى الحسن بن عبد الله بن محمد من فم (الحصن) لطف الله به آمين
وابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكرسيفى وفقه الله بمنه وكرمه آمين

هذه وثيقة جليلة وقعها كما ترى ثمانية عشر عالما من علماء القرن الحاد
عشر؛ وقد عرفنا بضعة منهم كعبد المومن الديباني عالم الغ في عصره؛ وابراه
ابن محمد بن ابراهيم الكرسيفى المذكور عنه انه كان من قادة الناس في عصم
ومحمد بن محمد بن سعيد السمالى احد العلماء العباسيين المشهورين؛ و
تزال آثار قلمه محفوظة؛ وجلهم نجهل تاريخه ومركزه في قومه؛ وان كن
نعرف حق المعرفة انه لا تعتبر الشهادة في هذا المقام؛ الا ممن كان لا يستأنا
حكمه؛ ويعلم منه انه ليس من المتحيزين في حكمه؛ فلذلك لا نشك انهم كل
علماء كبار في عصرهم ذلك. وكفى بشهادة ثمانية عشرة من الاكابر المرتضين
عند الناس علما وديانة.

ثم ان هذه الوثيقة قد وقع فيها بتر قليل في مفتحتها؛ وان كان ذلك
يضر لان المقصود منها امكن أن يفلت من ذلك البتر؛ وقد وجدنا هذه الوثي
بين وثائق التحريرات والظواهر؛ وقد حوفظ عليها بينها؛ وذلك ما يدلنا على
المقصود بها هو الشيخ صاحب الترجمة الذى سقط اسمه فيما سقط من أول الوثي
وقد كتبت الوثيقة كما ترى في سنة ١٠٩١ هـ بعد وفاة صاحب الترجمة بك
ولكن كل هؤلاء أو غالبهم قد أدركوا عصره أو عرفوه معاينة ومصاحبة؛ وه
السلطان الذى رفعت اليه الوثيقة سمي في وسطها كما قرأته بامير المومن
احمد؛ وفي ذلك اشكال لان سلطان ذلك العصر اسماعيل. من سنة: ٨٢٠
هـ الى سنة: ١١٣٩ هـ ولا ندرى كيف وقع؟ فهل هذه الوثيقة رفعت الى اح
ابن محرز صاحب الثورة المشهورة على اسماعيل؛ او الى من اسمه احمد م
اولاد اسماعيل؛ ويكون قائدا عاما على سوس تحت نظر والده؛ وتكون لفظ
(ابن) ساقطة من قلم الكاتب؛ ذلك كله ممكن؛ وان كان يستبعد باعتبارات آخر
ويمكن ان الكاتب غلط في اسم السلطان فسماه احمد؛ وهذا الامكان ابع
وابعد؛ على انى الآن لا استحضر كيف حال سوس في سنة ١٠٩١ هـ وتحت
هذه النقطة الى تأمل طويل؛ ربما تتفرغ له بعد ان شاء الله؛ فنعلم هل احمد
محرز في سوس في ذلك العهد اولا

ثم اننى راجعت فوجدت ان سوس في هذا العهد تحت احمد بن مح
الذى لم يفتك به الا بعد ذلك؛ فهذه الوثيقة مرفوعة - اذن - الى احمد بـ

محرز بلا شك واما اولاد اسماعيل محمد العالم فاخوانه؛ فلم يولهم ابوهم على سوس بالتوالى الا بعد هذا الحين؛ على انه ليس فيمن تولى منهم على سوس من اسمه احمد

٦ - نقل من ام صحيحة بعد الثناءين؛ الحمد لله؛ صير سيدى عبد الله ابن سعيد المرباط من وادى (ايمور) لزوجته زينب بنت احمد بن ابراهيم الغرموزى من (الكريسيق) جميع الخمس المصحح له من بين اولاده الاربعة والامة والدار المعروفة بوادى ايمور فى البلد والبلاد (صح) الناطق والصامت تصويرا تاما قاطعا بالبيع الصحيح القاطع فى جميع حقوقها الواجبة لها عليه بل قبله؛ صداقا وجهازا بحيث لا رجوع أبدا عليها فى ذلك بسببه؛ وعرف قدره من شهد عليه من اليهود به؛ وبحال كمال الاشهاد؛ تاريخ أوائل ربيع النبوى سبعة وأربعين وألف أحمد بن بلقاسم بن أحمد الكريسيقى لطف الله به وهو عدل ورضى لموته؛ بلقاسم ايضا؛ ما فى النسخة المنتسخ منها نقله بأول صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على بن ابراهيم ومعه فى النقل عبد الله بن على ابن أبى القاسم من نسبه تاب الله عليه آمين اه كما وجد؛ وفى قول الاصل بلقاسم أيضا اشكال؛ ولعله ابن بلقاسم فسقط (ابن)

٧ - منقول من ام صحيحة فيها بعد ما يجب تقديمه؛ وافق المرباط سيدى محمد بن عبد الله بن سعيد من ايمور وأخوه سيدى بلقاسم والدهما الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد فيما صيره لزوجته زينب بنت احمد من خمس ماله فى ديونها قبله صداقا وجهازا عليه فيما يطلق عليه اسم ماله فى الرباع والعقار وحازته باتم الحوز؛ وفقا تاما وبراآه فبرى؛ واشهد على اشهادهما وعرفهما وفى رجب عام ١٠٥١ هـ ابو القاسم احمد ابن سعيد الكريسيقى ومعهما موسى ابن عبد الله بن سعيد؛ لطف الله به فى الدارين؛ بالنبى صلى الله عليه وسلم ءامين ءامين؛ آخر شعبان عام ١٠٩٢ هـ موسى متم هـ

ثم يليه اعلم بثبوت مضمون مقلوبه اعتمادا على شهوده وبه كتب برسم الاعلام له فى مهل رجب ١١٠٢ هـ عبد المومن بن محمد بن على وفقه الله .

ثم يليه اعلم بثبوت وصحته على بن ابراهيم بن محمد بن احمد السملالى لطف الله به آمين . انتهى ما فى الاصل ونقله مقابلة ومائلة بلا ولا . سببه تعدد المنافع بتاريخ أوائل صفر عام ١١٣٣ هـ عبد الله بن على بن أبى القاسم الساموكنى؛ وقد صح النقل والمنقول منه قال مسن شهاده من أصله ابراهيم بن على بن ابراهيم الساموكنى؛ لطف الله به آمين .

٨ - يعرف شهوده المرحوم بالله السيد عبد الله بن سعيد بن حسين

من وادى ايمور معرفة صحيحة تامة ويعلمونه توفي رحمة الله علينا وعليه ؛
 فاحاط بميراثه زوجه زينب بنت أحمد الغرموزى وبنوه السيد محمد والسيد
 احمد وسيدى بلقاسم وسيدى موسى واماماس ثم توفيت زوجه المذكورة
 فاحاط بميراثها انها السيد احمد المذكور؛ لا وارث لمن ذكرت وفاته سوى
 من ذكر فى علم شهوده؛ محمد بن محمد بن سليمان من (ترسواط) واخوه
 عبد القادر وعلى بن يحيى بن على من النسب؛ وابن عمه ابراهيم بن محمد
 ابن على تحقق ذلك فى علمهم؛ وقيدت شهادتهم مسؤولة منهم؛ وقيد عنهم
 عارفهم باواخر ذى القعدة الحرام عام ١٠٩٠ هـ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم
 انكر سيفى وفقه الله ؛ وعبدالله بن على بن عبد الله الترسواطى؛ تاب الله عليه
 انتهى الاصل بمقابلة مماثلة باوائل صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على
 ابن ابراهيم الكرسيقى ومعه فى النقل عبد الله بن على بن ابى القاسم
 من نسبه ؛ تاب الله عليه

٩ - نسخة اصل من ام صحيحة؛ والاصل بيد السيد محمد الغرموزى
 لافتراق المنافع به؛ مفصلة الشيخ بلقاسم بن ابراهيم الكرسيقى الغرموزى
 مع ابنتى اخيه احمد بن ابراهيم زينب بنت احمد ايم المرباط سيدى عبد
 الله بن سعيد بوادى ايمور انتھالى ام السيد احمد بن عبد الله؛ وشقيقتها
 انعامية زهرة بنت احمد فى جميع ما اورثهما الله فى ابويهما المذكورين
 فى أكرسيق وأحوازہ ؛ والجرفه وأحوازها ؛ أرضا ومياها راكدا وجاريا ؛
 واشجارا؛ نوادر وديارا؛ و (قلاقل) - اى اطلالا - غامرا وعامرا؛ سهلا
 ووعرا ؛ مايسمى باسم المالية على تنوعه ؛ وسعايتهما بعد ان قبضتا منه
 خمسة وعشرين مثقالا ذهباً سداسيا جواديا (كذا) ثمانية مثاقيل من ذلك
 لزينب المذكورة ؛ زادت ذلك على جهازها المجهزة به من بين اخوتها ؛ واخذت
 فى ذلك الموصوف؛ فدان الارض بـ (اخرىك) والحدود من القبلة؛ المرباط
 السيد الحسين بن عبد الله اليوم؛ وجوفه (اى غربيه) ابو القاسم المذكور؛
 ويمينه الوادى وشرقه (اى الشمال) بنو احمد بن عبد الرحمن مع نصف
 الصنوة (اى نصف معلوم من حظ) الماء أمركز ؛ على العين بأعسلى اكرما
 ومفتاحة الارض بتسمتر ؛ وعزلا لذلك بين السيد أحمد بن عبد الله ؛ وذلك
 بحساب الناقد (اى المناقش الذى يناقش الحساب ويحرره) حتى عرف كل
 واحد منهما ما هو ماله وانفصل معهما فى ذلك - انفصالا قاطعا جميع
 الدعاوى والحجج؛ بحيث لم يبق بينهم الا مودة ورحمة؛ وقتلا فيه الاسترعا
 بالاسترعاء؛ المقدمة والموخرة وبه كتب من اشهده بذلك؛ بافتتاح المحرر
 عام ١٠٣٩ هـ (كذا) محمد بن عبد الرحمن الكرسيقى لطف الله به ءامير
 واحمد بن بوبكر بن ابراهيم من النسب ب لطف الله به ءامين واحمد بن ابراهيم

ابن محمد من النسب تاب الله عليه ءامين انتهى ما فى الام وقوبل باصله مقابلة ومماثلة حرفا بحرف بلا زيادة ولا نقصان؛ وبه نقل بثامن من ربيع الثانى عام ١١٣٣ عبد ربه سعيد بن على بن يعقوب بن ابراهيم الغشاني لطف الله به ءامين وعبد ربه احمد بن على بن محمد بن داود من شمس جدمانة اغشان لطف الله به ءامين *

الحمد لله؛ اعلم بصحة النقل والمنقول منه وثبوتهما مع عبيد ربه محمد ابن على الغشاني؛ وفقه الله آمين اه كما وجد

١٠ - ليعلم الواقف عليه ان المرحومتين الاختين الفقيرتين خالتي زينب بنت احمد بن ابراهيم واختها زهرة بنت احمد بن ابراهيم الغرموزي انهما تصدقتا على المرحوم الم رابط سيدى عبد الله بن سعيد من زاوية ايمور بجميع ما اورثه الله ورسوله لهما من ابويهما باكر سيف خاصة والله اعلم به؛ وكتب بعد الطلب؛ وذلك هو المعتمد عليه المعول عليه بذى قعدة عام ١٠٦١ هـ بلقاسم احمد بن سعيد الكرسي لطف الله به آمين *

اقول لعل لفظة ابن سقطت بين كلمتي بلقاسم واحمد فيكون الكلام هكذا بلقاسم بن احمد الخ *

١١ - اشهدنى سيدى عبد الله بن سعيد التهالى انه حضر لمحمد بن احمد العسرى - به عرف - البعيلى؛ حين دفع لابن سيدى عبد الله المذكور احمد ستة عشر مثقالا سداسيا من جهاز زوجته مريم بنت عبد الله؛ واستوفى ذلك منه برضى زوجته المذكورة وابراته منها ابراء صحيحا حالا ومثالا وشهد به بحال كمال الاشهاد وعرفهم سعيد بن احمد بتاريخ رجب عام ثلاثة وعشرين وألف انتهى من امها بعد المقابلة والمائلة؛ قاله ناقله بأوائل ذى قعدة عام أحد وثمانين وألف؛ عبد ربه محمد بن على بن احمد بن يعقوب امrch البعيلى السطحي غفر الله ذنبه؛ ومحمد بن عبد الواسع المرزوغى البعيلى؛ لطف الله به اه

١٢ - وكل واستناب الشاب الاكرم احمد بن سيدنا عبد الله بن سعيد ابن حسين التهالى صاحبه فى الله احمد بن عبد الرحمن من نسبه لينوب (عنه) ويعقد له نكاح زوجته المباركة المسعودة بنت (عبد) الله بن عيسى البعيلى وهى الشيب وفوض له فى (امرها ووكله) توكيلا تاما مطلقا عامما اقامه مقامه (فى كل ما يراه وظهر له) فى صحة وجواز انتهى

١٣ - شهد لدى السيد احمد بن بلقاسم بن احمد بن يحيى الكرسي انه حضر للم رابط السيد عبد الله بن سعيد من ايمور حين ذكر جهاز مريم بنت عبد الله البعيلى؛ وهى ام السيد عبد الله بن احمد بن عبد الله بن

سعيد من ايمور نهاية جهازها ستمائة اواق بين الذهب والفضة والحلي وغيرها تحقق ذلك فى علم شاهده بغير شك ولا ريب وقبل ذلك شهادته مسؤولة منه عارفهم بتاريخ اواسط جمادى الثانية عام تسعة وسبعين والاف احمد بن محمد بن عبد الله الكرسيقى وفقه الله؛ ومحمد بن احمد بسن بلقاسم بن محمد من النسب اه .

١٤ - المرباط الافضل سيدى عبد الله بن سعيد بن حسين التهاى مسكنا من تيطهاارين الساموكنى وطننا وتوفى بتيطهاارين يوم الاربعاء السابع والعشرين من ربيع الثانى عام اربعين والاف ؛ هذا ما قاله الرسمى فى كتابه (الوفيات) وهو قد ادرك بعض عصره .

١٥ - عبد الله بن سعيد بن حسين التهاى مسكنا الساموكنى وطننا كان رضى الله عنه رجلا فاضلا متصوفا مرييا للمريدين ذا كرامات وجهادات وعبادات وصالحات وظهرت له الكرامات وشوهدت له الخيرات؛ لقي اكابر العلماء؛ وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين؛ وارشدهم وسعى فى مصالحهم جهده وانتفع به خلق كثير توفى بمسكنه بتهالة سنة اربعين والاف

هذا ما قاله الحضيكى فى (طبقاته) عن صاحب الترجمة؛ وقد كتب عليه شيخنا يقول الكاتب عبد الله بن محمد الالغى من ذرية سيدى عبد الله بن سعيد هذا ما قاله الشيخ الحضيكى رحمه الله فى تاريخ وفاة سيدى عبد الله بن سعيد كذب محض لا شك فيه ان صح عنه هذا النقل فقد رأيت بعينى رسم تصوير سيدى عبد الله بن سعيد لزوجته خمس ماله مورخا بسبع واربعين والاف؛ ورسم موافقة اولاده فى ذلك مورخا بـ ١٠٥١ هـ وكذا نسبته لساموكن كذب ايضا ؛ هذا ما كتبه شيخنا على نسخة للحضيكى نقلته من خطه

استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك

اقول هذا كل ما توصلت اليه يدى مما يمكن ان تستخرج منه للشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ترجمة صحيحة يمكن الاعتماد عليها ؛ فلقد ألقت هذه المخطوطات الخمس عشرة ضوءا واضحا وضوحا ما على حياته التى نحن اليوم فى صدد جلوتها الى عين القراء ؛ فلنتبع هذه المآخذ المتقدمة مأخذا - مأخذا؛ لندرك ما تحتوى عليه نصريحا او تضمنا .

١ - فى وثيقة الزواج نعرف (اولا) ان الشيخ تزوج سنة ٩٨١ هـ بزوجته زينب الكرسيقية؛ ولكن لتتساءل هذه اولى زوجتيه ام ثانيتهما؟ لان ما بايدنا فى الوثيقة الاخرى رقم ٨ يدل على ان هذه انما ولدت له من

اولاده احمد بن عبد الله فقط؛ واحمد هذا هو الذى رأيت فى وثيقتى ١١-١٢
قد تزوج بمريم بنت عبد الله البعقيلية سنة ١٠٢٣ هـ واما محمد وموسى
وبلقاسم المذكورون فى الوثيقة رقم ٧ فهم من زوجة اخرى؛ قد ماتت قبل
ان يتوفى الشيخ لان الذين احاطوا بميراثه ليس فيهم من زوجته الا زينب
كما ترى ذلك فى رقم ٨ فان كان تزوجها اولاً فيمكن لنا ان نحزر مبتدأ
حياته على اقل تقدير فى نحو ٩٥٥ هـ لان خمساً وعشرين سنة ونحوها؛
هى اقل ما يحتاجه من كان لابد - بعد ان يحتلم - من ان يمر تحت يد شيخ
من شيوخ التربية ؛ يخدمه سنوات وقد تواتر انه كان عند شيخه يحيى
ابن عبد الله قبل ان يتزوج؛ وانه خدمه ما شاء الله حتى ليحكون انه غرس
بستاناً قام عليه حتى أثمر ؛ وأما اذا كانت هذه هى الثانية من أزواجه فلا بد
ان نقدر ولادته على اقل تقدير ايضا فى سنة ٩٥٠ هـ لان الزمان الذى
يحتاجه بعد أن تزوج الاولى فى العادة وفى الغالب ؛ لا يقل عن نحو خمس
سنوات على ما كنا قدرناه فى الزمن الذى يحتاج اليه فى الاتصال بشيخه؛
على الاعتبار المتقدم فسيكون له عند الزواج الثانى نحو ٣٠ سنة؛ وايا كان
فان ولادته فى نحو اوائل العقد السادس من القرن العاشر ولو كنا عرفنا
ان احمد بن عبد الله اكبر من اخوته هؤلاء لربما ترجح الشق الاول او لو
توصلنا بعقد نكاح الزوجة الاخرى التى نجهل اسمها واهلها كل الجهد
لأنجلت العقدة من اصلها؛ ولكن عقد نكاحها معدوم من ايدينا؛ ومن يتناول
الى المعدوم فقد يتناول الى المحال

هذا؛ وقد زعم العم ابراهيم - وقد سمعته بعد ان كتبت ما تقدم -
ان ترتيب اولاد الشيخ هكذا فاكبرهم محمد ثم بلقاسم ثم احمد ثم
موسى؛ وهو غير مدفوع عن معرفة ذلك؛ فان ثبت ما قاله فعليه ينبنى
هذا البحث؛ وقد ذاع عند غير العم ذلك؛ هذا وقد اخبرنى الفقيه سيدى على
من (اكرض افقير) من اهلنا ان نساء سيدى عبد الله بن سعيد متعددة ؛
النهالية من اساكا واصان من تهالة ويعد اليوم من تجكالت ؛ وهى ام سيدى
محمد بن عبد الله ؛ والاقرانية وهى أم سيدى بلقاسم بن عبد الله ؛ وسيدى
موسى شقيق لاحد هذين ؛ وكذلك كانت هناك زوجة اخرى ساموكنية لاعقب
لها معروف ؛ ولا يدري من هى أم بنت الشيخ مماس ؛ قال : كنت رأيت هذا
مخطوطاً بين رسوم المرباط سيدى عبد الله بن محمد من ايت اووخا من
اكادير ايزرى؛ وهناك بيان اكثر مما هنا؛ قال الا اننى لم استوعب كل
ما هناك

(رجع) ونعرف (ثانيا) ان السادة الكرسيفيين هم اخوال احمد بن عبد
الله بن سعيد؛ واخوال اولاده؛ وان لنا معشر اولاد احمد بن عبد الله

بالاتصال بهذه الاسرة المباركة شرفا نيرا نستمد من ذى النورين جسد الكرسيفيين ثالث الخلفاء رضى الله عنه حقق الله فينا ذلك بالعلم والتفوى بفضلهم ونعرف (ثالثا) ان هذه السيدة الشيب التى ربما كانت للشيخ عيسى الله بن سعيد - ان تزوجها اولا - مثل ما كانت السيدة خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فلئن كنا نجهل معاملتها معه فى حياته - والاسرة قائمة؛ والفسرة موجودة بمرأى منها - فقد وضحت لنا نفسيته واخلصها لزوجهها فيما تصدقت به على ورثته؛ كما ترى ذلك فى رقم ١٠ فلئن قيل انمسا ذلك مجازاة للشيخ بما صيره لها من الخمس الذى حازه بين أولاده الاربعة؛ حين خمس ماله بينه وبينهم فى أواخر حياته كما فى رقم ٦ نقول لكن هل يجزى بالاحسان عن الاحسان الا المصطفون الاخيار؟ ثم ان فى وصفهسا هى واختها زهرة بالفقيرتين لاشارة الى انهما اختارتا مسلك الشيخ الصوفى . ونعرف (رابعا) أنها تأخرت وفاتها عن وفاة زوجها لما رأيته من عدة الورثة فى رقم ٨ كما نعرف ايضا انها توفيت قبل سنة ١٠٦١ هـ ضرورة ان الرسم الذى فيه الادلاء بهذه الشهادة؛ كتب فى السنة المذكورة وعبر فيه عنها مع اختها بالمرحومتين؛ ولا يطلق هذا الوصف الا على المتوفى فى العادة؛ هذا مانستنتجه فيما يتعلق بالسيدة زينب زوجة الشيخ وجدتنا العليا ٢ - فى الوثائق الموضوعة تحت رقم ٢ ورقم ٣ ورقم ٤ ورقم ٥ فوائد شمتى؛ منها نستفيدها وحدها وما كنا لنقع عليها لولاها؛ لان الالسنه وان كانت تلوك بعضها ولكن شتان ما بين ما تلمسه باليد؛ وبين ما تتوره بنظر عال من اذراعات (١)

اولا - نتحقق الان تلك المكانة التى كانت للشيخ فى زمنه ؛ وفى ربيع حياته؛ حتى رأيناه قبل سنة ٩٩٩ هـ يتمتع بها بين الاهالى حتى توصل بذلك الى الاستقلال بهذه الاحترامات الحكومية؛ فان سنة ٩٩٩ هـ تطلع على الشيخ قبل ان يطعن فى العقد السادس من عمره بل نشك انه اذ ذاك استتم ٤٥ سنة على ما تقدم وان المجد والشرف والسمعة الطيبة التى يكلل المرء بتيجانها فى هذه السن لتدل دلالة صحيحة على انه فى ريق شبابه؛ كسان يجتهد فى الارتقاء الى المعالى كل الاجتهاد؛ ثم ان هذه التحريرات المتعددة فى أيام سلطان واحد؛ لما يحمل على مجد يتزايد؛ فتتزايد الاحترامات والاكبارات من أجله .

على ان هناك فى عصر مولاي احمد الذهبى الذى افتتح بسنة ٩٨٦ هـ وانتهى بسنة ١٠١٢ هـ لنظرة خاصة الى امثال هؤلاء المتزيين بالصالح والتصوف فان رجال الحكومة اذ ذاك ينظرون اليهم نظرا شزرا ادى بكثير منهم

(١) تنورتها من اذراعات واهلها * يثرب أدنى دارها نظر عال

الى ان يلقى التنكيل والهوان ؛ فقد قرأت في وثيقة سقطت الى ؛ كتبها احد علماء جزولة يوم الاثنين الاول من ربيع الاول؛ سنة ٩٨٨هـ حين فتح مولانا احمد الذهبي هذه البلاد من جديد ؛ ونظمها تنظيما تاما ؛ ان السلطان امر ان لا يتخطى بالوظائف المخزنية احد من ارباب الزوايا؛ الا اولاد الشيخ سيدى بيورك بن الحسين الهشتوكى المتوفى قبل هذه السنة بنحو اربع سنوات ٩٨٣هـ والا اولاد سيدى خالد الكرسيفى؛ والا الشرفاء الكثريون والركراكيون والفلايون واولاد سيدى يعقوب والشرفاء المعلومون؛ واما من عداهم فيلحق بفमार الناس فى الوظائف المخزنية؛ وليس صاحب الترجمة واحدا من هؤلاء

هذا ما كان قرره احمد الذهبي سنة ٩٨٨ هـ ولا نشك فى ان هذه الفكرة انما اقتفى فيها والده السلطان محمدا الشيخ الذى نعهد منه سيلا طافحامن التنكيل بشيوخ من الصوفية الكبار فى زمانه ؛ فلهذا نعرف أن صاحب الترجمة ما كان لينال من رجال الحكومة هذا التوقير الجديد وهذا الاحترام الفائق لو لم يكن له حال كبير وسمعة طائرة؛ وشهرة ترغم صفحة ذلك السلطان الصلب الارادة على ان يلتفت اليه باعتبار جديد يستجده له بين ارباب الزوايا الذين ربما لا يزالون منزجين حينئذ فى غمار الناس ؛ وما يدرينا لعل السلطان الذهبي نفسه هو الذى رأى منه تلك الكرامة فى (دراووغ) التى كنا ذكرنا ان اهلينا يرونها عن الشيخ بالتواتر ؛ اذ يقولون انه اصدر جيش سلطان شبعاريا حين مروره هناك ؛ فلئن كانت هذه الكرامة كما يسميها اهلينا ؛ مما لابد أن تزيد فيها الالسنة ما يصيرها اقصوصة من الاقاصيص فلا نستبعد ان يرى منه هذا السلطان مثل ذلك فيتصل به الناس فيموهونه بما تشاء لهم اخيلتهم والسلطان الذهبي الذى نعرف من هو فى التاريخ؛ لا نظنه ممن يتنازل الى احترام ذى زاوية من جديد؛ واعلان تحريره ومحاشاته من بين ارباب الزوايا الذين سامهم ما سامهم؛ بعد ان سد هذا الباب واحكم اجاقته؛ الابياعث آخر جديد يحفزهم فلذلك نرى انه صاحب هذه القصة ؛ او الكرامة ؛ وانه هو الذى مر بمعطشة دراووغ حيث يتعرف به هناك الشيخ بما يحمله على ان يلتفت اليه التفاتة خاصة؛ وقد قرأنا فى الوثيقة التى ذكرناها ان الغ من منازل احمد الذهبي اذ ذاك؛ وقد مانه فيه الوقاويون والايغشانيون والحريليون؛ ولا يزال محل فى بسيط الغ يضاف الى سلطان ؛ ويقال له (اغرم اكليد) كما لا يزال محل مشرف على وادى ساموكن يضاف اليه ايضا ؛ ويقال له (اضار اوكليد) ويقول الساموكينيون الى الان ان هذا المحل الاخر يضاف الى احمد الذهبي ؛ وقد نزل هناك حين نازل حصن القبيلة الووكرضائية ؛ الكبيرة اذ ذاك ؛ وقد وجدنا فى تلك الوثيقة ذكرا لهذه الحرب المشبوبة بين الذهبي والقبيلة الووكرضائية ؛ وقد اجلاها اذ ذاك وشتت شملها والغالب ان هذا المحل المضاف الى سلطان بالغ هو منزل احمد الذهبي ايضا ؛ كما رأيت هذا

المحل الآخر هو الذى اضيف له ؛ فتعلم من كل ذلك ان احمد الذهبى يمكن ان يمر بدراووغ المجاور لالغ فى مروره الى منزله بالغ من منزله بافران الممدود ايضا من بين منازل فى تلك الوثيقة؛ ويمكن ان يصح بعض تلك القصة المتقدمة؛ وان تكون سبب اتصال صاحب الترجمة بالسلطان الذهبى وبرجال حكومته اذ ذاك ؛ فيتسبب عنه هذا الاحترام الذى رأينا آثاره فى تلك التحريات .

ثانيا - ندرك ان احترامه فى وسطه كان احتراما كبيرا ؛ وانه مانال ذلك بجاه او عشيرة؛ بل ادركه بتفانيه فى منافع الامة؛ فيسعى فى اصلاح ذات البين بين المتخاصمين ويجرى فى الامور العامة التى لا يابه بها الا من جعل الاخلاص رائده فى كل ما يزاوله؛ والمصلحة؛ ونفع العباد ايا كانوا نصب عينيه فيقبل على المعاطش ؛ فيؤسس فيها نطفيات تنفع غلات ابناء السبيل وقد جعل جل همه فى امثال ذلك حتى ان اثنتى عشرة نطفية اسسها فى محلات معلومة بين الفيافي والقفار وكان يسميها بناته؛ فكان مما اوصى به بشيه ان يحافظوا على بناته هذه بالترميم والتعهد حيناً بعد حين؛ فكان اولاده عندهم الوصية؛ فهذه ثلاثة قرون مضت ولا تزال هذه البنات موضع عناية هؤلاء الابناء البررة

وزد ايضا على هذه المهمة التى قام بها اذ ذاك ؛ انه كان يطوف بطائفة من مريديه بالبلاد لتعليم الدين؛ وارشاد العباد؛ واعلان كلمة التوحيد والترهيد فى زهرة هذه الحياة الدنيا الفانية؛ حتى لا يهتبل بها اكثر من الحاجة؛ وحتى لا تفسد العقيدة الدينية بها؛ فيستولى الشر الذى لا تتكون جرائمه الا من حماة الاتحاد فبهذه الاوصاف وما اليها مما نعهده من الصوفية المرشدين ؛ وصفه اولئك العلماء الذين وقعوا تلك الوثيقة الجليلة الموضوعة تحت رقم ٥ فقد ادرکنا بواسطتها ان كل مايقوله بنو الشيخ اليوم ويتخذونه محورالاشادة بجدهم الاعلى ؛صحيح كله؛ وان كانوا يقولون ذلك بلسان الاقاصيص وهؤلاء العلماء الثمانية عشر؛ اتوا بذلك على لسان الشهادة التى يعلم صاحبها ان شهادته ستكتب ثم يستل عنها غدا

اوليس ان اولاده يعلنون ان جدهم ما ترك لهم الا الدين وارشاد العباد اليه مع الاحتراف بطرق المعاش ؛ وانه نهاهم أن يسلكوا طرق ابناء الزوايا؛ الذين يالفون التكلف وجمع الزيارات ؛ مع نبذهم شارة الدين ؛ وتنكبهم محجبات اسلافهم المرشدين؛ فهذا ما يقوله ابناء صاحب الترجمة اليوم؛ وهذا ما وصفه به احد العلماء الثمانية عشر امس؛ وتلك - لعمري - منقبة افضل من كل المناقب فالاشتغال بالدين ؛ وسلوك سنن المهتمدين؛ والتعفف ورفع الهمة عما فى ايدي الناس والاحتراف بالطرق المشروعة فى المعاش؛ والمجاذبة بالتي

هي احسن فى المعترك الحيوى مناقب عظيمة؛ فايه منقبة افضل من هذه بالناس؟

سدا والله نعدم صفحة ذهبية من حياة الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد
لو كنا عدنا هذه الوثيقة الجليلة؛ فقد ارتنا كيف ينظر الى الشيخ من مختلف
القبائل المجاورة لتهالا بلدته والنائية عنها ؛ فالعلماء السماليون والايغشانيون
والاكماريون والساموكيون والتاماناريون والابسيون؛ كل هؤلاء قالوا ماراوه
وشاهدوه فى الشيخ ومن خلفه فى مقامه من اولاده؛ او رووا ذلك عن رآه
وشاهده فى الشيخ؛ وتحرى بعضهم ان لا يزيد على ما يشاهده؛ فقال هذا ما
فى الظاهر والله يعلم ما تكن الصدور؛ فالشهادة من امثال هؤلاء المتحريين
الذين يظهر انهم ممن يزنون مايقولون ؛ فلايلقون الكلام على عواهنه ؛ ولا
يجرون ذيل ظاهر الانسان على باطنه هي - والله - شهادة لها عند ذوى
الالباب مكانة مكيئة؛ ومقام له من السمو والاعتبار ما له .

كثير من الذين حظوا بالشهرة فى حياتهم؛ وظفروا بالسنة رطبة حول
ذكرهم ؛ لايكادون يرسمون ؛ وتنفض الايدى من غبار القبر ؛ حتى تبدأ تلك
الشهرة فى الاضمحلال ؛ ورطوبة تلك اللسنة؛ يدب اليها الذبول؛ ولكن
الشيخ صاحب الترجمة؛ مضى عن وفاته يوم كتبت هذه الوثيقة عقدان بل
اكثر؛ ثم جاءت هذه الوثيقة تعلن ان تلك الشهرة لم تزل فى الانتشار؛ وان
تلك اللسنة الرطبة؛ صارت لاجلها الاقلام رطبة بدورها فانت بما نقرأه اليوم
بعد قرنين ونصف ؛ فتنصور الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد من الافذاذ
الذين وقفوا حياتهم فى سبيل المنفعة العامة ؛ فلايكاد يرى ثلمة يتسرب منها
الى عباد الله ضرر حتى يبتدر اليها بكل ما اوتيه من قوة وعزيمة واخلاص ؛
ثم لا يفارقها حتى لا يكون منها لعباد الله الا برد وسلام

كنا عرفنا الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى معنيا باصلاح الطرق
وتسويتها فى الهضاب الصعبة ؛ واقامة الجسور على الاودية ؛ وتأسيس النطقيات
فى المعاش؛ فها نحن نرى ثانيا صاحب الترجمة؛ معنيا بمثل ذلك غاية
الاعتناء؛ فهل كان صاحب الترجمة يعرف الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم
التمنارتى فادرك منه ما لهذه المهمة من الاجل الجزيل؛ والذخر الباقي؛ ان
معرفة به لا تبعد؛ فقد كان زوارا للصالحين والعلماء؛ وقد الم الشيخ
الحضيكى فى ترجمته التى كتبناها تحت رقم ١٥ بهذا الوصف؛ وقد ادرك
عبد الله بن سعيد زمن التمرتى فان الشيخ التمرتى توفي سنة ٩٧١هـ وصاحب
الترجمة اذ ذاك ربما اوفى على العقدين او يناهز؛ ولما كان الشيخ التمرتى
علما جليلا طائر الصيت فى عصره؛ فما الذى يمنع هذا السيد الامى ان يتردد
الى زيارته ؟ وان يتخذ عنه هذه الطريقة المحمودة التى هي نفع العباد فى
مصلحتهم العامة وخصوصا حين يرى ان الكثيرين ممن ينتمون الى الخير والارشاد

لا يهتمون بمثل هذه المصالح العامة في الفجاء والقفار كما يهتمون بها فسي القرى والمساجد ؟ ولذلك لاستبعد ان هذه الفكرة انما اقتبسها صاحب الترجمة من الشيخ التمرتى مصلح طريق (تيسا) فى بعقيلة ؛ ومقيم الجسر على وادى الغاس وناصب النظفيات المتعددة المعلومة الى اليوم فى قفار شتى

ثالثا - نعلم هذه التحليلات التى يحل بها صاحب الترجمة فى هذه الوثائق من الوثيقة الاولى الى الوثيقة الاخيرة انه اى لا يحفظ القرآن فضلا عن ان يلم بالعلوم؛ لان هؤلاء انما يصفونه بالفقير المربط؛ ولا يوصف بذلك على العادة الا من كان له مقام فى الصلاح ؛ وظهرت عليه سمات خاصة ؛ واتسم بصفات تحمل كل من جالسه على ان يعترف بانه ليس من مطلق الناس فى الوجهة الربانية؛ التى ولى اليها وجهه؛ ثم ليس له من حفظ القرآن ولا من العلوم شئ والا فيوصف بالطالب ان حفظ القرآن لاغير او بالعالم ان كانت معه علوم؛ هذه هى العادة المستمرة؛ قلما تتخطى عند التحليلات؛ فكون هؤلاء لا يصفون صاحب الترجمة الا بالفقير المربط الصوفى نتحقق به ما عند اولاده الى اليوم من أنه اى لم يتشرف الا بالصلاح فقط ؛ ويزيد جيرانهم ان الشيخ واولاده الاولين ظهر صلاحهم بالامية ؛ وأن الاخيرين ظهر صلاحهم بالعلوم فهكذا عرفنا أن أحفاد الشيخ عندهم من أوصاف جدتهم ما ليس بقليل؛ وأنهم وان ادخلوا فى ترجمته فى اسماءهم ما يشبه الاقاصيص ؛ فان الحقيقة فيها لا تزال واضحة وضوح الشمس ؛ ولذلك نعتد على حكاية أخذناها عنهم وان لم نجد لها فى هذه المستندات حلقة نتمسك بها ان تطلبنا النص الصريح يقولون ان الشيخ وان كان أميا يحب اهل العلم وينحاش اليهم

ويستشيرهم ويعنى بما يعنون به وهذا الوصف نجده فى ترجمة الحضيكى ثم يقولون بعد ذلك فى تدعيم هذا انه كان من الواقفين على مدرسة (أوجو) حتى اسسها الفقيه سيدى سعيد الاوجوى المعاصر للشيخ (وقد توفى هذا الفقيه سنة ١٠٤٧ هـ) فجعل الشيخ نصيبا للمدرسة من الجيوب يؤديه كل سنة من صلب ماله ؛ ثم أوصى اولاده بعده بالمواظبة على ذلك ؛ فواظبوا عليه منذ ذلك اليوم الى الآن •

فهذه الحكاية المدعمة بهذا الفعل المتسلسل الى اليوم ؛ مما يزيد لصاحب الترجمة درة أخرى غالية القيمة فى تاجه ؛ فقد عرفنا بذلك أنه ليس من بعض الصوفية الذين يعادون العلم وأهله ؛ ويناصبونهم العداء خوف أن يفضحهم ويكشفوا الستر عن تمويهااتهم؛ فتراهم عند تشييد الزوايا يهرعون وعند تشييد المدارس يقبعون ؛ فدل ذلك أيضا زيادة على ماتقدم أن صاحب الترجمة واقف عند حده ؛ معترف لكل ذى فضل بفضله ؛ ولا يعرف لاهل الفضل الا ذوهه •

وما عبر الانسان عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل فى كل فاضل
فهذا ما أمكن لنا أن نعرفه صراحة أو استنتاجا من هذه الوثائق التى
كتبناها تحت هذه الأرقام ٢-٣-٤-٥ والحمد لله الذى يسر لنا ذلك حمدا
كثيرا

٣- فى الوثائق الموضوعة تحت أرقام ٦-٧-٨ نعلم أن أولاد الشيخ
الأربعة محمدا وأبا القاسم وموسى وأحمد قد بلغوا كلهم أشدهم فى حياة أبيهم؛
فاستحق كل واحد منهم أن يدير أسرته الخاصة بنفسه ؛ فالغالب أن والدهم
زوجهم جميعا كما زوج أخاهم أحمد على ما تراه فيما تحت رقمي: ١١ - ١٢
فسلك بهم الشيخ الطريقة التى يسلكها أولو الحزم فى الدين والدنيا ؛
الذين يتفون مشاكسة النساء المختلفات اذ يقسمون أموالهم لأولادهم قسمة
لاتصطدم وقانون الميراث الشرعى من عدم المساواة يفعلون ذلك
لأولادهم وهم لا يزالون فى الحياة خوف أن ينشأ أيضا بين أولادهم حول
الميراث بعدهم ما يتسبب عنه فساد ذات البين وانقطاع أواصر الرحم ؛
فهذه الطريقة هى التى سلكها الشيخ فخمس ماله بينه وبين أولاده الأربعة
وذلك الخمس الذى صار له ؛ هو الذى صيره لزوجته المباركة فى مقابلة كل
ما لها قبله ؛ وقد رأيت رسم ذلك التصيير ثم قرأنا فى رقم - ١٢ - موافقة
أولاده على هذا التصيير

مثل هذه الموافقة تهيؤ لما قد يطرأ بعد بين الورثة ؛ والا فالمال للشيخ وهو
لا يزال حيا ؛ فليفعل ببعضه بل بكله ما شاء ما دام صحيحا ؛ على ما يقوله
المالكية رحمهم الله ؛ ثم أن الموافقة انما حصلت من محمد وأبى القاسم وموسى
ولم يذكر فيها أحمد ؛ لانه ابن المصير إليها ؛ وهو الذى سيؤول إليه هذا
المال متى هلك المصير لها لانها أمه ؛ وقد صار الامر كذلك ؛ فصار هذا الحظ
إليه وحده ولا وارث لها سواه كما ترى ذلك فى الموضوع تحت رقم ٨ ثم انه
تبين أيضا من ذلك أن للشيخ اعتناء بنائيل الأملاك على اختلاف أنواعها ؛ وهذا
ما لانشك فيه ؛ لانها مادة القوت الوحدة (١) فى هذه البلاد ؛ فكما أن له فى
أيامه أملاكا كانت له أيضا أملاك أخرى فى مختلف النواحي ؛ رأينا رسوم
بعضها واستمرارات تتعلق ببعض آخر ؛ ولخوف التطويل لم نضمها الى هذه
الوثائق المتقدمة ؛ ولأن كون الانسان ذا أملاك ليس بعجيب حتى نحتاج الى
الاستدلال على وجوده بوثائق تساق ؛ وإن كان غالب العامة وبعض الخاصة
من المتفقرين يحسبون أن الرجال الصالحين المشار إليهم بالإصابع الذين
يوصفون بالزهد والخير والاقبال على ما فيه منفعة العباد وارشادهم ؛
ويتصدرون فى منصة التربية للمريدين كصاحب الترجمة ؛ لايتأتى منهم

(١) وحدة بلا ياء وهذا وحيد كما يقال أيضا وحيدة .

الاشتغال ولو بما يحتاجون اليه ؛ مما اذن لهم فيه شرعا وطبعاً ؛ ولا يخفى أن هذا قول مافون لا يصدر الا من لا يعرف ماهو مدلول الزهد فى دين الاسلام ؛ ولا ما ينفع من المال ولا ما يضر ؛ ومثل هذا ينبغي أن تصك آذانه بقول أبى الدرداء ؛ وربما روى حديثنا ضعيفا اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ؛ واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا •

وبقوله أيضا : من فقه الرجل استصلاحه لمعاشه • وأن يصرخ عليه بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاصي نعم المال الصالح ؛ للرجل الصالح وبقوله أيضا على ما يروى عنه (ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته او آخرته لدنياه ؛ وانما خيركم من أخذ من هذه وهذه) أو كما قال فى أحاديث كثيرة فى الموضوع ؛ ويتلى عليه من سيرة النبی صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ ما عسى أن يقتنع به ان أراد الله به خيرا ؛ وقد ادى هذا الظن السيء غالب الناس حتى حسبوا ان كل الذين يشار اليهم بخير من المتقدمين ما وصلوا ذلك المقام الا برهبانية وانزواء ونقض للبدن ؛ حتى لا يضعون لبنة على لبنة ؛ ولا يوكئون على صرة ؛ ولا يفتحون عينا على عقار متائل ؛ فضلوا بهذا الضلال ضلالا بعيدا حتى أنهم متى رأوا فى أحد معاصريهم ممن ينتمون الى صلاح أو علم استصلاحا لمعاشه ؛ واشتغالا بما لا بد منه من دنياه ؛ لأكوه بالسنتهم ؛ ورشقوا عرضه بسهامهم ؛ ويتمضمضون فى أنديتهم بالتكلم فيه ؛ فصاروا يحملونه على المقياس الذى توهموه لمن سلك ذلك المسلك من الاخيار ؛ ومتى فسد المقياس ؛ فسد المقياس والمقياس عليه ؛ ورحم الله صاحب الابريز الذى أنحى على من يكتبون على ذلك تراجم الصالحين المرشدين ؛ اذ يتركون التكلم حول هذه النقطة ؛ حين يترجمون واحدا منهم ؛ فجروا القراء الى أن يخالوا ما ليس فى الواقع

اذن نأثل صاحب الترجمة املاكا لابأس بها ؛ تقوم بأوده ؛ وتكفى أسرته فكان من ذلك أمران أحدهما أنه لم يذر ورثته عالة يتكففون الناس ؛ بل ورثهم ما انموه فأدر عليهم خيرات حسانا ؛ وثانيهما انه غادر فى اولاده هذه العادة المحموده المتركة من التعفف والاحتراف بطرق المعاش المشروعة ؛ ومن الاعتماد على النفس اعتماد الاباة الذين يريدون ان تكون يدهم دائما هى العليا واليد العليا خير من اليد السفلى ؛ فرحم الله ذلك السلف ؛ وبارك فى هذا الخلف •

هذه نظرات فى الذى وضعناه تحت أرقام ٦-٧-٨ وقد بقى منها ما يتعلق بتعيين زمان وفاة الشيخ ؛ وسنعود الى ذلك فيما ياتى

٤ - فى الوثيقتين الموضوعتين تحت رقم ٩-١٠ نعلم بعض ما يتعلق بزوجه زينب الكريمية ؛ وقد المنا بذلك فيما تقدم ؛ وذكرنا أنها توفيت قبل ١٠٦١ هـ ونعلم أيضا أن أسرتها الغرموزية ؛ أسرة مجيدة مذكورة فى

قوامها فقد عبر عن أحد أفراد عائلتها بالشيخ بلقاسم والشيخ في عرفنا هو أمجاد الذي يرأس اخوانه ؛ ولا يمكن أن يرأس الانسان في هذه البلاد الا اذا تاهل للمرياسة تاهلا طبيعيا ؛ من ماله وعقله ومركزه الاجتماعي ؛ وقد رأيت أثر هذا الشرف في كثرة الاملاك التي تذكر في رقم ٩- الذي فيه المفصلة ونعمام أيضا ان هذه الاملاك الكرسيفية ؛ هي التي تصدقت بها زينب مع اختها على وريثة زوجها ؛ ان كانت الصدقة بعد وفاته ؛ أو على الشيخ نفسه ؛ ان كانت الصدقة في حياته ؛ لان الرسم على كل حال لم يكتب في حياتها ؛ بل هو استرعاء املاه من علمه على من حرر الرسم ؛ ثم ان الذي يشكل هو التاريخ الموجود في رقم ٩ الذي فيه ١٠٣٩ هـ فان هذا التاريخ غلط ؛ اما من كاتب الاصل ؛ أو من الناقل عنه وهو الاقرب لانه بينما هو يعبر عن السيدة زينب بلفظة ايم ؛ اذا به يأتي بهذا التاريخ الذي يدل على انه كتب في عصر زوجها الذي لا يزال حيا سنة ١٠٣٩ هـ وسيتجلى ذلك للقارئ حين يرى الكلام فيما يأتي على زمن وفاة الشيخ .

هذا ما يتعلق برقمى ٩ - ١٠ وهذه هي النظرات المتيسرة حولهما .

٥- في الوثائق الموضوعة تحت أرقام ١١-١٢-١٣ تجد ما يتعلق بزواج ابن صاحب الترجمة ؛ فقد اختار له والده كما هو العادة في الشرق أجمع ؛ أن يختار الآباء للأبناء ؛ كريمة من بعض الاسر الاماسينية البعقلية الشريفة ؛ وهي غنية كما يتجلى لك ذلك في الفضة والذهب والحلى التي جهزت بها السيدة ويساوى جهازها ستمائة اواق ؛ وهذا من مظاهر الثروة في بلادنا هذه ؛ والواقية في ذلك العصر؛ قيمة تساوى من نقد اليوم كثيرا؛ ولكل ناحية مقياس خاص في الثراء يعرفونه ؛ وهذا الاختيار مما يدل على سمو نظر صاحب الترجمة وعلو همته ؛ فانه لايسف الى غير الشرفاء الاعلين الامن ليس له شرف ولا علو همة ؛ فهل ينبج الابناء الا الاخوال ؛ اوليس اننا كثيرا ما ننشد هذا البيت :

والمرء لا يشبه الا ادخليس وكل ماقد كان فيهم الكيس؟(١)

أو ليس أننا نروى فيما بيننا هذا الكلام المأثور: خولوا أولادكم فقد خول صاحب الترجمة أحفاده ؛ فأنجبت هذه السيدة الاماسينية السيد عبد الله بن أحمد؛ الذي ستعرفه فيما بعد ان شاء الله ؛ فجاء نموذجا من أبيه أحمد؛ ومن جده صاحب الترجمة ؛ كما ستشاهد ذلك ؛ وقد توفيت مريم هذه قبل سنة ١٠٦٣ هـ كما رأينا ذلك في رسم مناداة لعبد الله بن أحمد على هالها الذي ورثه عنها ؛ ولا يورث الا الموتى .

(١) والمرء لا يشبه الا اخواله وكل ما قد كان فيهم فائه فيه

هكذا عرفنا ناحية اخرى من نفسية الشيخ باختياره الكرائم لاولاده
كما اختار لنفسه قبل تلك الكريمة الكرسيقية ؛ وهل يعرف المرء الا باختياره
قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلا على اللبيب اختياره

ثم ان في استنباط أحمد بن عبد الله بن سعيد ؛ لاحمد بن عبد الرحمن
من نسبه لدليلا لما سنستنتج منه حين نبحت عن اصل صاحب الترجمة؛ فيما
يأتى قريبا فانتظر فانا معك من المنتظرين .
هذا ما استفدناه تصريحاً او تضمناً من هذه الارقام الثلاثة ١١-١٢-١٣
زيادة على ما كنا استفدناه قبل منها في تلك النظرات السابقة .

٦- ثم في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقمى ١٤-١٥- المذكور فيهما
ما فى ترجمتي الرسموكى والحضيكي مع ما كتبه شيخنا سيدى عبد الله بن
محمد فوائد جلية ؛ منها ما استوفينا حوله الكلام فيما تقدم ؛ ومنها ما لابد
ان نقف ازاءه ملياً ؛ حتى نتوفر عليه .

اولا - نجد فى ترجمة الحضيكي زيادات فى الاوصاف على ما عند
الرسموكى؛ فبينما هذا لايزيد على قوله - الم رابط الافضل - اذا بالآخر يصفه
بكونه - رجلا فاضلا متصرفا مرييا للمريدين ذاكرامات وجهادات وعبادات
وصالحات ؛ ظهرت له الكرامة ؛ وشوهدت له الخيرات ؛ لقى اكابر العلماء ؛
وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين وأرشدهم
وسعى فى مصالحهم جهده ؛ وانتفع به خلق كثير ؛ فهذه الاوصاف الجلية التى
زادها هذا المؤرخ المتأخر عن صاحب الترجمة بنحو قرن على ما قاله المؤرخ الذى
أدرك عصره ؛ مما نكاد نقف ازاءها ؛ ونحن نرسم علامة الاستفهام ؛ لو لم نجد
ما يؤيدها من الاوصاف التى وصفتها به الوثيقة رقم -٥- التى وقعها ذلك اللبيب
من العلماء ؛ ومن الاوصاف أيضا التى لا تزال تتردد بين الالسنه الى الآن ؛
فان كانت تلك الوثيقة تقف عند وصفه بالارشاد والصلاح والسعى فى ذات
البين وما اليها من الفضائل التى يستحق بها المرء العامل ؛الذكر الخالد بين
الناس والثناء العطر من الاقلام ؛ فان فى السنة المحدثين نسبة كرامات اليه
أيضا ؛ فجاءت ترجمة الحضيكي جامعة بين الامرين ؛ وضاربة بكلا السهمين ؛
وهذا المزج نفسه بين آثار العلم وأثار التصوف؛ منه تكونت شخصية الحضيكي
والتحمت به نفسيته ؛ فان لم يكن عبد الله بن سعيد عالما فيكفيه شرفا انه
يزور اكابر العلماء ويدور عليهم ويحبهم ومن أحب قوما حشر معهم على أسلأت
اليراع أولا ثم فى مقامات المخشر ثانيا ؛ فهذه الاوصاف -اذن- التى زادها
الحضيكي على ما قاله الرسموكى ؛ ليس منفردا بها ؛ فقد وصفته تلك الوثيقة
أيضا بمثل ذلك أو أكثر فى بعض النواحي

ثانيا - ان صاحب الترجمة موصوف كما ترى بالتصوف وانه يخدم اكابر

الصلحاء ويزورهم والمقصود بالصلحاء هم الصوفية فأما كونه يخدم الصوفية ؛ فلم نعلم ممن اتصل منهم الا شيخه يحيى بن عبد الله التملى ؛ ولم نعلم انه اتصل بغيره ؛ وان كنا لانكاد نشك انه يزور أكابر الصوفية الذين أدرك أعصارهم كالشيخ أحمد بن موسى والشيخ محمد بن ابراهيم التامانارتي من الأكابر ؛ فضلا عن اقرانهم واصحابهما الذين يعدون اذ ذاك بالعشرات ؛ وكذلك لانعرف ايضا انه اتصل بأحد من أكابر العلماء ؛ وهم كثيرون جدا في ذلك العصر - الا ما كان من الفقيه سيدى سعيد الاوجوى الصوابى وقد تقدم ذكر ذلك ؛ ولكن الحضيكي حين قال انه لقي اكابر العلماء وصحب افاضل الصلحاء ؛ ودار عليهم زائرا وخدمهم ؛ لانظن الا انه تلقى ذلك عن الجيل الذى أدركه ؛ ولا شك أنه يدرك من يروون عن ادركوا الشيخ صاحب الترجمة بكثرة ومثل الحضيكي لانظن منه الا التثبت فيما يقوله أو يكتبه حسب علمه .

ثم ان التصوف الذى اتصف به صاحب الترجمة يظهر أنه تصوف عملي؛ مشيد بإقامة مصالح العباد؛ وبنصح المسلمين وارشادهم ؛ والسعى فى مصالحهم جهده - كما وصفه بذلك الحضيكي - وانه ليس بذلك التصوف الجامد الذى يحمل صاحبه على الانزواء فى قنن الجبال ؛ أو فى مغارات الاودية ؛ فحصل له بذلك نفع نفسه أولا ؛ بزجه نفسه فى جماعة المسلمين ؛ ويد الله مع الجماعة ؛ وبمشاركتهم فى كل ما يحسون به من خير أو شر ؛ وخصب أو جدد ؛ فيتجه لوجهتهم ؛ ويضع همه بين همومهم ؛ ولا خير فيمن لايهتم بأمور المسلمين .

ويظهر - ايضا - ان التربية للمريدين الشائعة عنه حتى انتفع به خلق كثير كما قال الحضيكي ليست بالتربية الاصطلاحية عند القوم ؛ كما فصلتها رائية الشريشى بل هى تربية ارشاد لكل من لقيه من العباد من غير ان يتخذ له سيما خاصة يتسم بها اتباعه ؛ وينحاشون الى حظيرتها وحدهم ؛ كما هو الغالب على من ينتهجون طريقة التربية الاصطلاحية . وادل دليل على ذلك اننا لم نر من ينتسب اليه من اشياخ الجيل الذى درج وراءه ؛ وما كان الرسمىوكى الذى أدرك عصره ليستك غالبا عن ذلك لوكان ؛ مع اننا راينا انه وصف بذلك الشيخ سيدى محمد بن احمد الحريبي المتوفى سنة ١٠٢٠هـ والشيخ سيدى احمد بن محمد السكراى المتوفى سنة ١٠٦٧هـ ولعمري ان هذا الارشاد العام من غير تقييد بسيما خاصة ؛ لهو الذى يوافق صاحبه محجة السنة البيضاء التى ليها كنهارها لايزيغ عنها الا هالك .

وقد دخل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوجده مملوءا بحلق وكل طائفة حلقت على كبير من الصحابة فعلاهم عمر بالدرة ؛ فامرهم بالاجتماع حلقة واحدة ؛ فقال لهم : اريدون ان يقال غدا اصحاب فلان واصحاب فلان ؟ هذا ماقرأناه فى مختصر تاريخ ابن عساکر

ولم نسقه بلفظه لطول العهد به ؛ وكأنه رضى الله عنه يتوجس خيفة مما وقع بعده فى المسلمين ؛ وكانهم لا يتلون قوله تعالى «ولا تكونوا من المشركين مسن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا» وقوله ايضا «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ليست منهم فى شىء»

فهذا الذى كان عليه الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد من اقوم طرق الصوفية على ان طرقتهم كما يقولون كالازهار ؛ تختلف الوانها وان كان الماء الذى تسقى به واحدا

وقد اخبرت ان الشيخ الوالد رحمه الله كان مرة فى مشهد صاحب الترجمة مع الفقراء فقال ان هذا السيد كان شغله فى عصره كشمغلنا هذا ؛ وكانت نظراته صوفية ؛ كما كانت نظراتنا بفضل الله كذلك او كما قال :

ثالثا - ان كلا من الرسموكى والحضيكى وصف الشيخ بأنه ساموكنى وطناء تهالى مسكنا ؛ سبق بذلك الرسموكى فاخذه عنه الحضيكى على عادته فى غالب التراجم انتى اخذها منه بعزو او بغير عزو ؛ فبقى ذلك مشكلا عند كل من يراه من اولاده لامور شتى ؛ منها ما يزعم من ان قبيلة ساموكن قبيلة منحطة فى انظار الناس فينسبون اليها حكايات واقاصيص جعلتها فى المجتمع كباهلة بين قبائل العرب حتى ان بعض من لا يستحيى جاء باكذوبة عن الشيخ الحضيكى ؛ فحواها انه سأل مرة انسانا عن هو امام مسجدهم ؛ فذكر له انه طالب ساموكنى فرعم ان الشيخ قال لـ اوصيكم بعد اليوم ؛ فان وجدتم طالبا (ولتيتيا) فذاك والا فتبلغوا بطالب (ازغارى) فان لم تجدوا الا اماما ساموكنيسا ؛ فأريخوا مسجدكم تلك السنة ؛ الى ان يتيسر لكم امام آخر فهذه الاكذوبة وعشرات من امثالها يتعاطاها سفلة الناس ورعاظهم وجهالهم فترسب بها هذه القبيلة فى انظارهم ؛ فاما ذوو العقول الراجحة فانهم يعلمون ان الناس سواسية ؛ وان بنى آدم كلهم كاسنان المشط لا يتفاضلون الا بالتقوى بل يزيدون اننا اذا نظرنا الى اقامة الدين ؛ والاقبال على استظهار كتاب الله ؛ ونبوغ بعض العلماء فينة بعد فينة ؛ وعلمنا ان هذا وامثاله مما تتسامى به القبائل وترفع به راسا عاليا يناطح الجوزاء فان لقبيلة ساموكن حظا غير قليل فى ذلك؛ فبماذا تفضلها القبائل الاخرى ياترى ؟ وهل يميل الى هذه الشوعية المقنونة الا ذوو الراى الفائل ولكن مع مدافعة ذوى العقول هذا الدفاع المجيد عن هذه القبيلة ؛ فان آذان الرعاع صم دونه حتى أنهم ليزعمون فيما يزعمون ان الفضلاء الساموكنيين انفسهم سرعان ما يتملصون من هذه النسبة؛ كلما وجدوا الى ذلك سبيلا فقلما يتغرب احدهم ويبقى على هذه النسبة ؛ هذا ما يتفوه به من لا يراعون الا ولاذمة وهذه بلاشك فرية اقتروها من سخافة عقولهم؛ والا فمن ذا الذى يتبرأ من نسبه وبلده وان كان ماكان .

لهذا يتبرأ أهلنا من أن تكون بينهم وبين آل ساموكن أواصر؛ وينظرون الى كل من لمزهم بذلك نظرا شمرزا؛ حتى ان من اراد ان ينزهم او اراد ان يداعبهم فانه يضرب على هذا الوتر الحساس؛ فاذا باحدهم يثور بشعور أو بغير شعور.

لازال اتذكر انني كنت مرة -وانا في طور البلوغ- في دار الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم الغشاني؛ فضاكني وداعبني فلم ينشب ان لمس هذه النسبة فتاورته في ذلك؛ وانا كنت اجهل ماوراء الاكمة؛ فقام رحمه الله الى الحضيكي فاراني هذه الترجمة؛ فاطرقت حياء فلم اجد ما اقول؛ فصرت ادافع -اذن- عن الساموكنية؛ ولكن مضضا في نفسي أحس به يخزني وخزا؛ وغرارة الشبيبة لا تزال تنشب في التعصب الممقوت؛ ثم انني بعد ذلك بكثير قرات في تاليف الاستاذ مورخ رجال هذا الجيل الماضي بسوس سيدي محمد بن احمد الرفاكي فسمح الله في أجله؛ انه بات ليلة عند الرئيس الحاج ابراهيم الغشاني؛ فكان هذا اراد ان يستغفر ضيفه؛ فصار يعلي امامه شان مرابطينا السعيديين ويعرض في أثناء ذلك بالسادات شرفاء (تيمكيدشت) ويغمر نسبتهم الى الشرف؛ فلم يصبر الاستاذ أن قال من هم مرابطوك هؤلاء؟ وهل هم الاساموكنيون؟ فجاذبه رب مثواه في ذلك ماشاء الله؛ فاحتج عليه الاستاذ بالحضيكي؛ فاتي به فوجد الامر على ما قال.

هذا ماقرانه في كتاب الاستاذ حفظه الله ونحن نعلم ان ذلك منه انما هو حكاية عما وقع في ذلك المجلس ودفاع عن اشيائه؛ والبادي اظلم.

هذا بعض ما يروج حول هذه الساموكنية؛ ولا يعتمد ذلك كما ترى الا على الشعوبية الممقوتة؛ التي ينبغي ان تنطوى بين المسلمين.

ومما يحول ايضا بين اهلينا وبين قبول هذه النسبة ان ذلك لم يعرف قط ولا كانت عليه اثاره من علم؛ فيما روه عن آبائهم واجدادهم؛ فما عرف عندهم ان الشيخ صاحب الترجمة استوطن وادي ساموكن؛ ولا كان ما يدل عليه ولو توهموا؛ قالوا ان الجد لم يزل ساكنا بآيمورطوال حياته حتى اقبل فيه؛ وليس هناك في وادي ساموكن ما يدل على أنه كان نازلا فيه ولو حقة من الزمان فلا دار له هناك؛ ولا املاك؛ ولا ما ينسب اليه والعادة تقضي في البادية ان من الم بمحل وسكن فيه زمنا لا بد ان يدع فيه اثرا من الاثار؛ وليكن على الاقل دارا نزلها وحيث لا يوجد شيء من ذلك هناك؛ فلا شك ان هذا غلط من قائله ايا كان سواء قاله الحضيكي من عند نفسه او نقله عن غيره؛ وهذا الذي يقال للحضيكي يقال لغيره ممن سبقه الى ذلك؛ فقلما ينتقل الانسان من بلد الى بلد الا لاحد امور ثلاثة:

- اما جلاؤه عن ظلمة لا يحترمونه الى محل يجد فيه امانا على نفسه.
- وأما أن ينتقل الى أملاك تأكلها في مسكنه الجديد؛ فيجب أن يجاورها؛ وأن يكون استغلالها تحت نظره.

- واما ان يكون المنقول اليه بلدا فسيحا طيبا ينتقل اليه من بلد وخيم الهواء ضيق الرقعة يصعب فيه المرعى والمورد ؛ قالوا فبهذه البواعث الثلاثة ينتقل الانسان من بلد الى بلد ؛ وهى كلها منتفية ؛ فليس هناك فى ايامور من يضايق الشيخ حتى يحتاج الى النقلة منه الى ساموكن ؛ بل كان من الاحترام هناك فى المكانة التى يعطيه عليها كثيرون ؛ ولا كانت له فى ساموكن املاك تأثلها فاحبان يجاورها فلو كانت له هذه الاملاك هناك لذكرت بين الاماكن التى فيها عقاراته وقد راينا رسوم تبريجات احفاده بعضهم على بعض تتعدد فيها الاملاك المتنوعة فى امكنة مختلفة ؛ ولم يجر فيها ذكر لساموكن ؛ وكذلك أنت رأيت فى هذه الوثائق ما ذكر فيه بعض امكنة فيها عقارات للشيخ ولا ذكر فيها لساموكن افتقد ان الشيخ باع ما تأثله هناك بعد أن ملكه ؛ وهو من عرفنا منه التوسع حتى لا يحتاج الى بيع مثل العقارات التى تكون فى ذلك الوادى والعادة جارية ان عقارات الاودية آخر ما يباع من المتاع ؛ فبهذا كله يعرف انه لا اصل له هناك ولا عقار يمكن ان يحفره الى النقلة اليه ؛ وكذلك لا يمكن ان يحمله ايضا على مغادرة (ناهاالا) الى ساموكن فسحة أرجاء ذلك الوادى وصحة هوائه ؛ واتساع مراعيه مع ان الواقع ان ذلك الوادى عميق واضيق من سم الخياط ؛ واعمق من لهاء الاسد ؛ فلا يتلقى اهاليه الشمس على اعالي ابنتهم الا بعد متوع النهار بكثير ؛ ثم يودعونها قبل الطفل ؛ فى حين ان تهالا بلد متسع الارحاء منفسح المرعى ؛ لا يمكن ان يغادره ذولب باختياره ليزج نفسه فى ذلك القبر العميق قالوا فبهذا يدرك معنا كل متامل انه حين انتفت هذه الاسباب التى بها غالبا ينتقل من بلد الى بلد ؛ ينتفى كذلك المسبب ضرورة ان المسببات تنتفى بانتهاء جميع اسبابها .

قالوا قد راينا انه حين تزوج عام ٩٨١هـ وصف فى عقد النكاح بنسبته الى ايامور ؛ ثم عاش بعد ذلك ستين سنة او اكثر ؛ على ما نعلمه فيما سياتى ففى أى وقت توطن فى واد ساموكن ؟ أقبل هذا الوقت ؟ فيستحق حينئذ النسبة فى رسم النكاح الى ساموكن ؛ مع انه لم ينسب فيه كما رأيت الا الى ايامور خاصة ؛ ام بعد ذلك وقد تزوج وولد الاولاد ؟ فما الذى يحمله - اذن على السكنى هنالك - والانتقال باولاده اليه ؟ الاتلك الاسباب التى ذكرنا انها هى التى بها ينتقل الانسان - غالبا - عن بلده ؛ فقد راينا انها كلها انتفتت افلا ينتفى كذلك المسبب ؟

قالوا عجا ! ايعرف غيرنا عن جدنا ما لانعرفه عنه ؟ مع ان اهل مكة ادرى بشعابها ؛ يستحضر كل واحد من اهالينا الذين يعدون بالمئات ابا عن اب ؛ الامكنة التى اسس فيها ما اسسه فى حياته حتى اننا لنعرف ما بين المهامه الفيج والقفار المترامية ؛ آثاره أثرا أثرا ؛ ثم ننسى شيئا مما وراء ذلك ؟ أفليس

الاصوليون المحدثون يقولون انما ورد عن طريق الاحاد ؛ وان كان مرويا عن عدول ضابطين ؛ وكان بمثابة ان يروى بالتواتر لو كان موجودا في الواقع ؟ ان ذلك مخدوش فيه بل ان بعض الاصوليين لا يقبله البتة ؛ اذ يعرف واحد من تاغاتين او من بعض قرى قبيلة رسموكة ؛ ان جدنا توطن وادي ساموكن ثم يخفى عنا ذلك جميعا ؟ ان هذا لعجب عجاب .

قالوا لا يسبقن الى ذهن القارىء اننا ممن يرمى تلك القبيلة بما يرميها به رعاونا او نأبى ان ننتظم نحن واياهم في سلك واحد ؛ فلسنا والحمد لله من ذوى الشعوبية الممقوتة ولا ممن يتصلون مما ثبت ؛ ولا ممن يتناولون الى مالم يكن ؛ فان آل ساموكن اناس فضلاء فيهم ما في الناس جميعا ؛ ذهب وخزف ولو صح اننا واياهم يجمعنا جذم واحد اوضح ان جدنا سكن بين ظهرانيهم لتلقينا ذلك بكلتا اليدين ولا بدينا له للناس اجمعين ؛ فاننا في شرف نفسي يكفينا عن كل شرف وراء ذلك ؛ ولكن الواقع ان هؤلاء الفضلاء في واد ونحن في واد فان ثبت ذلك بعد بما تثبت به المعلومات من الادلة والحجج والبراهين وتبين ان جدنا كان من ذلك الوادي فاننا ممن يتشرف بهم اهل ذلك الوادي كما تشرفت برسول الله صلى الله عليه وسلم عدنان .

قالوا اننا نرى الرسموكي وتابعه الحضيكي يقولان في الشيخ النهابي مسكنا الساموكني وطنا ؛ فهذه العبارة لانكاد ندرك لها معنى ؛ فلاندرى هل المقصود ان وطنه الاعلى هو ساموكن ؛ ثم اتخذ تهالا بعد ذلك مسكنا ؛ فان كان هذا هو المقصود وهو الاقرب ؛ فاننا نحتاج اولا ان نعرف اين ولد الشيخ واين مسكن والده لندرك مقدار ما لذلك من صحة ؛ ولكننا لانعرف على ما يقوله الناس الا ان الشيخ بنفسه هو الذي قدم من (تامدولت) ولا يمكن ان يقدم بنفسه ؛ مع اضافة ذلك له ؛ الا اذا بلغ مبلغ من يقدر على النقلة وجوب البلاد ؛ فحيث تواتر عند الناس انه كان في اكادير نتبسيست ؛ ثم بعد ذلك كان عند شيخه يحيى بن عبد الله سنوات ؛ ثم تزوج سنة ٩٨١ هـ في ايمور حيث عاش ستين سنة او اكثر ؛ ففي اى وقت يكون ساموكن وطنه ؟ كما قاله الرسموكي ؛ في حين اننا نرى نقلته من تامدولت فسكنه في اكادير نتبسيست ؛ فانقطاعه الى شيخه سنوات ؛ فتزوجه سنة ٩٨١ هـ هذه الامور كلها لابد ان تتتابع كما ترى وقد قدرنا لهذا الوقت كله نحو ٢٥ سنة ثم تلقى من ذلك اعوام الصبا فما الذي يبقى بعد ذلك ؟ حتى يستوطن فيه ساموكن استيطاناً يستحق ان ينسب له ؛ حتى يكون في مقابلة سكنه في تهالا الذي كان ستين سنة فاكثر وان لم يكن هذا مقصود الرسموكي بتلك العبارة ؛ فليت شعرا ماذا يقصد بها؟

قالوا فتبين لنا من كل هذا ان هذه العبارة لابد ان تكون غلطا من قائلها والحاصل ان اهلنا يابون بكل ما في امكانهم ان ينسب الشيخ الى ساموكن مطلق نسبة وان يكون به ولو مرور ما ؛ ويرد ذلك علماؤنا كما ترى في رقم ١٥ ما

كتبه شيخنا على هذه الجملة من كلام الحضيكي ان ذلك كذب محض ؛ فهذه الاجوبة التي ذكرناها تفصيلا ومددنا فيها القول ؛ واتينا فيها بالحجج والبراهين المنطقية تارة ؛ والخطابية تارة هي كل مايمكن ان يتمسك به من ينفي ذلك ؛ وقد سمعت غالب ذلك من اهاليها فنظمتها كما ترى .

اما انا فقد وقفت ازاء هذه المسالة ؛ موقف من لا يريد ان يسير الا بمصباح ينير ما امامه ؛ فقد فتشت واكثر التسمال عن مولد الشيخ ومكان منشئه ؛ ومقبور والديه ؛ علني ان اعرف ما استند اليه في هذا المبحث ولكنني لم ارجع بعد كثرة السؤال الا بخفي حنين؛ فعولت على ان ارجع الى هذه الوثائق نفسها لتعلمي اجد فيما بينها ما يفتح لي هذا الباب .

كنا قرأنا في الوثيقة الموضوعة تحت رقم ١- ان عليا عم الشيخ هو الذي كان وكيله عند عقد النكاح ؛ وقرأنا ايضا في رقم ١٢- ان احمد بن عبد الرحمن توكل في عقد نكاح احمد بن عبد الله عنه ؛ وقد ذكر كاتب الرسم أنه من نسبه ؛ فادركنا بذلك أن لأسرة الشيخ فروعا موجودة ؛ وأدركنا أن الشيخ ليس وحده ؛ ولكن اين يسكن هؤلاء الفروع ؟ فهل كانوا يسكنون الشيخ بايمور ؟ او كانوا في اكادير تنبسيست وانما يزورونه هناك عند امثال هذه الافراح كما تجرى به عادة ذوى الارحام ؟ لاندري ؛ ولا طارق الحصى يدري اى هذين كان كما لم نخرج ايضا بعد مراجعتنا لهذه الوثائق كلها من جديد ؛ الا بجهل مطبق عن هذه النقطة ولا يسترعى نظرنا الا ما عند الرسموكى الذى يدفعه اهاليها بما رايت .

اكثر التامل فخطر لي انه يمكن ان يجمع بين مايقوله اهاليها ومايقوله الرسموكى بتاويل كلامه .

ان اهاليها يقولون ان الشيخ كان في اكادير تنبسيست قبل ايمور ولم يكن في وادى ساموكن فقط ؛ وقال الرسموكى أن وطنه هو ساموكن ؛ أو ليس أنه يمكن أن ساموكن اذ ذاك كان يطلق على ما يعم اكادير تنبسيست؟ وهو في جواره ؛ فلئن كان الامر هكذا فان الرسموكى اذن صادق ؛ ولا اقرب من هذا التاويل والجمع متى امكن لا يصار الى الترجيح كما هي القاعدة الاصولية ؛ وايضا اننا نستبعد ان يلقي الرسموكى الكلام جزافا فيما هو بصده في كتابه ؛ وقول المؤرخين لا يطرح بسهولة خصوصا من عاصر وشاهد او شاهد من شاهد ؛ ومتى تناولنا كلامه هذا التاويل القريب فانه يمكن لنا ان نجتمع بينه بكل سهولة مع ما عند اهاليها كما ترى ؛ اوليس هذا مما يترجح ؟ فنذكر اذن- ان الشيخ ما انتقل الى ايمور الا قبل تزوجه بحقبة ؛ وكون عاقد رسم النكاح لم يصفه الا الى ايمور ؛ ولم يصفه الى مكانه الاصل ؛ لا يدفع هذا لان الانسان بمشواه الان ؛ لا بما درج منه على آن العقود لا يستدل بها الا فيما

سيفت له لاغير . واما ماسوى ذلك فلايستدل عليه بها وذلك معلوم عند كل فقيه

بهذا عرفنا وغلب على ظننا ان اصل الشيخ من اكادير نتبسيست كما يقوله اهاليها وتواتر عندهم ويدل عليه قول الرسموكى ان فهمناه ذلك الفهم الماضى ؛ واما نسب الشيخ ؛ فسترى امامك الكلام حوله .

ثم هانحن اولاء ترجع عندنا ان الشيخ كان فى اكادير نتبسيست ؛ قبل ان ينتقل الى ايمور؛ ولكن هل ولادته ومنشاه هناك ام كان فى تمدولت؛ كما يقوله اهاليها ؟ اننى ارجح فى هذه النقطة ان ولادة الشيخ ومنشاه فى اكادير نتبسيست ؛ وان الذى انتقل من تمدولت احد اجداد الشيخ؛ والذى رجح هذا عندى أن وقت جلاء تامدولت الشهير كان فى أوائل القرن التاسع اوقبله بدليل انهم يقولون ان الشيخ على بن يونس الاغشاني هو الذى كان سبب هذا الجلاء فى حكاية تحكى ؛ وعلى هذا كان حيا فى القرن التاسع ؛ وترجمته واخباره ينسبها النقلة الى الشيخ احمد بن عبد الرحمن المسجدادى المتوفى حوالى مولد الشيخ صاحب الترجمة ؛ ثم يظهر من ترجمته لعل بن يونس انه لم يدركه ؛ وحياة المسجدادى فى النصف الاول من القرن العاشر ؛ وقد توفى سنة ٩٤٨ هـ فهذا ندرك ان الجلاء التمدلتي كان قبل الشيخ صاحب الترجمة ولايمكن ان يكون هو بل ولاابوه من بين الجالين . فربما كان الجالى هو جده الادنى او الاعلى ؛ ويرجح عندنا ان الشيخ ليس هو الجالى بنفسه ؛ ان السنوات التى حزنناها له قبل زواجه وقبل اتصاله بشيخه يحيى بن عبدالله اقصر من ذلك واضيق ؛ ثم اذا اضفنا الى ذلك المقدار المحزور من عمره ماعاشه بعد فان ذلك يناهز نحو ١٠٠ سنة ولانعلم ان الشيخ عاش اكثر من ذلك حتى تزيد فى ذلك القدر المحزور سنوات اخرى يتأتى له فيها ان ينتقل من بلد الى بلد انتقالا يضاف له كما يقوله اهاليها .

هذا ما ترجح عندنا فى هذه النقطة والله اعلم ؛ واما ان نقول ان اصله الاصيل من ايمور ؛ بدليل وجوده هو فيه فهو ضعيف ؛ لاننا لم نجد لذلك دليلا مسموعا ولامعقولا ؛ الا ماكان من الاستصحاب المعكوس الذى هو ان نقول ان وجوده هو فى ايمور ؛ دليل على وجوداصوله هناك فهذا هو الاستصحاب المعكوس وهو ضعيف فى الاستدلال ؛ وكون التواتر عند اهاليها هو ان اصله من اكادير نتبسيست ؛ يكفى فى رد هذا المتوهم وخصوصا حين يتايد هذا الخبر التواتر بما قاله الرسموكى ، من ان وطنه من ساموكن وقد عرفت ما مقصوده بساموكن فيما تقدم على ما أولنا اليه كلامه ؛ وهذا منتهى ما أمكن لنا فى الموضوع ؛ والحمد لله . وقد كان أكادير نتبسيست من قرى ساموكن قبل أن يستلحقه آيت على المريضيون

رابعا - انك قرأت فى ترجمتى الرسموكى والحضيكى الموضوعتين تحت

رقمى -١٤-١٥- ان الشيخ توفي يوم الاربعاء ٢٧ من ربيع الثانى سنة ١٠٤٠هـ ثم قرأت بعد ذلك انتقاد ذلك لشيخنا اللفى حفظه الله مستندلا بما فى رقمى -٦- و -٧- من رسم التصوير المورخ باوائل ربيع النبوى سنة ١٠٤٧هـ ومن رسم الموافقة من اولاد الشيخ على هذا التصوير المورخ بربح سنة ١٠٥١هـ وماخذ مذهب اليه شيخنا فى ذلك ان الرسم الاول يظهر من لوائى عبارته ؛ انه كتب حين الاشهاد كما يظهر ايضا من الثانى ان ذلك الابرار من اولاد الشيخ لايهم كتب فى حياته وان تاريخ الابرار هورجب سنة ١٠٥١م وان كان الرسم لم يكتب الا فى سنة ١٠٩٢ هـ حين طلب ذلك من الشهور فاملوه استرعاء ؛ وعينوا وقت وقوع ذلك ؛ فبهذا استدلل شيخنا وبهذا انتقد ان يكون الشيخ توفي سنة ١٠٤٠ وتكون وفاته على هذا بعد ١٠٥١هـ وقد كنا حزرنا ولادته فى ٩٥٥هـ فيكون عمره يناهز المائة كما ترى .

ثم اننا ان تتبعنا هذه الوثائق الماضية ؛ نجد ايضا فى التى وضعناها تحت رقم -٩- فى رسم المفصلة بين السيدة زينب زوجة الشيخ وبين آلهما فيما ورثوه عن آبائهم انه وصف هذه السيدة بايم الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ثم ارخ ذلك الرسم سنة ١٠٣٩هـ فكان فى ذلك غرابة ؛ لاننا نتيقن ان صاحب الترجمة فى هذه السنة لا يزال حيا ؛ وكيف توصف قرينته بايم وهذا غلط بلاشك ؛ ولا يعتورنا ريب فى ذلك ونظن ان هذا الغلط ممن نسخ من الاصل ؛ وكأنه اراد ان ينقل ١٠٥٩هـ فسبقه القلم فاستبدل -٣٥- او مثل ذلك

اذن فلم يبق بين ايدينا الا ما للرسموكى وما فى رقمى -٦-٧- فالتبادر هو ما ذهب اليه شيخنا الذى دل عليه ما فى هذين الرقمين ؛ لان من يبعد عن الانسان ؛ ولا يخالطه - كما كان ذلك من الرسموكى مع صاحب الترجمة اقرب الى الغلط من الموثق الذى يجعل بين عينيه تاريخ الوثيقة التى يكتبها وان كنا نستبعد ايضا باعتبارات اخرى عدم تثبت الرسموكى فيما تصد له من تحرير وفيات معاصريه ويتايد هذا الاستبعاد بالمعاصرة ؛ وبأن غلط الممتد الى مافوق احدى عشرة ؛ كثير قلما يقع للمتصدى لمثل ذلك ؛ ويتايد ايضا بانه عين يوم الوفاة وعين الشهر وذلك كله مما يدل على التثبت ؛ ولكن مع كل هذه الاعتبارات ؛ وهذه المؤيدات لقول الرسموكى ؛ لانزال مع شيخنا فيما يرجح عنده ؛ لان عبارات مافى وثيقة التصوير وما فى اختها اقوى اعتبار من هذه الاعتبارات الاخرى ولنقتصر اذن على انه توفي بعد ١٠٥١هـ ولنابق على ذلك الى ان يظهر لنا ما ينقلنا عنه ؛ واما الحضيكى فانها هو تبع للرسموكى فيما ذهب اليه ؛ نقول ذلك وان كنا نميل احيانا الى التردد حين يتجلى تشبه الرسموكى من جهة اخرى فتتجلى ؛ والله اعلم .

هذا ما يمكن لنا ان نقوله في وقت وفاة صاحب الترجمة ؛ وبذلك ندرك انه
معه حتى ناهز نحو ١٠٠ سنة رحمه الله .

هذه نظرات حول هذه الوثائق الخمس عشرة ؛ وقد بينا فيها كل ما
وصلت اليه بحوثنا ؛ وابدينا ما تدل عليه تصريرا او تضمنا ؛ ولم يبق لنا
الا كلمة اخيرة حول كلمة قرأناها في الوثيقة الموضوعة تحت رقم-ه- وهي
قول احمد بن علي بن ابراهيم التوييتي فيما خاطب به السلطان «فرغب من
امير المؤمنين المنصور بالله امام وقته ابي العباس احمد الشريف نصره الله
تعالى وايده ؛ ان يلحقهم بامثالهم في التحرير والخروج بهم عن المطالبة على
عادته في اهل الخير والصلاح والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى
بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم» فقد رايت انه قال بحق جدهم
المصطفى صلى الله عليه وسلم فما معنى ذلك ؟ امقصوده انهم شرفاء ؟ هذا ما
لم يدعه قط مرابطونا ؛ ولا سمعنا من ادعاه لهم او انما هي كلمة ارسلها
التوييتي على عواهنها ؛ وذلك ايضا بعيد ؛ ولهذا يحتاج المقام الى تأن وتبصر
حتى ندرك ما يرمى اليه هذا الكلام الذي وقعه ثمانية عشر عالما ؛ ولكي نعرف
ذلك ينبغي لنا ان نجول بابصارنا من هنا وهناك .

قرأت معي فيما تقدم ؛ البحث عن منشأ الشيخ واصله ؛ وقد استقر رأينا
اخيرا على ترجيح ما يقول اهاليينا من ان الاصل الاصيل من تاملدولت ثم لا يعرفون
ما وراء ذلك ولم اجد انا ولم اسمع شيئا آخر يمتد منه نسبهم ؛ الا ما كان
الاستاذ سيدي محمد بن احمد الاولوي الامنوزي اخبرني به منذ سنوات
انه رأى رسما كتبه بعض آل الشيخ قبله ؛ ذكر فيه النسبة الى الجعفرية
يعنى الى جعفر بن ابي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال انه رآه
في بعض السلات من جهتهم ؛ هذا ما سمعته لا غير ولكن هل لهذا من صحة ؟
فان اهاليينا بقوا جاهلين هذه النسبة الى الان ؛ ولم اعرف لها روجانا بينهم
قط ؛ الا ما كان من رسالة رأيت فيها هذه النسبة وهي مخطوطة بيد الاستاذ
العلامة سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله كتبها الى تلاميذه بابي مروان ؛ ولا
ادري من اين تسرب اليه ذلك ؛ بل ولا سمعت بعد عنه ذكر ا يروج حول ذلك
هذا كل ما خطر حول هذه النسبة ثم لم يتصل بذلك رواج بل ولا عرف له
مستند ؛ حتى جاء الاستاذ سيدي محمد بن مسعود العدري فصار يخاطب
بهذه النسبة شيخه الشيخ الالفي في قصائد ورسائل ؛ بل وسم بذلك قصيدة
نونية ستقرأها ان شاء الله في ترجمة الشيخ (هز الراية الجعفرية ونشر
النفحات العنبرية في المناقحة عن الطريقة الالفية بذكر بعض مالها من
المآثر السنية في كتاب الترياق المداوي)

وقد سألت شيخى سيدي سعيد التنانى عن استقى من عنده هذا الاستاذ

هذه النسبة ؛ ومن اين توصل بها ؟ فذكر عنه ان الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ذكر له أنه رأى ذلك فى طرة كتاب ؛ هذا هو مستقى ما يقوله الاستاذ ابن مسعود ؛ ثم عنه انتشرت اخيرا هذه النسبة فوصلت الى مسامع اهاليها فاما الذين عقولهم فى اصمختهم فانهم تلقوا ذلك كانه ثابت بما تثبت به المعلومات ؛ واما ذوو الالباب فلا يزالون فى ريب لان الانساب لا تثبت بمثل ما فى الطرة ؛ ولو كان الرسم الذى ذكره الاستاذ الامنوزى موجودا ؛ وتحققنا منه هذه النسبة لكان ذلك مثارا لمن اراد ان يظن هذا الظن - ومثل هذا يكتفى فيه بالظن - ولكننا لم نتوصل بهذا الرسم لنعلم ما هنالك ؛ لان هذه النسبة لو كانت صحيحة لما فرط فيها الاولون ولحافظوا عليها ؛ فنقول اذن فى حقهم الناس مصدقون فى انسابهم ؛ واما حيث لا يذكرون ذلك ولا يرفعون به راسا فلا مصير اليه الا بما تثبت به المعلومات ؛ لا بما وجد فى الطرر ثم اننى كنت سمعت ان هذه النسبة كانت مكتوبة فى جدار مشهد الجدة صاحب الترجمة ثم محيت ؛ ثم لادرى اكانت مكتوبة قبل تجديده فى اول هذا القرن ام لم تكتب فيه الا بعد تجديده ؟ ولهذا يضعف ايضا الاستدلال بها .

هذا كل ما عرفه رائجا عن هذه النسبة الجديدة وانا الى الان لم تبلغ عندي حتى درجة الوهم ؛ لانى استبعد ان يكون ذلك ثم ينسأه الاباء ؛ ولم يملأوا به مسامع الابناء مع أن كثيرين ممن انتقلوا من (تامدولت) عضوا على هذه النسبة بالتواجد وحافظوا عليها بالمحافظة على سلسلة انسابهم الى الامام جعفر ؛ وبتعهد ذلك بظاهئ الملوك ؛ كابناء على بن يونس الايفشانيين فلهم سلسلة نسب متصل الى جعفر ستراه عند ذكرهم ؛ واستبعد ايضا ان تكون هذه النسبة موجودة لعبد الله بن سعيد ؛ ثم تتخطاها تلك الوثيقة التى حشر فيها اولئك العلماء ما عرفوه .

ثم لقائل ان يقول ان هذه الوثيقة هاهى ذى تنادى بان جدهم هو المصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ فيكونون حينئذ شرفاء ابناء فاطمة من الحسن الى الحسين ؛ فاذا علقت صحة هذه النسبة بمثل هذه الوثيقة مع انها هكذا ؛ فلم لا يحكم بان الشيخ صاحب الترجمة شريف وان ذريته شرفاء ؟ اقول هنا لعمري ايراد له حظ من النظر . ولكن الذى يمنعنا من قبول ذلك ان مثل هذه النسبة لو كانت لما فرط فيها الاولون ؛ ولا علموا بها فى كل مناسبة ولراينا ظاهئ الملوك التى بين ايدينا عدة منها ؛ وقد ذكرنا منها اثنين فيما تقدم وسنذكر فى آخر هذه الترجمة سائرهما تصرح بذلك وتعلمه على عادة الظاهئ الملوكية فى ذلك ؛ وهذا كله جدير ان لا يقبل به ذلك القول الذى صدر من الفقيه سيدى احمد بن على التويينى فى تلك الوثيقة .

ثم لقائل آخر ان يقول اولم يمكن ان تفسر هذه النسبة الشرفية التى

ذكرت في الوثيقة هذه بانها هي النسبة الجعفرية ؛ لانها ممتدة الى زينب بنت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فكما انها ولدت الحسن والحسين ابني علي بن ابي طالب كذلك ولدت زينب بنت علي بن ابي طالب التي اولدها جعفر بن ابي طالب سلالة الزينية وهي مشهورة ؛ فما المانع ان يطلق علي هؤلاء الزينبيين ايضا ان جدهم هو المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ كما يقال ذلك في اولاد الحسن والحسين اقول ان لهذا القائل مغزى ساميا وقولا فيه مايلفت نظر المتأمل .

حقا ان قوله اقرب ما تؤول به قوله تلك الوثيقة وهذا القول على الاقل نجد فيما يروج اخيرا من يلوكة بلسانه ؛ وان لم نعتد عليه ؛ ولا كانت عليه لوائح البرهنة ؛ علي ان ابناء المصطفى اختصوا -عرفا- بابناء الحسن والحسين منذ القرن الثامن الى الان وهذا مما يستبعد به ان نهد ايدينا الى تقبل ما يقوله هذا القائل برمته .

يطرق آذاني فينة ان هناك نحو وادي ايسى شجرة نسب للشيخ صاحب الترجمة صارت الى بعض الناس هناك احتجتها ؛ ولم ادر؛ اهذا الذي يطرق آذاني صحيح او هو من بنيات الالكسنة ؛ وطالما حثت بعض الناس اليه لعلهم يجتهدون في التوصل بنسخة منه على الاقل ؛ لعلنا نجد فيه ما نخرج به مما يدور عليه هذا المبحث ؛ ولكنني بكل اسف لاجد الا كسلا واعراضا ولا حول ولا قوة الا بالله .

نخرج من هذا المبحث ؛ ونحن كما دخلناه ؛ شكا على شك في هذه النسبة وما دما لم نجد هذه الشجرة وذلك الرسم الذي يذكره الاستاذ الامنوزي فاننا لانجد الابابا موصدا امام نتيجة يتناول اليها بعض من لم يفهم شرف الاسلام العام ؛ وأبى الا أن يزج نفسه في الطالبيين ؛ ولا ندري ؛ فلعل الايام تصدق ظنهم ؛ فيقع لنا في هذا مثل ما وقع للاستاذ احمد بن خالد الناصري الذي اعلن الشك في نسبة الناصريين في الجعفرية في كتاب الاستقصاء ثم لم يلبث ان ظفر بما تقوى به عنده ماحداه الى ان يرجح هذه النسبة في كتابه (طلعة المشتري) .

هذا آخر ما تيسر تحريره فيما يتعلق بالشيخ سيدي عبد الله بن سعيد رحمه الله فقد بذلنا في ذلك جهدنا؛ واسهبنا بعض الاسهاب؛ علنا نتعرف منه نواحي غامضة ونحن نسلك طرق البحث التحليلي بقدر الامكان؛ ونتمسك بما رايناه صحيحا بالبرهان ونلقى ظهريا ما لاندعجه حجة .

وله من الاولاد من رايتهم فيما تقدم فاما احمد فسترى ترجمته ؛ واما محمد فدفن في (كاور) بمجاط ؛ واما بلقاسم فدفن في قرية (تيدلي) بقبيلة ايفشان واما موسى الذي مات بعد والده بلاعقب كما قاله العم ابراهيم ؛ ولم

يعقب كما اعقب اخوته ؛ فانه قال ان الغالب انه دفن في ايمور ؛ لان قبره لم يعرف كما عرفت قبور اخوته في اماكنها ؛ وقد اخبرنا شيخنا سيدي عبد الله انه راي رسما مورخا بنحو ١٠٩٨ هـ يتضمن وقف بعض ماله على ضريح والده قال وقد توفي موسى اذ ذاك في تلك السنة كما نبه عليه كاتب الرسم ؛ ثم ذكر انه راي مثل ذلك الوقت من زوج موسى ؛ وانه مورخ بسنة ١١٠١ هـ فدل هذا على ان موسى تاخرت وفاته كثيرا ؛ وانه لاعقب له مع انه متزوج لانه عزب كما هو متوهم .

اخبرني الفقيه سيدي علي بن صالح من اكرض افقيير انه راي في سلة سيدي بلا ارخا وهو عبد الله بن محمد من اكادير ايزري بين رسومه مايدل على ان ازواج سيدي عبد الله بن سعيد متعددت ؛ فالتهالية هي ام محمد ؛ والافرائية هي ام بلقاسم والكرسيفية ام احمد والساموكية لاعقب لهما يعرف ؛ وذكر ان اولاد الشيخ خمسة فزاد اثنين منهما موسى ؛ والخامس مان في حياة ابيه ؛ ولم يسم ؛ ثم قال ان التهالية من تاجكالت انتهى ماكتبه عنه ثم اننا كنا سقنا فيما تقدم ثلاث تحريرات من السلاطين ؛ فلنتبعها الان بكل ما تابعها وراء ذلك من الملوك الى الآن ؛ لتجتمع الفائدة في محل لمن ارادها

(٤)

ظهر السلطان علي ابودميعة النازروالتى حملته اولاد المرباط الصالح سيدي عبد الله بن سعيد التهالي من تظهيرين بيقون على عادتهم من التوقير والاحترام والتحرير التام ولايطالبون بسائر الوظائف المخزنية باسرها؛ وبه نوكد الابري بباعلي (١) بن الحسن وغيره وكتب بر رمضان سنة ١٠٦٣ هـ

عبد الله سبحانه
على

(٥)

ظهر في ايام السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل كتابنا هذا اسماء الله ؛ واعز امره ؛ واطلع في سماء المعالي شمس المنيرة وبدره بيد حامليه المرباطين سيدي صالح بن عبد الله ؛ وسيدي احمد بن علي ؛ وسيدي عبد الله بن موسى احفاد الولي الصالح سيدي عبد الله بن

(١) احسبه علي بن الحسن بن احمد بن موسى ولعله كان قائدا على جهة ايمور والغ فاستحق ان ينبه على ذلك

سعيد رحمه الله وقديس روحه يتعرفون منه بحول الله وقوته اننا جددنا لهم على ما يديهم ؛ من ظهائر سيدنا ومولانا اسماعيل قدس الله روحه ؛ وظهائر الملوك السابقين من قبله من التوقير والاحترام لهم ؛ ولجميع من تعلق بهم والواقف عليه يعمل به ولا يتعده والسلام في مهل رجب الفرد عام ١١٥٢ هـ وعليه طابع ليس بجميل ؛ لم نهند لقراءة ما فيه وقد ذكر فيه كماترى ظهائر اسماعيلية واعلمها هي التي تمزقت بين تلك الظهائر ولم يبق من بعضها الا طابع كتب فيه :
(وصيف المقام العالي منصور بن الرامي وفقه الله) وفي دائرته ما ياتسى (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت) ولاندرى من منصور هذا ؛ ولا من كان وصيفه من الملوك (ثم عرفت انه قائد من القواد الكبار في الجند الاسماعيلي وقد كان ولاء على سوس حينا) .

(٦)

ظهير حسنى

يعلم من كتابنا هذا اسمى الله مقداره واطلع في سماء الاسعاده وشموسه واقماره اننا بحول الله وقوته ؛ اسدلنا على المرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس ؛ اردية التوقير والاحترام ؛ وحملناهم على كاهل المبرة والاكرام ؛ وحاشيناهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ قالواقف عليه من خدامنا وولاة امرنا يعمل به ولا يجيد عن كريم مذهبه والسلام صدر به امرنا المعتر بالله في ٢٤ جمادى الثاني ١٣٠٠ هـ وفوقه طابع صغير فيه الحسن بسن محمد الله وليه .

(٧)

ظهير عزيزى .

يعلم من كتابنا هذا اسماء الله واعز امره ؛ واطلع في سماء الاسعاده وشموسه واقماره ؛ اننا بحمد الله وقوته وشامل يمنه ومنته جددنا للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس حكم ما تضمنه ظهير سيدنا الوالد المقدس بالله من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل المبرة والاكرام ؛ ومحاشاتهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ تجديدا تاما نامر

الواقف عليه أن يعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريمة مذهبه ولا يتعداه والاسرار
اصدرنا به امرنا الشريف في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦هـ وفوقه طابع في
عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه .

تحرير للقائد سعيد الكلوي الحاحي الذي كان قائدا عاما على تزنيته وم
اليها سنة ١٣١٥هـ .

مضمن كتابنا هذا اسعده الله يستقر بايدي حامله المرابطين الاخيار
معادن جواهر الاسرار السيد الكامل والمربي الواصل يتيمة عقد الاولياء
وخلاصة القوم الاصفياء سيدي عبد الله بن سعيد السوسي دفين زاوينة
بأيهور عمرها الله بذكره على ممر الدهور يعاملون بمقتضى حقهم من مزيد
التعظيم والاكرام وزائد التوقير والاحترام ؛ تمييزا لهم عن غيرهم من العوام
وتنزيها لساحتهم المطهرة عن ساءلها بصد ذلك او رام وامتنالا لامر الله
بتعظيم حرمانه التي هتكها من كبائر الاجترام وتنفيذا لحكم ما تضمنه مسا
بايديهم من ظهر سيدنا المقدس من انهم لايسامون بادنى تكليف ولايضامون
باقل توظيف وغير ذلك مما هو المعتاد من القيام بالخدمة المخزنية ؛ واداء
الوظائف الامامية من الهدايا والمواصلات ؛ سوى ما اوجبه الله عليهم من اداء
الاعشار لزاويتهم التي للعلم والتي للفقراء قياما بواجب التعاون على البر
والنقوى ؛ ونبذا لمنهى الاثم والعدوان ؛ فلامحيد لهم عن ذلك ولاسبيل لاحد
من العمال اليهم بوجه ولابحال ؛ هذا ونامرهم بالوقوف عند حدود الله سرا
وعلانية واقتفاء سنن سلفهم ؛ وان لاياتوا ماينافي الانخراط في سلوكهم
ونعهد اليهم ايضا بتوفيرهم -ظاهرا وباطنا- جزيل حقوق القائمين بامر
الدين وحماية حوزته ؛ الوارثين للجد الاكبر في طريقته ارباب الزاويتين
العلمية والفقراطية ؛ السيد البركة سيدي الحاج عبلا بن صالح بزواينة
تحت الحصن وولده الشيخ صالح العلماء وعالم الصلحاء الفقيه سيدي
علي بن عبد الله وحاشيته القربة وكذلك قدوة السالكين ومربي المريدين
الشيخ سيدي علي بن احمد الدرقاوي وحاشيته كذلك ؛ فان هؤلاء ممن وجب
عليهم القيام على ساق الجد في خدمتهم بحسب الاقتداء ؛ لماخصوا به من حلية
العلم وزينة الوقار ونشرهم في الناس بضاعتهم من النصح والعلم والاسرار
فبهذا استوجبوا من ولاة امور المسلمين ومن غيرهم السعى في خدمتهم ؛
والاجتهاد في قضاء اوطارهم وان لا يواخذوا بما يواخذ به عامة المرابطين من
مصالحهم المخزنية اوغيرها رعييا لمنصب العلم ؛ وذبا عن جناب حزب الهدى
وفريقه ؛ امن الله سيرنا من مخاوف طريقه وامدنا بنور توفيقه واعلم بهذا
من سيقف عليه من ائمة المسلمين بعد ان شاء الله ؛ في ٢٤ ذى الحجة عام
١٣١٥هـ ووقعه احمد بن محمد الكلوي الذي هو خليفة القائد سعيد ؛ وعفده

الايمان اذ ذاك والذي حرر هذا بقلمه الاستاذ محمد بن عبد الرحمن التامري الشهير بالدرقاوي ؛ وقد توفي سنة ١٣٤٠ هـ

(٩)

ظهير مجمدي لجلالة سلطان العصر محمد بن يوسف حفظه الله

يعلم من كتابنا هذا اسماء الله واعز امره ؛ اننا بحول الله وقوته وشامل
بمنه ومنته جددنا للمرابطين اولاد سيدي عبدالله بن سعيد النازلين ببلاد
مجاطة من سوس حكم ماتضمنته ظهائر اسلافنا الكرام ؛ قدس الله ارواحهم
في دار السلام ؛ من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل
المبرة والاكرام وحاشيناهم وعائلتهم من خدمة الطرق التي يكلف بها العوام
مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛
تجديدا تاما ؛ نامر الواقف عليه من عمالنا وولاة امرنا ان يعمل بمقتضاه
ولايجد عن كريم مذهبه ولايتعداه والسلام

صدر به امرنا المعتر بالله تعالى في ٦ صفر الخير عام ١٣٥٣ هـ وقد سجل
هذا الظهير الشريف في الوزارة الكبرى بتاريخ ١٣ صفر عامه الموافق ٢٦
مايو سنة ١٩٣٤ م محمد المقرئ وفقه الله ؛ وفوقه طابع صغير فيه محمد بن
يوسف الله وليه .

هذه هي الظهائر والتجريدات التي وجدناها في الموضوع ؛ وهناك رسائل
ايضا في تايد التحرير من القائد سعيد الكلوي يكتبها هو او خليفته احمد
بن محمد تركناها هنا اختصارا ؛ للاستغناء عنها بذلك المرسوم ؛ واما
ظهائر الملوك الآخرين فانها تمزقت حتى لم نهتم منها الا الى كلمات لاتسمن
ولا تغني من جوع ؛ ولا ثبت هنا ابياتا كنت قلتها صبيحة ٢٠-١-١٣٦٢ هـ
وقد بت هناك بايمور قصد زيارة تربة الجد

كيما نزور هناك خير مزور
جمعت شتيت مسرة وحبور
طي ابتهاج في الد هسيمير
فيه الجدود ثووا طوال دهور
كالشمس تشرق في طفاوة نور
والرشد صين من الهوى بالسور
ل المكرمات مشهر ماثور
اسماء من عمل لهم مشكور
ماكان خير مشيد مذكور

لله رحلتنا الى ايمور
عقدت يد الاسعاد منها رحلة
طويت جبال ثم اوداء بها
يحدو بنا الشوق المبرح للذي
حيث استفاض الدين منهم مشرقا
حيث المنابع صافيات للهدى
حيث استتب اساس اصلاح لكـ
عمل له الاخلاص مصفاة وما
شهدت لهم طرق اشادوا حولها

كانت معاشي ليس تسلم غيرها
 لله منك الهمة القعاء يسا
 علما لعصرك كنت ثمت خلفت
 فكذا يكون الصالحون وهكذا
 زدت الكرامة والتشرف والرضا
 وتفتت الابناء ما رسمت لهم

فإذا بها ضمنت صدور العير
 من كان مثل التاج في ايمور
 ايديك ما يبقى طوال عصور
 تشدى مناقبهم من المسطور
 ممن يدير دواليب المقدور
 ايديك من عمل رضى مبرور

هذا آخر ما يتعلق بجدنا الاعلى عبدالله بن سعيد رحمه الله ورضى عنه



سیدی احمد بن عبد الله الاغی

نحو ۱۰۰۰ھ نحو ۱۰۸۰ھ

نسبه

احمد بن عبد الله بن سعید بن حسین بن یبورك .
هذا ولد من اولاد جدنا الاکبر الذی قرأت ترجمته ؛ وقد رایت ان له اربعة
بنین هذا منهم ؛ وهذا هو جدنا آل الغ ؛ ومن نسله انتشر صلاح کثیر وعلم
غزیر ؛ ولكننا لم نعلم ایضا من اخباره علی الحقيقة الا بعض تتف تلقفنا
بعضها من السنة المحدثین والا بعض امور توصلنا بها من اثناء تلك الوثائق
التي قرأتها معنا ؛ ومن رسوم اخرى لانطیل بسوقها .

رايت فيما تقدم ان والدته هی زینب الکرسیفیه وان والده زوجہ نحو
سنة ۱۰۲۳ھ بهریم بنت عبد الله بن عیسی البعقیل التي ساقط اليه ذلك
الجهاز الذی ذکرنا انه ستمائة مثقال ؛ وهی ام ولده عبد الله بن احمد الذی
ستقرأ ایضا ترجمته فيما بعد ان شاء الله ؛ ثم انه تزوج ایضا بامرأة
اخری من آل (اغرابو) كما رایناه بخط الفقیه سیدی ابراهیم بن سلیمان ؛
وهذه الاخرة هی ام اولاده کلهم ماعدا عبدالله الذی ولدته الاولى .

وكان صاحب الترجمة ساکنا فی مسکن والده بایمور حتی انتقل الی الغ
بسبب لانه عرفه كما لاندري ایضا کیف اختار هذه القرية التي هی الی
الصحراء المقفرة اقرب منها الی العمران ولم یقع الینا فی ذلك الا هذه
الحکایة التي اخذناها جزافا كما نلقیها الیک جزافا

یقولون ان سیدی احمد بن عبدالله جاء یوما علی حمارة له ؛ وقد جلا عن
ایمور فنزل فی سفح الجبل الشاهق فی شمالي الغ ؛ فاجتمع علیه هنالك
الوقفاویون والایغسانیون والتاکانزیون والحربیلیون الالغیون ؛ فصارت کل
قبيلة تقترح علیه ان یشرفها بالنزول بین ظهرانیهما وانها قائمة به احسن قیام
فاتنبد الشیخ عنهم فصار رؤساء القبائل یتجاذبون الحدیث حول ذلك ؛
وکل یرید ان یستبد بالشیخ ؛ ولكنهم حین لم یتفقوا بمجاذبة الکلام ؛ شاور
بعضهم بعضا ؛ وکادوا یمیلون الی امتشاق الحسام لولا ان اسرع الیهם ذلك
السید المنتبد عنهم فهدأهم ؛ وربط علی قلوبهم بهیئته ؛ فامر باقامة صلاة
العصر ؛ وكان وقتها حائنا ؛ فاصطفوا وراءه ؛ وقد نبذوا ما هم فیه ؛ فما کادت

الصلاة تنقضى حتى علت في جنوبي مصلاهم ذاك ؛ طلقثان من البارود ترى
 مشنى فالتفت اليهم -وقد سلم من الصلاة- فقال لهم ماذا ؟ فقيل له ان هناك
 في قرية دو كادير رجلا صالحا كان مريضا . ولعله توفي الآن - والعادة ان
 الطلقثين لاتتابعان كذلك الا اذا حدث امر غير عادى فقال لهم ان الاولى بسنا
 الان ان نعتنم اجر الصلاة على هذا الرجل الصالح اولاً ؛ ثم بعد ذلك ننظر فيما
 اختلفتم فيه ؛ فقام يقدم ذلك الجماء الفقير ؛ فواروا الرجل الصالح سيدى
 احمد الفقير -وهو اسم ذلك السيد المتوفى اذ ذاك ثم لما نفقت الايدى من
 القبر وتمت سنة التعزية التفت الشيخ الى الحاضرين فقال لهم: انسى
 نازل فى هذه القرية المتوسطة بينكم جميعا ؛ فاكون كائننى نازل بين ظهرانى كل
 قبيل منكم ؛ فرضى من حضر بذلك ؛ وتفرقوا على احسن حال ثم ان ذلك
 المصلى الذى صليت فيه العصر ؛ لايزال يسمى الى الان (اكن نتاكرين) ويقولون
 انه سمى بذلك اضافة لتلك الصلاة العصرية التى صلت فيه اذ ذاك
 (شعب العصر)

ويقولون ايضا ان ذلك الصالح المتوفى سيدى احمد الفقير كان اهل القرية
 الحريليون الذين آووه للتبرك به وللتيمن بوجوده بين ظهرانيهم ؛ قالوا
 له وهو محتضر وهم حوله يبيكون لمن تتركنا وراءك ياسيدنا ؟ فاننا سنصبح
 بعدك فى مضيعة اذ نعلم منك مرشدا بارشاده نهتدى فى السبل ؛ فقال لهم
 لاهالكم لاتضيعون ؛ فلاندفون احمد الفقير حتى ياتى اليكم الله باحداً آخر .
 هذه هى الحكاية المتداولة المتواترة التى تذكر سببا لسكنى صاحب
 الترجمة فى هذه القرية ؛ ونحن لانرى فى كل هذه الحكاية مايعد مستغربا
 بل كلها فى دائرة الامكان ؛ وان كنا نرى فى بعض حواشيها ذيو لا ممانعه
 مثله فى الاساطير ولكن التاريخ فلما يسلم من امثال هذه الاهداب المذهبة
 السماعه

هكذا استقبلت قرية دو كادير هذا الرجل المبارك الذى يقود اليها بحمارته
 من الصلاح والعلم والدين والعمران مالا يقوده كثيرون ممن يقبلون الى
 مكان بجياد جرد عناق .

تلقى الحريليون اصحاب القرية ضيفهم بكلتا اليدين واستهلوا فرحا
 باختياره قريتهم الضئيلة دون تلك القبائل التى كادت تتناحر دونه ؛ فقاموا
 بقضهم وقضيضهم فبنوا داره ؛ وافسحوا له فى مزارعهم وحقولهم . فعيثوا
 له مواضع منها ؛ فاستقر باولاده فى القرية ؛ وطاب له المقام ؛ ولاشك انه
 بابتعاده عن ذوى رحمه بايمور يجد سعة وفسحة مما لا يمكن أن يجدهما بين ذوى
 رحمه ؛ ورحم الله عمر الذى كتب الى ابي موسى قل لذوى القربى يتزاورون
 ولا يتجاورون

ثم ان هناك حكاية اخرى تؤثر بعد ان استقر صاحب الترجمة بسدانه

الجديدة وبعد ان رأى من جيرانه الجدد اكبارا واحتراما ؛ لايراهما لو كان لايزال بايمور ؛ او ليس انهم اسسوا له منزلا بين منازلهم ؛ وجعلوا له حقولا ومزادع بين حقولهم ومزارعهم غير انهم بعد شهور كثيرة ؛ صاروا - كما يحكى الحاكون- يشاهدون منه مصائب تصيب بهائمهم وماشيتهم ؛ فكل بهيمة اوشاة افلتت الى حقوله او مزارعه لاتفلتها مصيبة عاجلة ؛ فتكرر ذلك مرات ؛ حتى اتتدى اهل القرية يوما ؛ فاجالوا القداح بينهم لعلمهم يقعون على دواء فقال ذو رأى منهم ان هذا السيد مادام يصاب ولايصيب ؛ وتفلت ماشية الناس الى حقوله ؛ ولاماشية له هو تفلت الى حقول الناس لايزال الامر كما ترونه ؛ والدواء الوحيد ان تجعلوا له ماشية كما لكم ماشية فلا بد ان تقع ايضا ماشيته فى حقولكم ومزارعكم غلطا ؛ فتساوى الكفتان فيزول ما ترونه لامحالة ؛ فاتبع اهل القرية رأى هذا الرجل الخبير ؛ فجمعوا ما بينهم صرمة من غنم ساقوها الى الشيخ ؛ فانقطعت تلك المصائب ؛ وعادت المواشى الى عاداتها ؛ فلم يسمع بعد بضرر الم بها ؛ هذا ما يحكى نسمعه لك ايها القارىء الكريم ؛ كما اسمعناه من هم اكبر منى ومنك ؛ ولك الخيار فى القبول والرد وما على انا كمورخ الا ان ابليغه اياك .

اخبرنى العم ابراهيم بن احمد ان الجدد سيدى احمد بن عبدالله ؛ كان فى عمره كله لا يهتم بتأثيل الاملاك من جديد بعد ماورثه عن ابيه ؛ قال ولم نر له رسما واحدا فى ذلك ؛ بل ما كان يهتم باقامة الزاوية بالغ ؛ يحمل الناس الى الانجاش اليها ؛ ولم يتأثر كل هذه الاملاك التى بايدى احفاده ؛ ولا اقام الزاوية وشانها كما ينبغى ؛ الا ولده على بن احمد ؛ واما والده احمد فقد تبلغ بما تيسر مكتفيا بذلك ؛ منحاشا الى المسكنة والانقباض ؛ هذا معنى ماقاله العم ؛ وكان هو وحده من صار اليه خبر من مضى من أهلنا ؛ وحين كان بهذه المثابة ؛ وكانت هذه شهادته فى صاحب الترجمة فلنكتف بها

رايت انه تزوج نحو سنة ١٠٢٣هـ والغالب ان يكون فى ذلك الوقت ابن عشرين اوفوقها بقليل او تحتها بقليل ؛ ولذلك حزرنا ولادته بسنة ١٠٠٠ وهذا هو الغالب ان يتزوج فيه الناس ؛ وان امكن ان يكون اكبر من هذا ؛ وان تكون ولادته قبل الالف ؛ وان كان الغالب ما حزرناه لانه اصغر من اخويه محمد وبلقاسم كما قيل وقد عرفنا انه أمى لا يشتغل بالقراءة التى يتأخر بها الزواج فى الغالب بهذه البلاد ؛ واما وفاته فلانكاد نهتدى الى وقتها ؛ ولم نجد على ذلك الا ما يفيدنا الوهم فقط ؛ فقد راينا ولده عبد الله فى رسم كتب سنة ١٠٦٣هـ ينادى فيه على من كان تحت ايديهم متخلف امه مريم بنت عبد الله بن عيسى البعقلى وقد توفيت اذ ذاك كما دل عليه ذلك الرسم تضمنا ثم لم يذكر فى ذلك الرقم ما يشعر بان والده توفى اذذاك ؛ وكذلك راينا لاختيه

محمد بن عبدالله بن سعيد ايضا رسما آخر كتب سنة ١٠٧٨هـ يشهد فيه اخوه محمد انه اقبط اخاه احمد بن عبد الله صاحب الترجمة - بعض ما كان لزوجه مريم في ايام والده - ولم يتعرض فيه لوفاة سيدى احمد؛ بل الذى يتوهمه منه القارىء انه لايزال حيا اذ ذاك وان هذا الرسم كتب فى مقابلته ولكن هذا انما هو وهم فقط؛ وايا كان فلم نهتد الى وقت وفاته تحقيقا واطنا الا ما كان من العلم ابراهيم ؛ فانه ذكر ان وفاته فى آخر العشرة الثامنة؛ ولذلك رايتنا وضعنا رقم الوفاة نحو ١٠٨٠هـ

ثم ان هناك حكاية اخرى ان ثبتت فان وفاته تتأخر ايضا عن سنة ١٠٨٠هـ وهى ان بعض المسنين ممن يجولون فى الاخبار حكى لى ان السلطان مولانا الرشيد مر بالغ بعد ماقوض دولة ايلغ وشنت شملها ؛ فطاف بجانب صاحب الترجمة بنىء - ولم يستحضر ذلك كما هو - فانس منه مصيبة حملته على تحسين ظنه به ؛ واكبار مقامه .

هذا ما حكاه لى هذا المسن فان صحح هذا فان وفاته وراء رجب من سنة ١٠٨١هـ لان الرشيد القى كلكله على ايلغ فى ربيع النبوى - كما وجدته مقيدا فربض فيها اربعة اشهر حتى خرب دار بودميعة ؛ ولم يدع فيها حجرا على حجر ؛ ولا سقفا قائما ؛ ولا بابا فى محله ؛ فيكون رحيله فى شهر رجب من هذه السنة ان حسبنا الاربعة اشهر ؛ فيكون مروره بالغ فى طريقه الى تارودانت فى اثناء هذا الشهر . هذا ما يمكن لنا قوله فى حين وفاته ؛ وذلك كما ترى وهم فى وهم ولم نخرج بعد كل هذا البحث الا بمثل ما دخلنا به من الشك فلو شاعت هذه الحكاية الاخيرة شيوعا يستثير الظن لاتكانا عليها فى طريقنا الى هذا الحزر ؛ ولكن كفى بها ضعفا أننى لم اسمعها الا من واحد من غير أهلنا ولصاحب الترجمة من الاولاد (١) عبد الله المذكور (٢) محمد (٣) على (٤) ابراهيم (٥) مسعود (٦) الحسن (٧) موسى . فاما موسى ومسعود فلا عقب لهما ؛ واما الحسن فقد عدا عليه اخوه ابراهيم وقتله فى ايام والده ؛ فخلف الحسن عقبا يسكن اليوم بايمور ؛ ولكونهم لم يرثوا جدهم صاحب الترجمة بسبب اعمامهم الذين حجبوهم ؛ لا يدكرون فى اولاد الشيخ ؛ ولا يتناولون من نذور مشهده حتى نسى انهم من اعقاب صاحب الترجمة .

ومن العجب ان العلم الذى هو ماهو فى انسابنا ؛ ومن املائه كتبت فى غير هذا الكتاب (١) جميع اعقاب صاحب الترجمة الى اليوم؛ لم يعرف عن هؤلاء انهم من اولاد الحسن بن احمد ؛ حتى نبهه الى ذلك ولده الاستاذ عبد الله بن ابراهيم ؛ استاذ مدرسة ايمور اليوم .

واما الباقي من اولاد الشيخ ؛ فهم (١) عبد الله (٢) محمد (٣) على (٤) ابراهيم فاعقبوا كلهم خيرا كثيرا .

سیدی محمد بن عبد اللہ

نحو ۹۸۰ھ نحو ۱۰۶۰ھ

هو اكبر اولاد الشيخ سیدی عبد الله بن سعيد ؛ ويذكر ايضا بالصلاح
وقد استقر في جهة (كاور) وله دار في كاور وفي (تلات غزيفن) وفي اكادير
(ازرى) ولا يزال الناس يرون من ضريحه حيث مشهده في (كاور) ما يدل على
ان له روحانية عجيبة ؛ ولها احوال غريبة ؛ وتقام عليه حفلات سنوية الى اليوم
وله اولاد كثيرون ؛ عقبهم اليوم في (اكادير ازرى) وفي (تركا اخضر) وفي
ايت (بوصحيب) ؛ (ادبران) وبعض اهل (اكرض افقير) وفي (تاكانزا) وفي
(انويدير) وفي (تأحاوات) وفي (دوتمنروت) بـ (أيت ولفا) وفي (ايمور)
وهم انمى من أبناء عميهم احمد وبلقاسم



سیدی علی بن احمد الالغی

نحو ۱۰۵۰ھ بعد ۱۱۳۰ھ

نسبہ

علی بن احمد بن عبد اللہ بن سعید بن حسین بن یبوروک .
کنت رایت فی ترجمۃ والدہ انہ لم یزد علی ان انتقل الی الغ ؛ ولم یتائل
فیہ مزرعۃ جدیدۃ بالشراء ؛ وانما اکتفی بما یدرہ علیہ ماتصدق بہ آل القریۃ
ولایزال حقل کبیر حول ہضبۃ (اوسایاک) ینسب لہ الی الان ویسمی اودری
ولعلہ ہو الذی تصدق علیہ بہ من الحربیلین ؛ کما لاتزال دارہ التی اسمہا
لہ من تلقوا نزولہ بینہم بکلنا الیدین ؛ مشہورۃ الی الان

خلف صاحب الترجمة والدہ ؛ فوجد لاهلہ امامہ ذیلا ممدودا من الاحترام
من جبرانہ ؛ فانم اللہ علیہ نعمتہ ؛ فزادہ شرفا الی شرف ؛ وقد کان آل
(تاکانزا) جلوا عن وطنہم بسبب ما ؛ فاستردہم الیہ بوجاہتہ ؛ وكان مقامہ
عند الحربیلین مقاما کبیرا ؛ وسترى فی بطاقة کتبہا الیہ عبد الرحمن الساموکی
فی شان آل سیدی احمد الفقیر - وقد نشرناہا فی ترجمۃ ہذا الاتیۃ - ذلک
الخطاب العظیم الذی یخاطبہ بہ امغار قبیلۃ ساموکن ؛ وقد وافقت ایامہ
العصر الاسماعیل الممتد ما بین ۱۰۸۲ ھ الی ۱۱۳۹ ھ فقد مر بنا فی رجمۃ
الجد ما یدل علی ان ہناک ظہائر اسماعیلیۃ لہذہ الاسرۃ ؛ ولان شک فی ان علیا
ہذا ہو الذی تلقاہا ؛ لانه رئیس الاسرۃ السعیدیۃ ؛ التی کان لہا فی زمنہ
مقام سام یمن جیرانہا ؛ وقد وقفت علی رسوم صدقات کثیرۃ ؛ من الحربیلین
الساموکیین وغیرہم لزایۃ صاحب الترجمة ؛ وان کان جل ذلک کلہ منسوباً
لوالدہ ؛ لیتأتی لاخوانہ أجمعین أن یتوصلوا منہ بحفظ ؛ وهذا مما یدل علی سمو
نفس ، وعلو ہمۃ ، وسلامۃ سریرۃ ؛ قال العم ابراہیم : ان ہذہ المعاریف (۱)
التی تقام علی مشہد سیدی احمد بن عبد اللہ من آل (ادای) و (تاجارمونت)
وامتفی و(تاکانزا) وغیرہم انما تنافس هؤلاء بها طلبا لعلو الشان ؛ کما
طابت ایضا نفوسہم بحبوب وثمار بکیل معلوم علی کل اسرۃ ؛ یعینون بہ
سنویا الزاویۃ الالغیۃ ؛ قال : وهو الذی حمی اکادیر نیت علی لآل مریبط ؛ وعین

(۱) حفلات الطعام العامة علی مشاہد المعتقدين والفرد معروف .

لهم صنجة يزنون بها ومكيالا يكتالون به ؛ ودعا لهم فيه بالبركة ؛ ثم لم يزل ذلك معمولاً به الى سنوات الاحتلال حين حدث الكيلو والعبرة الفرنسيان منذ عام ١٣٥٤ هـ وهو الذى حمى بسببه زاوية والده سيدى أحمد الالغية هذه ؛ والمساكن التى يسكنها صاحب الترجمة ازاءها ؛ وهاك رسماً مصححاً من تصحيف فى عبارته :

اتفقت جماعة اهل الجرفه الحربليون - وهم آل (تاكازرا) وجماعة بنى وفقاً وجماعة آل ايفشان ؛ على المصالح فى زاوية الشيخ الولي الصالح المرحوم بالله السيد احمد بن عبد الله بن سعيد المراتب بتظاهرين اصلاً ووجاراً ؛ وفى دار ابنه السيد على بن احمد بن عبد الله على امر السراق وغيرهم مما لا يليق بين المسلمين ؛ فجميع من سرق شيئاً فى هرة الشيخ وفى دار ابنه المذكور يعطى لضمان قبيلته اثني عشر مثقالاً ؛ كما يعطى السارقون من الحصون ؛ ومن سرق شيئاً ايضاً فى حوزة حرم الشيخ وساحته وفى حرم الدار يعطى ايضاً مثقالاً واحداً ؛ اتفقوا كلهم على ذلك اتفاقاً كلياً برضاهم رضا تاماً ؛ فكل من حام حول ذلك الحمى فلا يلومن الانفسه ؛ فى رجب ١١٣٠ هـ محمد بن محمد ابن عبد الله بن يوسف بن حسين الميمونى الايسى ومحمد بن احمد بن ايسى القاسم بن عبد الله من النسب اه بعد ما اصلحت فيه كلمات وهذبت عبارات

وهكذا تعينت الزاوية العليا وصارت لها حرمة رسمية بين جيرانها؛ فياويع من حدثته نفسه ان تمتد يده الى شىء منها ؛ ثم لا يزال الحال على ذلك الى زمن الاحتلال ١٣٥٢

كانت دار سيدى احمد بن عبد الله مبنية فى القرية السليمانية ؛ وهى لانزال الى الان شاخصة ؛ ثم لما دُفن سيدى احمد فى دار البرج كما كان اذ ذاك يسمى ؛ ونى عليه مشهد ازاءه مسجد ؛ بنى صاحب الترجمة داره ازاء المشهد ؛ واتخذها دار سكناه ؛ واختار تلك السعة لئلا يضيق على اخوته فى مساكنهم فى القرية السليمانية ؛ ولا يضيقوا عليه ؛ وهذا المشهد وتلك الدار هما اللذان رايت من الوثيقة المتقدمة ما جعلته لهما القبائل الالغية من الحرمة

اكننت لانزال تذكر تلك الوثيقة الكبرى المتقدمة فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد اتنى وقعها ثمانية عشر عالماً ؛ انها كتبت فى ايام صاحب الترجمة ؛ ويقلب على الظن أنه هو الذى طلبها منهم ؛ وانهم ما وصفوا من ذرية الشيخ عبد الله بن سعيد الا ما رواه من هذا السيد صاحب الترجمة ؛ وبذلك نستدل على ان له فى مصالح المسلمين سعيًا حثيثاً متواصلًا حتى يصح لسه الاتصاف بتلك الاوصاف العلية التى وصف بها خلف الشيخ ابن سعيد فى تلك الوثيقة .

ثم ان لصاحب الترجمة اربعة اولاد (١) بلقاسم (٢) محمد (٣) احمد (٤)

عبد الله ؛ وكلهم اعقبوا بعده كما سيمربك فيمن يصلح ان يذكر منهم ان شاء الله .

ثم اننا رمزنا لوفاة صاحب الترجمة بانها وقعت بعد سنة ١١٣٠ هـ والذي حملنا على ذلك ماتبيناه من التاريخ الذي في تلك الوثيقة المتقدمة ؛ ثم انه في سنة ١١٥٢ هـ لم يكن والله اعلم حيا ؛ لانك رايت فيما كتبناه تحت رقم ٥٠- من الظهائر الملحقة بترجمة الجَد ان الذي حضر هناك ولده احمد بن علي مع بنى عمه ؛ والغالب انه اذ ذاك لم يعيش بعد ؛ او كان شيخا كبيرا لا يقدر غسل السفر ؛ والله اعلم .

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١٠٥٠ هـ فيشمل ذلك العقد الخامس والسادس من القرن الحادى ؛ توهمنا ذلك لما رايناه من تصدره على اخوته ؛ وتولييه الزاوية بينهم ؛ وشفوفه عليهم مع وجودهم ؛ والغالب ان لا يكون كذلك الا اذا كان من كبارهم ؛ ولانستحضر الان ترتيب اولاد سيدى احمد بن عبد الله فى السن ؛ لنعلم منزلته بينهم ؛ وان كنا نستشف وراء ما يمر بين ايدينا ان اخاء عبد الله بن احمد اكبر من على هذا ؛ ثم على ؛ ثم باقى اخوته وكيفما كان ؛ فالذى يظهر لنا ان ولادته فى نحو ١٠٥٠ هـ ان لم تكن قبل ذلك بكثير . هذا ما امكن لنا فيما يتعلق بسيدى على بن احمد رحمه الله ورضى عنه .



سیدی عبد الله بن احمد الاغی

نحو ۱۰۴۰ھ بعد ۱۱۰۲ھ

نسبہ

عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .
كنت يوما اطالع الطبقات للحضيكي ؛ فوجدت فيها في ترجمة سيدي محمد
ابن محمد الحضيكي صنو جد المؤلف ما ياتي .
واخبرني الفاضل الولي الصالح عمنا الشيخ السيد محمد القشاني انه
بات عنده مرة هو والرجل الصالح عبد الله بن احمد حفيد الولي سيدي عبد
الله بن سعيد التظهري ؛ قال فعقدنا النية على زيارة صالحى (أسا) من
ناحية الصحراء فلما كنا بالطريق اشتهينا الطعام والفاكهة فقلت لهما اما انذا
فما معنى شيء ولكن تركت المزود في دارى معلقا على الوتد ؛ فمن قدر ان ياتينا
به منكما فليفعل ؛ قال فقام الفقير محمد الحضيكي ؛ فقال باسم الله فاخذه
براس عكازه وهو لا يبرح من مكانه ؛ ونحن جلوس فاكلنا ؛ فلما رجعنا من
زيارتنا وقع لنا مثل ذلك .

اذن كان سيدي عبد الله بن احمد ممن اشتهر في عصره بما يشتهر به
العباد والصالحون في العادة من اصحاب الكرامات ؛ فقد افادتنا هذه الحكاية
انه ممن يظن به انه قد تخرق له العادة ؛ فاردت ان اشفع ذلك بما لعله يعرف
عنه بين اهاليها ؛ فسالت جهينة اخبارنا : العلم ابراهيم ؛ فذكر انه كان مشهورا
بالصلاح والعبادة والتنسك والقناعة بما تيسر في عصره ؛ ولم يؤثر عنه
الاهتبال بنائيل الاملاك كما اثر عن اخوته ؛ وقد اشتغل بخويصة نفسه
وباستقلال ما ورثه عن ابيه وامه ؛ قلت اننى وقفت على رسوم تبريحات
متعددة له حول ماصار اليه من ارث ابيه وامه ينادى فيها على من اعتمرها
من آله ؛ وللاختصار لم نجلبها الى القارىء وقد وقفت ايضا بين الرسوم على
بطاقة بخط الاستاذ القاضي سيدي عبد المؤمن بن محمد الايفشاني ؛ وهى هذه
كتبت فيها شهادة لبعضهم

(اعترفت زوجة ولدى عبد الله وهى حواء بنت على بن الحسن الحريلية ؛
واقترت على ان ما وضعته بوجه الامانة بيد المرباط سيدي عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد التهاى من ايمور ؛ من ثوبين قبضت جميعها ؛ وانها لم

تضع غيرهما عنده ؛ وبه كتب برسم الاشهاد عنها بذلك فى تاريخ ١١٠٢ هـ
عبد المؤمن بن محمد بن على بن محمد وفقه الله بمئه .

تتامل هذه البطاقة فنفهم منها ان صاحب الترجمة كان مقصودا بالودائع؛
وان امانته اهله؛ لذلك ؛ ثم نفهم ايضا انه كان لايزال حيا فى هذا التاريخ ؛
لان الغالب ان هذا الابرء لو كتب بعد وفاته ؛ لترحم عليه كاتبه ؛ كما هـى
العادة ؛ ولذلك رمزنا لزمان وفاته بعد هذه السنة كما رمزنا لولادته بنسبة
١٠٤٠ هـ لان هناك فى رسوم تبريجاته ما هو مورخ برجب سنة ١٠٦٣ هـ
والغالب انه لايتولى ذلك بنفسه الا من له ما فوق عقدين ؛ ولايتهم رشده فـى
العادة الا بذلك ؛ وامه مريم بنت عبد الله توفيت قبل ١٠٦٣ هـ لانا راينا
قام يتطلب اذ ذاك بمتخلفها وحظها بين اخوتها .

ويظهر من حاله انه وان كان فى سمة الصالحين ؛ كان مشغلا باقامة
اسباب معاشه ؛ ذائدا عن حفظه يدكل من يمتد اليه ؛ وكونه لم يشتر هـر
بنفسه شيئا كما قال العم ؛ لاينافى هذا وهذه الحكاية بنفسها هى حالة حياة
مرايطينا ؛ دين وصـلاح فى ضمنه الكد وراء الحلال؛ لئلا تمتد يدهم فى فاقة
الى استجداء

واستف ترب الارض كيلايرى له على من الطول امرؤ متطول
حكى العم انه لما اظل اجله ؛ اقترح على اهله ان يزيروه قبر جده بايمور
فحملوه وهو مريض ؛ فباتوا به فى قرية (سلات) فاجتمع اليه اهل القرية ؛
فطلب منهم فى آخر المجلس ان يتفضلوا بحمل قنطرة من قريتهم الى ايمور ؛
فما اصبح الصبح ؛ حتى فاظت نفسه ؛ فكان هو القنطرة المحمولة على ايدي
اهل (سلات) الى ايمور ؛ فدفن ازاء قبر الجد ؛ رحم الله الجميع

ولصاحب الترجمة من الاولاد ثلاثة سليمان وصالح ؛ وحسين؛ وكلهم
اعقبوا غير حسين الذى مات عزبا ؛ وسترى بحول الله ترجمته فيما بعد

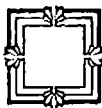


سیدی حسین بن عبد الله اللاغی

من أهل القرن الثاني عشر

نسبه

حسین بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعید بن حسین بن یبورد .
هذا من اولاد المتقدم ؛ وتوثر عنه بركة ؛ وكان سیدی الحاج عبلا بن صالح
یرفع من شأنه ؛ والناس كذلك یقصدون ضریحه ، بالزیارات والندود ؛ خصوصا
من كان ذا ارب فی النسل ؛ فانهم یرون انه مجرب لذلك ؛ وذكر العم انه
مات عزبا عن غیر عقب ؛ ولذلك یستأثر عصبته بنو صالح بما ذبح علی قبره
وهو من أهل القرن الثاني عشر ؛ ولم نعرف عنه غیر ذلك الآن .



سيدي احمد بن على الاغمري

قبل ١١٠٠ هـ بعد ١١٥٢

نسبه :

احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كان والده على بن احمد رئيس الزاوية الالغية ؛ كما قرأت ذلك في ترجمته ثم بعده تولاهما احمد هذا ؛ ولكنه كما يظهر ليس له من خصال جدوده الا انه يجول في مسلاخهم ؛ ولم يؤثر عنه اى شىء ؛ كانه لم ينحدر من تلك الاطراف التى تركت افعال اصحابها دويا لا يزال يدوى الى الآن ؛ واطنه كان كثير من ابناء الصالحين من ارباب الزوايا ؛ ورث جاها وحرمة واعتقادا ؛ فاراد ان يستغلها من غير عمل جديد يضع به لبنة فى الجدار ؛ وكفى من خموله ان لم أسمع به يذكر الا فى الوثيقة التى وضعناها تحت رقم ٥٠ - فى ترجمة الجد وهو احد الثلاثة الذين ذكروا فيها ؛ والا فى خبر سقط الى ايضا اخيرا ؛ وذلك ان بعضهم ذكر فى معرض حروب بعقيلة ومجاط ؛ ان بعقيلة علا كعبها مرة على مجاط ؛ وصاروا يتوصلون منهم بالاتاوة على راس كل سنة فسافر امغار على بن باها بمجاط الى (تامانارت) ليمتار لاهله تمرا ؛ ولكنه طرق اذنه من ملعب التامانارتيين اشعار شلحية من النظامين ؛ يخزون مجاط باسفاف الهم وموت النفوس حين جعلهم البعقليون مطايا ذللا يمتطونهم كيف يشاءون فلم يطق امغار على ان يصبر بعد ؛ وقد استثيرت منه النخوة ؛ وجرح منه الشعور جرحا يتدفق دماء حارة ؛ ففارق (تامانارت) من غير ان يتذكر الحاجة التى ورد بسببها فمر برئيس زاوية الغوهو صاحب الترجمة - فكشف له عن عجره وبجره ؛ وقال له ادع لى ؛ فانى انوى مغامرة ؛ فاما القبر واما الملة فدلله سيدي احمد على ان ياتى الامر من بابه ؛ فامر ان لا يستبد بذلك عن رئيس ايليخ - ولعله احمد بن محمد بن بودميعة الايليخى اوولده سيدي يحيى وهو آنذاك كما استررد شان ايليخ وجالت يده من جديد بين القبائل ؛ وكان مشواه ملتقى عاما ؛ وندوة للرؤساء متى ارادوا ان يتراءوا فى امورها ما يريدونه من المصالح ؛ وقد تقلصت ايضا ذبول الحكومة منذ توفي مولا اسماعيل ؛ وكانت يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ؛ لما تطل ايضا على هذه القبائل .

ذهب امغار على بن باها ؛ ففاوض الرئيس الايليغى ؛ وقال له اننا لانصبر بعد لاداء هذه الاتاوات باى وجه ؛ واننا لناجزون بعقيلة حتى نردهم عنا وعن حرماننا صاغرين ؛ فقال له الرئيس ماهكذا ياسعد تورود الابل ؟ وماهكذا تناس الامور ؟

ان الحيلة فى مثل هذا - وقد استشرتني ووضعت فى ثقتك - افضل لما ترمى اليه والتدرج اسهل واقرب الى السلامة ؛ اذهبوا الى اصحابكم واطلبوا منهم ان يتجاوزوا لكم عن هذه الاتاوة فى هذه السنة ؛ وتطلبوا عذراتلفقونه ائهم ؛ ثم عدوهم ان توفوهم السنة القادمة اتاوة سنتين فى واحدة ؛ فيطلبون اذ ذاك مشاورتي ؛ فسارمى بحجرى معكم ؛ واستحسن ذلك ؛ فهكذا فعلت مجاط فقالت لها بعقيلة سننتظر فى ذلك ؛ ثم نرد اليكم راينا الاخير ؛ فقالوا فيسما بينهم ليس عندنا مانبرم حتى نراجع الايليغى فالفقوا اليه الحديث ؛ فقال لاياس بالنظرة ان استعسر اصحابكم فهي اولى من مغالبة لاندرون فيها لمن الانتصار ؛ فقال ذو راي من بعقيلة ان هذا امر تدبر بليل ؛ وما طلب تاخير هذه الاتاوة فى هذه السنة الا علامة ان القوم بدا لهم راي آخر ؛ وعزمة جديدة ليزيلوا بها هاماتهم من تحت ايدينا ؛ قال الحاكى فكان ذلك اول ما انفكت مجاط فى ذلك العهد من بعقيلة ؛ بمعاونة الرئيس الايليغى ؛ وببركة مشاورة سيدى احمد بن على اوسيدى يحيى ثم كان ذلك ايضا اول افتراق بين ايليغى وبين بعقيلة ثم امتد آخر الدهر ؛ ثم ان بعقيلة آنست من اصحابها تنمرا ؛ ورفع الجباه مما يدل على ان رفع الاتاوة فى تلك السنة معناه قد انتهى ذلنا منذ هذه السنة ؛ قال فصارت بعقيلة تقتل لمجاط فى الذروة والغارب ؛ وتربص بها يوما يمكن ان تصبحها فيه بغارة ملحاح لاتبقى ولا تذر .

كان فى (وانكيضا) رجل يلقب (بزم) وكان من روساء بعقيلة ؛ فصارىختلف الى (ازغار) كانه يخطب هناك امرأة ؛ وهو فى السر يهيء سرية كبرى يجتاح بها (تيزلمى) ففى مرة ذهب مع روساء امثاله كانهم ياتون بالعروس ؛ فامر بطحن زرع كثير وخبزه ؛ ففى وسط ليلة جاء ومن معه يقدمون آل ازغار ؛ ثم يجرون كل من مروا به من البعقيليين ؛ وقد تعرضت بغال موقرة خبزا فى ثنية هناك ؛ فتناول من الاخباز التى فيها ماتت من المغاوير الاشداء خبزة خبزة وعند انبثاق الفجر ؛ كان الجيش يتجاوز التخوم ؛ ويخوض فى بحبوجة (تيزلمى) وقد طاف النهب والقتل بالاموال والنفوس ؛ فما متع النهار حتى تجاوزت الطلائع نازامورت ومجاط فى دهش المبغوت يتطايرون فرارا امام هذه الغارة الشعواء ؛ حتى تلاحقت جماعات من مجاط فى (كراما) فتواقفت هناك ؛ ثم صمدت للبعقيليين الذين اكتسحوا كل ما امامهم ؛ فوافقوهم ساعة ثم هبت نسمة من النصر لمجاط ؛ فمالوا على الآخرين ؛ وهم مغترون بما نالوه

صباحا ؛ فاقبلوا عليهم قتلا واسرا ؛ حتى ان فارسا قتل بالسلاح الابيض م
(كراما) الى بسيط وانكيسا ٢٧ رجلا ؛ وقد انجلت الوقعة بتشتت شمل
الغيرين ؛ وقد سقط منهم ٢٨٠ قتيلًا ؛ ثم انصافت وانكيسا كلها الى مجاد
وصارت تخوم بلادها في اكادير نتزكتن ؛ وقد وضعوا فيه حرسا كثيرا ثم
لم يزل الامر كذلك حتى كاد لهم البعقيليون بعد سنة بوقعة اخرى خر مسر
المجايبين فيها ٢٠٠ من حرس ذلك الحصن ؛ فاستردت بعقيلة وانكيس
هذه هي الحكاية برمتها ؛ وقد ذكر من حكى لى - وهو ممن يعرفون مايقولون
انها مكتوبة هكذا عند بعض رجالات وانكيسا ٠

ثم ان سيدى احمد ان ثبت ان له فى هذا العهد هذا الذكر ؛ فذلك يدل على ان
طال عمره بعد اوائل القرن الثانى عشر ؛ لان هذه الحكاية - ان صح انها
وقعت فى ايام الرئيس احمد بن محمد الايليغى ؛ ولم تقع فى زمن سيدى يع
ولده او فى زمن سيدى على حفيده - يظهر انها تاخرت عن سنة ١١٥٢ هـ واللا
اعلم

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١١٠٠ هـ لاننا راينا انه هو الاكبر من
اخوته لتولييه امر الزاوية بينهم ؛ وتلك هي العادة المتبعة ؛ وقولنا نحو كذا فى
امثال هذه المواضع نقصد به العشرة التى قبل والتى بعد او اكثر من ذلك .
وقد خلف صاحب الترجمة رحمه الله ثلاثة اولاد (١) الحسن (٢) محمد
(٣) بلقاسم



سيدي عبد الله بن موسى الاوخضيري

نحو ١١٠٠هـ بعد ١١٠٢هـ

نسبه

عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد .

هذا هو جد بعض آل اكادير ايزرى ؛ وجده محمد بن عبد الله بن سعيد كان له ملك في قرية (كاور) بمجاط ؛ فانحاز اليه عن ايمور ؛ فوافاه هناك بجله وقبره هناك مزاراة مقصودة الى اليوم ؛ وهو جد آل اكادير ايزرى ؛ وقد اعقب اولادا منهم موسى والد صاحب الترجمة .

كنت رايت في الوثيقة الخامسة من ملحقات ترجمة الجدد ذكره مع سيدي احمد بن علي ؛ ومع سيدي صالح بن عبد الله بن احمد فظهر بذلك انه من كبار الاسرة السعيدية اذ ذاك ومن وجهائها المذكورين ؛ لانه لا يقف في امثال تلك المواقف الا الرجال المتفوقون في الاسر .

سالت عنه العم ؛ فقال لي انه من افذاذ رجالتنا ؛ وممن عضوا بالنواجذ على التراث السعدي ؛ وما هو الا الاقبال على ارشاد العباد ونصحهم والتفاني في مصالحهم ؛ مع اقبال في نفسه على ربه ؛ مجتنباً للاسفاف الذي يبطل به ابناء الزوايا ؛ وقد كانت له سمعة وصيت في عصره ؛ واعتقاد من الناس يسوقهم الى انتياب حضرته ويوثر عنه من الاحوال ما تشنف به المسامع فبهذه الحلي حلاه العم حفظه الله .

ثم ان له دارا اتخذها في قرية تاركا اوخضير التي نسبناه اليها ؛ فحجب له سكنها فهناك قضى ما شاء الله من عمره حتى توفي ؛ وقبره مزاراة عند اهل تلك الجهة ؛ ويقيمون عليه حفلة طعام في راس كل سنة ؛ وهو من لدات سيدي احمد بن علي المتقدم ؛ ولذلك رقمنا له في الولادة والوفاة بما رقمنا به لذلك .

وله عقب كثير كما ذكرناه من آل اكادير ايزرى رحمه الله .

سیدی

ابراهيم بن بلقاسم التاكانزى

قبل ۱۰۹۰ هـ - ۳ - ۱۱۵۸ هـ

نسبه

ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد •

ابن عم المتقدم ؛ وكان بلقاسم من اولاد سيدى محمد بن عبد الله بن سعيد وله
هو خمسة اولاد (۱) ابراهيم صاحب الترجمة (۲) عبد الله ؛ وهو جد
المرايطين السعديين الساكنين بقرية (دوتمنروت) بايت وفقا (۳) محمد بن
بلقاسم ؛ جد مرايطى قرية انويدير (۴) الحسن جد مرايطى قرية تاحواوان
(۵) على انقطع عقبه بعدما انتشر فى قرية انويدير •

ابراهيم هذا رجل صالح مذكور فى عصره وبعده ؛ وان كانت شهرته لم
تصل شهرة ابناء اعمامه الاخيرين ؛ كان متوطنا واولا فى قرية انويدير فبقى هناك
ماشاء الله ؛ وقد نشأ له اولاد ؛ من بينهم ولده على ؛ وكان يرعى غنم اهله
فتاور مرة رجلا امنوزيا تعدى عليه ؛ فاذا بالمرايط استاسد على ذلك المعتدى
فكان الله فى عونته ؛ فمزق احشاءه بطعنة ؛ فاجفل والده باسرتة عن تلك
القرية التى بنيت فى نحر امانوز وقد خاف على ولده الامانوزيين الذين لا
يعرفون المعتدى من المعتدى عليه ؛ ولا يعرفون الا ان ولدهم قتل ؛ فلا بد ان
يقتلوا قاتله ؛ فمهر بقرية تاكانزا ؛ فطلب منه اهله ان يحط رحله بين
ظهراينهم ؛ ثم لايمس جانبه ماس باصبع ؛ فنزل هناك وقد تحول بكل مايملكه
ثم ان ولده عليا الذى اسكرته خمرة الغرارة ؛ لايزال ينتاب الغ ؛ ولا يحسب
حسابا للامانوزيين ؛ فذهب به والده الى قرية اخواله آل قرية اكرض اقدر
فزوجوه هناك ؛ قصد ابعاده عن بسيط الغ ؛ وقد كانت زوجة صاحب الترجمة
بناتا من بنات داود بن الفقير احمد بن داود بن يوسف الحربيل الذى استقرا
ترجمته ان شاء الله فيما ياتى

ثم ان سيدى ابراهيم بقى بين ظهرانى التاكانزيين الكرام مبجلا محترما
موقرا ؛ الى ان التحق بربه فى ذلك التاريخ ؛ وتوثر عنه احوال سنينة مما
نعرف امثالها من ابناء عمه الابرار ؛ وقد اعقب ستة ذكور •

(١) على (٢) بلقاسم (٣) محمد (٤) محمد (٥) صالح (٦) الحسن •

فاما محمد «ضما» فمات عن غير عقب ؛ واما محمد «فتحا» وصالح والحسن
فبعد ان انتشر لهم عقب انقرض ؛ فلاديار منهم اليوم ؛ واما على وبلقاسم
فمنهما انتشر ما انتشر ؛ ومن آل على كان الاستاذ سيدى على بن صالح الاقيرى
الذى ستقرأ ترجمته ان شاء الله فيما ياتى ؛ وهو الذى افادنا ترجمة جده هذا
واوقفنا على تاريخه جزاه الله خيرا •

ثم انه دفن فى تاكانزا فى مقبرة (تافراوت او كادير) ؛ وتقام له حفلتان
طعاميتان على راس كل سنة حفلة من اولاده ؛ وحفلة من الذين اكرموا مثواه
فى حياته ؛ ثم لم ينسوه بعد وفاته رحمه الله •



سیدی بلقاسم بن علي التیمیوتی الالغی

من اواسط القرن الثاني عشر الى اواخره

---o---o---o---

نسبه

بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .
كان لسیدی علي بن احمد المتقدم اربعة اولاد تقدم منهم احمد وهذا اخوهم
بلقاسم واما محمد وعبد الله فلم يؤثر عنهما ما يذكران به .

بلقاسم هذا صنو عمه عبد الله مبداء ؛ فكلاهما يؤثر عنه الصلاح والازواء
الى انتصوف ؛ والذي يظهر لي من حال صاحب الترجمة ان له مقاما ربما اوفي
على مقام عمه وقد ادركت ذلك من اخبار تنهال على من اهالينا ؛ وقد اخبر
ان ينتبه عن قرية اهله ؛ فنزل في (تیمیوت) وهو اول من اختط ديارهم هناك
اورثها اولاده ؛ والغالب انه كان اشترى هناك اولاً من اهل الكجكال الذين لهم
اوساط بسيط الخ ؛ قبل ان يبيعوها لمرابطينا هؤلاء ولكن بعدهم ؛ ثم تحقق
عندي انهم وهبوا له تلك البقعة ؛ فيكون ملكه هناك سبب نقلته عن قرية
اهله ؛ وهناك حكاية مهلهلة مما يلهج بامثالها في امثال صاحب الترجمة ؛ وفي
سبب نقلته تقول

انه طاف به امر وكرب شديد من قرية اهله ؛ فصار ينادى الاولياء
لينظروا في حاله ؛ وليختاروا له مسكنا ملائما ينتقل اليه ؛ فاكثر من
الاستغاثة بهم اكثارا ؛ ثم انه طلع لجبل ايفشان الشاهق وهو ملتقى الاولياء
فيما يقال - ثم صار ينادى بأعلى صوته ؛ اين انتم يارجال الاغاثة فاني في
ضيق وكرب شديد ؛ ثم اهوى براسه مضطجعا ؛ فوقف عليه بعضهم مناما
او يقظة فيما يزعمه بعض من حكى لي ؛ فقال له اهذا انت ؟ اهكذا يرقد من
كان مجزونا ويرفع صوته بالاستغاثة بنا ؟ قم لاريك مسكنك الجديد ؛ فاداه
موضع قرية تیمیوت ؛ كانه نقطة متلاثلة في وسط هذا البسيط ؛ قال فكان
ذلك هو اول ماتبه الى سكنها ؛ فبنى داره ومسجده في بقعة وهبها له
الاکجکالیون ؛ ولايزال هؤلاء يتداولون ذكر هذه الهبة الى الان . ثم استقر
القرار ؛ وطابت له السكنى ؛ ووجد هناك فسحة في قلبه وداره ؛ ماكان ليحج

مثلها في قرية دوكدير ؛ حيث بنو ابيه مقيمون ؛ يتزاحمون على ما خلفه ابوهم سيدي علي ؛ وهناك حجر معلوم في جدار داره الاصلية يتبرك به الناس ويقولون ان احد الاولياء ؛ هو الذي اعطاه له ليضعه في داره ؛ وهو ظاهر في وجه الجدار المقابل لمسجده الذي اسسه ازاء داره ؛ وقد فتح اليها بابا من المسجد

ذكر العم ان صاحب الترجمة كان ساكنا في هذه الدار التي بالقرية السليمانية وهي دار كان والده علي بناها قبل ان ينتقل الى مستقره الاخير بالزاوية العليا ازاء والده سيدي احمد بن عبد الله ؛ وهي بنفسها مسكن سيدي محمد بن ابراهيم السلامي - وستاتي ترجمته - ولا تزال في ملك اولاد صاحب الترجمة الى الان ؛ وقد ابوا ان يسعوا بعدما خوطبوا بذلك مرارا حافظوا عليها اثرا خالدا من آثار جدهم هذا ؛ وذكر ايضا من احواله انه صاحب خمول وديانة ؛ وافناء الاوقات كلها في الاذكار فكان ذلك مما شهره حتى صارت الوجوه تلتفت اليه ؛ لانهم يعرفون منه ما يعرفون من آباءه السالفين .

اقول يجول في ظني ان صاحب الترجمة ؛ مامال الى الانزواء في ذلك المسكن الجديد ؛ الا انه راي من ابناء ابيه مشيا آخر غير ما يعتاد من اسرتهم الكريمة من عهد الجد الاعلى ؛ فيحفزه ذلك الى ان ينتبذ عنهم كل الانتباز والله اعلم .

ثم اننا لم نتيقن بل لم نصل ولو بوهم الى وقت ولادته ولا وفاته ؛ وانما يعرف انه ممن عاش في اواسط القرن الثاني عشر ؛ وانه توفي في اواخره .

وقد ظن العم ان وفاته تكون قبل ١١٧٠ هـ وعند الله علم ذلك .

وقد اعقب اربعة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) عبد الله (٤) ابراهيم وكلهم اعقبوا الا الاخير ؛ فقد انقطع عقبه بعدما انتشر ؛ رحم الله الجميع .

وقد وقفت على ان محمد بن بلقاسم المذكور توفي يوم الجمعة ١١-١١ عام ١٢٤٧ هـ وعلى وفيات بعض اولاده ؛ وهم مريم بنت محمد توفيت ليلة الاثنين ١١-٦-١٢٣٢ هـ واحمد بن محمد بن بلقاسم عند الظهر في يوم الثلاثاء ١١-١١-١٢٤٠ هـ ومحمد بن محمد بن بلقاسم في السبت ١٣-١٢- عام ١٢٦٠ هـ وولد هذا عبد الله بن محمد بن محمد بن بلقاسم في الاربعاء ٢-١٢- عام ١٢٠٤ هـ وامرأة محمد بن بلقاسم المذكور فاطمة بنت ابراهيم في الثلاثاء ١٨-٢-١٢٦١ هـ .

وقفت على هذه الوفيات في طرة دليل الخيرات لهذه الاسرة ؛ فجمعتها هنا لفائدتها .

سيدي احمد بن بلقاسم التيديوتي

نحو ١١٥٠ هـ - بعد ١٢٤٥ هـ

نسبه

احمد بن بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبور
هذا ولد سيدي بلقاسم المتقدم ؛ وهو من رجالات الخ في اوائل القرن
الثالث عشر ومن رجال الصلاح الذين تضرب اليهم اكباد الابل من مرابطينا
في ذلك العهد ؛ ورث من ابيه تالدا من الشهرة والاحترام ؛ فزاد هو مجدا
طارفا اشتهرت به قرية تيسوت الحديثة اشتهارا ؛ وكان ابوه يرتفع شأنه بمقدار
ما يحبه هو من الخمول ؛ ويتطايير صيته كلما امعن تحت ذيل الانزواء ؛ فجاء
ولده فتلقى مكانة والده هذه بحالة حسنة ؛ وسريرة طيبة ؛ فكان من التابعين
لاء باحسان فارتفعت منزلته وعلا مقامه وكان له من المظهر الصالح الهادي
للدين الذي يجول فيه ما يستحق به ان تتخذ عتبة بابيه متعلق الانظار ؛ وله
مع ذلك غرائب صدرت منه في عصره ؛ وراى برهانها منه الناس عيانا ؛ فسلموا
حاله ؛ وعلموا له منزلته .

هناك خوارق متعددة تتداولها الالسن ؛ ولما كنا في هذا الكتاب نتسكب
الاكتثار منها ما امكن ؛ لعدم تثبت الرواة ؛ اضربنا عن ذكرها صفحا ؛ الا ان
هناك واحدة اشتهرت كل الاشتهار ؛ حتى صارت تحت كل لسان ؛ وفي ضمن
كل اذن ؛ وقد تلقيت بالتواتر ؛ فرأينا ان نسوقها

كان لصاحب الترجمة غنم في مرتبع ازاء (تاركانترلمات) وكان لاهل ذلك
الموطن تعال وقوة ؛ لا ينظرون بهما الى الضعفة كمرابطينا ؛ الا كما ينظر
المختال القوى الى خنفساء تعرضت امام قدمه في الطريق ؛ فعمد بعض رعااهم
الى غنم هذا السيد ؛ وقد اقبلت للمورد فذاها عنه ظلما وعدوانا ؛ والى
موجود ؛ والعين ثرارة ؛ وقد اصدر كل الرعاء ؛ فرجع الغنم بعطشه فبلغ
ذلك صاحب الترجمة فثار منه ما يشور من كل مظلوم ففرع الى الباب الذي لا
يفلق دون دعوات المظلومين ؛ فنغذ السهم واستجيب الدعوة ؛ فاصبحت عين
اولائك الطاغين غائصة ؛ لاتبض بعد بقطرة وقد بذلوا كل الجهود في حفرها
بعد ؛ فاصبح الماء واقفا لا يجري ؛ فدامت تلك العين اثرا خالدا من آثار دعوات
المستضعفين .

هذه حكاية صحيحة رويت بالتواتر ولا تزال العين ماثلة شاهدة لصاحب الترجمة بتلك الدعوة التي لم توصل ابواب السماء دونها
ثم انتشر لسيدى احمد بن بلقاسم مال واولاد شبوا في ظل ذلك المجد الوريث
فصار الشيطان ينزغ بينهم وبين بنى سليمان معاصريهم في قرية (دوكادير)
فعدا عبد لصاحب الترجمة على ولد آل سليمان فارداه ؛ وكان ذلك نشأ
بين الاسرتين لما بينهما من المعاصرة والقربى والفنى - والاقارب دائما كالعقارب
ولا ينبئك مثل خبير - وقد وقعت على وثيقة فيها فصل هذه القضية بخط الاستاذ
سيدى محمد بن عبد الله ابن الشيخ سيدى محمد بن احمد الحضيكي ؛ وهي هذه
(وبعد فقد حضرنا وتوسطنا بين اخواننا سيدى احمد بن بلقاسم من ذرية
الولى سيدى عبد الله بن سعيد التيطهاى من تيبوت ؛ وبين ابنا سيدى
سليمان المرابطين من (تحت الحصن) ؛ منهم سيدى ابراهيم بن سليمان واخوانه
وخالى احمد بن محمد بن سعيد وغيرهم فى شان المقتول من ابنا سيدى سليمان
فاتفق رايهم على ان يقتلوا عبد سيدى احمد بن بلقاسم ؛ الذى قالوا انه هو
القاتل له ؛ فاذا قتلوه انقطع نزاعهم وانفصل امر الثار المذكور ؛ وانجز رايهم
ولم يبق بينهم شئ من دعوى مال ولا غيره الا تهمتهم لاولاد سيدى احمد بن
بلقاسم بانهم هو الامرون لعبدهم بالقتل فمضى طلبوا منهم الحلف على نفسى
دعواهم ؛ استحلّفوهم ؛ طال الزمن او قصر ؛ وعلى هذا اتفق رايهم ؛ وتفاصيلوا
فى ذلك انقتل بذلك تفاصلا صحيحا قاطعا ابدا مؤبدا واما ما كتبوه بينهم من
العرف الفاسد بحضور بعض اولاد سيدى احمد بن موسى فلم يبق عليه
الحال بينهم لكونه مخانفا طريق الشريعة المحمدية ؛ وكتبنا هذا بينهم فصلا
قاطعا للنزاع بينهم بتاريخ اواخر ذى الحجة عام ١٢٤٥ هـ عبد ربه محمد بن
عبد الله بن محمد الحضيكي بزاوية الفلالى ؛ كان الله له)
اقول ان خوولة مرابطينا آل سليمان لآل الحضيكي نشأت من ان مريم بنت
محمد بن سليمان تزوجها آل الشيخ الحضيكي
امتنحن صاحب الترجمة فى اواخر ايامه بهذه المحنة ؛ وكثيرا ما يمتحن
الاصفياء بامثالها الا من عصمه الله ؛ فلاندرى كيف تلقاها ؛ وكيف تجلدا زاءها
وان كنا نتيقن انه مغلوب فى آخر عمره باولاده ؛ فهم الموردون المصدرون ؛
التقم الشيطان عقولهم فقادهم الى مايس من الهم ان ينقادوا اليه ؛ ولكن
الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الحضيكي اغاث الله به الاسرتين السليمانية
والقاسمية ؛ وهم يمتون اليه بخوولة ؛ فجبر الصدع ؛ واتى بحكمة القصاص
وفى القصاص حياة عند اولى الالباب
ثم انك رايت لا يزال حيا سنة ١٢٤٥ هـ ثم لم تطل به الحياة بعد ذلك ؛
وقد قال العم انه توفي حوالى ١٢٦٠ هـ وكيفما كان ؛ انه لم يعيش بعد ١٢٦٠ هـ
رحمه الله من رجل صالح لا يزال صيته يرن الى الآن ؛ وله من الاولاد
المعقبين على ؛ ومحمد .

الفقيه سيدى سليمان بن محمد الالغى

نحو ١١٣٠ هـ - ٩-١١٩٩ هـ

نسبه

سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا اول فقيه اعرفه من قبيلتنا السعيدية ؛ واول من بدا له ان يول وجهته مع قريته الاتى ذكره سيدى احمد بن صالح شطر المعارف ؛ فانفتح بهما باب جديد لاهالينا لم يلبثوا بعد ان ازدحموا فى عتبه ازدحاما يأخذ فيه البعض بعنق البعض - فى لجة امسك فلانا عن فل -

كانت القبائل الشمالية والاسية والتملية بل والايفثمانية ؛ يتالامنها العلماء من ازمان ؛ واهلنا فى الغ فى نسك وعبادة وامية قد تجرف باللسان مايناه بالسبحة البنان واخيرا وفقت الاسرتان الصالحية والمحمدية الى ان يرسلوا اولادهم فى هذا الميدان ؛ فجاء سليمان بن محمد بن احمد ؛ واحمد بن صالح بن عبد الله بن احمد ؛ يحملان الى قومهما قبسا من العلوم ؛ فادركا به من الشاؤ مظهر به للسعديين الذين لايعرفون الا الامية المتدنية ان للعلم شرفا خالدا ؛ ومجدا مؤثلا اكثر من شرف ما ورنوه عن آبائهم ؛ ومن المجد الذى عرفوه من قبل .

على ان صاحب الترجمة لم نقف من اوليته على شىء ؛ حين كان يتلقى القرآن ؛ وكنا نجهل ايضا استاذة فى العلوم ؛ لو لم تهدنا الصدف الى مخطوط قال فيه (ذكر شيخنا سيدى مسعود بن محمد المرزكونى كذا) وكنت قبل ذلك وفقت على عقد نكاحه فوجدته مكتوبا بخط هذا الاستاذ سنة ١١٥٦ هـ ثم عرفنا ان هذا الاستاذ من اصحاب سيدى احمد بن ناصر ؛ وانه كان يدرس فى سملالة ؛ وقد تخرج به الاستاذ سيدى محمد بن الحسن التوغزيفتى الشهير ؛ فوضح الصبح حينئذ لدى عينين ؛ فعرفنا المنبع الذى استقى منه سليمان ؛ ومن اين تلقى تلك القبسة العلمية التى يتنورها جيران الغ بنظر عال

اذا كانت سنة الكون تتمشى على نظام واحد ؛ وعلمنا انه من المستحيل العادى وجود نبات بلا بذرة ؛ ووجود دخان بلا نار ؛ فلا بد كذلك ان ننظر ما هو الحامل لهذه الاسرة المحمدية - آل صاحب الترجمة - حتى مالوا بولدهم الى

المدرسة من بعد ان كانوا لا يعرفون عن اهلهم الا المسرح لسوائبهم والمحرب لعباداتهم فلنقتش -اذن- عن المرأة -كما يقول نابليون- لعلنا نجد من ام سيدى سليمان ما يدعم لنا هذه السنة الكونية التى يذكر عنها انها لا تخرم فيما يزعم راجعنا ذلك العقد الذى ذكرنا اولاً انه محرر بقلم الاستاذ مسعود بن محمد المرزكونى السملالى فوجدنا اثناء ان ام صاحب الترجمة -وهى عائشة بنت الطالب الحسن بن على التوييتى- وهبت لابنيها سليمان هذا وصنوه سعيد كل ما كان لها مما يسمى مالا من املاك وحبوب وعقار وخرثى الدار ؛ ما كان لها حينئذ وما سيكون ؛ وكذلك جهازها وحظها من ايها ؛ وهبت لهما ذلك هبة تامة

اذن ام سليمان هى عائشة التوييتية ؛ وابوها هو الطالب الحسن بن على ؛ وقد كنا راينا فى الوثيقة الكبرى التى نشرناها فى اول ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ؛ فقيها يسمى احمد بن على بن ابراهيم التوييتى ؛ فيكون اذن احمد هذا خال صاحب الترجمة ؛ ولذلك راينا فى تلك الوثيقة اول من عقد فصولها ؛ ثم اتبعه العلماء الآخرون فهو حينئذ انما يشيد بذكر اصهاره ثم جاء عطف اولئك العلماء ينفى من التهم ما لعله يتوجس فى مثل هذه الشهادة التى صدرت من هذا الفقيه لاصهاره فعائشة والدة سيدى سليمان هى التى ضرب عرقها فى ولدها ؛ فبزته الى اسرته لعلها ترى منه خلال خاله احمد بن على ؛ وشرفه العلمى ؛ اذن اتضح السبب ؛ وجاءت سنة الكون مدعمة بهذه النتيجة فسلیمان العالم انما ورث العلم عن اخواله ولعل الطالب الحسن بن على عالم ايضا ؛ والطالب اذ ذاك يطلق على العالم ؛ وقد عرفنا ذلك من قصة سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ حين قال ان اهل بلادنا لا يسمون العالم الا الطالب فلان ؛ لكن بعد اقرارنا له بالعلم ؛ مامقدار غور علمه ؛ وما هى المكانة التى تبوأها من بين علماء عصره ؛ اما آثار قلمه التى رايتها فى الرسوم ومخطوطات القسيمات ؛ وفى اثناء سؤال رايته رفعه الى عالم ذلك العصر سيدى احمد بن بلقاسم انكرسيقى المفتى المتوفى ١١٨٠هـ فانها تدل على رقة فى العربية ؛ يتبين ذلك من ثانيا عباراته المهلهلة التى يتعثر فيها البراع عشرة بعد عشرة ؛ واما منزلته فى عصره ؛ فهى منزلة متوسطة ؛ لانه لا يدلى بينهم بالافتاء ولا بالتدريس ؛ وكيف يظهر ؛ والاستاذ الحضيكى معاصره واقارانه الافذاذ قد ازدحموا فى هذا الميدان فلا يجاريهم الاكل بازل قنعاس (١)

وابسن اللبون اذا ما لزفى قرن لم يستطع صولة البزل القنعاس وانما الذى عرف به ان يتعاطى قسمة التركات؛ ويفصل ما بين الخصوم فى النوازل غير العويصة ؛ فقد اخبرت ان فى ايعشان ومجاط وكل القبائل التى تحاذى الخ مخطوطات يده فى ذلك ؛ كما اخبرنى به العم حفظه الله ؛

(١) البازل الذى له تسع سنين والقنعاس بكسر القاف : العظيم من الابل

واما رسوم القرية وما ائبها في ذلك العصر ؛ فتكاد تكون مقصورة عليه وعسل
 قريته سيدي احمد بن صالح الاتي ذكره فقد عجت سلات اهلينا بمخطوطاتهما
 وقد مرت بين يدي مرة سلة رسوم لاسرة فقيرة ؛ فرايت مخطوطات رسومه
 بين مافيهما كثيرا جدا ؛ وعلى ذلك فليقس ؛ وكان رحمه الله عدلا نبيا دينا
 مشهورا ببركة وصلاح ممزوجين بهذه القصة (١) من المعارف فتكونت له بذلك
 حلة ضافية ؛ وله مع ذلك ثروة لاتماثل بين اخوته ؛ وكأنه بسببها انتشر له
 من الذكر ما انتشر ؛ فهو اول من أثل الاملاك بين المتأخرين في مختلف البلدان
 بالغ وبنامانارت وغيرها ؛ ولا يزال اولاده الى الان يتوسعون فيها ؛ انلها لهم
 مما اشتراه من الوفقاويين ومن الحرييليين ؛ وبوادى تامانارت ؛ وقد صار في
 زمنه بهذا العلم والمال والدين رجل الغ المقصود في آخر القرن الثاني عشر ؛
 بعد ان تناسى بعض ابناء عمه سيدي علي بن احمد ما كان لابيهم ولجدهم ؛
 فاقبلوا على الدنيا وحدها وكانت له زوجتان احدهما عائشة بنت عبد
 الرحمن بن محمد البعيلية التي عقد عليها سنة ١١٥٦ هـ فكان له منها فاطمة
 بنت سليمان المولودة في رمضان ١١٥٧ هـ ومحمد بن سليمان المولود وسط
 ربيع النبوى ١١٦٠ هـ واحمد بن سليمان -٣- من ربيع الاول ١١٦٣ هـ والزوجة
 الثانية ؛ فاطمة بنت احمد بن ابراهيم بن محمد الاسد رمي ؛ تزوج بها قبل
 ١١٦٧ هـ وكان الاولى ماتت اذ ذاك فولدت له عائشة في رجب ١١٦٧ هـ ومحمد
 بن سليمان -١٠- ١٢- ١١٦٩ هـ ومحمد الاول مات اذ ذاك ؛ ثم ولده الفقيه
 ابراهيم -١٦- ٨- ١١٧٨ هـ وسعيد بن سليمان وسط رجب ١١٨١ هـ واحمد
 ابن سليمان -٤- ١٢- ١١٨٣ هـ وكان احمد الاول مات اذ ذاك ثم سمي الثاني
 باسمه ؛ والله اعلم

تقلنا ولادات هؤلاء من خط صاحب الترجمة ؛ لنذكر منها ان اعتناق
 للمبدأ العلمى قد اماله الى الافادة بالقلم ؛ بعد ان كان اهلوه الاولون لا يعرفون
 كيف يقبضون القلم ؛ وقد توفي رحمه الله عن سن عالية ربما اوفت على ٨٠
 سنة بكثير وانما رقمنا لولادته بنحو ١١٣٠ هـ لاننا حين رايناه تزوج سنة
 ١١٥٦ هـ قدرنا انه اذ ذاك بعد ان مضى له دهر في تلقى القرآن ؛ والتقلب في
 المدارس لا يقل عمره على نحو ٢٤ سنة على ما هي عليه العادة المالكوفة التي
 استمرت الى عصرنا في تلك الجهة واما زمن وفاته فقد افادناه ولده سيدي
 ابراهيم رحمه الله ؛ وكدنا نجهلها كما جهلنا كل وفيات من تقدم ؛ ولكن من
 أدخل الى داره اليراع ؛ وورثه بنيه فاول فائدة يستفيدونها منه هذه الفائدة
 التي ليست بقليلة ؛ وان جهلها كثيرون .

وممن اخذ عنهم المترجم الشيخ سيدي محمد بن يحيى الازاريفي المشهور
 هذا وباسم المترجم سميت القرية ايت سليمان ؛ وان كان فيها غير اولاده
 كابناء سعيد اخيه .

الفقيه ابراهيم بن سليمان

١٦-٨-١١٧٨ هـ = نحو ١٢٦٣ هـ

نسبه

ابراهيم بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد .
لم نل عنه بالفقيه الا متابعة لصاحبه محمد بن ابراهيم السلامى ؛
فاننى رايتنه فى رسم وصفه بذلك وهو رفيقه الدائم ؛ ومجاوره المكاسر (١) ؛
وبدل ذلك بعض الدلالة على انه كان معروفاً بذلك الوصف فى عصره ؛ والوصف
بالفقيه فى بلادنا هذه يضمن به الناس ولا يكادون يضيفونه الا لمن يستحقه
حقيقة او ظنا ؛ وليست عادتنا كمعادة احوال الحمراء وما وراءها حين يتدفق
هذا الوصف على كل من دب ودرج ؛ وعلى من مر بالمسجد ؛ وان لم يتقن حتى
حفظ الفاتحة ؛ مادام يجز الجبة والسلهام وعلى راسه عمامة كالمنسف (٢) .

لم نعرف من اولية صاحب الترجمة شيئاً بل حتى من اخرياته ؛ وكل
ما عرفناه انه من حفظة القرآن ولكن لم ندرك كيف تلقاه ؛ وهل سافر وراء
تجويده كما هى عادة بعض الناس ؛ او انما جوده فى القرية فقط ؛ وكذلك
عرفنا ان عنده قبصة من المعارف يستطيع بها قلمه ان تقل عثراته قلة ما ؛
ويمكن بها لاصحابه كابن ابراهيم السلامى ان يصفه بالفقيه ؛ ولكن لاندرى
من اين تعلم ؛ امن عند ابيه ؛ ام من عند الاستاذ سيدى محمد بن الحسن
التوغزيفتى خليفة استاذ والده سيدى مسعود المزدكونى بسملاية فلى
التدريس ؛ وقد امتد عمر التوغزيفتى الى ما بعد ١٢١٢ هـ ام من عند تلاميذه
الحضيكى واولاده الذين يخوضون بحار العلوم فى المدرسة الفلالية بين سحر
الغ ونحره فى هذا الحين ؛ ام من عند عبد الله الجشتى التملى الذى ما فارق
المدرسة الجشتية سنة ١١٩٦ هـ حتى خلف فيها استاذاً يسير على خطه فى
التدريس فهؤلاء وكثيرون من امثالهم من الاساتذة الكرسيفيين وغيرهم من
رفعوا راية التدريس فى ذلك العصر ؛ فلاندرى بمن منهم اتصل صاحب
الترجمة ؛ فاقبىس علم التركات ؛ وفصل بعض النوازل والقيام بتحرير كل
رسم فى القرية مع صاحبه سيدى صالح بن عبد الله الانى ذكره ان شاء الله
ومع جاره السلامى الذى ستعرفه ايضا .

(١) الجار المكاسر الذى يسكن فى كسر دارك بكسر الكاف اى جانبها

(٢) المنسف بكسر الميم وفتح السين الغربال الكبير

اخبرني العم ان يده فى معلوماته اقصر من يد والده ؛ ادرك عنه ذلك من مجررات يده التى رآى منها مات ؛ واما انا فلم يمكن لى ان ارى الا بضع عشرات من تلك السلة التى ذكرتها فى ترجمة والده .

ثم انه يشاع عنه وراء هذه المنزلة صلاح كثير وكشف وخوارق ؛ وكرم لكل من قصده ؛ فكانت هذه الخصال التى تجمعت فيه يدعم بعضها بعضها ؛ والكرم يحليها برواء يراق من الثروة التى صارت اليه من بين ما خلفه والده ومما استجده هو ايضا فتحوطه تلك خلال بسياج متين سميك

اخبرني بعض الناس ان بعض المسنين الذين ادركهم ؛ قال عهدى به فى مسغبة والناس يتضورون جوعا ؛ والاملاء -وما اقلهم- اوصدوا ابوابهم دون رغبات المدقعين الراغبين ؛ وهو يظل وعليه سراويل سوداء يدور على قدور منصوبة عند باب داره تفور بالجزر اليابس والحفنات من الطعام ؛ وهو يناول كل من وقف عليه من ابناء السبيل حتى يفرغ ما فى القدور دام على ذلك طوال تلك المسغبة ؛ وهذا ما امكن من الكرم فى بلادنا الفقيرة

واخبرني آخر من مجاط انه كان مرة عندهم وهم يعتقدون فيه خيرا كثيرا ودعوة مستجابة ؛ فرآته امرأة منهم وشاهدت له بركة ؛ فبقيت بعد ذلك تذكره ؛ وهى التى اخبرت من حكى لى

واخبرت ايضا انه كان صاحب مرة معاصره سيدى صالح بن عبد الله الزاوى - الاتى - فزارا المقبرة العليا التى هى من آثار سيدى بلقاسم التسيوتى وهو الذى استحدثها ودفن فيها زوجته اولا ؛ ثم دفن ازاها ثم تنابح الدفن فيها حتى اتسعت زارا من هناك ؛ ثم مشيا فى غربها حتى وصلا محل المدرسة اليوم ؛ فقال احدهما لصاحبه ما تسمع ؟ فقال اسمع قراءة ؛ ثم انحدرتا حتى وصلا ببر العنصر شمالى القرية السليمانية فقال ايضا احدهما لصاحبه ما تسمع ؟ فقال له اسمع اذكارا يجهر بها ؛ قال المخبر فهذا منهما كشف بالمدرسة والزاوية قبل ان تخرجا الى الوجود باكثر من نصف قرن اقول ان هذا المخبر الذى اخبرني عدل ثقة ؛ ولكن اشك فيمن اخبره وهو لم يدرك الحادثة ؛ وقد انقطع سندها ؛ ثم اننى لم اسمعها الا منه ؛ وهذا كله ما تندق به هذه الحكاية حتى تكون ارق من شعرة ؛ فلا تواتر ولا سند متصل ؛ فماذا يبقى بعد ؟ على ان امثال هذه الاخبار كثيرة ؛ تسيل بها السنة المحدثين ؛ وقد رايت وسمعتا من مثل ذلك كثيرا ؛ فلو كان لهذه ما يثبت به امثالها لتلقيناها بكلتا اليدين فان الكشف طبيعة روحية تكون فى بعض الناس متجلية اتم التجلي وربما كان ذلك فى المسلمين وفى غيرهم ؛ ولذلك لا يقبله اساطين ارباب هذا الفن الا بشاهدى كتاب وسنة ؛ وذلك لا يستبعد حصوله الا من كان اغلف العقل وان كان يتظاهر بانه احلق الناس ؛ ولكن لما كان الكذب والتقول فى ذلك

شبرا ينبغي ان لايقبل ان لم يصدم الكتاب والسنة الا بعد الوقوع وقوعا
صحيحا ؛ تحقيقا او ظنا قويا (ثم بعد كتبى هذاوقفت على ما يؤيد تلك الحكاية
من اقوال اناس آخرين مما يدل على شيوعها)

اتصل صاحب الترجمة بالقلم فيحرر رسوم القرية قبل وفاة والده
سنة ١١٩٩ هـ كما رايت ذلك في رسم كتبه قبل هذه السنة بقليل ؛ ثم دأب
على ذلك الى نيف وستين من القرن الماضي ؛ فوافاه اجله ؛ وقد فتشنا لعلنا
نجد مقيدا لبعض اولاده ينبه على وقت وفاته ؛ ولكننا لم نجده ؛ والعم يقول
انه توفي نحو ١٢٦٣ هـ لان والدته (تكدا) بنت عدى (التي ستاتي ترجمتها)
ادركته حيا حين تزوجت الى الخ سنة ١٢٦٠ هـ ثم عاش بعد ذلك ؛ ولذلك رقمنا
له بما ترى .

ولصاحب الترجمة ثلاثة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) والطيب ؛ وكلهم اعقبوا
اولادا كثيرين بارك الله فيهم .

هذا فالترجم هو الحافر للبير في (تاغيا) سنة ١٢١٤ هـ وهى ملك
للمرابطين لالحريبيين ؛ وقد وقع فيها خصام بينهم حوالى ١٣٦٢ هـ فادلى
الاولون برسم شهد فيه الحريبيون انفسهم اذ ذاك بان الحافر هو سيدى
ابراهيم فى سنة ١٢١٤ هـ وذكروا القدر الذى انفق فى الحفر ؛ وقد حكم فى
القضية شيخنا سيدى الطاهر بن محمد ولكنه حين راي ماراى نبذ عنه الفصل
فى القضية وهو يقول بلسان الحال : ربى وصلاتى



سيدي احمد بن صالح الالغي

قبل ١١٣٨ هـ - بعد ١١٨٥ هـ

نسبه

احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا قرين الفقيه سيدي سليمان بن محمد المتقدم وما اولاه ان يدعى بالفقيه ؛ ويوصف به مادام قرينه هذا يوصف به وصفتها واحدة؛ ومجالاتهما واحدة ؛ وقد طلعا على ابناء عبد الله بن سعيد بفجر جديد من انوار المعارف هي ابقى وادوم

عاشا معا يتقلبان في قسم التركات وفض بعض النوازل؛ يكتب احدهما فيعطف عليه الاخر ؛ وكان سيدي سليمان هو الذي له الصدارة ثم يليه احمد هذا ؛ فلا يزالان دائما كأنفر قدين

ذكرنا في ترجمة سيدي سليمان ان شيخه في العلوم التي عنده ؛ هو سيدي مسعود بن محمد المرزكوني ؛ فهل صاحبه هذا ايضا كذلك ؛ فاننا لم نقع الى الآن على مانستدل به في هذه النقطة ؛ ولم اتصل بشيء من كتبه لعلني اقع على كلمة نفهم منها ما فهمناه من الكلمة التي وقفنا عليها لسيدي سليمان حتى اخباره لم اعرف منها الا ما ذكره لي العم من انه رديف سيدي سليمان في كل ما يزاوله ؛ وقد سالت شيخنا سيدي عبد الله بن محمد عنه لعله يفيدني فما زاد على ان قال انه راي في مخلفاته ما يدل على ان له يسدا في الفرائض والحساب والهيئة ؛ ومشاركة قليلة من العربية والفقه ؛ فهذا كل ما نفصل الى عنه ؛ ثم لم يتيسر لي ان اري من رسومه ومخطوطاته ما ادرك انا به بدوري ما لعله يخفي عن اولئك ؛ حتى مبتدأ حياته ومنتهاها لم ندر كيف هو ؛ وكل ما نعرفه انه معاصر لسيدي سليمان الذي كان حيا من نحو ١١٣٠ هـ الى ١١٩٩ هـ فلتلك المعاصرة رايت رقم الولادة مرقوما بما قبل ١١٣٨ هـ والوفاة بما بعد ١١٨٥ هـ فاحتطنا في زمن الولادة والوفاة

ولم يعقب الا من ولده عبد الله وحده رحم الله الجميع •

سیدی صالح بن عبد الله الزاوی

قبل ۱۲۱۰ هـ - نحو ۱۲۶۰ هـ

نسبه

صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
سیدی صالح کاسمه ؛ صلح هو ومن امتد منهم ؛ ومن امتدوا منه ؛ فقد
رايت ترجمة والد جده عبد الله بن احمد ؛ وما وصف به ؛ ويذكر مثل ذلك
الصالح في جده صالح بن عبد الله وفي ابيه عبد الله بن صالح ؛ ولكن منعنا
ان نفردهما بترجمة اننا لانعرف عنهما الا هذا الوصف فقط ؛ وهذا الوصف
في الحقيقة كثير من اتصف به من اهاليها الى الان ؛ وشرطنا ان نعرف
للرجل ما يستحق ان يذكر له وراء صلاحه ؛ الا اذا كانت له شهرة بصلاحه
تلقت الانظار فاننا نعتني به بدورنا ؛ ونلتفت اليه ببصرنا ؛ وهل يراعى
المورخ الا ما يراه بصره ؟

حفظ صاحب الترجمة القرآن ؛ واتقن رواية المكي ؛ واستبصر شيئا
مما وراء ذلك فكان ممن يحرر بقلمه كل ماعن من الرسوم وما اليها من اول
القرن الماضي الى وسطه وقد جرى ذكره في كلامنا على سیدی ابراهيم بن
سليمان وقد حكى عن سیدی صالح اخبار كثير وديانة ومسكنة ودعوة
مستجابة ؛ وكشف لايزال يذكر به تواتر عنه الى الان ؛ وكان قليل ذات اليد
فلا يملك الا حمارة وبقرة يحرث بهما فيجمع البركة التي تيسر فيزيكها
فتنزل البركة ؛ فتكفيه ماتكفي مات الكثيرين ؛ حكى لي مجاطي عن مجاطقة
ان فلانا من كبار مجاطة سماه ؛ كان من رؤساء قومه ؛ فصادف مرة صاحب
الترجمة قد جمع من محصول فلاحته مقدار عشر غرائر ؛ فقال له ان هذا
لايكفيك مؤنة السنة فلماذا لاكثر الفلاحة ؟ فقال له صاحب الترجمة وكم
تدخل انت من محصولك ؟ فقال ادخل المائة فاكثر فقال له : وما يدريك ان يتوقف
صاحب المائة على صاحب العشر ؟ فلما توسطت السنة ؛ ووصل وقت الحرت
احتاج المجاطي الى البذر ؛ فجاء اليه فسلفه اياه ؛ وكثر ايضا تحدث الناس
بانه كان سنة ۱۲۵۵ هـ صباحا في متوضا مسجد الزاوية ؛ فاخبر من حضر

بغرق كثير في وادي تامانارت ؛ وبعد يوم جاء الخبر بان سيلا جارفا حمل سقى تامانارت واجتث اشجارها ؛ وهذه الحكاية يتحدث بها الناس تحدث كثيرا وقد كان تزوج امرأة من تاكفيسشت بسملالة ؛ فولدت له ولده الحاج عبد الله وحده ؛ ثم لم يرزق سواه ؛ فبقى كذلك سنوات كثيرة ؛ فوفد عليه اصهاره يوما وقد عرفوا له مكانته من الصلاح ؛ وراوا ان يجبروا خاطره - فقالوا ان كان لك غرض في زوجة اخرى ؛ فلا تمنعك اختنا ؛ ولا الحياء منا ؛ فقد طبنا نفسا بذلك ؛ فلا احب اليانا من ان تعمر هذه الدار ؛ فقال لهم ان جعل الله البركة في عبد الله فانه يكفي ؛ فالعبرة بالبركة لا بالكثرة وان لم يجعل الله فيه البركة فماذا يجدى مائة من الاولاد ؛ فسرعان ما يطوف الوباء الجبارف فاذا هم لاعين ولا اثر فأعقب عبد الله وحده ؛ فكان منه الخير الطيب ؛ والنسل المنتشر المبارك •

كان سيدي صالح مقصودا في عصره بالرقى والتماثل والدعوات ؛ معروفا بذلك فلا يخلو مكانه من الواردين ؛ وكان اذا راي من اطل المكث عنده يقول ان اردت دعوة او تميمة اورقية فهاهي ذى عندي؛ وان اردت مائدة ممدودة وفراشا مبسوطة فعليك بسيدي ابراهيم بن سليمان ؛ يقول ذلك لان هذا غنى كريم ؛ موطوء العتبة بكرة وعشيا بالوارد والصادر •

سيدي

محمد بن احمد السعيدى

نحو ١٢١٥ هـ - ٢١٦ هـ

نسب

محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا جد والدى ومربيه ومعينه على حفظ القرآن ؛ كما سترى ذلك في ترجمته ان شاء الله ؛ وقد كان لوالده احمد وجاهة وذكر ومال ؛ ولكنه لا يذكر الا بهذه الوجاهة وهى ما لا نعتبره في اهلينا بالترجمة الخاصة ؛ ما لم يكن معها صلاح مشهور او علم لان امثال هذه الوجاهات في قبيلتنا وجاهات شخصية لا تعدو نفع الاسرة ؛ ولا تجد القبيلة منها ظلا وريفا ولا تسمع منها كلمة نافذة ولذلك اسقطنا شرطها في اهلينا خاصة .

كان صاحب الترجمة ممن اتقن كتاب الله الكريم ؛ وممن اشتهر بصلاح وبركة وشهرة وسطى لم تدرك شهرة معاصره سيدى صالح المتقدم الذكر ؛ وكان الناس يتناوبونه للرقى والتمائم والتطبب خصوصا في المرض الذى يسمونه قطع اللحم ؛ فانه ممن اشتهر عنه مداواته ؛ وقد طال عمره كثيرا حتى استوفى تسعين ؛ وله من الاولاد جدنا احمد الذى هو والدنا آل الشيخ ؛ واعامانا ؛ ثم بعد سنتين لحق ايضا سيدى احمد بابيه ؛ وذلك سنة ١٢٩٨ هـ وولادته نحو ١٢٣٠ هـ وقد خلف عمنا محمدا المتوفى ١٣٢٩ هـ وعمنا الحاج عبد الله المتوفى في الحجاز في ذى الحجة سنة ١٣٠٥ هـ والشيخ الوالد الذى سترى ترجمته ان شاء الله ؛ والعلم ابراهيم الذى افادنا جل ما فى هذا الكتاب وسترى ترجمته ؛ والعلم بلقاسم المتوفى ٦ ذى القعدة ١٣٦٦ هـ

فهؤلاء اولاد احمد بن محمد رحم الله الجميع والحقنا بهم مسلمين .

سیدی محمد بن بلقاسم التیمیوتی

نحو ۱۲۵۰ هـ - نحو ۱۲۸۹ هـ

نسبه

محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن علی بن احمد بن عبد الله بن سعید
هذا اول فقيه علامة متمكن شهير نشأ بالغ من اهلنا بعد الفقيه سیدی
سليمان المتقدم فرفع راية الافتاء رفع من يخلق ويفرى ؛ ويقبل ويدبر ويذاحم
معاصريه باكتاد العماليق الذين يكون لهم الخصل في كل مسابقة ؛ والاستحواذ
في كل مزدحم ؛ لولا انه سقط بقصر العمر دون المدى .

جاء الفقهاء المتقدمون سليمان بن محمد وابنه ابراهيم واحمد بن صالح
بعلالة يتبلغ بها ؛ وبفجر له نور ضئيل ؛ لم ينشب ان ذهب بلا آثار باقية
ولا اخبار توثر فظهر انه الفجر الكاذب الذي يتعرض تعرض ذنب السرحان ؛
ثم لم يلبث ان تجيش عليه الدياجير فتغمره ؛ ثم جاء الفجر الصادق البين
الذي يتبين به الخيط الابيض من الخيط الاسود بصاحب الترجمة العلامة
الفهامة الفقيه المتمكن في تفهم النوازل وفقهها غاية التمكن ؛ فلم يلبث اصحاب
القضايا وارباب الخصومات ؛ ان سالت اليه بهم الا باطح ؛ وهو يقضي
ويحكم بما اراه الله ؛ وقد طار صيته بين فقهاء عصره فكاتبهم وكاتبوه ؛
وعرفوا له مكانته التي اطل منها مابين الاقران ؛ ثم بينما هو يتأهب فلكه للارساء
ويستعد للزوج ؛ اذا به اعتبط اوفر ماكان نشاطا واعلى ماكان شهرة فذهب
مبكيا على شبابه النضر ؛ وابقى ثلثة واسعة في الخ اذا ابكت قلوب الاصدقاء
واشتمت افئدة الحساد ؛ وما اكثرهم في كل عصر ولكن ان ذهب سیدی محمد
ابن بلقاسم ؛ فان الخ يتمخض عن علامة آخر سينزع نزعا ينسى نزع ابن بلقاسم
ويرد البشر الى الذين سالت اعينهم دما بالرزء بصاحبهم هذا ؛ حتى تعود
الثغور كلبابه بواسم ؛ وایام الخ به وبآثاره وبآثار معاصريه اعيلا ومواسم هكذا
جاء صاحب الترجمة كبرق اومض ؛ ثم لم يلبث ان تبعه خصب كثير ؛ اد
كفجر صادق لم تتشب بعده الشمس ان طلعت فاستنوت في رابعة النهار
فلئن كان هو امضى حياته هذه القصيرة بين النوازل واربابها فقط ؛ فسياتي
من يضيف الى ذلك مجدا موثلا ؛ فيؤسس مدرسة يتدفق اليها الطلبة من كل

فج عميق *
 بداية صاحب الترجمة غامضة ؛ فلم ندر متقلبه في حين اخذه للقرآن ؛
 ومن هم اساتذته فيه ؛ وهل عمل الرحلة وراءه اولا ؛ وكذلك لاندري عن
 شيخه الاستاذين محمد بن محمد المافاماني ومحمد بن محمد بووازي الساموكني
 وقد خاطب كل واحد منهما بشيخه ؛ اين اخذ عنهما ؛ والاستاذ المافاماني
 كان في المدرسة الايفشانية حوالي ١٢٧٠ هـ ماشاء الله سنوات كثيرة ؛ والاخر
 كان ايضا في مسجد (ايشوكاك) في أكادير ايزري ؛ فهل اخذ عنهما في هذين
 المحليين او في غيرهما ؛ الجواب عن ذلك درج في غفلة التاريخ ؛ ولكن شيوخه
 الذين نعلمهم حقا ؛ ونراه لازهمهم كل الملازمة هم آل اكستيم الحاج عبد الله بن
 عبد الرحمن واخوانه محمد والحاج احمد وربما اخذ ايضا عن والدهم شيخ
 الاسلام عبد الرحمن بن عبد الله الذي لايزال حيا يوم التحق بتلك المدرسة قبل
 ١٢٦٨ هـ فهو لاء اشياخه حقا المعروفون ؛ فلولا انه انتسب بالتلميذية للاستاذ
 ابن المافاماني والساموكني لما توهمنا انه عدا هؤلاء الجشتيميين الى غيرهم *
 ثم اننا راجعنا كتبه التي خلفها ولايزال اهله يحافظون على هذه الخزانة
 الى الان ؛ محافظة الضنين على درهمه الوحيد ؛ فرايناه نسخ البهجة للسيوطي
 وانما بعد العصر بالسبت الثاني من شعبان ١٢٦٨ هـ والتاودي على الزقافية
 في الاثنين الثاني عشر من رمضان ١٢٦٨ هـ والاجوبة الروضية عن مسائل
 مرضية ؛ في المبيع بالثنيا والوصية ؛ والمقنع ؛ وشرح الزواوي والفقهيات
 للجشتيمي والتاودي على التحفة ومتن الزواوي ؛ وكنز العربية شرح الاجرومية
 للصنهاجي وبعض شرح السلم ؛ والدردير على المختصر والازهرى على
 الاجرومية ؛ وابن كثيران (كذا) على ابن عاشر ؛ وابو الحسن على الرسالة ؛
 هذه كلها نسخها بيده وربما نسخ غيرها ؛ لان من ارسلته وراى ذلك قال انه
 لم يتتبع كتبه كل المتبع حتى يعرف ابقى وراء هذه من مخطوطاته شيئا ما لا قال انه
 لم يورخ من منسوخاته الا التي ذكر تاريخها لاغير ؛ فمن هذا النسخ والصبر
 عليه ندرك همة الرجل واكبابه بكل ما في جهده على التحصيل ؛ فحين كانت
 كتب الدراسة تعوزه والمطبوعات اذ ذاك لما توجد في الاسواق للبيع ؛ ولا هناك
 خزائن يستعار منها اقبل على الانتساخ ؛ ولا تكون هذه الهمة الا في الافذاذ
 الذين يجعلون نصب اعينهم التحصيل *

كثيرا ما اسمع بعد رجوعي هذه المرة الى الغ بصاحب الترجمة واناخلو
 من علمه ومعرفة شأنه قبل ؛ فصرت ابحت عنه علني اصادف من ادركه ؛ او
 من عنده حقيقة خبره ؛ فلم اجد الا العم فنفض لي بعض مايتعلق به ؛ والاما
 كان من شيخ كبير السن من آله ؛ هو ابن اخيه فقال لي استحضروا وانا صغير
 ارعى بهم (١) أسرنا في سفح ربوة مشرفة على قرينتنا ؛ والفصل فصل الربيع وقد

(١) الجهم بفتح فسكون صغار الغنم

اتشحت الربا بالازهار وبرزت الارض في برد موشى قشيب ؛ فشاهدنا ونجر صبية صفار جنازة مضى بها اهل القرية فسمعنا من يقول انها للفقير سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وقد ادركت من مباحثته ان تلك السنة ربما كانت ١٢٨٩هـ ثم حكى لى ايضا - وقد سألته عما يسمعه من عند اهله عنه - قيل لهذا الفقيه لماذا نرى المتخاصمين يتناطحون ويتشاكسون ويترامى بعضهم على بعض ؛ فاذا جلسوا اليك لا يلبثون ان يرجعوا فى هدوء وسكون ؛ ماذا تصنع بهم حتى تفنا شرتهم ؛ وتسكن من حدتهم ؟ فقال اذا جلس المتخاصمان الى فلا يخلوان معا من احد امرين اما ان ينقادا معا لحكم الشريعة ؛ ويتبعان الحكم الذى احكم به عليهما ؛ فيقومان حامدين شاكرين ؛ وقد ادرك صاحب الغلط منهما غلظه واما ان يلد أحدهما والآخر ممن يتحمل الصبر ؛ فيستحيى منى ؛ فاننى أكلفه ان يتنازل عن بعض حقه فيخرجان راضيين معا ؛ فليل له وأما اذا كانا معا من ذوى الالداد ؛ وذوى الصمم عما تقول وممن لا يستحيى منك ولا يهتبل بمقامك ؛ فقال اذا كانا كذلك فانى اعالجهما بالتى هي احسن حتى اصرفهما عنى وكسل ما أطلبه منهما أن يهدءا حتى يبتعدا عن مجلسى ؛ قلت هذه السياسة التى اوتيها هى لاريب التى رفعت من شأنه ؛ واعلت من مقامه ؛ وأسألت اليه البطاح باعناق المطايا ؛ فان الاخلاق الحسنة ملاك العلم ونخاعه الذى به يقوم صلبه وكان من عادته انه يأخذ ممن له الحق حظا يتفاوضان عليه وقد ادرك مسن العلماء من يقولون ان قضاة البادية الذين لا يتوصلون بحقهم من بيت المال وقد انتصبوا للقضاء ويمضون فيه جل اوقاتهم فى مراجعة المسألة ومحاسبة وكتابة وتتبع الرسوم لابد لهم من اجرة ؛ واولى دن يعطيها من صحت له القضية ؛ وفاز فيها ؛ هذا قول بعضهم (١) ولل بعض الاخر كلام آخر ؛ وعلى تلك الطريقة يسير غالب علماء سوس ؛ وعلماء الغ قديما وحديثا ؛ ومن بينهم صاحب الترجمة ؛ فكان يفافض فى ذلك صاحب الحق حتى يتراضيا على اجرة تطيب بها نفس المعطى وقد اخبرنى المسن ابن اخيه المذكور انه سمع ان بعض الوقاويين كان حكمه وصاحباً له فى قضية فحكم له وتوصل منه بما تراضيا عليه ثم ان الوقاوى راجع الفقيه فقال له اننا غلطنا فى الحساب حين ادفع لك اجرتك ؛ فقال الفقيه اننى تحققت ما توصلت به منك ؛ ولم يجتز الى درهم واحد يزيد على ما تراضينا عليه ؛ فكان الوقاوى تناوله بكلمة مست شعودة فثار عليه فقال لتؤاخذنى بين يدى الله ان خنتك فى درهم واحد ؛ ولتقف فى باب الجنة ان قسدت حتى تصدنى بدانقك ان مر الى ؛ فطوى الوقاوى البساط ؛ وقد جد الجدد وراى من الاستاذ انه لم يبق ذلك المرباط الضعيف

(١) لعبد الرحمن الجشتى

فكم اخذوا اجر الفتاوى وقد اغلوا

لنا اسوة بالاقدمين شيوخنا

المستكين - بعد ما اعلى العلم شأنه ؛ وارهف حده؛ وازال الغشاوة عن بصيرته

أخال ان سيدى محمد بن بلقاسم فارق المدرسة الجشتيمية نحو ١٢٧٥ هـ قبل السنة التى سافر فيها استاذ سيدى الحاج احمد الى الحج ؛ ثم انه منذ ان لازم داره وانقطع عن الاخذ اقبل على فض التوازل ؛ وقسم التركات ؛ واجالة

قلم الفتوى وما اكثر مخطوطات يده فى ذلك ببلاد الوفقوايين والمجايطيين والحربيليين ؛ وكان الذى يصاحبه غالبا سيدى الحاج عبد الله بن صالح؛ وقد اخبرت انه هو الذى قسم املاك ايت اورعى ببغلاش؛ اخبرنى بعض البغلاشيين المسنين بذلك ؛ وقال انه يستحضر ذلك الوقت وهو صبي صغير

ان اعجب مارايته لصاحب الترجمة اعتناؤه بتحرير المسائل ؛ فما تنزل بين يديه تازلة الا امعن فيها بل يشاور علماء عصره ليدلوا فيها بأرائهم فقد وقفت له على اسئلة يوجهها الى الاستاذ محمد بن محمد المافامانى ؛ والى الاستاذ محمد بن محمد بووازي الساموكنى ؛ ومعاصره الاستاذ الحاج ياسين والفقيه محمد بن صالح الساموكنى ؛ والى الاستاذ احمد بن عدى العركوبى ؛ والاستاذ محمد بن محمد الايسى الملقب هموش ؛ والاستاذ على بن محمد التوزونتى المجايطى التمكيدشتى ؛ والاستاذ احمد بن محمد الايغرى التامانارتى والاستاذ سعيد الاساكى الافرانى وأشياخه الجشتيميين وربما كتب سوالا واحدا فى قضية واحدة ؛ ففرقه عليهم جميعا ليرى جواب كل ؛ وهذه همة الافذاذ الذين يودون ان يقفوا على الحقيقة ؛ وشيمة المنصفين الذين لا يتكبرون من ظهور جهلهم ولا يتعالمون على معاصريهم حتى لا يتنازلوا الى مساءلتهم فى مسألة ؛ وكذلك رايت له ايضا مكاتبات بينه وبين الفقيه سعيد بن على البريمى التازروالتى؛ والاستاذ الحاج الحسين الافرانى ؛ وهذه بطاقة كتبها اليه هذا الاستاذ

ه وبعد فقد أذنت للفقيه سيدى محمد بن بلقاسم التيبوتى سلالة سيدى عبد الله بن سعيد فى تنفيذ الحكم الذى ابرمه سيدى احمد بن محمد المنكبى -الايغرى- على محمد بن بلقاسم مطوس ؛ به علم الالغى بعد أن ألقى السلاح ولم يات بما ينفعه كتبه باذنه فى ٢٣ من ذى الحجة عام ١٢٨٥ هـ عبد ربه الحسين ابن الحاج احمد بن الحاج بلقاسم الافرانى كان الله له ولينا ونصيرا»

وهذا مايدلك على شهرة صاحب الترجمة بين معاصريه ؛ على قرب رُوزه بينهم فقد رايت فى مخاطبات بعضهم اليه اجالا واحتراما ؛ ثم ما زال صيته يدوى حتى وصل الخبر مسامع يعسوب هذه الجهة فى ذلك العصر ؛ الشريف الحسين بن هاشم الايليغى فاستحضره على بغلة مسرجة اتى بها عبيده ؛ فركبها وهو لابس خنيقا غليظا مما اعتيد لباسه فى الشتاء فى ذلك العهد ؛ وفى مدخل راسه المتدلى وراءه كتاب فقهى صاحبه معه هكذا تحكى حياته تعجبا لان المعتاد من العلماء تحسين الهيئة ؛ فتوى بايليغ فبعد أن رحب

به رب المتوى سآله عن مسآلة فقهية تتعلق بملك جرى فيه خلاف بينه وبين رئيس الجرآدين امغار محمد بن على ؛ وقد كان علماء ايليغ وهم كثيرون اذ ذاك اقتصوا بأن الحق لسيدي الحسين ؛ ولكن اراد هذا ان يتثبت خوف أن يكون هؤلاء انما هبوا بالريج التي توافق خاطر صاحبهم فذكر له صاحب الترجمة ؛ وانه قوال للحق ؛ لايبالي باحد فلذلك استحضره فقال له مآظهر لك في مسآلة صفتها كذا وكذا ؟ فاستمعله هذا الى الغد ؛ فراجع حتى عرف ماهنالك ؛ وفي اليوم الثاني قال له الرئيس الق مسآلتك على هؤلاء العلماء فانهم قالوا فيها قولهم ؛ ثم انفتل الرئيس عن المجلس ليترك الفراغ لمن اراد أن يبدى ما ظهر له بكل حرية ؛ فالتفت سيدي محمد بن بلقاسم الى العلماء فقال لهم انكم افتيتم في هذه المسآلة بخلاف الحق ؛ اين انتم مما قال فلان ونص عليه فلان ؛ وقال فلان انه هو المشهور ؟ ثم ناقشهم فيما ذهبوا اليه فآطرقوا كلهم بعد ان قطعت جهيزة قول كل خطيب .

حضر الشريف فاعلن له ضيفه الحق في المسآلة ؛ وان الملك انما هو للجرآدي ؛ وليس له ؛ فآلقى سيدي الحسين على اذنايه من اولئك العلماء نظرة طويلة من النظرات التي يلقياها الانسان على من يعسف عن طريق الحق تزلفا اليه ؛ فكان ذلك لصاحب الترجمة كمذياع اذاع شهرته ثانيا الى عنان السماء ؛ ثم صار صاحب ايليغ يرسل اليه في الرمصانات لدرس الحديث المعهود ؛ الى ان انقضى اجله بسرعة .

هذه الحكاية سمعتها من اناس كثيرين فكانت لنا كالمآجر الذي نستقرب به ما تباعد عنا مما يتعلق به (ثم بعد هذا اتصلت باوراق كثيرة من مساءلاته للعلماء ومن فتآويه ؛ فبعد ان عزمت على سوق بعضها هنا ؛ رايت ان احيل القارئ اليها في كتابنا - آثار فقهية للمتآخرين بالغ وغيره - فقد حشرنا فيها كل آثاره التي لاتعدو الفقهيآت ؛ لان الادباء الذين كتب لهم هذا الكتاب - لايسامحوننا ان سقنا بين ايديهم مسائل فقهية التي يعدونها - فيما يزعمون- من المستقلاآت)

كان الاستاذ التيسوتي اتصل بالآشتيمين كما رايت في تواريخ نسآه لتلك الكتب قبل سنة ١٢٦٨ هـ اوفى تلك السنة بنفسها ؛ وآخال انه آخذ عن المآفاماني والساموكني قبل ان يتصل بالمدرسة الآشتيمية ؛ آخذ عنهما المبادئ وآله اعلم . ثم قبل ١٢٨٠ هـ رجع موفورا مودعآ من اسآذته الآشتيمين الى داره ؛ وقد وقفت على مفيد لآسرتة بينوا فيه مالكل من الآخوة ؛ وهوينهم بينوا ذلك ليلتحق كل واحد بحظه متى شاء ؛ ثم بقي الشمل منهم بعد ذلك مجتمعا ؛ وكانت اسرة غنية تحدرت اليها الثروة ممن قبلها ؛ وقدرات في ترجمة عمه الرجل الصآلح سيدي آحمد بن بلقاسم انه كان ثريا ؛ ولكن

الاحبار تحدث عن هذه الاسرة بغنى وافر اكثر مما يظن ؛ حتى انهم ذكروا لها عبيدا ومدخرات ومواشى كثيرة ؛ حتى ليقال اتفقوا ولدت - ١٠٠ - شاة في يوم واحد ؛ ولا يخلو هذا من اغراق ؛ ولكن ذلك على كل حال يدل على ثروة خطيرة بحسب مقياس هذه البلاد الفقيرة التي يعد فيها من يملك اذذاك مائة ريال كرتشارد الاسرائيل المشهور في بلاد اوربا ؛ على ان ماناله الاستاذ من المكانة والشهرة بسرعة مما يشهد لذلك ؛ لان الناس عبيد المال في كل عصر ؛ وكلمة من ملكه هي العليا دائما ؛ وقد اسس الفقيه من بين اسرته دارا خاصة به ؛ واثل املاكا جديدة من وراء ما يتوصل به في قضائه ؛ فعزم على الزواج وقد اعد كل شيء اذا بمرض غير طويل الم به ؛ فلم يفارقه حتى اراحته القبر

وبعضنا قائل ما اغتاله احد وبعضنا ساكت ام يوت من حصر

ووفاته في نحو ١٢٨٩ هـ كما ذكره العم ابراهيم ؛ وكما تبين ايضا من حديث ابن اخيه المسن المتقدم ؛ وهو على كل حال لم يدرك جمادى الثانية من سنة ١٢٩٠ لاننى رايت بطاقة فيها تحرير امة من اخوانه احمد وعبد الله ومحمد - فتحا - بخط الاستاذ افكان - وقد نشرناها في ترجمته - فلم يذكر بينهم ؛ وقد اطلعت له على مورخ بسنة ١٢٨٦ هـ وقد تاخر عنه الفقيه الحاج على ابن عمه بسنوات ؛ كما اخبرنى به المسن المذكور ؛ فلذلك نرجح ان وفاته في نحو تلك السنة ولو كان يورخ دائما مايكتبه لربما استدللنا لذلك بكثير مما رايناه له ؛ ولكن عمت البلوى منه ومن غيره من فقهاء هذه البلاد بعدم الاعناء بالتاريخ الا في الرسوم ولو كان ايضا يمكن لنا ان نتبع الرسوم المحررة بيده لربما امكنت مقاربة معرفة وقت وفاته ؛ ولكن اين من يعتنى بذلك ؟ فياضيعه الاعناء ومدفنه في قرية تسيوت في المقبرة هناك ؛ وعليه بيت ؛ واما وقت ولادته فقد قررناها بنحو ١٢٥٠ هـ احتياطا والا فالغالب ان ولادته قبل بقليل ؛ وقد رايت حين اتصل بالجستيمية سنة ١٢٦٨ هـ او قبلها كان حصل على بعض المبادئ حتى امكن له ان يعتنى وينسخ ويكتب مايكتب في آخر منسوخه ؛ والغالب انه اذ ذاك كان ابن نحو - ١٩ - سنة او اكثر ؛ وقلما يكون اقل في نظر من اعتبر ما يتقلب به ابناء هذه البلاد قبل ان يشدوا ويدركوا هذا المهدرك .

هذا ما امكن لنا ان نقوله عن الفقيه الاول بالغ سيدى محمد بن بلقاسم التسيوتى الذى ابتهجت به الخ حينما قصيرا ؛ ثم رزته سريعا ولم يخلف لها الا تلك الآثار الفقهية لاغير ؛ رحمه الله ؛ وجعله فى اعلى عليين

الحاج على التبيوتى

نحو ١٢٤٥ هـ - ٢٥ - ٤ - ١٢٩٨

تسبيحه

على بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد هذا فقيه آخر من قرية تبيوت ؛ وان كان لم يحفظ بما حظى به ابن عمه سيدى محمد بن بلقاسم ؛ لتفوق ذلك عليه في المعلومات ولمفارقتة المدرسة ؛ ولتصدره في ميدان الشهرة ؛ ولاشك في ان آل بلقاسم ارادوا أن يزاحم اولادهم آل سليمان الذين كانوا اذ ذاك علماء الخ ؛ فمالوا باولادهم هؤلاء الى المسارسة فحظى سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وكبا الحاج على ابن عمه دون المدى

التحق بعد حفظه للقرآن بالمدرسة المولودية ؛ عند الاستاذ الحاج ياسين فبقى هناك ماشاء الله ؛ حتى حج مع استاذة ؛ ثم لم يزل رابضا بتلك المدرسة يتمصص من بعض معلومات الى ان زار اهله سنة ١٢٩٨ هـ فمرض فلحق بربه في وقت الصبح يوم الجمعة من غير ان ينزع بقوسه نزعا نعرف به متانة عضلاته ولا اخاله الا انه كان خديم استاذة الحاج ياسين ؛ لانه من المقربين اليه .

حكى لى ذلك المسن التبيوتى السالف في الترجمة المتقدمة ؛ ان صاحب الترجمة كان كثر اللحية ؛ وقد ابيض نصف شعرات لحيته شيبا حين توفي ؛ قال وهو اكبر من ابن عمه المتقدم ؛ وقد حكى كيف احتضر ؛ وان الغرغرة وسكرة الموت اشدت عليه حتى اشمته بعض نسائه طيبا فهدأ حتى خرجت روحه ؛ وكان ترأته من بين اخوته من متخلف والدهم مصونا في بيت ؛ قال وبه استعان ورتته في المسغبة التي دهمت الناس ١٢٩٩ هـ بعد موته قال وكان متقشفا لايبالي بنفسه وكتبه لم تزل بالمدرسة المولودية حتى توفي ؛ فجاء استاذة الحاج ياسين تبيوت فعزى اهله .

وقد ذكره لى العم ابراهيم وقال انه ضعيف المعلومات ؛ كانه بليد ؛ ولكنه اجتهد غير ان القدر حرمه من مناه ؛ فبهذه الشهادة من عمنا الذى يعتمد قوله في مثل هذا المقام ؛ ندرك ان اضاءة صاحب الترجمة اصغر من عين بقة ؛ وان ساحة مجال فهمه كصفحة وجنة الذبابة ؛ ولولانا شرطنا ان نذكر كل من له مسكة من العلم او الصلاح من اهالينا كيفما كان ؛ لكان الاولى ان لا يذكر من لم يفد لافى حياته ولا في مماته شيئا فقد حيا بلا آثار ؛ وتوفى بلا آثار ؛ فقد حيا في تلك

المدرسة حياة كثيرين من بلداء الطلبة ؛ حتى شاب ثم ذهب كان لم يكن حيا ؛ ومن
لم يحي في التاريخ بآثاره ؛ فلاحياة له
ولبعض الالفين :

بنفحاته الذكيات	الفجر بالنور وزهر الربا
يوثر عنه في المجالات	لولا فرند ذى الفقار وما
له فقط في المشرفيات	لما رايت اليوم من ذاكر



الحاج عبد الله بن صالح الالغى

١٢٤٥ هـ - ٢٦ - ١٢ - ١٣٢٢ هـ

نسبه :

عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد .

كثيرا ماتجد بين الاسر اسرة واطئة تقتحمها الانظار ؛ وليس حولها ما يلفت اليها العيون . حتى لكانها لاتزال بعد في مكنون العدم ؛ ولكنها لاتنثني ان تتمخض عن بعض افراد ينبتون بينها مثل ما تنبت نبتة تشق عنها النواة فتراها بين صفار النبات ؛ ؛ ومفرش النجم ؛ كان ورقتها الضئيلة من فصيلة اوراق تلك النباتات التي حولها ؛ ثم لايمضي الا حقبة حتى تراها تعلو ما حولها شيئا فشيئا والايام تمضي ؛ والليالي تمر كما تمر جنبات الدولاب ؛ ثم لايشعر بها حتى تعلو متناول اليد ؛ وهي تسرع الى كبد السماء ؛ ثم لاتنشب ان تراها سحيفة فارعة كأنها عماد من عمد السماء ؛ لو كانت السماء مما يحتاج تدعيمها الى عمد ؛ ثم تتفرع عنها عراجين وعناكيل ؛ ثم تدر على اهلها اكلاها كل حين باذن ربها .

مثل تلك النخلة مثل هذه الاسرة الصالحية ؛ فقد عهدناها منذ عهد جدنا عبد الله بن احمد ؛ ممعنة في الانزواء والمسكنة ؛ ولايزيدها صلاح اهلها وميلهم الى الخير ؛ وانجياشهم الى زاوية لايزاحمهم فيها احد من المثرين من ابنا اعمامهم الذين يتهاككون على كسب الدينار والدرهم ؛ الا ربوضا على الارض واطرافا عادة الرجال الذين قيل فيهم :

ان لله عبادا فطنا

نظروا فيها فلما علموا

تخذوها لجة واتخذوا

انطلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

انها ليست لحي وطنا

صالح الاعمال فيها سفنا

جاء صاحب الترجمة امبا وحيد والده ؛ فجعل الله فيه البركة التي قال والده فيها انها هي المعتبرة لا الكثرة ؛ فتزوج رقية بنت الحسين الاغوديدية فشر الله منهما خيرا كثيرا ؛ واخرج من صلبهما من يرفرف بهم على الخ لواء خفاق يشاهده الاقارب والاباعد الى الان .

ورث الحاج عبد الله من والده ذلك الصلاح المتقدم عنه؛ والبركة الموضوعة في بنائه؛ فقامت يده مريضا ولا تميمة ولادواء الا جاء الشفاء سريعا؛ حتى ان ذلك ليلفت الابصار؛ فقد ساله والدي مرة من اين يستقي تلك الادوية التي يصفها للناس؛ فقال له انما ذلك شيء يتقدح في ذهني عند سؤال سائل ويصح ما قاله انه ربما وصف في وقتين مختلفين شيئين متضادين؛ لده واحد للسائلين؛ فيشفي كلاهما بما وصفه له وورث ذلك التطيب عن والده سيدى صالح؛ ولكنه لم يرث عنه ذلك الانزواء الذي ازجى به حياته؛ بل تلمص هو من الخمول الذي صاحب آباءه منذ الجد الاعلى سيدى عبد الله بن احمد؛ فجاء بهمة عالية في كل النواحي ففلح وكسب واثل وتاجر؛ فلم تتوسط العشرة الثامنة ٧٥- من القرن الماضي حتى كانت له ماشية كثيرة في ايسافن مرتبعا اهاليها الالفين؛ فقد كان نوى من ولده البكر سيدى محمد الذي ولد سنة ١٢٦٥ هـ ان يقوم له بماشيته؛ ولكن هذا يهرب من ذلك الى المسجد؛ فمازال اهله يردونه الى الرعى حتى هرب ست مرات؛ فحينئذ فهم والده عن الله؛ فاعتنى بتعليم ولده القرآن فشارط له في داره استاذا خاصا كما ستري ذلك في ترجمة ولده؛ ثم لما اطل سيدى محمد بن بلقاسم على الغ بروعة العلم التي اظلمت انحاش اليه صاحب الترجمة؛ فصارا يتصاحبان كما رايته في ترجمة المذكور؛ ولاشك ان ذلك هو الحامل له على انفاذ الجهد في تثقيف ولده؛ ومن هنالك جاءت هذه الفكرة التي طلعت على الغ بحظوة لم تطلع بمثلها اية فكرة اخرى.

وكان ايضا يصاحب امغار محمد المجاطي؛ لما لهذا فيه من حسن نية؛ واخبرت انه صاحبه مرارا الى افران؛ كما اخبرت ايضا ان له بال (أسكاك ابلاغ) اتصالا؛ وان الشيخ احمد ابلاغ الاساكي؛ قال لمولاي الحسن حين زار سوس ١٣٠٢ هـ وقد كان هناك احد اولاد صاحب الترجمة؛ ان والد هذا سيدى الحاج عبد الله شيخنا.

هكذا خرج من انزواء اهله؛ فصار يعمل لكل جانب حركة؛ ولكل حركة بركة؛ فاتصل بالناس وتعرف باهل عصره؛ واشاد بذلك من جديد ذكر آل عبد الله بن سعيد؛ مع امعان فيما يعود عليه بفائدة دينية او دنيوية وقد اخبرت انه قارض مرة بعد ١٢٩٥ هـ الفقيه سيدى محمد بن احمد التيمولاي في دراهم اشترى بها زراعا كثيرا نحو مائة غرارة في تيمولاي فقيل له ان الزرع رخيص جدا لاريج فيه؛ فقال يكفيني فلس واحد للصاع ان ربحناه وقد ولد له ايضا بعد ابنه محمد المتقدم اولاد آخرون رباهم كما شاء؛ فمنهم من رباه للدين والعلم والارشاد؛ ومنهم من رباه للجانب الاخر الذي لا بد منه والطائر لا يطير بغير الجناحين؛ فقد ولد له ولده الحازم الملازم للصف سيدى

احمد سنة ١٢٧٥ هـ والاستاذ على سنة ١٢٧٦ هـ وابراهيم ١٢٨٢ هـ وكلهم اعقبوا خيرا كثيرا ؛ اطال الله عمر ابيهم حتى شاهد ابناء ابنائه بكثرة
ثم ايده الله فادى فريضة الحج سنة ١٢٩٣ هـ في رفقة الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارنى ولذلك افضل الله عليه .

غرس من اولاده ما غرس ؛ واعتنى بتعليمهم اعتناء كثيرا ؛ فبسعد ان كانوا يتعلمون فى المسجد القرآن راي ان يخصص لهم استاذًا على حدة ؛ فعل ذلك بولده الاستاذ الكبير ؛ وكان احب اولاده اليه ؛ ثم الحق به بالمدرسة التانكرتية ؛ فرجع منها سنة ١٢٩١ هـ فقررت عين الوالد بما توجهت اليه همة ولده ؛ فكان له خير معين ؛ ثم تأسست المدرسة ؛ وقد طبقت شهرة ولسده الافاق ثم توج شرفه بالمشول بين يدى مولاي الحسن سلطان عصره فاقبلت اليه الرفاق من كل جهة ؛ ولكن الزمن الذى اقر عين الوالد بما حظى به الولد ؛ لم يلبث ان ارمض كيد به باعتباطه شابا كما سترى ذلك ؛ فاحتسب عبد الله مصيبته به ؛ ثم جاء على ولده الاخر بمارد الحياة الى الوالد وعرف به ان فى الباقي خلفا . فطال عمره عقدين آخرين ؛ وولده هذا فى شفوقه على الاقران شفوقا كبيرا ؛ وامتنع الله بطول العمر حتى راي من جميع اولاده تفوقا فسى العلم والدنيا والدين ؛ وكان لعلو همته لايجب الا معالى الامور ؛ حتى فى البناء فلايجب الا العالى المتين ؛ وكثيرا مايقول اذا راي من بناء الفقراء فى زاوية الوالد ؛ انما هذا جمع احجار لمن سيبنى بعد ؛ وليس ببناء وماصدق فى ذلك رحمه الله ؛ ولكن الشيخ الوالد يقول اننا سنمضى فيه اعمارنا والامر اسرع من ذلك ؛ ولمن جاء بعدنا ان يفعل به ماشاء على كيفية تروقه ؛ وقد رزى ايضا صاحب الترجمة بموت حفيده احمد بن محمد انجب مايكون فكان رزؤه به كرزؤه بوالده قبله .

اما اخلاقه فانها هينة لينة لايبالغ فى العتاب ولا يستقصى فى التانيب ؛ وقد ذكر الاستاذ على ولده ان والده ماكان يتكلم معه فى اى شىء حتى يبلغ فيه الحزم الطبيين ؛ ثم لايتجاوز كلمة او كلمتين ؛ ولكن ولده يفهم منها ما يريد به والده ؛ ومبلغ تأثيره فى ذلك الامر .

واما دينه وملازمته للصف الاول فى المسجد فاشهر من نار على علم لايحول بينه وبين ذلك اى حائل ؛ ومواظبته على ذلك فى ايام اقلال اسرته اولا كمواظبته عليه اذ اسرته تدرك الف غرارة فاكثر من محصول الفلاحة ؛ والحظائر تعج بالمواشى والمدخرات تكتظ بها المخازن ؛ لايطيبه عن ذلك اى شىء من هذا كله ؛ ولسان حاله يشد قول بعض الالفين .

ومن عرف الدنيا كمعرفتى بها فليس بمفتر بقل ولا كثر
ومن عرف الرب الذى خلق الغنى نظيرى فانى يطبى عنه بالوفرا

واما نظرائه في مختلف الامور فهي صائبة ؛ ويؤثر عنه كشف كثير ؛ وآراء سديدة ؛ وحكم ماثورة ؛ حكي لى استاذى سيدى عبد الله بن محمد انه القى يوما من صدره مقدار بيضة من دم متجمد ؛ قال فحصل لى دهش كثير ؛ فذهبت بها اليه ؛ فقال لاباس عندك ان هذا من اثر الشفاء ؛ فكان الامر كذلك وقد توفيت رقية ام اولاده المتقدمة سنة ١٣١٤ هـ كما اخبرنى به العم ثم اقترن ايضا بعائشة البعليلية ؛ ورقية تلك توصف بالخير بين نساءنا ؛ وكفاها شرفا انها تكشف عن هذين العالمتين اللذين هما ماهما وفى اواسط سنة ١٣٢٢ هـ كان مرض يعتري صاحب الترجمة ولكنه يبل منه فشاع مرة انه توفى مع انه ابل من ذلك المرض ؛ فوجد بعض الوقفاويين المتعزية قال حفيده استاذنا عبد الله فوجدنا امام الدار ؛ فقلنا انه الان ميل من ذلك المرض ولا باس عنده ؛ فاستحيا الوقفاوى فرجع ؛ فاخبر الجد بذلك فقال اوتقول الناس ذلك ؟ انى اذن ليت قريبا ؛ قال ثم لم تمض ايام حتى سقط ؛ فالتحق بربه فى ليلة جمعة ؛ فغسله ولده الاستاذ على بن عبد الله والشيخ الوالد ؛ ثم صلى عليه هذا ؛ فوورى فى القبة ازاء ولده الاستاذ محمد ابن عبد الله ؛ وفى بقية من كفته كفن الفقيه الصالح سيدى عبد الله بن محمد ابن القاضى الايدى كلى الذى توفى بعد هذا بشهور وقد رثاه شاعر العصر فى القطر السوسى ؛ الاستاذ الطاهر بن محمد بقوله : يعزى ولده الاستاذ على بن عبد الله

على مثل هذا الحادث القادح الوقع
ابعد مصاب المسلمين بفقد من
وبعد مصاب الدين بالواحد الذى
وبعد ابي الاشياخ افضل والسد
لقد زلزلت ارض السيادة بعده
وغيب منه اللحد بدرا تكشف
وفلل منه الموت لادر — دره
واوحش ربع الدين منه وطالما
فاى امرئ يفرى العويص فريه
لقد كان للمجد المؤئل ساعدا
فو الله ما قام النعى بموته
فصبرا امام الدين فالصبر صارم
ففيك لتشييد الكمال كفاية
فلا تخضع الصم الصلاب لزعرع
فلا رزء الا دون رزئك فليكن
فدونكها مولاى من فكرة ذوت
تسر وفاء لوتمد بمنجد

تذال نفوس لامصون من الدمع
يقوم مقام العين للمجد والسمع
ينوب اذا عد الكرام عن الجمع
يساء بضر او يسر بما نفع
ودكت جبال المجد من نفخة الروح
عن الدين والدنيا به ظلمة النقع
شبا صارم ان سل قل شبا النبع
ناى جنبه جنح الظلام عن الضجع
ويكشف وجه الراى فى الجلب والدفع
فمات فكف المجد منى بالقطع
فاخرس الا والكمال هو المنعى
يسل فيرمى مارن الرزء بالجدع
اذا مال منه الركن تجذب بالضبع
يهب وانت فى العلا علم الرفع
تلقيك امر الله بالسمع والطوع
نضارتها اذ خانها مسعد الطبع
من القول لاستقصت مدى الواجب المرعى

الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى

١٢٦٥ هـ - ٢٢ - ٤ - ١٣٠٣ هـ

نسبه

محمد بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد .

الغ عبارة عن هذا البسيط الافيح المتسع الذى زويت عنه زهرة الحياة
الدنيا ؛ ولم يحظ بالرياض الاريضة والجنان الخضراء ؛ والحدائق الغناء
والمزارع المخصبة والالفاف الغلب ومتنوع الاشجار ؛ والجداول المطردة والانهار
الفياضة والمرايع التى تفيض حيناً بالعشب النضر ؛ وحيناً بالغناء الاحوى ؛ كل
ذلك منعه منه يد الطبيعة ؛ وحرمت اهله من الاستمتاع به ؛ فما هناك الا عاصير
شمالية او قبولية او دبورية ؛ تصرصر فى هذا البسيط الاجرد فتثير زواجر
تدافع متتابعة ؛ وهى قائمة ممتدة من الغبراء الى القبة الزرقاء ؛ كانها صفوف
نخيل متدافع ؛ وصرير الجواء يصك الاذان ؛ وتلاطم مختلف الرياح كانه صفير
الجنة فى اوديتها .

فاية حياة ياترى تستطاب فى بلد هذه بعض صفاته ؟ او اى عمر يظن من
أمضوا اعمارهم فى وسط تلك المهام القفار ؛ انهم امضوه تحت قبة السماء
- كما يمضى الناس اعمارهم فى هذه الحياة الاولى تحت قبة السماء - ولكن رب
العباد الشفيق الرفيق الذى شملت رحمته كل شئ ؛ لا يزوى عن بلدة متعة من
هذه المتع ؛ الا عوضها متعة اخرى من ناحية اخرى ؛ فباى متعة ياترى عوضت
الغ بعد ما حرمت مما ذكرناه

متعة الغ التى فاز بها فى هذه الحياة الاولى ؛ هى متعة الدين والعلم والادب
وكان الذين نبتت هذه النعمة العظيمة من ايديهم رجالا نبغوا اخيراً فى الغ ؛ فى
مقدمتهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله صاحب الترجمة

فهو اول من وضع الحجر الاساسى فى العلم والادب الالغيين ؛ واول من
علم لبنيه حق التعليم كيف السيادة بالمعارف ؛ وكيف تستخرج دفائن الافكار
بعلم الادب ؛ ثم باشارته وبمعاونته اسس الشيخ الوالد زاويته بالغ بعد ما عزم
ان يسكن فى موضع آخر ؛ هو البق بالحياة وامكن ان يتيسر له فيه ما جعله
نصب عينيه كما سترى ذلك فى ترجمته ؛ فالت الغ ببركة الاستاذ ابن عبد
الله مكانة وعظمة املت على لسان شاعر سوس ؛ وريب الغ شيخنا الافرانى
ان يقول من قصيدة فى الاستاذ على صنو صاحب الترجمة الذى كان ثانياً اثنين

في الاشارة بمعارف الخ الماجدة :

ناهت بواحدھا السخ فقلت اھا ايه فقد سلمت مصر وزوراء
ارض تراھا عبر والنسيم شذا والماء راح وكالياقوت حصبا

الاستاذ محمد بن عبد الله هو اول من ذاق العلم من اهلنا ذوق من
ادرك منه انه اساس السيادة الدينية والدينية ومغناطيس جميع المقامات
اعليا التي تشرئب اليها نفوس الاحياء الاباة ؛ فاقبل عليه وعلى تعليمه اقبالا
غريبا حتى لا يحول بينه وبين تعليمه منصب القضاء الذي انتصب فيه بين هذه
القبائل ؛ فلم يكن كالاستاذ التيسوتي المتقدم الذي استراح في الدرجة الاولى
واكتفى من وراء علمه بمنصب القضاء

الاستاذ محمد بن عبد الله هو المنبع الاول لجميع العلوم التي اشتهرت
بها الخ ؛ ووسمت بها من اواخر القرن الماضي بين البلدان السوسية ؛ حتى
صارت مثلا مضروبا في الاندية العلمية ؛ فكل من زاول العلم بعده من الالفين
وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم ؛ وهم عشرات انما هم كلهم حسنة من حسنة
هذا الاستاذ

الاستاذ محمد بن عبد الله هو الذي وضع بفكرته البذرة الاولى لعلم
الادب بين ما يليقه من المقطعات والقصائد لتلاميذه ؛ ثم مازال نبغاء اصحابه
ونبغاء تلاميذهم ينتهجون منهجه ؛ حتى صاغوا لالخ خاصة ؛ ولسوس عامة
بل وللجنوب المغربي اجمع تاجا من الادب مرصعا ؛ يتلألا فوق هامات هذا العلم
العالي الذي لا يتعالى اليه الا المصطفون الاخيار ؛ فلئن كان شعر الاستاذ ليس
بما بلغ به المدي ؛ فان من بعده ممن سار في طريقه ؛ حازوا به خصل السبق
وتلك سنة النمو والتدرج والترقي ؛ ولا يمكن في العادة ان تنخرم سنة الله في
كل شيء ؛ ولن تجد لسنة الله تبديلا

فليعلم العالم اجمع هذا الاستاذ ؛ ولتخلده آثاره في الخالدين ؛ وليسبق
ذكره معسولا في افواه ذاكره في ندوات التاريخ التي لاتزداد بتقادم الازمنة
الاجدة وطلاوة .

فليحيى الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ وليحيى ذكره امد الدهر ؛ وليحيى
كل من بذل جهده في اعلاء شان العلم والادب ؛ وليحيى هذا الادب الاندلسي
النضير الذي ما ازهر في الخ بل في الجنوب المغربي الا بسببه

بسم الله

كان بكر والديه وكانا يطعمان منه ما يطعمه كل والدين من مرابطينا

اصحاب المواشى من ابنتهما البكر ان يكون ساعدا لهما ؛ ومعين على مشاق الحياة وكانا يميلان به فى الصغر الى رعاية الغنم ؛ ولكنه كان يهرب الى المسجد ؛ وقع منه ذلك ست مرات ؛ فانعكست به القضية المعتادة ؛ لاننا لانشاهد الا مسرعا يهرب من المسجد لامن يهرب اليه فكان ذلك كارهاص لما سيؤول اليه امره

كان مسجد الزاوية كانه موقوف على طلبة دويملان التملين احفاد الشيخ سيدى يحيى بن عبد الله شيخ جدنا عبد الله بن سعيد ؛ فكان اولاده محترمين عند اهاليها يتيمنون بهم فتداولوا هذا المسجد ؛ وكان فى تعليمهم نقص فاستحيا منهم اهل قرية الزاوية ان يستبدلوهم بغيرهم فمن عند احدهم افتتح صاحب الترجمة ؛ ثم لما راي والده ان القراءة بالمسجد عرجاء ؛ شارب له فى داره الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم افكان سوك افردنا له ترجمة فيه تخرج فى القرآن وذلك نحو ١٢٨٠ هـ

فى مدرسة تانكرت

كان من اول ما لاحظت عيون السعادة صاحب الترجمة ان وفق والده فالحقه بهذه المدرسة ؛ حيث كان الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى الافرانى والد استاذنا سيدى الطاهر ؛ فهناك رابط كل سنوات اخذه ؛ ولم يتجاوز ذلك الاستاذ فى كل ما اخذه ؛ حتى افغوم اناؤه ؛ وعثقت رحيقه فرجع يختال فى رضا استاذة ؛ وقد حمل بين يديه مهمة عظيمة ؛ جعلها كل مناه فى الحياة ؛ فعزم على ان يمضى فيها عمره كله ؛ وماتلك المهمة التى جعلها نصب عينيه الابث العلم ونشره ؛ فلا حياة الا بعلم ؛ ولا علم الا بهمة ؛ ولا همة الا ممن نفخت فيه روح تستمد من الملا الاعلى ؛ وكانت سنة اياه من تانكرت ١٢٩١ هـ

فى مسجد قريش

قف بنا الان قليلا لنلقى نظرة عجل على هذا الطالب النحيف الذى لا يحرك جسده الضئيل الا بعض دماء تجرى فى شرايينه ؛ والا همة عالية تبساول الثريا من القعود ؛ فعهدنا به وقد هاجر منذ عشر سنين ؛ من قرية ساذجة منتهى سمو اهلها فى التعلم ان يحفظوا القرآن ؛ ومنتهى سمو جيرانها الذين تعلموا بعض علوم ؛ ان ينصبوها حباثل لفصل الدعاوى وفص الخصومات لينتشر عليهم من ورائها بضعة دراهم ؛ فهذا الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم التيسوتى هاجر ما هاجر وكد وتعب حتى حصل ؛ ثم رجع فوجد اهله يتنعمون بمال وافر ؛ وثروة كثيرة ؛ وانعام يضيع فيها العد ؛ ثم ما جال فى ذهنه ولا مثل بين عينيه الا ان يجعل عمره كله فى فض النوازل ومزاولة الخصوم ؛ ليزيد تلك

الثروة ضخامة الى ضخامة ؛ ولم يدر في خلده ان يثبت ما حصله في صدور النشء ولا حاك في صدره ان مثله من يؤسسون المدارس وان نظيره يبني له بمثل هذه الاعمال مستقبلا كفيلا بدوام المجد وخلود الذكر ؛ ووفر الاجر عند الله فكان منتهى عمله وهجراه ان يظل يدور من ايت وفقا الى امتضى الى مجاط الى ايلينغ ؛ ليحتقب مستجدا يزيده الى ما عنده فكان جزاؤه بعد ان امضى في ذلك نحو عشر سنين انه لما مات مات ذكره ؛ وكادت آثاره تنمحي من الوجود لو لم تتصل ببعضها ؛ فاستخرجنا منها بعض ما يتعلق به ؛ واما صاحبنا هذا الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ فقد رجع بهذه الهمة العليا ؛ وبهذه النظرة التي لا ترى الا السماوات العليا ؛ فجعل امام عينيه ما جعل مع ان دار والده ان قيست بدار آل الاستاذ التيسوتي قفراء لولا بعض ما استجده فيها والده الحاج عبد الله بسنعه الخيثة الجديد ؛ ثم ليس هناك شيء آخر يعتمد عليه في أداء مهمته هذه ؛ ولكن همم الرجال اذا توجهت الى شيء كونهت الاسس اولاً ؛ ثم رفعت عليها بناء مشمخرا يناطح اجواز السماء ثم لم يطل العمر بالاستاذ محمد ابن عبد الله منذ توجه الى مهمته هذه الا بمقدار ما طال بالاستاذ التيسوتي منذ فارق المدرسة ؛ وانتشبه في القضاء ؛ ولكن ان وازنا بين العاملين ؛ ندرك ما بين الرجلين ؛ فهؤلاء تلاميذ الاستاذ محمد بن عبد الله قد ملاوا هذه الارحاء علماً ؛ فاين من اباقهم الاستاذ التيسوتي من عمله ؟ واين ما يذكر به اليوم بعد ان صار من المروسين ؟

هذا الاستاذ محمد بن عبد الله قد رجع بهذه الهمة ؛ وها هوذا قد انتصب في مسجد قرية الزاوية بالغ ؛ وها هوذا يحول المسجد الى مدرسة فيزيد بعض ابنية يتسع بها المكان ؛ وهؤلاء الطلبة يجتمعون عليه ؛ وها هوذا يموههم من عنده وها هي ذى دروس علمية منتظمة تتوالى في المجلس الجديد الذي اسسه هناك وها هي ذى سنوات ٩١-٩٢-٩٣- قد مضت وهو لا يزداد الا نشاطاً ؛ والطلبة المنقطعون اليه قد بدأت حالات النجاسة والتفوق تستدير بهم ؛ فها هذه الاعمال ؟ وما هذه العزائم ؟ افليس الرجل غريباً بهمة النادرة ان قيس باهله وبعلمائهم ؟

في المدرسة البومروانية

اذا اراد الله بانسان خيراً هيأ له من حيث لا يحتسب اعانات ؛ واركاناً يتكئ عليها بنيانه ؛ حتى لا تزعزعه العواصف ؛ ولا تنسفه القواصف فهذا يعني ما جرى لاستاذنا صاحب الترجمة ؛ فان سنة ١٢٩٤ هـ كانت على ابواب المسغبة العظيمة التي الت بسوس ١٢٩٥ هـ فاجتاحته فاهلكت النفوس ؛ وافقت الاموال ؛ وانت على اسر كثيرة وعلى قرى عامرة فاجتشت اصولها ؛ ولا يدري الا الله كيف تكون حالة الاستاذ لو بقي في ذلك المسجد في تلك المسغبة

وقد تطوق بهؤونة طلبته الفقراء الغرباء ؛ ولكن رعاية الله فوق كل رعاية؛ فقد
 حدثه العناية الربانية التي لا يعدمها العاملون المخلصون الى المدرسة البومروانية
 فشارط فيها ؛ والمدارس لا تخلو من زرع مدخر ؛ ينفع في امثال هذه المساعب
 وقد كان الاستاذ يفضل شيئا مما يتوصل به من شرط مسجد الزاوية فتجهد
 له في السنوات الثلاث ما اضافه الى ما يتوصل به من شرط المدرسة البومروانية
 من سنة ٩٤-٩٥- فكان زرعاً كثيراً فصار يشتري الاملاك في تلك المسغبة
 والاملاك من اخص ما يكون ؛ والم dxرون للحبوب قليلون ؛ والجهد يحمل
 الناس على بيع نفائس ما يملكون برخص ؛ فحاز بذلك املاكا كثيرة في قرينته
 وما اليها ؛ ففي سنة ١٢٩٦ هـ وهو لا يزال مشارطا في المدرسة تلك ؛ عزم على
 تنفيذ فكرة جعلها نصب عينيه فبادر الى تاسيس مدرسته الخاصة وقصد
 شجعه ما بيده ؛ وما صار اليه ببركة شرطه الذي باعه ؛ ومن الاملاك المفلة
 فرأى ان يستشير من هم اكبر منه ؛ فان المشورة لاتاتي الا بخير؛ فاعمل رحلة
 الى شيخ العصر وبركة تلك الجهة سيدى الحسن بن احمد بن محمد التمكشتى
 فاستشاره فأذن له بعد ما اشار عليه ايضا العالم المدرس مسعود بن محمد
 البونعماني بتاسيس مدرسة كما حدثني بذلك تلميذه الفقيه سيدى عبدالرحمن
 العوفى عن ابي الحسن صنو المترجم وخليفته في مدرسته الالغية صانها الله
 وكان سيدى الحسن يشك في مقدرة الاستاذ لما رآه من ضؤولة جسده ؛
 ونحافة قوامه فظن انه رجل اقوال لارجل افعال ؛ ولم يدر ما قال الشاعر

ترى الرجل النحيف فتزدرية وفي اثوابه اسد هصور

وكان سيدى الحسن اسر الى بعض جلسائه ما يدل على ذلك في صورة
 مباسطة يسأله هل يقدر هذا على تنفيذ مايقول ؟ فتكفل الزمان بجواب
 سيدى الحسن حين توسطت سنة ١٢٩٧ هـ فشاهد المدرسة تشيد ؛ وما كان
 مظنونا صار محققا

المدرسة الالغية تؤسس

كان الاستاذ لا يزال بالمدرسة البومروانية ؛ وهو يوالى الدروس لتلاميذه
 بهمته المعروفة ؛ فما كان يجب ان يبطل درسا في وقته ما استطاع الى ذلك
 سبيلا ؛ فحين كان لابد له من القيام على بناء مدرسته بنفسه؛ استدعى الشيخ
 الوالد ؛ وكان اذ ذاك مشارطا في المدرسة الفوكرضية ليقوم مقامه في موالة
 الدروس لتلاميذه فاسعفه الوالد ؛ فودع فوكرض ؛ فجاء مع من معه من التلاميذ
 فحل محل صاحب الترجمة فى بومروان سبعة اشهر حتى تمت الدورة
 السنوية التى شارط عليها الاستاذ اصحاب المدرسة ؛ وقد تمت المدرسة
 الالغية ؛ وفصلت بيوتها الكثيرة ؛ ولكنها بعد ذلك ضاقت بالطلبة ؛ فصار من
 له منهم طاقة يبني من جديد لنفسه .

المعهد في كن المدارس السوسية المثبة بين القبائل انها تؤسس على
 ايدي اهل القبيلة الذين يجمعون من عندهم اجرة اساتذتها ؛ ومن اعشارهم
 للطلبة الغرباء المنقطعين فيها ؛ ولم يعهد بسوس فيما نعلم من قام بنفسه
 بتأسيس مدرسة وحده كما يفعله اساتذة السباعيين ومن اليهم حيث تتوفر
 لهم الاموال ؛ ويوجد معينون مقتدرون ؛ الا ماكان من صاحبنا الاستاذ محمد
 ابن عبد الله انصامي الذي اتكل على ربه اولا؛ ثم على جهوده ثانيا؛ فانه اشاد
 مدرسته الالغية وحده ؛ جمع عليها العملة ؛ فقام بهم من داره مؤونة واجرة
 ولم نعلم ان احدا اعانه سوى الحاج ابراهيم الايشاني ؛ فقد سمعنا انه امده
 ببعض اعانات ثم عزم الاستاذ على ان يقوم بأود من ينقطع اليها - بلسفوا
 مابلغوا- وحده مما تدره عليه املاكه المستجدة كما ذكرنا ؛ ثم طابت نفوس
 بعض جيران الغ باعانات من اعشارهم التاكانزيون والتجارمونتيون
 والاعوديديون احوال الاستاذ واما آل (اسيف مقورن) فقد انعموا بان
 يمنوها بالحطب دائما ؛ واما مرابطونا الذين يجب عليهم ان يكونوا خير
 معينين لابن اخيهم الذي قاد اليهم المجد الموثل بأرسانه ؛ فجعله في تناول
 ايديهم ؛ وفتح لهم بفتح هذا الباب بابا خالدا لا يوصد أمام قاصديه ثم
 اهاب بهم ليوجهوا اليه ابناءهم لعلهم يدركون من الشرف مالم يخطر على بال
 لهم ولا لابائهم من قبل ؛ هؤلاء الذين يجب ان يتبادروا كلهم اجمعون اکتعون
 ابتعون ابصعون قد انقسموا فرقتين ؛ فأما من شرح الله صدورهم للتقوى
 وانار الله بصائرهم بأنوار حب الخير ؛ ومسحت صدورهم من الاحن والاضغان
 والحسد ؛ فقد انضموا الى جانب الاستاذ ؛ وأبلغوه ان اعشارهم سيكون
 منها للمدرسة نصيب ؛ فهم أولى بذلك من التاكانزيين ومن معهم باعانة هذه
 المدرسة ؛ ثم صاروا ياتون بذلك في بعض السنوات بصفة غير منتظمة ؛ واما
 الفريق الاخر فقد اصبحوا ممن يتخبطهم الشيطان من المس تناكل قلوبهم مما
 ينفسونه على اخيهم فيما آتاه الله من فضله ؛ فأوحى اليهم حسدهم ما اوحى
 فأقبلوا يؤسسون بزعمهم مدرسة اخرى بايمور ؛ ازاء مشهد الجند سيدى
 عبد الله بن سعيد ؛ فصاروا يدفعون اليها بقبضة من اعشارهم؛ فكانت مدرستهم
 كمسجد الضرار - كما سماها بذلك والدنا الشيخ رحمه الله - ولكن مضت
 ايام فايام ومدرسة الاستاذ فى ترق واشتهار ؛ ومدرستهم كانما بنيت فى
 قعر بير ؛ لان المدارس باساتذتها لا باسمائها ؛ كما ان الصمصامة بساعد عمرو
 ابن معد يكرب لا بصلها ؛ فما مضت سنوات حتى راينا وراى العالم من خرجتهم
 المدرسة الالغية ؛ فارونا ايها الايموريون واحدا تخرج من مدرستكم ؛ الا حين
 شارط فيها الاساتذة سيدى احمد بن صالح الافرانى ؛ وبلييه سيدى

محمد بن الحاج ؛ وسيدى المكى اليزيدى وهؤلاء ومن تابعهم انما علمهم من الاساتذة الالفيين الاخرين وما هم الانفحة من نفحات المدرسة الالفية ؛ لان هؤلاء خريجوها واولادها والمربون فى حجرها

الاستاذ فى مدرسته الجديدة

طارت الاخبار بارتكاز المدرسة الالفية على الجهد والاجتهاد ؛ فانها الى الطلبة من كل حذب ينسلون فصار من يرد يجد من تلك الثلة التى كانت صاحبت الاستاذ من اول يوم اذ كان فى مسجد القرية ؛ وفى المدرسة البومروانية كالاستاذ العربى الساموكنى واقرانه من قدماء تلاميذ الاستاذ قد تفوقوا ؛ ونالوا فى تعلمهم المقام الذى يتمكن به صاحبه فيقبل ويرد ؛ ويزن بالقسطاس وزن الناقد البصير ؛ فاتخذوهم قدوة فى الاجتهاد ؛ واملوا ان يصبحوا امثالهم غدا ؛ ان ساروا على الدرب الذى سار عليه هؤلاء قبل ؛ فمن بين من التحق بالمدرسة ؛ فى تلك الحقبة الاستاذان الكبيران شيخنا الطاهر الافرانى وابوالقاسم التاجارمونتى وامثالهما الذين سترى لهم بعد ما ترى ؛ فيقبل الاستاذ كل من ورد عليه ؛ ويركزه فى الطبقة التى تليق به ؛ فيقبل عليهم تهديبا وتربية ؛ وكان طلبتها فى ذلك العهد لا يتجاوزون خمسين ولم تدرك شاو المدارس القديمة العهد التى تزخر اذ ذاك بما فوق المائة لكل واحدة ؛ كالمدارس الادوزية والبونعمانية والبوعبدلية والتمكدشتية والارازانية الراسلواذية والمحمدية الهشتوكية ؛ فان لم تدرك الالفية الحديثة العهد هذه القديمات المكتظة بالتلاميذ ؛ فان العبرة بالفائدة الحاصلة ؛ وبعدد الخريجين لابتكرة المجتمعين

بغات الطير اكثرها فراخا وام الصقر مقلات نزور

كيف دراسة الاستاذ

كما ان مهرة البنائين يرون ان منتهى الفكرة هو مبدأ العمل ؛ وان وضع أسس بناء فكرت فى ان تجعله عاليا ؛ لابد لها من ارض صلبة ثابتة ؛ حتى تطبق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم راسية لئلا تتزعزع اركان تطبيق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم راسية لئلا تتزعزع اركان واختلاف تقلبات الجو ؛ كذلك مهرة المعلمين الذين يربون النشء ؛ يرون ان البدايات مجلى النهايات ؛ وان الخطط تبني على ما رسمت عليه من اول يوم فتراهم يسلكون بالمبتدىء مسلك الحفظ وتنبه ذاك رته شيئا فشيئا بمعاودة ما يدرس ؛ ليتمرن على الاستحضار ؛ وعلى تفهم ما يتلقى فيستكثر له من تكرير القواعد وممارستها فى كل فرصة ؛ مع اجالتها باسالات لسانه ؛ فذلك

ادعى للرسوخ ؛ ولأن تكون له ملكة ثابتة مع الزمان حتى لا ينساها ولا تناسى
 له مع غيرها ان امعن بعد في طرق العلم الشتى التى يدفع اليها متى شدا فعلى
 هذه الطريقة سار الاستاذ فى تعليمه ؛ فبثها لكل من درج بين يديه فعادت
 محجة لكل من يعلم من الالفين بعد ؛ فلئن كان بعض المبتدئين يجدون فى ذلك
 بعض صعوبة ؛ فانهم يحمدون مغبتها بعد حين ؛ ثم بعد ان يشدو تلميذه وقد
 اتقن الاجرومية التى يقرأها لابد مرتين فى اللوحة بشرط ان يحفظ كل الحدود
 حتى ان لم يدرك معناها كله الان فانه يعدها فى حافظته لماسياتى ؛ وقد قرأ
 ايضا المتون الصغرى الجمل والزواوى واللامية والمبنيات وهذه هى متون
 المبتدىء فى النحو ؛ واما فى الفقه فابن عاشر ؛ فان استتم هذه واتقنها
 ولو باعادتها مرات ؛ يستقبل الالفية والرسالة ؛ والمقامات ؛ وهو ماخوذ
 بحفظ كل الشواهد وما يكتبه فى لوحته ؛ لان الدرس فى هذا الطور الثانى
 لا يكون ايضا الا بها ؛ وهو وطبقته يطالع النجباء لهم الدروس التى سيقرونها ثم
 يعيدونها هم بانفسهم مرات بعد ان درسها لهم الاستاذ ؛ واعراب الحزب بين
 الشاءين للمبتدئين امر لابد منه ؛ فهكذا لا يمضى للتلميذ سنتان فثلاث حتى
 يتمكن وقد اتم الالفية والرسالة فيقبل به الى المختصر والتحفة والزقاقية
 والعمل والمنهج والالفية بالاشموني ؛ وقد كان فى المرة الاولى يقتصر له على
 البهجة والمكودى ؛ ثم فى هذا الدور الثالث يدفع به الى خوض كل شىء من حديث
 وتفسير وفرائض وحساب بعد ما اتم من هذين بشىء قليل فى الدور الثانى
 هذا وهو فى عشية الاربعاء وفى يوم الخميس يتلو فى كتب الادب التى كان
 يتلجج جرائيمه من المقامات الحريرية التى يدرسها يوميا ؛ بل ويحفظها وفى
 الفواشر تدرس قصائد ادبية اخرى كلامية العجم ؛ وبانت سعاد ؛ والمعلقات
 السبع ؛ والدريدية والدالية لليوسى والهمزية والبردة ؛ فيدرك الطالب
 بذلك كله شاوا كبيرا ثم يطالب فى مناسبات مختلفة ان يترامى على
 صوغ الرسائل والقصائد ؛ ثم ان ظهرت فيه اهلية وظهر بقريحة جيدة فانه يعتنى
 به فى الادب والانشاء ؛ والا فيكتفى منه بان يدرك الفضة من القصة ؛ والتمرة
 من الجمرة ؛ وفى الدور الثالث يدرس ايضا علم البيان فى متون التلخيص
 والاستعارات بمنظومة ابن كيران ؛ والاصول فى جمع الجوامع ؛ هذه خطة
 الدراسة الالفية ؛ وعلى هذه الوتيرة يتمشى اهلها ؛ ولا يخطون هذا النظام
 والاستاذ يستعين بحذاق تلاميذه فى مختلف الطبقات ليتدربوا ايضا على
 التعليم ؛ فجاءت هذه الطريقة بنتيجة عظيمة لا يمكن ان يهتدى اليها الا من
 سار بنظام ؛ والنظام والتؤدة والرفق والتدرج شيئا فشيئا ؛ ما دخلت فى
 شىء الا سار هو بنفسه بالطبع حتى يكون من المثل العليا يشاهده كل احد .
 هذا ما اسسه الاستاذ محمد بن عبد الله فى مدرسته الجديدة التى سار
 فيها سيرا منظما متوازنا ؛ وقد حفظه الله من العثرات التى توالى عليه بعد
 ان كاد ينبطح فى بعضها ؛ وما اولع العثرات بالساعين فى انجاز الاعمال .

ماكاد الناس يفلتون من مسغبة ١٢٩٥ هـ حتى جاءتهم سنة ١٢٩٩ هـ بمسغبة اخرى اشد واعظم ؛ والاستاذ قد امكن له ان يتملص من الاولى بانجائه الى المدرسة البومروانية التي كفته مؤنة تلاميذه ؛ وأبقت على ما اقتصدت في مسجد الزاوية قبلها وامتته بشرط آخر تأتي له به وبما في يده ان يخرج فائزا من تلك السنة الشهباء باملاك وافرة هي معتمده يوم اسس المدرسة ولكن هذه الاملاك بورية ؛ وقد افلت سنة ١٢٩٨ هـ من غير ان تريخ الى خزانته حبة واحدة ؛ ثم طلعت السنة التي بعدها فاذا الناس يتضورون سغبا ؛ ويسقطون بالجوع في الطرقات ؛ فماذا يفعل الاستاذ الان ؟ والمدرسة قد اجتمع فيها عشرات من المنقطعين ؛ والسنة الماضية محلة ؛ وهذه الحاضرة ادهى وامر ؛ طعن الاستاذ هذه الطعنة ؛ فلم يجد لها دواء الا ان يجيل على تلاميذه نظرة فيستبقى منهم من تقدم في التعلم وظهرت نجابته ؛ ثم يودع سواهم ويواعدهم يوم يعود الدهر بخيره ؛ وهل يجود عمر الا اذا جاد الله ؟ فذهبوا وفؤاد الاستاذ ذورا هم ممزق شعاع ؛ ودموعه على وجناته تساقط سمطين سمطين كما يقول الزمخشري

زار الشيخ سيدى المدنى الناصرى تلك السنة الخ ؛ فنزل بالاستاذ واذا كان لابد من شكوى الى ذى مرؤة يواسى او يسلى او يتوجع ؛ نفى الاستاذ شكواه الى ضيفه فقال له وعيناه مغرورقتان بالدموع - كما حكى من حضر- اننى ياسيدى كنت شيدت هذه المدرسة لتعمر ؛ وأهاب السعد اولا بالطلبة اليها ؛ حتى اذا توافروا والفاهم وألفونا اضطرتنا هذه السنة العجفاء ان نأمر بعضهم بمغادرتها وصدورنا تتأجج أسفا ؛ فكأن السعد الذى كان اذنا اولا ؛ قد طلقنا اليوم وكان الله لم يرد عمارة مدرستنا هذه ؛ لئرى بأعيننا كيف خاب فى ايدينا رجاؤنا فهدها الشيخ بكلمات مسح بها بعض مالم به ؛ ثم قال له قم بنا الى هرى المدرسة ؛ فمد الشيخ يده الى حفنة فبارك فيها فقال له لا تخف منذ اليوم ان يخلو هذا الهرى من الشعر ؛ فان كل الاولياء يباركون فيه به ما باركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومثلك لا يخيب له رجاء ؛ مادام قصدك حسنا - فشجعه الشيخ بكلام آخر كثير

ثم ما دارت الدورة السنوية ؛ حتى انجابت الغمة ؛ وانكشفت الغمام وألقى الخصب بجرائه فى الخ ؛ وقد كان الناس تكلفوا ما اطاقوه من حزن والاستاذ بينهم باخ فى ذلك جهده ؛ فافاء عليه محصوله تلك السنة ما يناهز الف غرارة فيما يقال ؛ فاقعومت مخازنه ومخازن المدرسة بالخبرات التى فاضت اليها من ربها ومن اعشار الناس ؛ فراجع الطلبة المودعون مدرستهم واتبعهم آخرون فسارت المدرسة فى طريقها ؛ وانطوت تلك المسغبة الشديدة

عن الناس ؛ فأقال الله عشرة الاستاذ بصدق نيته وحسن طويته ؛ ومن كان
لله كان الله له

العشرة الثانية

اشتهر الاستاذ بعلمه وفقهه كل الشهرة ؛ وصار بينه وبين اقرانه مسابقة
في ميدان الافتاء ؛ فصار أرباب النوازل وذوو الخصومات ؛ والمتطلبون لقسم
التركات يردون عليه ويحكمونه فيما بينهم ؛ ثم لم تزل شهرته تتسع وهؤلاء
يتكاثرون حتى ليكادون يحولون بينه وبين ان يودى حق المدرسة ؛ وربما
تعرض له ايضا اشغال يسافر اليها فيبقى الطلبة بلا دراسة كسفره الى
مراكش في اواسط سنة ١٣٠٠ هـ فحين اطلت سنة ١٣٠١ هـ رأى ان يستعين
بالاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم اليزيدى فشارطه في مدرسته ليتمكن
للدروس ان تتمشى بنظام ؛ ان حال بينه هو وبين مولاتها اشغال طارئة
او اصحاب النوازل الذين يصيرون امام داره كانه سوق ؛ فكان هذا الاستاذ
اليزيدى مما وقى به صاحب الترجمة من العشرة الثانية لان الطلبة الغرباء لا
انقل عليهم من ابطال الدروس ؛ وتخلل الفترات بينها ؛ ولا ينبك مثل خير

الاستاذ وطلبتهم في وادي افران

بدا للاستاذ ان يزور هو وكل من في مدرسته وادي افران ؛ فقصدا
الشيخ سيدى المدني ومعهم الاستاذ اليزيدى ؛ والدراسة سائرة في طريقها
ولم يقطعها السفر وقد وجدت للاستاذ هذه الابيات يخاطب بها سيدى المدني
هذا ؛ واظن ذلك في سفرته هذه

ايا ابن القطب احيا الدين جهرا	وجدد ما وهي وازاح جهلا
اتينا كي نزرركم وكنتم	لذلك في اعتقاد العبد اهلا
فمنوا بالقبول فذاك قصدى	وسعدى قولكم اهلا وسهلا
ومبد للضراعة نحو ربى	ليقبل جمعنا شيخا وكهلا
وتم عليك من ربى سلام	به يرويكم نهلا وعلا

فحين حلوا دار الشيخ تطلب منهم رؤساء قبيلة تانكرت ان يتبعوا
قراهم بيانا فاسعفوهم ؛ وكان الزيت مخصبا جدا في تلك السنة ؛ حتى كاد
يكون بلائمن ؛ فصار اهل القرى يجمعون للاستاذ والطلبة قبضة - نحو كيلو -
من الزيت لكل دار ثم اتبعوا سبهم يتقرون ايضا قرى قبيلة اداوشقرا ؛ الى
ان حلوا بتيمولاي اسفل افران وذلك كله محبة لاهل العلم ؛ والمنقطعين اليه ثم
رجع الاستاذ ومن معه الى الغ يحتقبون خيرا كثيرا واجرا حافلا ؛ ولا جناح على
المؤمنين ان يتبعوا فضلا من ربهم من الباب المشروع

الاستاذ يعاود إدارة الدروس بنفسه

رايت ان الاستاذ اليزيدى هو الذى قام بادارة الدراسة سنة ١٣٠١ هـ والاستاذ مشغول بأرباب النوازل المتكاثرين ؛ ثم كان نفسه لم تطب الا بمزاولة ذلك فلازم بنفسه ؛ فودع الاستاذ اليزيدى ومكنه شرطه ؛ وجزاه خيرا ؛ ثم انتصب لما هو بصده ؛ ثم لايجد منه المتداعون الا مافضل عس اوقات الدراسة ؛ وقد سمعت انهم اذ ذاك يتجمعون امام باب المدرسة ينتظرون فراغه من الدروس ؛ هذا مع ان الاستاذ ضعيف البنية جدا ؛ هزيل نحيف من امراض لازمته منذ زمان ؛ لايجد متعة للحياة ؛ وقد حكى لى العم انه كان يقول الامن يعطينى صحة كاملة وجسما قويا فاناوله كل هذا المجد ؛ ولكن مع هذا الحال لم يطق ان يتخلف عن درس واحد ففضى بهذا كل هذه السنة ١٣٠٢ هـ

الاستاذ مع رؤساء إيلينغ

كان يعسوب جزولة ذلك العصر سيدى الحسين بن هاشم مولعا بكل مايزيده فى المعالى لبنة ؛ فيزيد الى ارباب الصوارم والعوالى ؛ ارباب الدفاتر والاقلام ؛ فكان حوّه منهم هالة كبيرة ؛ من بينهم الاستاذ المترجم الذى يفد اليه منذ كان بمدرسة تانكرت تلميذا فى الرضانات لدرس البخارى وفسى ١٢٩٣ هـ حين ودع والده الحاج عبد الله واستاذ ابن ابراهيم الى الحج اعتذر الى الرئيس بانه يتخلف فى رمضان تلك السنة ؛ فأبى أن يقبله فقال له الاستاذ ابن ابراهيم انه سيأتى فى رمضان فكان ذلك باذن استاذة اكيدا عليه ؛ ثم قال له استاذة بعد : كان يمكن ان تنفقل قبل ان يآلفك الرئيس واما الان فلاثم كان ذلك ديدن الاستاذ الالفى فى كل الرضانات حتى لحق بالمالا الاعلى

الاستاذ يتصل بالسلطان

جاء السلطان مولانا الحسن سنة ١٢٩٩ هـ الى سوس فنزل ازاء تزنيست فاهرع اليه كل من له اعتبار من الرؤساء والعلماء ؛ فكان صاحب الترجمة ممن ادى الحق الذى عليه لصاحب العرش المغربى ؛ فزاره مع طلبته ؛ ثم فى سنة ١٣٠٠ هـ سافر هو والقائدان سعيد المجاطى ؛ والحسن البنيرائى الى الحمراء فادوا التحية هناك فى ٢٤ - جمادى الثانية ؛ فوصل الجميع بصلات حسنة خصوصا الاستاذ فانه اعتنى به اعتناء زائدا ؛ ومن بين ما اتحفه به كسى كل من يتعلق به من اهل داره ذكورا واناثا ؛ طلب منه - كما سمعت - ان يقيد ذلك فنقد له الجميع ؛ واذ ذاك كتب له ولجميع المرابطين ذلك الظهير الشريف الذى نشرناه تحت رقم ٦- فى الملحقات بترجمة الجعد سيدى عبد الله بن سعيد فكانت هذه الحفاوة التى لاقاها من السلطان هذه السنة هى التى حدثت الى ان يعود الى زيارته ثانيا سنة ١٣٠٣ هـ والانسان اسير الاحسان

روح الأستاذ تلتحق بالرفيق الأعلى في مراکش

ماشينا الأستاذ منذ وثبته الاولى فصاحبنا في كل تقلباته المختلفة وفي جميع مقاماته التي يترقى فيها ولاشك ان القارىء يدرك سمو هذه المهمة الفذة التي هي كلها تطلع الى المرتبة العليا التي لا يعلى عليها ؛ وبرهن على هذه العبقرية كل برهنة ماحكاه العم ان الأستاذ على بن عبد الله صنو صاحب الترجمة كان يقول للأستاذ حين أقبل على تشييد المدرسة كل اقبال: ما نصنع نحن بمدرسة جديدة والمدارس المبنية في القبائل كثيرة جدا ؛ وما يعمرها الا أمثالنا ؛ ولا توصد أبوابها دوننا ؟ فبأى شيء تقوم هذه المدرسة اليوم أو بعد اليوم ؟ مع أن المدارس لا تقوم الا بمعاونة قبيلة من القبائل ؛ فقال له الأستاذ ما بنيت هذه المدرسة الا لاجرب هممنا لاعرف انحن رجال مقتدرون ام لا ؛ ولكي يعرف الناس بعد من انت ؟ هل انت رجل مقتدر نهاض بالعظائم ؛ وانت خائر العزيمة ممن يردهم خيال ويرهبهم ظل ؛ ويتطايرون بنفخة واحدة ادراج الرياح ؟

هذه هي همة الأستاذ ؛ وهذه مقدرته التي برهن عليها بفعله وقوله ؛ ولكن ربما يحسب بعض القراء ان التجارب التي اكتسبها من عمل طويل ؛ وان الدروس التي تلقاها من عقود كثيرة مرت به ؛ هي التي شجذت همته ؛ وارتته انه لا يفوز في الحياة الا المقدمون المغامرون ؛ فتكون تجارب شببته وكهولته هي التي اوحى اليه الفكرة العليا التي ينفذها في شيخوخته ؛ ولكن كم يطول عجه ان عرف ان هذه المهمة النافذة ؛ وان هذه الاعمال الخالدة ؛ وان هذا الاقدام الذي لا يلتوى انما ذلك من شاب نشيط مغامر تواق الى المعالي ؛ وانه ودع هذه الحياة قبل ان يتسلق قمة العقد الرابع ؛ فلئن كان الأستاذ يحيا النوى ؛ والفتاح الشهير اسكندر المقدوني ؛ قاما بما قاما به ؛ فيما يقارب هذه السن ؛ فان لهذا الأستاذ من الاعمال التي يتأتى لمن كان في وسطه ان يقوم بها ما يبراحهما به في شرفهما هذا بمنكب عريض مع مراعاة الازمنة والامكنة ؛ وما يمكن في كل عصر ؛ وما صاحبنا الاصنو سيدى ييورك بن عبد الله بن يعقوب السملالى في همته وفي علمه وفي قصر عمره .

كنا غادرنا الأستاذ بين تلاميذه في مدرسته يوالى الدروس سنة ١٣٠٢ هـ ثم في ١٣ - من ربيع الاول من سنة ١٣٠٣ هـ غادر المدرسة ؛ وقد استناب والدى في موالة الدروس مع الاشراف على صنوه على بن عبد الله الذى هو خليفته الرسمي فسافر مع القائدين المذكورين ليجددوا التحية لصاحب العرش ؛ وقد لازمه ذلك الهزال ؛ ولكن ذا المهمة النافذة والنفس الكبيرة ؛ لا يبالي بجسده ؛ في قضاء مهمته .

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

فرجع القائدان بعد ان تم المرام ؛ وتشرفا بالثول بين يدي صاحب الجلالة مولانا الحسن فبقى الاستاذ وراءهم هناك مع لمة من اصحابه ؛ ودأؤه يلح عليه وربما عالجه بمرهم لم ينجح فيه ؛ ثم ازداد عليه مضض فاحس بدنو الاجل فطلب ممن معه ان يخرجوا به من الحمراء ؛ فنزلوا به في قرية صغيرة في احواز تامصلوحت ؛ وهناك جاءت الدقيقة الاخيرة ؛ فلفظ الاستاذ محمد بن عبد الله النفس الاخير .

قضى الامر ؛ ونزل مالميس لبنى آدم طاقة ترده ؛ فافاق رفقاؤه ؛ فمالسوا بالاستاذ الى مقبرة صغيرة ازاء تلك القرية فواروه فيها ؛ ثم جمعوا متاعهم فرجعوا ادراجهم الى الغ ؛ وهم يندبون سعدهم ؛ ويبكون جدهم ؛ ولا يدرون باي وجه يردون على اهلهم ؛ وبأى طلعة يطلعون على الغ وقد غادروا بدره الوضأ بتامصلوحت ؛ وحفروا هم له بايديهم هناك ؛ ثم افردوه في رمس تسفى عليه الريح والمور .

دهم نعى الاستاذ المدرسة ومن حوايلها ؛ فقامت القيامة ؛ واسود وجه النهار وهم في صحو يكاد يقطر غضارة ؛ فاقبل والده الحاج عبد الله مطرق الراس عليه غيرة ترهقه فترة ؛ يفصح جبينه بما لم يقدر لسانه ان ينطق به استسلاما للقضاء فادى حق التعزية وقوبلت وفود المعزين الذين تواردوا من كل جهة من الالقيين وغيرهم ؛ بنفوس تعرف ماهو التجلد ؛ وكيف يكون الاحرار الاباة ؛ في امثال هذه المواقف الجلى ؛ وكان من بين الواردين الشيخ سيدى المدنى الناصرى ؛ فسمعت انه قال لسيدى الحاج عبد الله ؛ وقد شاهد منه نزوة ؛ حق على من رزى بمثل هذا النابغة مثلك ؛ ان تطير عليه شعفات قلبه ؛ فنطق لسان بما يكنه ؛ وان كان لسان المعزى ينطق عادة بغير ذلك وكانه ينشده بلسان الحال ماقاله بعض الالقيين بعد ذلك العصر .

نعزيك لا انا جهلنا مقام من	نعزيك فيه بين من عانقوا الموت
ولكننا نمشى على سنة مضى	عليها جميع الناس ان دفنوا ميتا
فنامر بالصبر الجميل وانسا	جميعا لقي حزن عظيم كما انتا
والسننا تتلو العزاء وانسا	على جزع كنا عليه كما كنتا
اسلوى وقد فات الذى كان عدة	عليها مدى اعمارنا نحذر الفتوا ؟
وكيف التسلى والذى منه نشاة	لاحيائنا قد صار فى عالم الموتى ؟
فوورى والاشخاص منا شواخص	فمن ذا الذى من بعده يرفع الصوتا ؟
فاى لبيب ليس يعذران راي	صراخ الالى يرزون ذلكم الميتا ؟
فما كل مرموس كاستاذنا الذى	له همة لم تدر فى عزمها حتى ؟

تجاليده الاستاذ تنقل إلى الغ

كان الشيخ الوالد رحمه الله من الاستاذ بمنزلة اليد لاختها ؛ فهما لدتان سنا وهمة وتطلعا الى المعالي ؛ فالتحم ما بينهما التحاما ؛ فقد رايت كيف ناب الوالد عن الاستاذ في المدرسة البومروانية ؛ ثم ناب عنه في المدرسة الالغية في رحلته هذه التي التحق فيها بربه فقام الوالد وصنو الاستاذ على بن عبد الله فالتحقا بالحمراء فباتا فيها ليلة واحدة ريثما تم لهما تابوت ؛ فمرا بهرمس الاستاذ فوضعا تجاليده في التابوت فأقبلا يغذان السير ؛ فدفناه عند اهله في وسط المقبرة القاسمية ؛ ثم جمع اهله همته على تأسيس قبة عليه ؛ فتولى الشيخ الوالد كبر ذلك ؛ ولكن لم يلبث قبو القبة ان سقط ؛ فكان القدر يمل في ذلك موعظتين

اولاهما ان ما اسسه الاستاذ بيده في ايامه ؛ واشاده في صدور تلاميذه وخلفه من بعده خالدا مخلدا ؛ هو قبته الخالدة الدائمة التي لاتمسها الاعاصير الالغية ؛ وقواصف (تيفرमित) العاتية ؛ ولا تمتد اليها يد الدهر وان تطاول فمن كانت له هذه القبة من المجد الموثل ؛ فكيف يتوقف بعد على ما لا بد ان ينهار اما اليوم واما في الغد ؟

والاخرى ما نهت عنه الشريعة باحاديث صحاح لامغمز فيها لغامز ؛ ولا يمكن ان ترد بأعمال المتأخرين الالدين ؛ وحين يابى الاحياء ان يقفوا عند نهيه فان ارواح الموتى تجار الى الله في عليها ان لاتبقى متصلة ببدة من البدع فجاءت الاعاصير الالغية ؛ والقواصف التفرميتية تؤمن على دعواتها فمالت على الجدران تسفيها هباء منثورا ؛ وما لاسس له فلا بد ان ينهار . والمعدوم شرعا كالمعدوم حسا

اخلاق الاستاذ

كان الاستاذ كما رايت محظوظا في كل ما تمسه يده ؛ وقد جعل الله البركة في عمره ؛ وأنزل اليمن على عمله فبني واثل وولد وعلم ؛ وكل ذلك في اثنتي عشرة سنة منذ فارق المدرسة النانكرتية سنة ١٢٩١ هـ الى منتهى ١٣٠٢ هـ وقد كان الشيخ الوالد كثيرا ما يذكر ذلك ويجعله مضرب الامثال في المحظوظين الذين اخذ الله بأيديهم ؛ ووقفهم حتى فعلوا ثم بقيت افعالهم خالدة فاسمع ما قاله الوالد في رحلته الحجازية حين ذكره للاستاذ على بن عبد الله خليفته في المدرسة

متبعاً شقيقه محمداً من كان في الهمة فردا واحداً
من يفعل الخير الذي قد فعله ؟ يعمل في العمر القصير عمله

قد خلف الذى عليه يجرى	فى حال موته بخير ذخـر
لانه اكرم من كريم	بأى عزم مقعد مقيم
قد فاق بالجد والاجتهاد	اقرانه من زمن المهاد
فقاتهم وسلموا فى السبق	من مثله فى الغرب اوفى الشرق؟
وهو الذى قد شاد فى بلدنا	مدرسة شادت له كل ثنا
وغرس العلم له تلامذة	عديدة لهم فهوم نافذة
وحبس الاحباس ثم خلفا	اولاده ينتجعون الشرفا
فهذه الثلاثة التى ذكر	لفاعل اجر بها وان قبر

وسمعت من الاخ المرحوم سيدى احمد ؛ وكان ممن ينصف الرجال ولا يغبطهم حقوقهم ؛ ان سيدى محمد بن عبد الله هو الذى اسس لآل سيدى صالح ما تفرعوا فيه الى الان ؛ وهم الان ديار متعددة ؛ واسر شتى ؛ قال وكل ما فى ايدى هذه الاسر استحدثه الاستاذ فى ايامه القصيرة ؛ ثم لم يستحدث من الاملاك بعده عشر العشرات ثم يفيض سجلا من الثناء على الاستاذ ؛ فصاحب الترجمة محظوظ من هذه الجهات افلا ترى ان ملاك ذلك كله اخلاقه ؟ افلا يكون أيضا محظوظا من جهتين ؟

فقد سمعت ان قضية كانت فى يده لبعض اناس من آل دو كدير ؛ فادل بعضهم برسم زور ؛ فرده الاستاذ ؛ فاجتهد الآخر بكل ما فى امكانه ان يقبله الاستاذ ؛ والاستاذ يرده عليه ثم قلب له ظهر المجن ؛ فصار يتوعده لعل ذلك يؤثر فيه فيقبل رسمه ؛ فكان الاستاذ ازاء ذلك كحائط من فولاذ ؛ لا يتأثر بأى شئ ؛ وهذه ناحية اخرى نعرفها من خلقه بهذه القضية .

وكذلك جرت له هو بنفسه نازلة مع سملاى ؛ اشتهرت فى ذلك الحين كل الاشتهار ؛ فظهرت أنه صلب الارادة ثبت حاذق لا تتمشى عليه الحيل ؛ وذلك انه دابن سماليا فى بعض المساعب بحبوب بشن اكثر مما فى السوق ثم أجله وللأجل حظ من الثمن ثم لما اخصب الناس راغ السملاى ؛ فقال انما ارد الحبوب بوجهها ؛ فصار يدلى ببعض فتاو من فقهاء يفتونه بما ذكر فيها انه باع بالغلاء لمن كان مضطرا ؛ فى حين ان هذه ليست اخت تلك ؛ فاستفتى هو بدوره علماء آخرين ؛ وبين لهم ان هذا الانسان ذو املاك تداين عليها ؛ فافتوه بلزوم الثمن ؛ ثم قام الرؤساء السملايون وهم يعرفون للاستاذ مكاتته فألزموه ذلك الانسان ان يغرم ؛ فالتجأ هذا الى رئيس ايليغ سيدى الحسين فأرسل الى صاحب الترجمة ان ياتيه برسومه ؛ لينظر اهـى صحيحة ام لا ؛ فأرسلها اليه الاستاذ ؛ فأعرض سيدى الحسين عن القضية ؛ ومكن السملاى من الرسوم فأحرقها ؛ ثم دالت الايام على سيدى الحسين ؛ وقد حاصرت القبايل

أواخر ١٣٠٢ هـ أو أواسط هذه السنة ؛ فاتصل بامغار محمد المجاطي ؛ فكان أول ما اشترطه عليه امغار محمد بين شروط ان ينصف الاستاذ ابن عبد الله في قضيته ؛ فأرسل اليه في الجين ؛ فقال له الاستاذ اعطني رسومي أولا ؛ فقال له سيدي الحسين ان الرسوم قد احرقها المدين ؛ ولكنني ساقف معك بغيرها ؛ فقال له الاستاذ ؛ مادمت تريد ان تنصفني فأنني ايضا اقول لك ان ماوصلك من الرسوم انما هي نسخ منقولة من الاصول ؛ واما الاصول من الرسوم فهذه هي عندى . فعلت ذلك احتياطا فجعل سيدي الحسين دعوا هما في يد الاستاذ سيدي أحمد بن ابراهيم السملالي العلامة الشهير ؛ قال سيدي الحاج احمد اليزيدي فمر بي الاستاذ بن عبد الله وأنا اذ ذاك بالاختصاص ؛ فتصاحبنا فبتنا عند الاستاذ السملالي ؛ فحكم بصحة دعوى الاستاذ والزم السملالي بالفرم ؛ وكتب له بذلك فقال الاستاذ ابن عبد الله لسيدي الحاج احمد اليزيدي الذى كان واسطة بينهما ؛ سل الاستاذ السملالي كم أجرته في القضية فقال له الآخر ؛ مثل لاياخذ من مثله اجرة ؛ انما اجرة امثالنا فيما بيننا هو التعاون على النوازل ؛ والتناصر على احقاق الحق فيها وابطال الباطل .

هذه الحكاية ترينا نواحى شتى من اخلاق الاستاذ ؛ فنرى منها انه لا يغلب ولا يحنى هامته ولو لرئيس ايليج الذى كانت له سطوة هائلة اذ ذاك ونرى ايضا احتياطا في الرسوم فأدركننا انه ممن لا يخدع ولا يقنع له بالشنان فهذه نواح اخرى نعرفها زيادة على ما تقدم

وللاستاذ نظرات صائبة ؛ وقد رأى من ولده استاذنا عبد الله وهو ابن اربع سنوات ما حمله على ان قال ان ابني هذا لجرى ؛ فكان كذلك ؛ فكانما كشف له ستر الغيب ومن اوتى العقل فقد اوتى الفراسة التامة ؛ والتوسم في كل ما يعلن امامه (واتقوا فراسة المومن)

وكان رحمه الله في الدروس جهورى الصوت فصيحاً ؛ حكى بعض سامعيه انه لم يعهد له ثانيا بعده ؛ على ان لصنوه الاستاذ على فصاحة كذلك تضرب بها الامثال .

آثاره

لاادرى اى آثار اخرى ينتظرها القارئ عن الاستاذ ؛ بعد ان رأى في كل ما تقدم اعمالا خالدة ؛ لاتصدر الا عن رجال عبقريين ؛ فمثل الاستاذ الذى أفرغ ايامه القصيرة في التعليم ينبغي ان تتطلب آثاره في صدور اصحابه ؛ فما بعدهم له من اثر ؛ وأما آثار قلمه فقلما يتفرغ لها من كان مطوقاً بمثل ماطوق به ؛ فقد اخبرني ولده استاذنا عبد الله حفظه الله انه كان افتتح

حاشية على البهجة واسعة ؛ ولكن اعجل عنها ولم يتمش فيها كثيرا ؛ على أنه مع ذلك ابيانا كثيرة في القواعد مشهورة عند اصحابه ؛ منبهة فسى الابواب والعلوم ما بين فقهية ونجوية ولغوية وغيرها ؛ وله كذلك بعض مقطعات ادبية يكتبها الى تلاميذه ؛ حشرنا منها كل ما توصلت اليه ايدينا فى كتابنا السدى سميناه (جوف الفرا) كما ذكرنا له ايضا فتاوى فقهية ؛ فى كتابنا (المجموعة الفقهية) لعلماء الف وغيرهم من المتأخرين ؛ فليرجع اليها هناك من ارادها واكلتنا نسوق هنا ماحلا فى الذوق وحلى فى العين ؛ فمن ذلك ماكتبه الى تلاميذه بالمدرسة فى ربيع الثانى ١٣٠٢ هـ من داره وقد تخلف عن الدراسة ذلك النهار للمطر ؛ قصيدة مطلعها

بدت لي احببتنا عبرة
رايت السماء بتلك السنين
الى ان قال :

وخير الخلائق من يعتبر
من الارض ضاحكة تكتشر

فكل الحوادث اوعية
ولكن قليل من الناس من
الى آخرها •

ثم كتب بعدها حفظ الله الاخوان المذاكرين ؛ وجعلنا واياهم لانعمهم من الشاكرين ؛ ووفى الجميع كيد سائر الاعداء الماكرين ؛ ومتعنا اجمعين بالحظ الاوفى والمنهل الاصفى بين جنده القائمين بالاسحار والمباكرين ؛ وسلام الله تعالى عليهم وعلى من بهم واليه

وبعد ؛ فقد كثر المطر واشتد الوحل ؛ وتتابع السيل بامر الله لابنؤ
المشتري ولا زحل ؛ وحبسنا بالغيوث في البيوت ؛ وانشأنا والحالة تلك ما تقرأون
من البيوت ؛ فتأملوها معتبرين واستغنوا بها عن نصاب اليوم مضطربين
واقبلوا عذر هذا المسكين ؛ فانكم عنده في الحب والله بمكان مكين ؛ وقد
قدمكم بشهادة الله على الوارد والسكين ؛ واعتقد كلامكم خير خدين بالصدق
زكين ؛ فالله يحقق ذلك فيما عنده ويكثر بنا وبكم من عباده الصالحين جده
ويجعل اتباع السنة الاحمدية لكل منا دعه وهنده وصل الله وسلم على الاتي
بها وصحبه ؛ وعلى آله وكل من قضى على ملته البيضاء محمود نجه ؛ ومتغنا
بالحياة الطيبة من طاعته واياكم وصرف للذيذ خدمته محيانا ومحياكم ؛ وحصر
في ذلك وحده محيانا ومحياكم

ومن ذلك ماكتبه اليهم ايضا وقد عزم على السفر الى الحمراء ولعل ذلك في سفرته الاخيرة

(من محمد بن عبد الله بن صالح ؛ السلام والرحمة والبركة على جميع)

الاخوان المذاكرين معنا وجميع من تعلق بنا ؛ وقصد الانخراط بسمطناوعنى
وبعد فان الله تبارك وتعالى ؛ قد شرع الاستخلاف لمصلحة الائتلاف
وجعل النظام الامر مقصورا على الاتحاد ؛ ووعد على الاجتماع وواعد على الالحاد
فقال : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

ولذلك استخلفنا عليكم اخانا عليا ؛ سده الله فيما كان له وليا ؛
فاتخذوه ابا ؛ وتوقيره ديدنا وادبا واوصيه بجميع الاخوان ان يحلم عن جافهم
ويشكر سعى وافيههم ؛ وينصح جهده ويوطىء لجميعهم مهده ؛ وان لا يميز بينهم
الا بمقتضاه وان يرضى لجميعهم ما يحبه لنفسه ويرضاه ؛ واوصى الجميع الامير
والامور ؛ ان يلاحظوا الله تبارك وتعالى فى جميع الامور ؛ وان يعلموا ان اعظم
الصدقة فى عصرنا هو الصبر والكظم ؛ وأحق به الاقارب بالدم والعظم ثم
بالمجاورين والمجاورين ؛ مع مراعاة خدمة الله تعالى فى ذلك كله؛ واعلموا قطعا
ان حقيقة العلم هو العمل بالمعلوم ؛ ومن تعلم ولم يعمل فهو مدموم مدموم
وأنا استودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه ؛ وأبضع تعليمكم فى سفر الارحاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم فانه لا تكسد بضائعه ؛ ولما حان اعمال ذى الظفر
والجافر ؛ انشأت لكم مودعا فى بحر الوافر

اودع جمعكم ونظام امر

(الى آخر ابيات ثلاثة) ومن ذلك ايضا رسالة كتبها الى تلميذه الاستاذ
سيدى الطاهر الافرانى نصها :

امد الله بالعلم اللدنى ولد شيخنا المحفوف من الله بالرحمة والرضا ؛
سيدى الطاهر ؛ وامتننا واياه فضلا منه سبحانه بصفاء الباطن واستقامة
الظاهر وجعلنا من الطائفة الظاهرين على الحق حتى نكون لاسرار الكتاب
والسنة من اجلى المظاهر وسلام الله تعالى عليه يصحبه دائما حتى يكون
بكمال الفضل من جملة المشاهير •

وبعد ؛ فاعلم ياولدى أرشدك الله وسددك ؛ واعانك على الاستقامة
وبالصفاء أيدك ؛ ان النهايات على قدر البدايات ؛ وحمد البداية انما هو بكمال
الادب مع الله تبارك وتعالى سرا وجهرا بامثال امره واجتناب نهيه ؛ ومع رسول
الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وخدمة ملته ؛ وكمال التواضع لسائر
أمنته ؛ بحيث يرى العبد سائر المسلمين اشقاء من هذا الاب الدينى صلى الله
الله عليه وسلم ويقصد بذلك اقرار عين النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وطاعة
من هم من خير عبيده سبحانه ؛ ولاسيما الاخوان المذاكرين الذين ينتفع
المرء بمجالستهم ويزداد علما بمدارستهم ؛ فحقهم أكد وأكد ؛ وقد كنت احببت
القيام على هذه القدم لسائر الاخوان ؛ وادعو الله لهم بذلك فى كل وقت واوان

ولكن كمال بنوتى لوالده الله فى مدارج العرفان ؛ وجعله فى عالم البرزخ مغبوطا لكل فان؛ يظهر لى انى قصرت فى حقك ؛ ويستقل لى مادخرت من طيب العلوم فى حقك ؛ فتفكرت فى وجه يتحقق به كمالك ؛ وتحصل عما قريب ان شاء الله آمالك ؛ فرأيت السبيل الى ذلك هو كمال الادب والجد فى الطلب فهما شاهدان عدلان على استحقاق المدعى ؛ مايمد اليه يده ويدعى ؛ ولذلك اوجبت عليك القيام بها ازيد من غيرك ؛ غير ملتفت الى سير غيرك فى سيرك؛ واذا علمت - اصلحك الله من انا ومن انت - تستقل كل ماجدت به بعد واجب الادب ومننت ؛ واذا علمت ان جدك الصديق رضى الله عنه انما فاق سائر المسلمين بالصدق الذى وقر فى صدره ؛ من تعظيم النبی صلی الله علیه وسلم وقدره حق قدره ؛ تبلى لك صباح الفلاح ؛ وتيسر لك فى هذا الامر اعمال المفتاح؛ فتح الله منا ومنك البصائر وطهر بفضل العيم الظواهر والسرائر وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ؛ والسلام عليكم

من هذه الرسائل ومن نفسها ؛ تفهم ايها القارئ نفسية الاستاذ وكيف تربيته ؛ وكيف احترامه لاشياخه ؛ وكيف نظرتة الى جميع المسلمين ؛ وكيف يحب من تلاميذه ان تكون نظرتهم الى ما بينهم والى سواهم ؛ وامورا كثيرة ربما تفهمها مما تقدم ؛ فرحم الله الاستاذ الذى وان كان تيجانى المشرب على يد الشيخ سيدى الحاج الحسين الافرانى ؛ لا يعرف للتعصب لذلك معنى ؛ وقد رايت فى ورفات افتتح فيها والدى كتابا فى شيخه سيدى سعيد ابن هوم؛ ذكر فيها ان صاحب الترجمة هو الذى حثه على تالفيه ؛ وسماه له (المبدى المعيد فى ذكر الشيخ سيدى سعيد) فمن ذلك ترى اولئك الرجال يعرف كل منهم لآخيه فضله ولا يعرف الفضل لاهل الفضل الا ذوه

واما آثاره الشعرية ؛ فكثير منها شعر الفقهاء كما قاله استاذنا سيدى الطاهر الافرانى فلنسبق منها ماتأتى لنا ؛ وامكن ان يقبله الادباء .

فمن ذلك قطعة حائية وقفت عليها بين اوراق للفيقيه سيدى الحسن التياسينتى يخاطب بها استاذه سيدى محمد بن ابراهيم ؛ ويتشوق الى افران (وفيه بعض اصلاح لبعض الالغيين) :

هفا بالقلب من صدرى جنوح	اذا مهاب من افران ريح
فيبدو منه نحوهم جموح	يشم بها اديجا من حماهم
تفكرهم فأزفر او اصيح	فاصبر ما اطيع فيرتى بى
كان الجسم عمته جروح	ابيت على التملل فى فراشى
الى من وجهه الاسنى صبيح	وذلك كله من أجل شوقى
فاغدو فى جداه كما ادوح	ابى الثانى وشيخى من حبانى
عظيم من ابى بكر صريح	محمد نجل ابراهيم مجد

تأزر بالسيادة وارتداهـا كما يغدو الربى والنصيح
غذانا بالعلوم وليس يغدو يرسل العلم مكسال شحيح
جزاه الله مايجزى عليما له عمل بمعلمه صحيح

وقال ايضا يخاطب صنوه الاستاذ على بن عبد الله وهو اذ ذاك صغير؛
بعد ما كتب اليه اخوه هذا مانصه :

الحمد لله فان ظهر لسيدى ان يتصدق على برقع رطل من السكر فحبذا
فقد جاءنى سيدى محمد اليزيدى ؛ ولم يجده عندى
على بن عبد الله

فاجابه : الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه؛ سلام
الله على كاتب الحروف اعلاه ؛ وقرب بها زعمه وطره وادناه
وبعد : فها هذا الجفاء مع الوسطة العظمى صلى الله عليه وسلم وعلى آله
بعدم الصلاة عليه ؛ فسبحان من خلق اقواما للفظظة والجفاء ؛ وخيلتهم ظنونهم
ذلك الصنع من عدم المداهنة واظهار الوفاء ؛ كلا ان الادب مفتاح كل وزمامه ؛
والنبي صلى الله عليه وسلم اعظم العالم الادمى وامامه ؛ (لقد كان لك فى رسول
الله اسوة حسنة) والسلام عليكم

مداعبة

فتارة ذو سرقة وتارة ذو درقة
وحيث ضيف طرقه بعث نحوى ورققة
وقصده بكل ذ الا ان يصون ورققه

وكتب اليه ايضا

سلام عليك يا على الشقيق والنس
فديتك ان العلم حصن وساوس
ومفتاح هذا الحصن فيما علمته
بنى وزهر الروض من مفروق الفصن
وانت بتحت الحصن فاصعد الى الحصن
وحققه الرحمن عند الاخ الحصن

ومن شعره ايضا

اذا الله اودع الانامل حكمة بوضع السطور فالعطية جلست
بعد حروف من قصور جزاؤها بجنة عدن سلها حيث ملت

وبعث الى تلاميذه وهم سبعة وقد سمعهم افتتحوا الدرس بالصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كماهى عادة الشيخ ابن ناصر ومن اقتفى اثره :
باسبعة من سعد سبعة جمعهم ظفروا بامر نعم ما الامر
فتجو الندى بذكر من لو جال فى صخر الجنادل دكت الصخر
تلك الصلاة على النبي فياها من لذة لم تحكها الخمر

وقال يحض تلاميذه على الاعتناء بالمقامات الحريرية ؛ ويصفها لهم
ويذكر ان من فاز بفهمها يسهل عليه قول الشعر

اذا رمتن نظاما مقفى مجبرا
فان الذى قد فاز من فهم ما بها
فزوروا مقامات الحريري على الوسع
سينزع فى اشعاره اسهل النزع

وقال يخاطب نداماه على الشراب

أنشئوا يا خير قوم
أدب المجلس شعر
عجبا كيف حصرتم
ان كاسا دون شعر
ولكم ارجو من الله
ملحا اذ ما حضرتم
طبق معنى ما نشرتم
ولشرب الكاس صرتم
حنظل لو قد صبرتم
— مناكم ان صبرتم

وكتب على نسخة التصريح فى آخرها

أتعبت فى تملك التصريح
بالله فاحفظه أمن تملكه
واجعل الاهى من الاولاد
نفسى وما اجمعه وروحى
من بعد ربه ولازم مسلكه
مالكه او اخوتى فى النادى

وقال ايضا

تكلف الاسفار للاوطار
من عادة الاكياس فى الرجال
وكتب الى الشيخ الوالد ؛ وهو اذ ذاك على قدم التجريد فساح مرة ؛
فاذ رجع الى البلد كتب اليه ما نصه

سلام كما المسك والعنبر
على من له فى ابتدا سيره
أبى حسن من بغربته ان —
ارانى الزمان بشاشتته
والبسنى حلة طرزهـا
الى آخرها
على من بادران وصم بر
مهابة عال على المنبر
كسار بقلبي كم يجبر
بوصلكم الابرك الاكبر
سلاما سلاما على المختبر

هذه نماذج من اشعار الاستاذ ؛ وقد اعتنى بجمع غالبها تلميذه سيدى
العربى الساموكنى فى كراسة صغيرة مع مقطعات مما قاله لآخيه الاستاذ
على فى بدايته

الآخذون عنـه

(١) الاستاذ الطاهرى بن محمد الافرانى

- ٢) سيدى ابراهيم بن محمد ابن عم المتقدم
- ٣) الاستاذ العربى الساموكنى
- ٤) الاستاذ ابو القاسم التاجار مونتى
- ٥) الاستاذ محمد بن الحاج الافرانى
- ٦) صنوه الحسن ابن الحاج
- ٧) الاستاذ الحسين التاطاروستى
- ٨) الاستاذ المكى اليزيدى
- ٩) ابن عمه الاستاذ محمد بن عبد الله اليزيدى الكبير
- ١٠) سيدى الطيب الركبى
- ١١) الفقيه سيدى احمد الصمامى
- ١٢) سيدى الحسن بن عبد الله السملالى
- ١٣) سيدى محمد بن ابراهيم الاخصاصى خديمه
- ١٤) سيدى محمد بن الحسين البعمرانى
- ١٥) سيدى على الامر خمينى
- ١٦) سيدى الحسين بن ابى بكر الاغوديدى
- ١٧) الفقيه سيدى الحسن التياستنى
- ١٨) سيدى مبارك التاكضيشتمى
- ١٩) سيدى الحاج بلقاسم الزاوى
- ٢٠) سيدى محمد بن اليزيد السملالى
- ٢١) سيدى محمد بن الحسن الكسالى
- ٢٢) اخوه الاستاذ سيدى على بن عبد الله
- ٢٣) سيدى سعيد الاعضيانى
- ٢٤) العم ابراهيم بن احمد
- ٢٥) الاستاذ سعيد بن عبد المؤمن
- ٢٦) سيدى ابوبكر الاكيواوى
- ٢٧) الاستاذ المدنى ائماسى
- ٢٨) الاستاذ عبد الله باولا

فهؤلاء من استحضروهم العم ابراهيم ؛ وهناك من ربما نسيناه وغالب هؤلاء اخذوا عنه فى متقلباته ؛ ثم انتهوا الى المدرسة الالفية التى تولاهها بعد هذا الاستاذ اخوه على فلازموه ايضا حتى تخرجوا مع عشرات آخرين تراهيم فى ترجمة الاستاذ على بن عبد الله ان شاء الله ؛ ولانستثنى الا اثنين منهم هما اللذان لم يأخذا عنه الا فى المدرسة البومروانية سيدى محمد بن اليزيد السملالى وسيدى محمد بن الحسن الكسالى ؛ وهؤلاء كلهم فقهاء وان كانوا متفاوتين فى درجات التحصيل وسترى ان شاء الله فى ترجمة كل مقدار

غوره ؛ وفي آثاره ان وجدناها كيف نزعہ ؛ والله يسر ولا يعسر
ثم اننا لم نسردها الا اكابر اصحابه الذين يستحقون ان ينسبوا له
والنفاية المختارة ؛ الا ما كان من محمد بن ابراهيم الاخصاصى وسيدى عبد الله
باولا ؛ والحاج بلقاسم فانهم ليسوا من النفاية ؛ وانما ذكرناهم لانهم الفيون
واما نخالة المدرسة وذلك الطعام البليد الذى لا تخلو منه اية مدرسة ؛ فلا تعرض
لهم بذكر ؛ ولا تشغل انفسنا حتى بالتفكير فيهم ؛ لان من فتح له باب المسجد
على مصراعيه ؛ ثم لم يلج فيه ؛ او انيحت له اجنحة يحلق بها فى مناط النجوم
ثم قصر بنفسه فأحر به ان ينسى اليوم كما نسى نفسه بالاسس (فاليوم ننساكم
كما نسيتكم لقاء يومكم هذا) وهل التاريخ الا يوم العرض الاول الذى يسبق
يوم العرض الاكبر ؟

اذا ما أهان امرء نفسه فلا اكرم الله من يكرمه
ثم ان الاستاذ صاحب الترجمة اعقب من الذكور ثلاثة احمد وعبد الله
وعبد الرحمن وكلهم ممن حمل تراثه وسترى تراجمهم امامك ان شاء الله .
مرثية

لم اقف له على مرثية من تلاميذه ؛ الا مرثية رفيقه الشيخ الوالد الذى
انقلها من خطه مع ماصدرها به ؛ ونص ذلك باختصار :

وبعد . فهذا رثاء لعلامة زمانه . ورافع راية الدراية فى اوانه . الفقيه
النبية . الاغر النزيه الابى عبد الله سيدى محمد بن عبد الله بن صالح
بزواية (تحت الحصن) بالغ . قد قلته حين اصبنا برزية فقده وذهب ربنا بعده

فمن للعلا وللمحاسن والوفى	وللحسن والاحسان والسر والصفى
وللرفد والارشاد والقصد والندى	وللحلم والسخاء والصبر للجفا
وللخوض فى بحر العلوم بفلكها	وتجرى ويجنى من فرائد ما اصطفا
وللسقى فى النادى الندامى بديهه	كؤوس نظام الشعر تنسيك قرقفا
يمل الندامى ما هداه وانه	بكل الذى يهوى نديمه قدوفى (١)
فنفس عصام سودته وعلمت	له الكر والاقدام لبس الذى قفا (٢)
لتيك عيوننا الفقيه محمدا	بالغ بزفرات تذاب بها الصفا
وكيف وقد بدا بمجياه للورى	شريعة احمد وراثه مصطفى
ومن بعده بدت غياهب ظلمه	تراكمت الامواج منها على شفا
فلولا على صنوه وشقيقه	تسلت به الاحلام حين له اقنى

(١) مأخوذ من قول الشاعر

تمل الندامى ماعدانى فاننى

(٢) نفس عصام سودت عصاما

بكل الذى يهوى نديمى مولع
وعلمته الكر والاقدام

مالت بنا الاحزان من كل وجهة ايارب نوره ضياء بلا خفا
 وابرز له الانام شمسا وقدوة وسرا وترياقا غليلا لهم شفا (١)
 فيشفى صدور المومنين بنوره لما فيه من اسرار ربه والشفا
 فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر فذا القول قول الحق حقا من الشفا

قولة المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

ومنهم الفقيه العلامة سيدي محمد بن عبد الله الالقي امام عارف معترف
 له بالبلاغة والبراعة مع نفس عصاية وفكرة اياسية • حافظ للترتبة • ادب
 ومروءة • الى رواية كثيرة • مشارك في فنون • من فقه وعربية وادب • انتفع
 به خلق كثير في وجهته وهو اول من اختط المدرسة العلمية ببلده • فعملها
 بأنواع التدريس الى ان اشتهرت واشتهر تلاميذها • مستفتى في المشكلات
 تصطفيه الرتب العالية ؛ فاعترف بارشاده الخاص والعام • (ومن يساجل
 صوب العارض الهطل) علما وحلما •



(١) الانام كالاسباب لغة في الانام كالسحاب

الشيخ الحاج على الدرقاوي

نحو ١٢٦٨ = ١٢-٢٨-١٣٢٨ هـ

نسبه

على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد •

هذا هو والدى الذى بسببه خرجت من العدم الى الوجود ؛ وله على - كوالد
واجبات تحتم على ان اؤدى حقها ؛ وما هو اوكد الواجبات على الانسان ان لم
يكن حقوق الآباء على الابناء ولكنه يصعب مع ذلك على من اراد ان يتحرى الحق
فى مثل هذا المقام ؛ ان يذكر لابييه كل ما يعرفه كل معاصر له قبل ان يعرفه
هو من شموخ مجد ؛ ونباهة ذكر ؛ ان يجد بين يديه - امام من حجب اليهم
انتقاد كل شئ - مسلكا يخرج منه سالما ؛ لانه اما ان يطنب واما ان يوجز
وكلاهما شطط عند بعض الناس ؛ فالمظنبون يتهمون بالتحيز ؛ والاشادة بمعال
يؤول اليهم فخرها ؛ ويصيرون كأنما يجرون النار الى قرصهم - كما يقولون -
بل يقال لهم ماحد نفسه يقرئك السلام ؛ والموجزون يتهمون عند قوم آخرين
بالعقوق وغمط والديهم واسلافهم ما كانوا هم اعرف الناس به ؛ ولذلك يسلك
من يسلك هذه الطريقة عقبة كاداء صعودا قلما ينفذ فيها نافذ الا ارضى قوما
واسخط آخرين ؛ خصوصا فى هذا العصر الذى اقتضحت فيه طرق التصوف
بكثرة الكذابين الافاكين الذين اطلوا الاكمام وأرسلوا العذبات وأدعوا
مالم يكن لا للخليل ولا للكليم •

كيف يمكن اليوم لمثل ان يجلو على أنظار هذا العصر صفحة نقية من
التصوف الخالى من الرياء والشعوذة والافك والبهتان ؛ كما يعرف به كل
الناس الشيخ الوالد رحمه الله ؛ ثم يجد من ينصف ويزن بالقسطاس المستقيم
ويتانى حتى يدرك معنى ما ادرسته ؛ قبل ان يخزننى بحمة عدله ؛ او يصل الى
والى من ارسل فى ترجمته يراعى نبيله ؛ فان هذا العصر وأهله خلقوا من العجلة
ومن السير السريع ؛ واقتبست عقولهم من سرعة السيارة والطيارة ؛ فصاروا
يحكمون لاول نظرة ؛ ثم لا يتهمون أنفسهم فى احكامهم ؛ وان اتيتهم بعد ذلك
بألف دليل وبرهان

لكنى رغم كل هذا اقدم على ترجمة هذا الصوفى الكبير فانمشى رويدا
رويدا ؛ واستقرى حياته من عهده بالمهد ؛ الى ان وورى فى اللحد وسأؤيد ما

اسوقه باستقصائه واستقصائه من أصفى مواردہ ؛ وساجعل نفسي حرا فيما أقول ؛ واجهر بالحقيقة التي اعرفها رضى من رضى وسخط من سخط ؛ جهر من يقول ما عرفه كما عرفه من غير مجمعة ولا تورية •

اننى الآن كهؤرخ يجب على ان اصعد بالذى اعلمه ؛ واشيد به للتاريخ فاوجز ان اقتضى المقام الايجاز ؛ واطنب ان استدعى الحال الاطناب ؛ وأجعل فى ذلك رائدى ضميرا ايبا حرا لا يغمط الحقائق خوف ان يتهم بالتجيز ؛ ولا يقبل كل ما يحشره من يهرف بما لا يعرف الا بثبوت وتبصر وتأن ؛ ووزن بميزان العقل الذى فضل الله به ابن آدم ؛ ثم ماقصر عنه عقلى ؛ واعتذرت فيما بينى وبين نفسي ان يدى تقصر دونه ؛ فانى اسوقه ان ثبت عندى وقوعه فادعه بين يدى القارئ فله ان يقبله وله ان يرده ؛ ورضى الناس غاية لا تدرك •

ثم انه يجب على كل مؤرخ ان لا يهتبل بأراء بعض ابناء هذا العصر من شذاذ الافكار الذين يابى لهم حولهم الا ان يجعلوا تخيلا كل ما راوه شيين اثنين ثم لا يزالون يترددون بينهما حتى تضيق الحقائق ؛ وتشتبه السبل فان هؤلاء من انصاف العقلاء الذين لا ينبغي اعتبارهم ؛ وان كانوا يتوهمون عند انفسهم انهم وحدهم عقلاء العالم •

ها انذا اقدم اقدام من يقول ما يعلم ؛ ويصيح به على اسلات اليراع التى هى ابلغ ايصالا من الواحى ؛ لانها توصل ما اودعته فى كل زمان وان تطاول على حين ان الواحى لا يتجاوز أنه ؛ وأنا معتصم بحول الله وقوته ؛ ومستوكل عليهما فى توفيقى فيما انا قائله ؛ ومتجرى الحق فيه جهدى ؛ والله هو المطلع والآلاف من الناس الذين يعرفون ما اعرف بكل ما اقوله شاهدون ؛ ومن قال ما علم فما عليه من ملام •

ثم اعلن بكل صراحة اننى ممن يؤمنون بالروحيات وبوجود ما وراء المادة واومن بتطور الروح حتى لتتجسم ؛ وأومن بان الكرامات والكشف المشهورات أمس عند صوفيتنا اخوات ما يثبت العلم الحديث اليوم من استحضر الارواح وتشخصها ؛ حتى انها لتوزن وتصور ؛ وتانى باشياء من بعيد فى لمحة الطرف ومن لا يؤمن بها عند صوفيتنا امس ولا بما اثبتته العلم الحديث اليوم ؛ فليول عنا وجهه بسلام ؛ فما بعد الحق الا الضلال ؛ فليس فى مسالطنا ولسنا فى مسالخته فقد ضرب بيننا وبينه حجاب مستور ؛ وانما قلت هذا لاعلن مذهبي كى استريح من ناس ضيقى الحواصل يريدون ان يجعلوا الاسلام ماديا متجبرا سامحهم الله •

موضع الولادة

عجبا ان من الناس من تكون الخطوة الاولى من خطواتهم فى هذه الحياة

فلتة من الفلنات ؛ فتبدو كرمز الى ان هذه الخطوة صدرت عن انسان غريب
 وأن حياته ستكون كلها غريبة ؛ فان كانت لاتدرك غرابة تلك الخطوة الاول
 بادىء ذى بدء كشيء يلفت الانظار ؛ ويطيل العجب ؛ فان صاحبها لا يلبس ثياب
 يجيش بعد بسيل مانج من العجائب فتتبع العيون كل ما يتصل به قبل ؛ حتى
 تنتهى الى تلك الخطوة وما يحيط بها ؛ فتتجسم تحت نظره المبهور ؛ باثار
 صاحبها فينالها حظها من العجب .

كان في الغ في عصر واحد ؛ عظيمان كلاهما اسمه على وكلاهما يقوم بعمل
 عظيم لا يقوم به الاخر ؛ فاحدهما الاستاذ على بن عبدالله الذى ستقرأ فى ترجمته ما
 تقرأ ؛ فتوقن انه من اعظم الرجال ؛ قلما تسمح البوادي بمثله وثانيهما صاحب
 هذه الترجمة ؛ وسترى امامك ما ستقف ازاءه مشدوها ؛ وقد ذهب بك الاعجاب
 كل مذهب فكان من اغرب الصدف ان كليهما ولدته امه فى مهمه قفر فى جنوب
 الغ ؛ يتخذ منتجعا للغنم فى فصل الربيع ؛ فتتبع نساء الاسر غنمهن يمحضن
 ويقمن بما يحتاج اليه الرعاء ؛ فالاستاذ على بن عبد الله نفست به والدته فى
 محل هناك يسمى تارين ؛ وصاحب الترجمة ادرك امه الطلق فى جانب آخر
 يسمى وينكرماضن هكذا تمحضت كل واحدة من (رقية) والسدة الاستاذ ؛
 وتاكدا والدة صاحب الترجمة بما تحسبهما الحواضر ولدين عادين ؛ قد
 يعيشان وقد تميل بهما شعوب وهما بعد فى المهادر ؛ ومن ذا يعرف الا الله اذ
 ذاك ان ابن تارين سيكون من اعظم العلماء الادباء الذين سيفجرون من بحور
 العلم والادب ما تزرخ به الغ وما اليها ؛ وان ابن وينكرماضن سيتكشف عن
 عن اعظم رجل مرشد ترفرف على هامته الوية الشهرة الخفاقة ويهتدى به آلاف
 مؤلفة من الناس ؛ ويتدفق به الى الغ من المريدن وطلاب الوصل الى معرفة الله
 طوائف اثر طوائف ؛ تموج بهم الطرقات ؛ ما بين وادى نون الى درعة الى الحمراء
 الى الصورة فهكذا تسقط حبة من يد انسان ؛ فتدوسها رجله ؛ فيجتمع عليها
 الثرى ثم تمسها بلة من ندى ؛ فترسل من جذورها الرقيقة ما لاتزال تسمو به
 حتى تستحيل سرحة فينانة ملتفة الافنان ؛ متسعة الظلال يتفياها فى الهواجر
 اللوافج كل من احرقته (صكة عمى)

في الكتاب

كان والد صاحب الترجمة سيدى احمد بن محمد اميا ؛ ولكن جده محمد
 ابن احمد كان من حفظة كتاب الله ؛ فكان هو القيم على حفيده فكان اذا رجع من
 المسجد وفيه اذ ذاك الاستاذ سيدى بلقاسم افكان الذى تخرج به قبل ذلك
 الاستاذ محمد بن عبد الله فى دارهم يكرر له سورة وقلما يذره كما يذكر العلم
 ابراهيم يكثر اللعب ؛ فبهذين تخرج فى القرآن ؛ وعليهما جوده فمما روى عن
 صاحب الترجمة اذ ذاك ما حكاه احد رجال قريتنا ؛ قال كنا نجلس فى الممر

الصغير الذى هو مدخل مسجدنا فيمر بنا التلاميذ ؛ فكنا نتصاحك عليهم ونقول لهم أعطونا من خبزكم لندعو لكم بما اردتم ؛ فقال لنا سيدى على بن احمد يوما ادعوا لى انا ان اكون شيخا كبير المقام ؛ قال فتعجبنا مما قال ؛ وما كنا ندرك مدلولها اقترحه لاننا لم نعرف في بلادنا مثل مايقول ثم ما انقضى كسر الفداء ومر العشى ؛ حتى شاهدناه شيخا كبير المقام ؛ فكانت آمال الصبا وأحلام الفجر صادقة في دور الرجولة عند متوع النهار •

في مدرستنا تانالت

كان الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم اليزيدى يمت الى آلتنا برحم ؛ لانهم اخواله ؛ فكان اذ ذاك مشهورا بالتدريس في مختلف المدارس ؛ فحين استتم صاحب الترجمة حفظ القرآن رات اسرته ان تسير بابنها في الطريق التي تسير فيها الاسرة الصالحة بابنها محمد بن عبد الله ؛ فانها ارسلته لتعلم الدين كما يطلقه عوامنا على العلم- في المدرسة ؛ فترسل هذه كذلك ابنتها الى المدرسة وقد اختارت المدرسة التي فيها ذلك الاستاذ الذى يعلمون منه انه سيقوم بابنهم احسن قيام ؛ فكانت لهذه المنافسة المحموده نتيجة عظيمة ؛ وعقبى يالها من عقبى واذا اراد الله ببلد خيرا تنافس أهله في العمل الصالح ؛ وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون •

في مدرستنا المولود

كانت السنة التي التحق فيها صاحب الترجمة بتلك المدرسة هي ١٢٨٢ هـ وفي السنة التي بعدها انتقل الاستاذ بطلبته الى هذه المدرسة الاخرى ؛ وهو قبل اقباله المعروف على تلميذه الجديد ؛ يتدرج به في مدارج المبتدئين ؛ وهو اذ ذاك دون بلوغ ؛ ولكنه حببت اليه العبادة منذ ذلك الطور فقد حدث عن نفسه انه كان وهو في تلك المدرسة ؛ ينتقل احيانا الى مشهد سيدى الحاج يعزى الصالح الشهر المتوفى عام ٨٨٨ هـ ويبعد قليلا عن المدرسة ؛ فيتهجد فيه ؛ فغلبته عينه يوما فوقف عليه رجل مهيب مستنير ؛ تشع منه الانوار ؛ فقال له تعرفنى؟ فقال له لا فقال انا محمد بن عبد الله رسول الله؛ فقال له بماذا اعرفك ياسيدى؟ فقال له تعرفنى بان الظل لا يتراءى لجسدى ؛ قال فكانت هذه اول مرة رايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم •

في مدرستنا تازروالت

مكث يوما الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم في المدرسة المولودية ؛ اذا بأعوان الرئيس الايليغى سيدى الحسين بن هاشم اوصلوا اليه استدعاءه الى المشاركة في مدرسة تازروالت؛ وكان هذا الرئيس اذ ذاك داشوكة وهيبة لايمكن

معهما الخروج عن رايه ؛ فانتقل الاستاذ ومعه تلاميذه كلهم ؛ ومن بينهم تلميذه الجديد ؛ ومن بينهم ايضا سيدى عمر الاكضيي ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح اللذان صارا بعد ذلك من اصحاب صاحب الترجمة حدثنى الاخير منهما فاه لاذنى ان من عادة صاحب الترجمة فى المدرسة التازروالتية ؛ ان يصاحبه كل عشية بعد العشاء ونوم الناس الى مشهد الشيخ سيدى احمد بن موسى ؛ قال فأنام أنا وببيت هو فى التهجد ؛ قال وكان اذ ذاك مراهقا وحدث سيدى عمر الاكضيي ان سيدى ابراهيم بن صالح كان له تقدم اذ ذاك فى المعلومات ؛ لانه كان سبق الى الاخذ بسنوات ؛ وسترى ذلك فى ترجمته فى (القسم الرابع) ان شاء الله فكان يعيد الانصبه (اى الدروس) لسيدى على ابن احمد ؛ يعنى صاحب الترجمة .

هذا كل مانعرفه عنه هناك فى تازروالت ؛ وكفى بذلك دليلا على مسا يبحث عنه فيه وهو بتلك السن ؛ حيث تمضى عنه الحلقة الاولى فى التعلم .

فى مدرسة تانكرت

لامر ما فارق الاستاذ اليزيدى تلك المدرسة ؛ ورجع الى داره فتفرق تلاميذه فالتحق سيدى الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح ؛ وسيدى عمر الاكضيي بالمدرسة الادوزية ؛ واما صاحب الترجمة فقد راي أهله ان يلتحق بابنى عميه سيدى محمد بن عبد الله وسيدى الحسن التياسينتى فى تانكرت ليستعين بعضهم ببعض ؛ فنزل فى تلك المدرسة فى بيت مع شرفاء من أولاد سيدى احمد بن موسى ؛ كانوا ثمانية اخوة دفع بهم جميعا والدمهم الى المدرسة ؛ واحدهم هو الاستاذ سيدى عمر الشهر ؛ وسيدى ان شاء الله مع علمه اهله فى (القسم الرابع) فتوى هناك صاحب الترجمة من عام ١٢٨٦هـ الى عام ١٢٨٩هـ فلاشك انه الان شاد فيما يآخذه ؛ قد تفتحت قريحته فاقبل اقبال النهم الجشع على مختلف الفنون يلتهمها ؛ ولكن انزواءه عن الناس وانقباضه عن المجتمعات فى زيادة ؛ وميله الى ماتشوق اليه روحه مما خلق له لم يزل فى نمو وقد تلقن اذ ذاك الطريقة الناصرية من بعض المقدمين فيها ؛ ولاددى من هو وانما ذكر ذلك فى بعض رسائله استطرادا ؛ وكثيرا ما اتوهم انه الشيخ سيدى المدنى الناصرى الذى يجاور تلك المدرسة وقد كان المترجم ممن يحضر مجالسه فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

فى يوم من الايام اجتمع الطلبة بالمدرسة ؛ فقالوا الامن يقيم لنا حفلة فندعو له بما اراد ؛ فاقامها لهم صاحب الترجمة ؛ وابن عمه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله والقائد سعيد المجاطى وقد كان هناك اذ ذاك يتلقى القرآن فسمأل الطلبة كل واحد عن منيته ليدعوا له بها ؛ فأما صاحب الترجمة فذكر لهم مايندل على مقام عال فى معرفة الله ؛ وقد انسيت العبارة التى تلفظ بها ؛ ولكنها تنحو هذا المنحى ؛ وأما الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فقد ذكر مقام

الشفوف بالعلم والتفوق على الاقران به ؛ وأما سعيد بن امغار محمد المجاطي فقال اننى اتطلب ان اكون قائدا على مجاط ؛ فسيق فى القدر ان نفذ السهم فاستجيب الدعوة ؛ فنال كل واحد منهم مافى ضميره ؛ هذه حكاية مشهورة متداولة الى الان .

ملاقاته بالشيخ سيدى سعيد المعدرى الدرقاوى

كان منبع الطريقة الدرقاوية من شيخها مولاى العربى الدرقاوى الشهير المتوفى عام ١٢٣٩هـ ؛ فتخرج به كثيرون ممن لهم شهرة طائفة كالحراق والبوزيدى والمدنى والدباغ والبدوى ؛ ومنهم لاشهرة لهم مع انهم من كبار اصحابه ؛ ومن بين هؤلاء الاخيرين الشيخ سيدى احمد بن عبد الله المراكشى صاحب الزاوية الشهيرة بأزبوض بمراكش ؛ وقد توفى فى نحو عام ١٢٧٠ هـ فبهذا تخرج مشايخ سوسيون ؛ وفى مقدمتهم الشيخ سيدى سعيد بن همو المعدرى الامى الذى تفجرت منه اسرار جلبت اليه كثيرا من علماء وقته ؛ كسيدى الحاج الحسن التاموديزتى ؛ وسيدى الحسن التيملى دفين قرية ارازان براس الوادى وسيدى خالد من افلاواكنس ؛ وسيدى الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدى الحاج صالح الاكمارى وسيدى الطيب بن خالد الاكمارى ومحمد بن احمد بن عبد الله الكرسيفى ومحمد بن احمد بن الحسين الكرسيفى والعلامة ابنى فارس الادوزى والحاج محمد البوزاكارنى ؛ وسيدى محمد بن المحفوظ الزمامسى وسيدى محمد بن ابراهيم الافرانى مدرس مدرسة تانكرت التى فيها الان صاحب الترجمة ؛ وغيرهم ممن سنذكرهم ان شاء الله فى تراجمهم او نستطردهم فى تراجم غيرهم ؛ وكان من عادته ان يتتبع البلاد بالسياحة فيرشد العباد وبنيه الغافلين ؛ وكان من بين البلاد التى يطرقها بلد تانكرت ؛ فقد رايت ان عالما الافرانى من اجل اصحابه المعتنقين لطريقته .

حدث صاحب الترجمة عن نفسه قال مررت انا وصاحب لى بالشيخ سيدى سعيد ونحن فارغوا البال ؛ ولم نخرج اليه ؛ وهو جالس فى مكان منتبذ عن الطريق فرأيناه يحد الينا بصره ؛ فذهبنا لحال سبيلنا ؛ ثم فى العشى ساقنا اليه سائق السعد فأخذنا عنه الطريقة ؛ فقال لى بعد ذلك ان تلك النظرة الاولى هى التى فيها مافياها ؛ ثم حدث من كان جالسا مع الشيخ سيدى سعيد حين مر به صاحب الترجمة مع صاحبه اذ ذاك فقال ان الشيخ اتبعهما بصره مليا ثم قال ان هذه الذات نيرة ؛ فما اليقها بسر معرفة الله تعالى ؛ وفى بعض رسائل المترجم مانصه :

(وقد كنت حين لقننى شيخى مستغرقا فيه - اى الذكر - من ذلك الوقت قبل قيامى من بين يديه وبعده ؛ وليس لى شغل سواه قياما وقعودا وعلى جنبى حتى اننى لأقدر ان اقطعه حتى فى حال الاكل الى ان صار خادما من غير ارادتى

انتهى المقصود

فكل نفس يعلو او يهوى يكون معه

ثم لم يمض عن صاحب الترجمة الا ثلاثة ايام مع شيخه فى بعض قرى
تاكوت ؛ حتى اصابه ما يسميه الصوفية فى اصطلاحهم بالجذب ؛ قالوا
يعترى من فاجأ روحه ما لم تستأنس به بعد ؛ فتغمره موجة تياره فيغان على عقله
فلازمه ذلك اياما وقد فقد شعوره ؛ وانقطع عن الاكل والشرب ؛ واذا العقه من
معه شيئا من الحليب ؛ لا يلبث ان يجيش فيقذفه ؛ وقد غلبت الحرارة غسل
بدنه حتى انهم يغطسونه فى نطفية ماء بارد ؛ ثم لايزيده ذلك الا التهابا ؛ ثم
بعد لاي افاق من غشيته ؛ واسترد شعوره ؛ فصار الكون كله - كما قال - امام
عينيه هباء فى هباء وقد ألم بهذا كله فى بعض رسائله ؛ كما ألم به ايضا فى
رحلته الحجازية اذ قال فيها

على شفا يورثنى الشقاوة
يهدى الى معرفة الجليل
فى نيل معرفته الكمالات
لدى والنقصان والكمال
بالله والافصاف والاحوال
والقلب منى واله حيران
هذا وكان المبدى المعيدا
يرقى بنا لحضرة الاله
وردنى عن سائر النفور
بذر لكل ما لديه قصدا
عنها فقال ليس غير هذى
ترقى الى حضرة ربنا العلى
قلهجت نفسى برى ذكرا
فيما يرى برؤية والرؤيا
ماوى ولا عن حسنه ملاهى
لكونها عن مقصدي عوائقى

قد كنت فى غياهب الغباوة
وكنت صديان الى دليل
يجلو فى القلب لكى انالا
فيستوى الجلال والجمال
وتصبح الاقوال والافعال
بيننا فؤادى نحوه صديان
اذ قبض الله لنا سعيدا
فكان آخذا بنا لله
فكان فى القبله فى الامور
بنظرة اولى لديه شهدا
اخبرنى بعيد الاستحواذ
فهكذا نسمع نظرة الولي
تركت ماسوى الاله جهرا
وقبحت عندى ملاح الدنيا
وليس فى غير ذات الله
فصلت عنى سائر العلائق

الى ان قال :

الى وصول خالق العباد
ومن غيوى النفس والاسقام
من التأسى برى الكل
بشبه ولا بفهم منكنا

ولم يزل بنا على الارشاد
فزال ما بنا من الآلام
ورجعت ارواحنا للاصل
ولدة الحضرة ليست تحكى

الى آخر ما قال

وقال ايضا فى رسالته المسماة «عقد الجمان» فى ذلك مانصه :

لما من الله علينا بملاقة شيخنا الاسعد ؛ وقدوتنا الاوحد ؛ امام العارفين
وتاج الواصلين ؛ سيدى سعيد بن محمد السمالى طينا ؛ والمعدى وطنا بازاء
ماسة قدس الله روحه فى اعلى عليين ؛ واخذنا عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية
فثبت قلوبنا فلم تر مايملأ اعيننا فى الدنيا الا معناه وذكره ؛ وبعد ما اخذت عنه
الورد بثلاثة ايام او اربعة ؛ حصل لى مقام الفناء والجذب ؛ وسرى سر الله فى
ذاتى وروحي قلبا وقالبا ؛ ولما وقع ما وقع مما لم اره من سر الله ؛ دهشت
دهشة عظيمة وقلت ماهذا ولكن ادركنى الله بالشيخ كان فى قربنا ؛ فوصلته
فعرفى الحال ؛ ولكن لما التقيت معه زاد على ما بى حتى انى لا طبق ان اسمع الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم الا وذاتى تتمزق ؛ فلم اشعر بشئ يلهينى عن ذكر
جيسى واجتمع عندى فى ثلاثة ايام والحمد لله ما لا يجتمع بعبادة اعوام عديدة
ببركة العارف بالله الذى التقينا به ؛ فاننا نعمل اعمالا عديدة ومجاهدة اكثر
مما عملنا معه ؛ من زيارة الصالحين الاحياء والاموات ؛ ولكن لم يشف ما بنا الا
بملاقاته فى اقرب مدة واقل عدة ؛ لان العارفين بالله هم الاكسير الحقيقي
والكيميا من التقى معهم لم يحتج الى كثرة عمل وتعب ومن لم يلتق معهم فكمن
يضرب فى الحديد البارد ؛ يعبى ولا يقضى حاجته ؛ ولا يصل اليهم الا من اراد
الله ان يوصله اليه) انتهى المقصود

فى مصاحبة شيخنا المعدى

ان كل من لم يخالط هؤلاء الصوفية ولم يعرف اذواقهم ؛ يحمل كل ما
يسمعه عنهم على الافك والبهتان ؛ والمخرقة والتدجيل والشعوذة ؛ ويخلط
بينهم جميعا فى ذلك ولا يفرق بين الصادق والكاذب ؛ ولكن من خالطهم واستطاع
ان يميز افعال الصادقين من الكاذبين منهم ؛ فانه يشاهد منهم الوقوف مع السنة
الاقيما غلبوا فيه على احوالهم او جهلوه ؛ ما يتيقن به انهم هم وحدهم الفائزون
بالاطلاع على دقائق الدين وحلاوة الايمان ؛ وانه ان لم يكن العارفون منهم من
رجال هذه الامة فلا رجال لها بعد ؛ وقد كنت انا وصاحبى الاستاذ محمد
الغازى المكناسى كثيرا ما نتذاكر حول هذا ؛ ثم نجعل اعيننا فى بعض ابناء اليوم
الذين يخبطون خبط عشواء فى الصوفية من غير ان يعرفوا عنهم ما يقبلون ولا
ما يردون ؛ حتى ان فيهم من ينكر الاشتغال بلاله الا الله ؛ والعياذ بالله فكنا
لانتجاوز ان نقول فيما بيننا ؛ من جهل شيئا عاداه ؛ ثم نرجع فنعذرهم بسبب
ما نراه عن ايماننا وعن شمائلنا من كثرة الافاكين الذين تصدوا فى منصات
الزوايا ؛ على حين ان بعضهم يحكى عنه انه لا يغتسل من الجنابة ؛ وانه
وانه مما هو متواتر عنه

ثم ماهذا الذى اختص به هؤلاء الصادقون من الصوفية ولا يوجد الا فى
يديهم ثم لا يكاد منصف من ذوى المناصب يتذوقه من عندهم حتى تراه قد اعرض

عن كل شيء ونفض يده من فخفة منصبه ؛ ثم لا يطيب له العيش الا بانقطاع اليهم ؟

ما هذا الذى يبهر من يكون اعظم منكر على هؤلاء الفقراء الصادقين ثم يتهاوت عليهم بعد ذلك مستسلما تهافت النحلة على خابية العسل ثم لا تبالي ان كانت فى بطن الخابية من المقرقين ؟

ما هذا الذى يشاهده من كان خاض فى فنون العلوم المختلفة خوض الفهمين اللبقيين ثم لا يلبث بعد ان يلتقى مع احد هؤلاء الناس ان يعلن انه ماذاق قط حلوة يتلج بها الصدر ؛ ويطمئن لها القلب ؛ مثل ماذاقه حين التقائه باحد هؤلاء القوم ؟

ما هذا العلم الذى قال فيه بعض كبار العارفين من لم يتغلغل فى علمنا هذا ثم مات ؛ مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر ؟

من هم هؤلاء المشايخ الذين ينبغون فينة بعد فينة ؛ وربما كانوا اميين ثم لا يكاد يتصل باحدهم من كان يعرف فى نفسه رياء وسمعة ؛ وثقل اعمال الخير ؛ حتى يعود كثوب مر تحت يد القصار ؛ ابيض براقا يتلألأ نورا ويتشمع هداية واخلاصا ويستقيم فى اعماله ومعاملاته حتى كانه معصوم ؟

لا أكذبك ايها القارئ ؛ فاني لم ادرك من كل هذا الا شيئا واحدا ابتنته من نفسى ؛ وهو اننى اذا كنت مع هؤلاء الصوفية ؛ بشرط ان يكون الصوفية الصادقين كمن اعرفهم ؛ اجدنى لبن القلب ؛ مائلا الى الاخلاص والى التواضع والعبودية خلاف ما اكون عليه حينما اكون بين يدي غيرهم ؛ وهب هذا الغير من الاساتذة المحدثين الذين يملئون المسامع بقال الله وقال الرسول ؛ ويزفرون زفرات الغيرة على هذا اندين ائحنيف مع اننى فى مبدئى اخالنى على قدم هؤلاء الاساتذة الاجلاء ؛ ولكنى مع ذلك لا يجد قلبى عندهم ما يجده عند الآخرين فهذا كل ما أدركه من نفسى ؛ ولا على فى غيرى

ذاق صاحب الترجمة من بين يدي شيخه الجديد ما ذاق ؛ وحصل له فى تلك الايام الثلاثة ما حصل ؛ مما لم ينل ذرة منه - كما قال فى رسالته المتقدمة من مجاهدات كثيرة كان مشغولا بها قبل ذلك ؛ فعلمت اجنحته بصحبة شيخه فلم يطق ان يفارقه ؛ فنى الجار والمجرور وابواب البيوع ؛ وجداول المناسخت فأتى مانسخ حبه الجديد ما كان يجول حبه فى قلبه قبل اليوم

محا حبها حب الالى كن قبلها وحلت محالكم يكن حل من قبل وصل الخبر الى الالغيين بأن صاحب الترجمة مر به الدرقاويون اولئك الذين لا يلبسون الا المرقعات وينطوقون بسبحات كبيرة غليظة ؛ ثم لا يكون شأنهم الا التقلب فى مختلف البلاد

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويوما بالعذيب ويوما بالخليصة

فارتاع اهل الشيخ وخافوا على ولدهم ان يجن وقد صحب اولئك الجانين اليه - كما يحسبهم الناس اذ ذاك - ولا بد ان خبر ذلك الجذب الذى حصل له يصلهم فلا يكذبون ان الجنة مسته وكل من يعرف قلوب الوالدين فى مثل هذه الاحوال ؛ لا بد ان يقدر ذلك الموقف قدره : (ان المحب بسوء ظن مولع)

ثانى والده حتى عرف اين مستقر اولئك الذين طاروا بولده ؛ فركب بغلته ولحق بالشيخ المعدرى ؛ وهو مع اصحابه بماسة ؛ فطلب منه ان يامر ولده بالرجوع معه بعد ان تكلم مع ولده فما احرار جوابا ؛ فقال الشيخ للولد لا بأس ارجع مع والدك فلا خير الا فى ذلك ثم قال الوالد انى لا يريد الا للعلم وان كانت درجة افضل من العلم فليطلبها ؛ ففضى الامر ؛ فرجع الوالد والولد مترادين على البغلة .

محاورة لطيفة

حاول الوالد ان يسمع من ولده كلمة واحدة تخرج من فيه منذ لاقاه ولكنه لا يعدو امامه اطراق الرأس ؛ وضم الشفتين ؛ وذلك ما يسمي فى اصطلاح الصوفية الصمت وقد كان صاحب الترجمة تلقى من شيخه ذكر الاسم الاعظم (الله) من أول يوم مع شروطه التى هى الصمت والعزلة وهجر النوم ؛ والاقبال من الطعام فاقبل على كل ذلك ؛ وابتدأ فى ذكر اسم الله وهو لا يزال بين يدي شيخه فى المجلس الاول - كما ذكره هو عن نفسه فيما سقناه قبل من رسالة له - لهذا لم يجد منه والده ما كان يألفه منه من المحادثة ولكنه اكثر عليه وهما مترادفان فكانه اضجره فكان ذلك سبب هذه المحاورة اللطيفة ؛ قال الوالد : بالله عليك يا ولدى ما ذاريت فى هذه الطريقة الجديدة التى اعتنقتها وهى طريقة حديثة العهد فى بلادنا هذه وما كنا نعهدا فى بلادنا هذه ؛ وما كنا نعهد الا الطريقة الناصرية فهى التى نالها وبالفها آباؤنا واجدادنا ؛ اوليس بعجيب ان يخرج الانسان عن المعتاد مع ان الناس يقولون : العاقل يتبع الناس ؛ والاحق يتبع الناس ؛ فقال له الولد : وما ذا ظهر لك انت يا ولدى فى البيع والشراء فى القطران الذى تاتى به من قبيلة ايت رخا وتساfer به الى قبيلة ايت صواب حتى تبعة ؛ وهل كان المعتاد فى اهلينا الاتجار بالقطران ؟ وهل كان آباؤنا واجدادنا يعرفون ذلك ؟ اوليس ايضا يعيب ان يزاول الانسان ما ليس معتادا عند اهله مزاولته ؟ فقال له الوالد : انتى يا ولدى اخترت هذه التجارة لقله راس مالها وكثرة ربحها ؛ فاننى بذلك القطران املا دارنا لوزا وتينا وزيبامما استبدله به فى قبيلة ايت صواب ؛ فهذا يا ولدى ما حملنى على اختيار القطران ؛ ومخالفة عادة اهلنا فى ذلك فقال له الولد ان مثل هذه الطريقة الدرقاوية عندى مثل هذا القطران عندك ؛ فان العمل فيها ايضا قليل وما يجده القلب من ورائها كثير ولا ينبتك مثل خبر .

هكذا استدارت المحاوره ؛ وراى الوالد ان لا يخرج ولده ؛ فهو الى اناسه
احوج لئلا يرجع على عقبه فيلتحق ثانيا باولئك المجانين البله كما يزعم فيهم
الناس .

فى مدرسة أدوز

رجعت المياه الى مجاريها ؛ فراجع صاحب الترجمة دراسته ؛ واستتسمم
معلوماته وقد التحق بالاستاذ سيدى محمد بن العربى الادوزى ؛ اما فى اواخر
١٢٨٩ هـ واما فى اوائل سنة ١٢٩٠ هـ فاقبل على التحصيل بكل مستطاعه وتحت
يدى كتب كثيرة كتبها اذ ذاك ؛ وهى كلها دراسية لانه الان وقد شدا ؛ وتطاول
الى تسنم القمم العليا فى الفنون اعوزته الكتب فاستعار له اهله من الخزائنة
الحضيكية بعضها ؛ فاقبل هو على استنساخ كتبه الخاصة شأن الطلبة اذ ذاك
والمطبوعات كما ظهرت ولكنها لاتزال قليلة ؛ ومن بين الكتب التى كتبها بيده
الدردير على المختصر ؛ وايسر المسالك على الالفية ؛ وقد ملا طوره بفوائد نفيسة
وبالشواهد وتفسير الكلمات اللغوية فيها فهى نسخة قيمة مصححة وشرح من
شروح السلم ؛ وشرح للخزرجية وشرح المحلى على جمع الجوامع ؛ والرحلة
الادوزية لاستاذ ابن العربى ؛ واضاءة الادموس للهلالى وكراسة فيها ايات
متفرقة فى النجوم ما يحفظه عادة من يقرأون الالفية وغير ذلك مما تشئت بين الاوراق
لان هذه النسخات كلها لم تجلد فصاعت من بينها ورقات وكراريس ؛ ومن ذلك
تدرك همته ؛ وقد بذل هناك منتهى جهده وقد كان نفعه ما كان حصله فى
السنوات المتقدمة ؛ فلم يزل مثابرا حتى كان رئيس المدرسة فهما واتفانا للفنون
واكبانا على التضلع ؛ وقد اخذ من مختلف الفنون التى يعنى بتدريسها الاستاذ
الادوزى فأتقن عليه النحو واخذ عنه التسهيل ؛ وقد حفظها كلها اوجلها اذ ذاك
- كما ذكره الاستاذ سيدى محمد بن مسعود - ويدل على ذلك انه كان يدرسه بابه
- كما سترى ذلك - وبلغ ايضا فى الفقه شأوا بعيدا يدل عليه مؤلفه الشملجى الذى
ترجم به مجموع الامير ؛ وقد اخذ هناك ايضا البيان والاصول واللغة ؛ وكان
مستحضرا لضبط الالفاظ ؛ متقنا للتصريف وقد عرف له استاذة هذه المكانة
السامية التى ترقى اليها بلازمته واجتهاده ؛ فراه وحده اهلا لاستنابته على موالاة
الدروس للطلبة فى رحلته الى الحمراء مع سيدى الحسن بن احمد التمكنشتى
سنة ١٢٩٣ هـ

حكى لى سيدى ابراهيم بن صالح رحمه الله قال خرجنا لنودع الاستاذ
اذ ذاك ونحن نحو مائة وستين من الطلبة ؛ فحين حق الوداع واصطف الطلبة
أقبل اليهم الاستاذ فقال ان سيدى على اكرام - وبذلك يدعى هناك اذ ذاك -
يتولى التدريس فى مقامى الى ان ارجع ان شاء الله ؛ قال فرجعنا ثم خلص بعض
المتكبرين من الطلبة الذين ينفسون على سيدى على هذا المقام - نجيا بينهم فقالوا

وأنله لانقبلن ان يقوم هذا المرابط في مقام الاستاذ ؛ فلئن توجه الى المجلس وأراد ان يتصدر ؛ ليرين منا ما لا ينساه ابد الابدین ؛ قال فاسترقت سمع ذلك فتجيت حتى وصل وقت الدرس فولجت عليه بيته ؛ فمنعته من الخروج الى المجلس العام ؛ ثم كان سيدى ابراهيم بن صالح قال لى اننى مع اناس قليلين من الطلبة افتتحنا عليه فى غير المجلس العام دالية اليوسى وذلك غالب ظنى الان •

قلت وقفت على رسالة صغيرة ارسلها الى اهله فى هذا الحين نصها
(من على بن احمد بن محمد الى والده ؛ السلام والرحمة والبركة •

اما بعد فادعوا لنا بصلاح الحال والمال ؛ ونحن والحمد لله بالسلامة والعافية ؛ ونرجو ان تكونوا كذلك ؛ والفقيه ذهب الى مراکش وجعلنى خليفة على الطلبة لتتذكر معهم لكن لم يتفقوا فنذاكر من اراد حتى يرجع ان شاء الله والحاصل اننا نقرأ لم نمكث ؛ فلاتشوشوا بالكم لان هذا المكان من اراد القراءة يقرأ ابدا ؛ سواء حضر الفقيه ام لا ؛ ونحن والحمد لله لم يخصنا شىء من درهم ولا دقيق ولا ادام ونحضكم على شراء الوصيفة ان امكن ؛ فان للتأخير آفات؛ وقرأ منى السلام على الاخت وقولوا لها يرحم الله المرحوم الذى قضى نحبه)

هذه رسالة نقلتها من خط ؛ وقد وقعت عليها صدقة من بين رسوم انسان اجنبى عن أسرتنا وهى تحقق لنا ماتقدم من حكاية سيدى ابراهيم بن صالح الذى كان رفيق صاحب الترجمة الخاص فى زمن الدراسة ؛ وقد تقدم ان كان بعيد له الانصبه ماشاء الله ؛ ثم لم يتكبر سيدى ابراهيم اليوم ان يجلس ايضا بين يديه لياخذ عنه متابعة لاذن الاستاذ ؛ وقد كان سيدى ابراهيم هذا مشاركا فى البيت لسيدى عمر الاكضيى ؛ كما اننى سمعت ان صاحب الترجمة كان فى مشاركة سيدى الحاج احمد اليزيدى وذلك من قلة البيوت وكثرة الطلبة وحدث سيدى عمر المذكور انه كان يمنع رفيقه ان يدخل الى بيتهما صاحب الترجمة عند معاودتهما للانصبه ؛ قال ويجلسان معا فى براح ؛ وربما يكون الجو باردا فيناهما ماينا لهما من البرد ؛ وكثيرا ما يتأسف بعد ذلك حين صار ممن تلهذا لصاحب الترجمة ويقول واحياه مما كنت اعامله به اذ ذاك ؛ وحكى ايضا ان صاحب الترجمة كان كلما سمع من نادى باسم الله يسقط مغشيا عليه ؛ ثم لاستفيق الا اذا صلى له على النبی صلى الله عليه وسلم مرات فى اذنه ؛ وكان بجانب الطلبة يتعمدون ذلك فينادون باسم الجلالة امام بيته ؛ وقد كان حينها تكت ستر صمته ؛ وفارق انزواء المعتاد منه ثم قال سيدى عمر فكنت منذ رايت منه هذه الحالة الجديدة آكره مجالسته واحمل ذلك منه محامل اخرى ؛ وفى يوم جاء انسان من دار نائية عن المدرسة ؛ فاستدعى الطلبة فامتنعت انا من الذهاب معهم ؛ وما منعنى الا كثرة كلام سيدى على اكرام ولكن حدث الطلبة بعد رجوعهم انه لم ينس ذلك النهار بينت شقة ؛ وانه راجع ايضا صمته وانزواء ؛ قال ثم من ذلك اليوم انقبض انقباضا دائما حتى غادر المدرسة •

قلت ان الصوفية يقولون ان من الاحوال التي تعترى من يترقى في فسر المقامات انه يحل مقاماً يسمونه (مقام البسط) فيغلب عليه البشر وكثرة الكلام حتى ليعده من لايعرف حاله من اهل الهذيان ؛ ثم ان تجاوز ذلك المقام انطوى عنه ذلك البساط ؛ ثم لايزال تتقلب به الاحوال واختلاف المقامات ؛ حتى يتمكن فبعد ذلك يصير حاله حالاً دائماً لايتأثر باى شيء ؛ هذا مايقولونه نحكيه عنهم واهل مكة ادري بشعابها •

وحدثني سيدى ابراهيم بن صالح قال رايت في حين ونحن بالمدرسة الادوية سيدى عليا اكرام كثير البكاء والزفرات ؛ بسبب وبلا سبب وكثيرا ما ألقاه بغتة ؛ فأجده على هذه الحال فتحينته يوما حتى كان في بيته فدخلت عليه وأنا أقول في نفسي انه بلاشك راي النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فاستهواه الشوق فدام عليه ؛ وهذا افضل من يواخيه الانسان في الله فسلمت عليه فقلت ان طلبتي عندك ان نعقد الاخوة بيننا لله ؛ والناجي منا يأخذ بيد صاحبه ؛ قال فماكاد يسمع ذلك حتى اجهش بالبكاء ثانيا وغلب على حاله ؛ حتى رحمته ورايته لايجيبني بكلام فخرجت فتركته ؛ وفي يوم من الايام استدعاني ؛ فقال اليوم نعقد ذلك العقد الذى طلبته منى ذلك النهار ؛ فهذا ماعرفناه عنه رحمه الله وهو في ادوز ؛ ولولا سيدى عمر الاكضيي ؛ وسيدى ابراهيم لجهلنا كثيرا من احواله في تلك المدرسة ؛ كما جهلناها في المدارس الاخرى •

سافر الاستاذ سيدى محمد بن العربي الى الحمراء ؛ وصاحب الترجمة يدرس مع بعض الطلبة ؛ ثم بداله فالتحق بأهله ؛ فركب على بغلتهم فالتحق ايضا بمراكش ؛ وقد مكثه والده دارهم يشتري بها مايريد من الكتب ؛ ولكنه لم يشتري الا قاموسا من المطبعة الحجرية القديمة ؛ وقال هذا كل ما احتاج اليه ؛ ثم اشترى لاهله مايعوزهم ببقية الدراهم (وهذه النسخة لاتزال عندنا)

ثم في اواخر سنة ١٢٩٤ هـ ظعن عن ادوز وقد ودعه استاذاه واجازاه باجازة كانت محفوظة عندي بخط الاستاذ ؛ ثم نقلتها في كناشة ثم عدا الفار على الاولى وتقلبات الاحوال على الثانية ؛ ونحن في غرارة الشباب سادرون ؛ لم ندرك بعد قيمة المخطوطات ؛ فنحن الآن وقد توقفنا عليها لم نعتض عنها الا الاسترجاع والحوالة

في فض النوازل وقسم التركات

ها هو ذا صاحب الترجمة قد رجع الان من المدرسة موفور الحظ ؛ مرموق السعد مشهودا له من اساتذته بالتبريز ؛ وبالتفوق فيما اخذ ؛ وقد سارت الاخبار بذلك وتحدثت به الركبان ؛ فلا بد ان الناس سابرون غوره ؛ ومفتشون عماوراء اكمته لينظر اصدق من شهدوا له بالتفوق ام كانوا من الكاذبين ؟

صادف أمامه قضية متشعبة بين اولاد عمه ؛ سيدى ابراهيم بن سليمان وفيها احباس تشاكس حولها الورثة؛ وقد كان الاسانذة: سيدى الحاج ياسين وسيدى على المجاطى وسيدى محمد بن عبد الله الالفى وسيدى الحاج محمد الزيدى تواردوا عليها ؛ فلم يتفق لاي واحد منهم ان يفض ختمها ولا ان يحل عقدها ؛ فحين رجع صاحب الترجمة رفعوها اليه وحكموه ؛ فوافق ذلك ان نزل عليهم اصحابهم من مجاط ليتعاونوا معه على ذلك ؛ فيرغمون على الحق من اياه فعالج القضية ؛ وسهل الله امرها بتساهل الورثة فيما بينهم ؛ فتم امرها وقد رايت ماكتبه لهم اذ ذاك ولكنه غير مؤرخ على عادة فقهاء اهل هذه البلاد الذين لا يابهن بالتاريخ ؛ ولكن المهود انهم لا يفرطون فيه فى رسم المفاصلة مثل هذا ولكن هذا لم يقدر تاريخه ؛ فذهب المجاطيون الى دارهم ؛ وهم يقولون عجا من فقيه جديد من الغ لا يزال صغيرا فض دعوى متشعبة عجز الاسانذة المسنون عن فصلها ؛ بهذا اخبرنى من سمع منهم اذ ذاك

وكذلك فصل ايضا نازلة لبعض ايت (امتضى) حكموه فيها ؛ فاراهم فيها وجه الحق ؛ فرجعوا مستبشرين ؛ هكذا قدر له ان تجول خيله فيما يجول فيه علماء عصره فى هذا الحين وفقهاء قطره الذين يجعلون ذلك هجراهم ويتسابقون اليه ثم لم نعرف له انه جال فى مثل هذه القضايا بعد ؛ لان الوادى اتى فطم على القرى ؛ كما ستري ذلك ان شاء الله فيما ياتي

فى التجارة

اظلت سنة ١٢٩٥هـ فأتت على الرطب واليابس بمسغبتها ؛ فلامحصول ولا مدخر ولا رخص ؛ فعركت الناس عركا حتى لم يتخطها من الناس فى هذه البلاد الا من مله العمر وخرقت له العادة ؛ فقد صارت هذه البلاد كراس الاقرع الاما كان من ممر وادى (درعة) ازاء تامانارت ؛ فانه اتى بمحصول جيد فانكفا اليه الناس كلهم ؛ وقد كان الفقيه سيدى محمد بن على الكوسالى ممن عاصر صاحب الترجمة فى المدرسة التانكرية ؛ وكان تاجرا كبيرا ؛ ذا اموال يقارض بها الناس فانصل به صاحبه هذا ؛ فقارضة ستين ريالا او مائة - الشك من العم المخبر - فتوجه بها الى تخوم معدر وادى درعة ؛ فاشترى هناك زرعا وشبهه ثم صار يبيع شيئا قشيمًا ويحوز هناك تمرا جديدا ؛ قال العم وكنت ادفع للفقيه الكوسالى حتى تمت المحاسبة وانتهت المعاملة؛ فكان هذا هو شغل صاحب الترجمة فى غالب سنة ١٢٩٥ هـ والشغل عند اهالينا افضل مايتحلى به الرجل ؛ وينبه به شأنه ؛ ولا يستحيى رجل ايا كان فى النزول الى مزاولته ؛ فبذلك اتيج لفقيه الغ الجديد ان يكون ممن مارس التجارة ؛ والرجل من يطيق ان يدير كل شئ عنه ثم يكمل فيه عمله بالنجاح

في مدرسة فو كرض مشارطا ومعلها

كان الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله قد اكب على التدريس منذ رجس من المدرسة ؛ والتدريس وبث العلم اسرع لرفع الشأن لكل فقيه فقد كان التحق بالمدرسة البومروانية بعد مامدرس في مسجد قريته فعلا له بذلك ماتعبط بس اسرته ؛ ويتمنى المتمنون لو كان لهم مثل ذلك الولد الفقيه فتعطر بذكرهم الاندية وتدوى بصيتهم الاحاديث •

هذا فقيه آنا قد رجح ؛ وهاهو ذا قد جرب في تينك القصيتين ففلج فيهما سهمه ؛ افكانت اسرتنا تقنع منه بان يكون لها تاجرا يزاحم في الاسواق ويقاير في البيع والشراء ؛ مع ان ذلك وان كان لا ينقص به في عرف اهلينا شرف الرجل وان كان فقيها ؛ ولكن لكل مقام رجال ؛ فهؤلاء رجال اسرتنا اخوان فقيسها متوافرون فليبيعوا وليشتروا وليقايسوا وليزاحموا في الاسواق ؛ ولكن الفقيه الاولى به في نظر الاسرة أن يسلك طريق ابن عمه سيدى محمد بن عبد الله الذى تصدر في المدرسة البومروانية ؛ فاحدث بذلك شيئا جديدا من آل عبد الله بن سعيد ؛ فليتحق هو بمدرسة اخرى ؛ حيث يبث العلم ويهذب النفوس ويصقل الافئدة حيث يكون للأسرة من فقيها شأن كشأن الاسرة الصالحة من فقيها وليس هذا الذى ا قوله من بنات يراعى ؛ بل هو من صدى احايث كانت الجدة (تكدا) والدة صاحب الترجمة - تملئها على في نحو سنة ١٣٣٥ هـ وانسا اسائلها عن ذلك التاريخ ؛ فكنت اراها تكبر زوج بنتها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ؛ وتتمنى من فقيها الذى هو ابنها ان يسلك طريقه ؛ ثم قالت ولكن ماكنت اعرف انه خبيء له هذا اخير الكثير ؛ والمجد الباذخ الذى جاء بعد ذلك من غير طريق سيدى محمد بن عبد الله التى كنت لا اريد ان يتخطاها ؛ تعنى بذلك كونه شيخا مرييا ؛ فساق لها ولاسرتها بذلك من الشرف اضعاف ماسا له الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله لاسرته •

التحق فقيه الغ البتديد بمدرسة (فوكرض) فاجتمعت عليه ثلة من الطلبة يدرس معهم المبادئ ؛ ومن بينهم العم ابراهيم والفقيه المدونة الايفشاني ؛ وسيدى مولود الصوابى والحاج محمد البوزاكارنى ؛ وآخرون ؛ واخال ان التحاقه بتلك المدرسة كان في اواخر سنة ١٢٩٥ هـ لان الاستاذ الطاهر بن علي اخبرنى انه رأى رسم حبس كتبه صاحب الترجمة وهو هناك مورخا بسنة ١٢٩٥ هـ وائعم صمم على انه ما التحق بها الا في مفتتح سنة ١٢٩٦ هـ والامر سهل ثم انه مع اشتغاله بتعليم الطلبة ؛ قد جعل لمن كانوا ينتابون المدرسة من العامة مجلسا وعظيا ؛ قال سيدى بلعيد الصوابى - وكان يحضره اذ ذاك- ان ذلك الوعظ اشبه بوعظه يوم تصدر للتربية

اتم سنة في تلك المدرسة ؛ ثم اعاد معهم الثانية فمضت فيها بضعة
شهور ؛ فاذا برسول الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله يطلب منه ما ياتى

في المدرسة البومروانية

رايت في ترجمة سيدى محمد بن عبد الله ماحمله على ان استناب صاحب
الترجمة في البومروانية ليتهم له السنة ؛ فأدار الدروس وتابعها ؛ كما كانت
بين يدى الاستاذ وقد جاء اليه تلاميذه الذين انقطعوا اليه في المدرسة المتقدمة
فكان من بين من يآخذ عنه من تلاميذ الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الاستاذ
على بن عبد الله الذى رجع بسبب وبمعاونته الى الدراسة بعد ان كان سمته
الى التجارة . والاستاذ احمد الزمامى وسيدى سعيد بن على الاعضائى وسيدى
الحسين الناطاروسى وسيدى العربى الساموكنى وسيدى الطيب الركبى
وسيدى الحسن بن عبد الله بن محمد السملالى ؛ فكان يدرس مع هؤلاء
التسادين زيادة على متون المبتدئين الالفية والرسالة والمختصر والتسهيل
والمقامات الحبرية ؛ فكان يجول معهم بهمة المعروفة عنه بعد ذلك فى كل
مازاوله ؛ سبعة اشهر تامة الى ان تمت الدورة السنوية فالتحق بالغ ؛ والتحق
التلاميذ بالمدرسة الالفية عند استاذهم الذى بنى لهم هذه المدرسة الجديدة
وكانت السنة ١٢٩٧ هـ .

العزم على المشاركة في المدرسة الوفاوية

زمت الركاب من بومروان ؛ فجزى الاستاذ ابن عبد الله صاحبه هذا على
ما قام به هناك ؛ ثم صار يفاوض الوفاويين على ان يشارط عندهم فى مدرستهم
ابن عمه هذا المترجم ؛ فتم بينهم الامر ولكن اجل ذلك الى ان يرجع الناس من
موسم (نازروالت) وقد اظل يومه ؛ ولكن حالت امور جديدة بينه وبين هذا العزم
(وتحدث من بعد الامور امور) كما يقول الحكمى

الطريقة تنقض عليه ثانيا فتطير به

قد يحسب القارئ ان صاحب الترجمة قد نفص يده من الدرقاوية ؛ وانه
نسى شيخه فاعرض عنه مع انه ما كان يقطع زيارته فى كل حين ؛ اذ هو بالمدرسة
الادوية ؛ وبعد ذلك وانما اراد ان يجبر خاطر والده ؛ فرجع اليه بعد ان اكتفى
من الاخذ بادوژم حدته الاقدار حتى شارط كما ترى ؛ وقد كان اخوانه الفقراء
زاروه بطافتهم حين كان بالمدرسة البومروانية وفيهم الفقيه الكبير الذى
تجرد اذ ذاك وانقطع الى الزاوية المعدنية ؛ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى
فحين ولوا أرسل اليه هذا السيد رسالة عاتبه على ما هو فيه ؛ وحشه على ان
ينقطع ؛ وتمثل له فى الرسالة بقول الحراق

والفتى من سلبته جملة لا الذى تسلبه شيئا فشيء
 فربما كان هذا البيت وحده هو الذى استثاره من جديد ؛ حين تسوق
 موسم (تأذروالت) ثم مضى منه قدما الى الزاوية المعدنية حيث تجرد وانقطع
 بين يدي شيخه ؛ واعطى للتصوف نفسه فسلبته الطريقة الدرقاوية جملة بعدان
 كانت تسلبه قبل ذلك شيئا فشيئا .

ومن لم يجد فى حب نغمى بنفسه وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل
 بهذا اختتمت صفحة من نصف عمر صاحب الترجمة ؛ واستقبل سنة
 ١٢٩٨ هـ بما استقبل به الغزالي يوم طلق الدراسة بالمدرسة النظامية ؛ بادية
 العرب ؛ حيث لاقاه الاستاذ ابوبكر بن العربى ؛ وكان عهده به وهو بالنظامية
 وفى مجلسه اربعمئة عمامة من اكابر الناس وافاضلهم ؛ يأخذون عنه فقال له
 وقدراى عليه مرقعة ؛ وعلى عاتقه ركوة ؛ ويده عكازة يا امام اليس تدريس العلم
 ببغداد خيرا من هذا ؟ قال فنظر الى شزرا وقال : لماطلع بدرالسعادة فى فلسك
 الارادة ؛ وجنحت شمس الوصول فى مغارب الاصول

تركت هوى ليلي وسعدى بمعزل وعدت الى تصحيح اول منزل
 ونادت بى الاشواق مهلا فهذه منازل من تهوى رويدك فانسزل
 غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

وقد انشد له ايضا حول هذه المقام فى لقاء آخر

قد تيممت بالصعيد زمانا وانا الآن قد وجدت الماء
 من سرى مطبق الجفون واضحى فاتحا لا يردهن السعماء

وقفة قصيرة بالقارىء

احب منك ايها القارىء ؛ وقد ماشيتنى منذ اول هذه الترجمة الى ان طوينا
 صفحات غيرة لميلة من حياة صاحبها ؛ ان تقف معى هنا وقفة قصيرة نفكر فيها
 قليلا- فى الذى يتراءى لنا عنه ؛ أفليس أنه محظوظ فى كل هذه السنوات
 التى يتلقى فيها ؛ حتى ختم ذلك بخطوة عظيمة غبطه عليها اصدقاؤه ونفسها عليه
 حساده ؛ يوم اناله الاستاذ ابن العربى الادوزى تلك الشهادة العليا بين جماهير
 من اقرانه ؟ ثم لما توجه الى مجالات فقهاء عصره ؛ وجد ايضا مكانا قسيحا
 واسرة لها مكانتها بين ذويه ؛ ثم لما جال فى مجالات التدريس فى المدارس
 كان نزع فيها لا يقصر عن نزع ابن عمه الاستاذ محمد بن عبدالله لانه لا يرضى
 ان يخلفه فى منصبه ؛ ولا يتنازل ضميره الى ان يذر تلاميذه الذين هم افلاذ كبده
 الا فى يد من يراه كنفسه فى الالتقاء والفهم والتفهم ؛ ثم ان كل هذا لم يستهو
 صاحب الترجمة ؛ ولا استمال نظره ؛ ولا اعاره لمحة من فكره افلا يدرك من كل
 هذا القارىء الكريم ان تلك الروح الوثابة التى تملأ ما بين جوانحه ؛ غير تلك

الارواح التي تجول في كثير من فقهاء عصره الذين لا يكاد احدهم يشيم ومضة من حظ ؛ ويجد مضغة هنيئة مريئة من مدرسة واقباله صغيرة من بضعة تلاميذ من يقول اننى اسعد الناس ؛ واحظى العلماء بالظل الوريث من العلم الشريف ؟

حقيقة ان مايقنى فيه الفقهاء اعمارهم من فض التوازل بالشرع الخفيف والانتصاب في المدارس وهى من المساجد التي لايعمرها الامن آمن بالله واليوم الآخر ؛ ومن تعليم التلاميذ وتهذيبهم وارشادهم ؛ ووصل الامانات الدينية والعلمية والثقافية اليهم كل ذلك فيه اجر عظيم ففى مثله يتنافس المتنافسون وفى التسابق اليه يحمد المتغابطون ؛ ولكن أمثال صاحب الترجمة الذى خلق لغير هذه المجالات وراينا همته تحفزه الى مقامات اخرى غير هذه لابدان يكون هناك شئ وقع عليه بين اولئك الفقراء وحظى به بين اركان تلك الزوايا ؛ لم يجد مثله بين الفقهاء والامحة في مجالس المدارس

فليت شعري ما الذى وجده هناك ؛ ولم يجده في المدرسة ولا في علومها المختلفة ؟ اخال ان هذا الذى وجده هناك ويجده كثير من الفقهاء الذين ألقوا مناصبهم وراءهم ؛ فأقبلوا على مصاحبة الفقراء ؛ يتجلى لنا في هذه الحكاية الاتية :

دخل سيدى سعيد بن هـمـو الشيخ المعـدري الى داره يوما فقال لمريدته الفقيرة عائشة الهـشـتوكية ؛ اخرجى واستديرى بالحائط فانك ستجدين عالمين دخلا فى طريقنا حديثا ؛ فذاكريهما فخرجت فوجدت صاحب الترجمة والفقير سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ؛ فجلست اليهما بعد ما سلمت ؛ وهى حيزبون درديس - ففاتحتهما الحديث فانجر بهما الى ان وصل الى معرفة الله تعالى ؛ فحلقت بهما الفقيرة الامية الى سماوات عجزا عن مطايرتها اليها ؛ فسكتا ثم قالت لهما انما اردت بهذا العلو فى المذاكرة ان تعرفوا انتم معاشر العلماء الجامدين الذين لا يحسبون ان لله علما الا ما فى تلك النقطة الضئيلة التى تظنون اعماركم تجولون حولها فى مدارسكم ؛ ان من الناس من تعجزون عن مجاراته مع انه لم يلم بنقطة منكم هذه ؛ وارتد ايضا ان تذكروا حق الادراك انكم معروفون عندنا لاتخفى عنا منكم خافية ؛ فالمنصفون منكم يدركون انهم خالون من سر انوار القلوب ؛ ومن ذوق حلاوة الايمان ؛ وان هذه العلوم التى يخوضونها ويقصرون عليها اعمارهم ويحسبونها غاية ؛ على حين انها هى وسيلة للمقصود من معرفة الله ما انتهم بالمراد من انوار القلوب وحلاوة الايمان ؛ ولكن مع انصافهم هذا ؛ وادراكهم لكل ذلك حق الادراك ؛ يحسبون ان غيرهم لا يدركون منهم ما ادركوه من أنفسهم من عدم معرفتهم لله وعدم استنارة القلوب ؛ وانشرح الصدور ؛ فقال لها سيدى الحاج الحسن وكيف معرفة الله ايها الفقيرة ؟ فقالت انكم انتم العلماء ؛ وانكم احق من يسال عن مثل هذا لانا العامة الامية التى قل حياؤها فثرت بهديانها حتى جاوزت الحد ؛ فقال لها سيدى الحلج الحسن لا بد ان تتكلمى ؛ فقالت لا ادري ما اقول ؟ الا ان ولدا عندى يوما ايقظته

من نومه فقال لي يا اماء : انك ايقظتني من نومة عذبة حلوة لذيدة جدا جدا؛ فقلت له كيف عذوبتها يا بني ؟ فسكت مليا ثم قال نامي يا امي هنا مثل تذوقيهلاكذلك انا اقول لكم من اراد ان يذوق معرفة الله فليرحل الى الله بالكلية ؛ فان العجب كل العجب فيمن ادعى انه عالم مع انه اجهل الناس بمعرفة نفسه وبمعرفة ربه وقد فيما قيل : من عرف نفسه عرف ربه .

هذه هي الحكاية حكاها من حكمتها له تلك الفقيرة رحمها الله ؛ ورسمها زادت جملة او نقصت ولكن هذه هي الروح

وبعد ؛ فان من بين الناس من تتعلق روحه بهذه الناحية ؛ ويتكون ذلك منه من صغره كما رايته من صاحب الترجمة الذي تجلت منه هذه الناحية ؛ وهو بعد في الكتاب ؛ ثم ما كاد يلتقي باصحاب هذه الجهة حتى انزع فيهم كان له معهم تعارفا قديما ؛ وكان ذلك ميدان الحديث الشريف .

(الارواح جنود مجنونة ؛ فما تعارف منها ائتلف ؛ وما تناكر منها اختلف).

في التجريد وخرق العادة

لبعض التصوفية احوال عجيبة لاتزال الى الان محمولة في اعين غالب الناس على الغرابة ؛ وعلى الخروج عن المعتاد ؛ وبها تقوم في كل عصر حرب زبون ومجازبة عنيفة بينهم وبين الفقهاء الذين لا يجدون فيما عندهم من مختلف الفنون ما يبررها خصوصا المحدثين منهم الذين يتراءى من سيرة صاحب الشريعة صل الله عليه وسلم ما لعله لا يوافقها فيما يرون ؛ فهؤلاء الفقهاء والمحدثون يحملون على من يلبس هذه الاحوال الغريبة حملات متوالية زاحرة بالحجج والبراهين والادلة ؛ ولكن الآخرين سائرون في طريقهم ؛ معرضون عما حولهم وهم كالخود التي تجثم في ضفاف البحار فلا تكاد موجة تصطدم واياها حتى تنكسر على جنباتها ثم يستحيل ماؤها زبدا ورشاشات متطايرة ؛ قلب معي النظر ايها المؤرخ منذ تأسس التصوف في القرن الثاني واستقل كعلم خاص ؛ له مبادئه واصطلاحاته وتآليفه المدروسة ورجاله الذين يتفانون فيه ؛ ويظنون ويبستون في تتبع دقائقه ومقدار تأثير كل دقيقة من دقائقه في نفس المعتقد للتصوف المتتبع لمقامات السلوك فيه ؛ تأمل معي منذ ذلك العهد الى الان ؛ تجد هذه المجاذبات العنيفة التي تقع في مختلف هذه القرون وترى ما هناك راي عين ؛ فيتضح لك ان ما يستغرب في ذلك الوقت ؛ يشور به على القوم الفقهاء والمحدثون دائما ولكنهم بعد انجلاء المعركة يخرج اصحابهم وهم كما هم لم يتأثروا بقلامة ظفر من ثورة هؤلاء

ومن بين ما يواخذ به هؤلاء اصحاب التصوف هذا الذي يسمونه التجريد بالتجرد عن كل ما في ايديهم وعن كل ما هم فيه ؛ حتى ليأمر ونهم بترك هيئات حسنة ؛ وشارات عرفوا بها الى هيئات اخرى وشارات زرية تتخطاها الانظار

فتفرض دون ابصارها ؛ والى الوقوف مواقف ذل وانكار للذات ؛ فقد يامر الشيخ وان يجول في مرقعة غليظة بين القرى وبين عارفيه ؛ حتى يزول منه ما يمنعه من مكان معروف في قومه بلباس حسن ومروءة وعز وعلو همة ؛ ان يطلق كل ذلك المداومة على مثل ذلك ؛ وربما امره ان يتعرض للناس للتكفف وان يجهر بذلك في الاوساط التي كان عرف فيها بما عرف ؛ ويسمى ذلك عند مشايخ التربية (خرق العادة)

تعلو صرخات الفقهاء والمحدثين باستنكار ذلك ؛ واستبشاعه بين المسلمين فيقول المحدثون لم نر قط رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ امر احدا ممن يربيه وهو شيخ المربين واستاذهم وقودتهم ان يفعل مثل ذلك ؛ وهذه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ظاهرة بين ايدينا لانجمل منها ولو طرفا ؛ افلا يسع من يربي الناس اليوم ماوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم امس ؟ والمراد من المسلم ان يحس بالشرف وعلو الهمة وعزوف النفس ؛ لبالضعة والاسفاف والحقارة ؛ واي مسلم الف الحقارة الا التحفها حتى امام الكفار واعداء الدين .

ويقول الفقهاء ان عرض الانسان ومروؤته وشرفه لماتجب المحافظة عليه مثل ماتجب المحافظة على دمه ودينه وماله فباي دليل وبأي نص يستدل من يأمر بهتك المروءة التي هي كما يقول علماء الاخلاق كسجف رقيق متى انتهك فهيها ان يلتئم بعد ؟ فكيف يربي انسان انسانا في الدين الاسلامي بهتك المروءة والتوقع للناس في الاسواق بالتكفف وباذلال نفسه ؛ مع اننا ما امرنا الا بعكس ذلك هذا ما يصرخ به المحدثون والفقهاء ويسهبون به في حججهم ويسوقون ما يسوقون مما يشهدلما ذهبوا اليه .

واما الصوفية فان بعضهم غالبا يجيبون بالافعال ؛ فان من يأمره شيخه ان يفعل ذلك لا يلبث بعد حين ؛ ان ينقلب جوهره ويتبدل حاله ويظهر بمظهر آخر ؛ ثم لا تستدير دورة الزمان حتى يترأى في عصره كشمس انكشفت عنها السحاب السود في يوم صحو فتشرق في عليائها على الكون ؛ حتى تعشى انوارها للامعة كل الناس ؛ حتى اولئك المحدثين والفقهاء فانهم لا يكاد معظمهم ممن النصفين ينكر ما ناله كبار الصوفية بعد هذه التربية

واما صوفية آخرون فانهم يصمدون الى المحدثين والفقهاء ؛ ويقولون لهم لقد ابعثتم النجعة واكثرتم حول ما لاتعرفونه صرخاتكم ؛ فاننا اولا نعدركم على نمط ما يقوله الشاعر

لو كنت تعرف ما اقول عذرتني او كنت اجهل ما تقول عذلتك
لكن جهلت مقالتي فعدلتني وعلمت انك جاهل فعذرتك

ثم اننا لانكثر معكم الجدل ؛ ولانجاذبكم ادلة و حججا انتم ادرى الناس

كيف تلقى وانما نسائلكم سؤالين اولهما لوجاء طبيب فقال لكم ان مريضكم هذا لا يسلم من مرضه المزمع الذى منعه الحركة الا اذا بترت يده او فقت عينه فحينئذ يبرأ ويقوم ؛ ثم انه سبق له ان عامل بمثل هذه المداواة مرضى كثيرين فبرئوا؛ اكنتم تدفعون اليه مريضكم وتجوزون له ان يداويه بما ذكر وبما تبين انه دواء شاف من مداويات له متقدمة ؟ ام تقولون له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ويقول له فقهاؤكم ان نصوصنا لم ترد بمثل ذلك ؟ فما كان موقفكم مع ذلك الطبيب الذى ادرتكم صدقه هو موقفكم معنا فاننا انما نقصد بما فعلنا بعض المريدين لاكلهم تطهير نفسه من الكبر الذى هو اخسو الشرك وان نسلك به مسلكا يتلقى فيه دروسا يخرج منها بالاخلاص التام فى اعماله وذلك هو قصدنا الوحيد؛ ثم لم نبال بالمروءة التى تقولون هتكناها لعلنا بأن الغاية تبرر الوسطة كما ان ذلك الطبيب لم يبال بتر اليد ولا بفقء العين فى جانب الشفاء الذى يحصل للذات كلها ؛ على ان المروءة التى يأمر الديسر بالمحافظة عليها ليس منا من يقول بهتكها وانما هى بعض عوائد فى اللباس وامثاله تغير لعل ماوراءها يتغير؛ كما شرع تقليب اللباس يوم تصل صلاة الاستسقاء على انه لم يتخذ اشيا خاذلك ضربة لازب لكل مريدمريد ؛ بل انما يامرون به من يعلمون انه لا يداويه الا ذلك ؛ وطرق التربية شتى لا تنحصر ؛ والاشياخ انفسهم تختلف تربيتهم فى مثل هذا اختلافا كثيرا ؛ كما تختلف طرق التداوى بين هيئات الاطباء فى مستشفيات متعددة وذلك كله بحسب ما جربوه من انفسهم ؛ ونحن نقول ان كل شيخ يربى مريديه على النمط الذى تربى به ؛ ومن اين لنا ان تكون تربيتنا ؛ ونحن نفر بعدم العصمة كترية النبى صلى الله عليه وسلم الذى وفقه الله ؛ وعصمه فى كل احواله ؛ وتولى تربيته وتاديبه فأحسن تاديبه فان ادرتم ايها المحدثون والفقهاء محور هذا السؤال ؛ وكنه ما نريده وراءه عرفتم متجهنا فاسترحتم وارحتم على اننا نشكركم على اعتنائكم بنا ؛ واخذكم بحجزتنا حتى لانفارق السنة ؛ فجزاكم الله خيرا •

والسؤال الثانى اننا رايناكم تكثرون علينا فى اتخاذنا حياة مخصوصة للمريدين ماداموا يتربون تحت انظار مشائخهم ؛ فتقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يخص اصحابه بهيئة مخصوصة ؛ ولا بشارة يتميزون بها عن غيرهم ؛ بل المسلمون كلهم فى هيئاتهم كقداح السهام فى الكنائس ؛ لا يفضل بعضهم على بعض الا بالتقوى هكذا تقولون ؛ ولكننا نسائلكم فانصفونا فى الجواب ؛ اوليس ان لكم أيضا أيها الفقهاء حياة أخرى خاصة بين المسلمين؟ فما يكاد احدكم يتأهل للتصدر وينساق الى صفوف العلماء حتى نواه انتحى ناحية فيخرج اليها بالزى الخاص الذى احتكره العلماء لانفسهم ؛ فما كان جوابكم هو جوابنا فقد علمنا ان قدوتكم فى ذلك ابو يوسف ؛ ونعم القدوة ابو يوسف ؛ ولكن

لماذا لا تقبلون منا ان قلنا لكم ان قدرتنا الجنيـد والغزالي وامثالهما ؛ فتقولون لنا بدوركم نعم القدوتان الجنيـد والغزالي ؛ فيا اخواننا العلماء لماذا لانلتقي نحن وانتم في الوسط لتدركوا ما عندنا ؛ مثل ما دركنا ما عندكم ؛ فنتعاون على نفع العباد انتم بتربية ونحن بتربية ؛ انتم بتربية ظواهرهم ونحن بتربية بواطنهم فان ذلك اقرب واسهل لاتمام ما نريده جميعا ؛ وقد امر الله بالتعاون على البر والتقوى ؛ والتميز لكل طائفة بلباس خاص امر اجمعت عليه الامم ؛ فزى الكشافة وزى الاطباء ومعاونيهم وزى الجندى ؛ وزى البحريين والطياريين ؛ يخالف بعضها بعضا فلماذا يلام هؤلاء القوم وحدهم ؟ فهلا انصقتم ؟ فان الانصاف من شيم الاشراف .

هكذا يحتاج الفريقان مايتحاجان ؛ ثم يتحاجزان فيقبل كل واحد الى شانه وكل حزب بما لديهم فرحون وربك اعلم بمن هو اهـدى سبيلا ؛ وان كان الحق بين الطرفين لا يخفى على ذى عينين

* * *

طرق آذان اسرة صاحب الترجمة اثناء سنة ١٢٩٨ هـ ان ابنها الذى كانت تنظر اليه كما تنظر الاسرة الصالحة الى ابنها الاستاذ محمد بن عبد الله وتتمنى من ورائه ان تدرك مثل ما دركته تلك الاسرة من وراء ابنها الاستاذ من مجد شامخ ؛ وثروة متزايدة ؛ صار يدور فى الاسواق ويتكفف الناس فيها فيمديديه وهو يقول اطعمونى فانى اموت جوعا ؛ وهو فى اسمال رقاع متلونة كانها قوس قزح ؛ وقد تدلى وراء كتفه جراب مثقوب من اصله ؛ يلقي فيه كل ما امتدت به اليه الايدى ولكنه سرعان ما يسقط وراءه ؛ فيتبعه الصبيان زرافات ؛ والهملج الرعاع الذين من دأبهم ان يتجمعوا فى امثال تلك المواقف

تواترت هذه الاخبار الى الاسرة حتى صدقت بها ؛ من بعد ان كان ذلك عندها رابع المستحيلات ؛ فتار ثائرها ؛ واسودت الجواء فى اعينها فى وسط النهار حتى كانها فى غيابات الجب؛ وقد علمت ان ما يقال محقق ؛ فلا سبيل الى تكذيبه :

طوى البسيطة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بلا مال الى الكذب
حتى اذا لم يدع لى صدقه املا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

واهلنا السعيديون ابعد الناس عن مقامات التكفف واعلى الناس عن ذلك همما ؛ واكثر الناس فى البعد عن ذلك استنكافا ؛

واستف ترب الارض كى لا يرى له على من الطول امرء متطول
ولذلك استبعدوا تصور ان ابنهم الذى يعلمون منه ما يعلمون يسف الى

ذلك او تتبدل به همته اليه ؛ ولكن لما تحققوا ذلك وانتفى الريب ؛ سبق الى اذهانهم ان ابنهم بلاشك ممن اصابتهم العين ؛ او طافت بهم بعض نفاثات السحر او المتبه مسة من جنة ؛ والا فلا يتصور في انفسهم ان يتنازل الى ذلك وكس مسكة من عقل اولحة من تمييز

أذن الشيخ سيدى سعيد المعدى لتلميذه هذا ان يجول قى الاسواق وان يخرق فيها العادة ؛ فجال اولا فى بعض اسواق (ازغار) ثم فى سوق (اساكا) ثم فى موسم تازروالت وقد صادفه هناك الاستاذ الحاج داود الكرسيقى وكان ممن له المام ببعض افعاله الصوفية ؛ وما يقصدونه بها فلم ينكر عليه ؛ ثم صمد الى الاسواق التى تجاور الخ حيث اهله ومعاريفه ؛ فجال فى سوق الجمعة بسمالة وهى اذ ذاك كما ابتدأت ثم فى قبيلة ايت وقفا ؛ وهو فى كل ذلك ملازم للمصمت لا يسمع منه الا عبارات التكف لا غير وقد قصده فى ايت وفقا سيدى محمد المدونة الايعثاني تلميذه الذى كان اخذ عنه بالمدرستين : الفوكرضية والبومرواينة فطلب منه ائذعاء والى عليه ؛ وقد علم انه لم يفعل ذلك لحرق او طلب دنيا او جاه وان ذلك انما فعله لتخلص به نفسه من شوائبها فاجابه هذا حين الح عليه فى ائذعاء لا اربحك الله ؛ وعيناه شاخصتان ؛ كانه مجنون حقا .

ادعو عليه وقلبى يقول يارب لا لا

نفد صبر اهل ؛ وبلغ الحزام الطبيين (١) فذهب اليه اخوه محمد معرجل آخر فاسراه وحملاه على البغلة واتيابه مكبولا الى الدار ؛ وهو على حالته ؛ لا يجر الجواب لايه ولا لاه ؛ ولا يتكلم بسوى عبارات التكف والاستغاثة ؛ والصراخ بان الجوع كاد ياتى عليه .

حكى لى والدته (تاكدا) رحمها الله انها اذ ذاك كادت تتمزق كبدا وينفطر قلبها اذ سمعت به ينادى ان السغب يقطع احشاء ؛ قالت فلادع كل ماتله يدى ؛ وامكن لى من الطيبات الا قدمته اليه ؛ فاملا جانبى باللحم الحنيذ والبيض المسلوق والسمن الممزوج بالعسل واللوز المطحون والتمر الجيد والزبيب والجوز وكل ما عندنا ؛ ثم لا يعير ذلك كله التفاتا ومتى غفلنا عنه ؛ وقد اودعناه فى بيت ينفتل الى سطح الدار فيصرخ الامن يفتا جوعتى المتهبة الهائجة ولو بقطعة من الخبز المكرج (٢) فاننى يا عباد الله اكاد اهلك جوعا ؛ قالت فبادر الى ابوائه الى البيت ايضا ؛ ونحن نتقطع على ولدنا العالم الذى صار مجنونا ينخبط .

ذلك وقد صح عند الاسرة انه امامعين واما مجنون ؛ فبادر والده فذهب

(١) الطبى بضم فسكون الحلة الزائدة فى آخر الضرع وذلك مثل مشهور فى اشتداد الشئ

(٢) كرج الخبز اذا يبس وفسد

بذبيحة الى ضريح ازاء مدرسة فوكرض لما سمعه من ان ما اصابه ربما جاء من تلك المدرسة ؛ هكذا صار صاحب الترجمة في واد واهله في واد في صبيحة يوم وقد اطل الفجر على الكائنات فافاض عليها من انواره فاستنار كل ما فيها فأقبلت كل الامهات الى ابناؤها ؛ ليزددن بهم قرة عين ؛ وبهجة نفس الاتك الام المرزوة في عالمها فانها دخلت عليه البيت لتستجد ايضا من نظراتها الى ولدها زفرات اخرى متلظية ؛ قالت لي فمادخلت حتى ناداني -وهو اول كلام سمعته منذ- يا امه ما هذا الذي في رجل ؟ فقلت انه كبل يا ولدي ؛ فقال او هب لثم ولماذا وضعتم على الكبل ؟ وماذا عراني ؟ فقلت آه يا ولدي انك يا ولدي جنت فلم نجد بدا من ان نكبلك ؛ فقال عجباً او كنت كذلك ؟ ولكنني الان استرددت شعوري قالت فتأب الى من الفرح والسرور ما الله اعلم به فسرت اسائله حتى تحققت ما قال فأقبلت مسرعة الى مطبخ الداروفيه نساؤنا مشغولات بالغداء فاعلنت بشراى فارتجت الدار كلها فرحاً فأقبلنا جميعاً مستديرين بولدي على وقد حضر قين القرية فأماط الكبل فأزال كذلك ولدي ما عليه من اللباس الخلق فانينه بكسوته البيضاء من صندوق فلبسها وارتنى بردائه ووضع العمامة على راسه فأرسلنا الى الاستاذ الفقيه سيدى محمد بن عبد الله ؛ فحضر عندنا فأقيمت حفلة كبيرة حضرها الجيران والاقارب فأقبل المهئون يهنئوننا بشفاء ولدنا ؛ ولكن والده سيدى احمد ؛ لم يزل ملازماً للفراش من مرض كان له به ثم ازداد بمواقع لولدنا؛ ففي صباح يوم لعله اليوم الثانى ذهب ليزور الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فلم اشعر حتى هرولت الى امرأة من القرية فصارت تناديني وصوتها متهدج اننى الان رايت ولدك قد استنداد بشية (تالات نيت عيس) ويذكر الهليلة جهراً ؛ وقد ذهب عنك ايضا قالت فقامت قيامتى ولم اتحمل الصبر فأهويت ببغلتنا اجوب بها الطريق الى المعدر لاسترد فلذة كبدى من ذلك الرجل المعدرى الذى افسده على قالت فراح على الليل فى (تيغمى) فبت هناك عند اسرة من معارفنا ؛ ثم تعقبني من اخبرني بان زوجي والد اولادى قد خرجت روحه اثر خروجي من الدار ؛ فكنت اذ ذاك اشقى نساء العالم وانكاهن مصيبة فهذا ولدى العالم الذى هو كل منيتى وآمالى فى حياتى قد عانه العائون وتسم فيه مرام الحاسدين الشامتين ؛ حتى اختل عقله فتكذب اهله فصار يجول فى البلدان والها حيران ابله كانه هداوى من الهداويين ؛ وهذا زوجي وقطب اسرتي ولب مهجتي قد مات عنى فوقفت فى حيرتى لا ادري التقدم الى الامام لافتش عن ولدى ؛ ام انكص على عقبى لاشهد ماتم زوجي ؟

هذا ما حكته لي رحمة الله عليها فاها لاذنى ؛ وكانت ثرة الحديث ممتعة ان وجدت من يكون عندها من المنصتين ؛ وكنت اذ ذاك قد بدأت افتش عن اخبار والدى هذه ؛ فيسر الله لي من عندها من ذلك نبذا لطيفة ؛ هذه الحكاية منها .

وقد الم صاحب الترجمة بذكر ما وقع اذ ذاك فى رحلته الحجازية عند ذكره لشيخه المعدرى ؛ فقال بعد ان ذكر ما حصل عليه بملاقاته معه :

<p> فلهجت نفسي بربي ذكرا مما يرى برؤية والرؤيا ماوى ولا عن حسنه ملاهى لكونها عن مقصدي عوائقي لطلب الاخلاص فى العبادة افضل ما يجنى من الفوائد بفعله ان كنت تارك السوى ماقرب الاخلاص ممن نبذا جن فاين القيد والحبول ؟ اين رقى المسحور والبخور؟ فلم يكن فعلى لديهم منتقى وكل من عرف شيئا ناداه لبن معرفته يقيننا يوتيه من اراده اخيره </p>	<p> تركت ماسوى الاله هجرا وقبحت عندي ملاح الدنيا وليس لى فى غير ذات الله فصلت عنى سائر العلائق بدلت احوالى بغرق العادة وكان فى تخريقي العوائد ولست تعرف الذى ثم سوى تصير رافضا ومرفوضا اذا فاختلف الناس فذا يقول والبعض قال انه مسحور وعند جل الناس كنت احمقا فكل من جهل شيئا عاداه من بين فرث ودم يسقيننا ذاك بفضل الله لا بغيره </p>
--	---

قضى صاحب الترجمة مآلته ائمه شيخه ووفاه شروطه المشروطة عند اهل ذلك
الفن بكل دقة فمثل ثانيا بين يدي شيخه وقد انخرط فى سلك المتجربين بين
يديه ؛ لايتنفس الا باذنه ؛ ولايلتفت يمينه ولايسرة الا باشارته وهو طوع يديه
كيفما قلبه انقلب وقديما قال الشاذلى لاستاذة مولاي عبد السلام : اننى اغتسلت
من علمى وعملى الا مايتينى على يدك ؛ وقال الجيلانى البغدادى فى عينيته
المشهوره ؛ يوصى المرید بما يكون عليه عند شيخه :

وكن عنده كاليت عند مغسل يقبله ما شاء وهو مطاوع

وقال الشريشى فى رائيته المشهورة :

ومن لم يكن سلب الارادة وصفه فلا يطمعن فى شىء رائحة الفقر
ومن شروط هؤلاء المريدين ان من قال من المريدين لشيخه منهم له لايفلح
ابدا ؛ ومن اجال نظره يعلم ان هذا الشرط يتخذ اساسا فى كثير من الجمعيات
والتنظيمات كالجنديّة وشبهها ؛ فلايختص به الصوفية المربون لاصحابهم
فعلى هذه الوتيرة سار صاحب الترجمة مع شيخه ؛ فيخدمه ويقوم بين يديه
ويكفيه مع اولئك المتجربين كل ضروريات زوايته ؛ وكثيرا مايقول بعد ذلك
لتلاميذه حين رجع شيخا مربيا ؛ ليس العجب ان يستسلم الواحد لشيخ
يحسبه عالما ؛ وانما العجب منا نحن الذين استسلمنا لشيخ امى ثم وفقنا الله
فراعيناه بكل ادب والحمد لله ؛ وقد اخبرت ان شيخهم وصلهم يوما فى هاجرة
تذيب دماغ الضب ؛ وتعشى اعين الحرباء ؛ وهم يحصدون زرعاً للزواية فى
بسيط المعدر ؛ وقد سالت اصابع من كانوا قبل لايفلون مزاوله المهن دمس

صاحب الترجمة والتاموديزتى وامثالهما ؛ فلم يطق الشيخ امساك عينيه فقال والله لولا ان الذى تطلبونه وهو وحده سبب اتصال ذات مابينا ؛ لايحصل لكم الا بهذا ؛ ماكان فى صدرى قلب يستمسك حين يراكم على هذه الحالة واخبرت ايضا ان الشيخ خرج يوما فى حمارة قيظ ؛ فرأى صاحب الترجمة مضطجعا ازاء حائط وقد ادرckte الشمس ؛ فتناول رداءه من فوق ظهره فجعله عليه ظلة تقبه وهج الحرارة من غير ان يوقظه ؛ ومما وقع له فى هذا الصدد انه كان سائحا مع اخوانه المتجردين فوصلوا (ارازان) برأس الوادى ؛ فاقترح عليه أهل القرية ان يطلبوا من الله الاعانة بالامطار ؛ وقد فسدت المزروعات ودب اليأس الى القلوب ؛ فقال الفقراء للمترجم اننا نربطك فى هذه المهمة فتوجه كله الى ربه ليقتضى هذه الحاجة ؛ فسرعان ما انتهلت الامطار حتى اكتفى الناس فقال الفقراء هذه كرامة كبيرة ؛ ولا بد ان تكرم الفقراء على العادة شكرا على ذلك ؛ فصار كل واحد يقترح منيته فهذا قميص وهذا نعل الى ان تكون من ذلك كله مايكون ثمن جميعه ست رياتل حسنية ؛ وهى اذذاك خصوصا فى هذه البلاد المقللة - مال له بال ؛ فخرج المترجم الى سوق هناك ؛ فوقف ينادى

الامن يمد لى لله ست رياتل ؟ يكرر ذلك جهارا فكان الناس يمدون اليه قروشاً فيردها فيقول انما اريد الست رياتل دفعة واحدة ؛ فسرى التعجب منه فى السوق ؛ حتى اخبر بذلك تاجر من سكان تلك الجهة متمول ولكنه مادر زمانه ؛ فكان من الغرائب ان جمع ذلك فى يده فقام حتى مده للمترجم ؛ فكانت كرامة اكبر من اختها عند كل من يعرف الرجل ؛ فاشتري كل الفقراء منهاهم وكانت تلك عادة الفقراء ؛ ان يكرم الفقير اخوانه متى ظهر عليه شئ يسره من ربه كرؤيا حسنة ؛ او كرامة اظهرها الله على يده ؛ ولعل ما فعل كعب بن مالك يوم اكرمه الله بالتوبة مايستانس به لذلك حين خرج عن بعض ماله

واخبرت ايضا انه اجتمع مرة مع اخوانه المتجردين فى بسيط المعدر يحصدون لشيخهم ؛ فجالوا فى المذاكرات حتى طابت القلوب ؛ واحسوا كلهم بسكينة نزلت على قلوبهم ؛ فقال قائل ان هذا الوقت وقت طيب ؛ وربما يكون مظنة استجابة دعاء ؛ فليقترح كل واحد ما فى قلبه لندعو الله جميعا بالاستجابة ؛ فقال المترجم مقترحى انا ان لافقد طوال عمرى من يعيننى على ذكر الله وطاعته الى ان اموت .

واخبرت ايضا ان صاحب الترجمة رأى مرة اذ ذاك نفسه كأنه راع برعى سائمة كثيرة فقضى رؤياه على اخوانه الفقراء فقال له بعضهم - وسمعت انه سيدى الحاج الحسن التاموديزتى - ان رؤياكم يابنى عبد الله بن سعيد لاتعدو الرعى والمراعى التى اولعتم بها اشد الولوع اباعن جد ؛ ثم سقطت الرؤيا الى شيخه ؛ فقال ان ذلك رعايته للخلق ؛ وتلك طوائف اثر طوائف تنهال عليه من كل جهة ؛ وكلها تصدر من يديه بالرى الذى لا يغادر عطشا ؛ فكان من المصادفات

ان الفقير سيدى محمد ابكى التانكرتى الافرانى حضر مرة فى موسم من مواسم صاحب الترجمة الاولى بالغ ؛ وقد اقبلت الطوائف يوم الاحد تترى من نواحي الغ ؛ فما يفرغ من واحدة حتى تقبل اخرى ؛ وقد ملات ارجاء الغ باذكارها المرتلة العالية الى عنان السماء ؛ فعد منها اكثر من خمس عشرة طائفة ؛ فى كل طائفة عشرات او مئات من الوافدين ؛ فمال الى الشيخ وقال له الاتذكر الرؤيا التى كنت رايتها فى زمن تجريدك ؛ واولها لك الشيخ بما رايناه اليوم عيانا ؟ فهذه بشرى عظيمة اذكرك اياها ؛ فتهلل وجه صاحب الترجمة فجزى الفقير الافرانى بهدية عظيمة .

في السياحات

ان مما يقول الصوفية انه مما يصقل القلوب ؛ ويجلو مراهاها ويهذب النفوس السياحة ؛ ولذلك يجعلونها فى رأس قائمة شروط الطريقة ويقولون بقدر ماتبتعد عن شواغلك بين اهلك ومعاريفك تبتعد عما يحول بينك وبين ما يقربك من ربك ؛ ويستدلون لذلك بان الله وضع السياحة ازاء التوبة والعبادة فى قوله تعالى «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله؛ وبشر المؤمنين» وهذا على قول من يفسر السياحة هنا بالسياحة المعروفة ؛ وقد غاب عن هؤلاء المستدلين بالآية ان المفسرين فسروا السائحين بالصائمين استنادا الحديث وذلك اليق بسباق الآية ؛ قالوا فوصف هذه مرتبته بين اوصاف المؤمنين ينبغى ان لا يفرط فيه المؤمنون ؛ وان يجعل كاساس من اسس الايمان ؛ وكمرأة يترأى منها للمريد مايكثر به اعتباره ولا مقرب الى الله كمثل الاعتبار الكثير والتفكير الحى فى مخلوقاته ؛ وتفكر ساعة خير من عبادة سنة ؛ على ان للسياحة اثرا محسوسا فى تكوين الاخلاق والرجولة ؛ ولذلك نرى الشعوب الحية تاخذ بالتجوال ابناها من شرح الشباب .

بين قرى سوس مع شيخه

مضت بقية عام ١٢٩٨ هـ والنصف الاول من عام ١٢٩٩ هـ وصاحب الترجمة فى طائفة شيخه يتقرون قرى سوس بالارشاد وتعليم التوحيد ؛ فكانت لهم سياحة الى افران بمجاط حيث وقعت لهم قضية مع الرئيس على ندبوهوش سندكرها فى محل آخر واخرى الى راس الوادى حيث تلقاهم الفقيه سيدى الحسن التملى نزيل (ايرازان) لقاء اداه الى ان يعتنق التصوف على يد سيدى سعيد بن همو وقد ساله سيدى الحسن بمن يقتدى بعده ان فقد فدل على صاحب الترجمة فى حكاية سنتعرض لها ان ذكرنا هذا الفقيه فيما ياتى ان شاء الله ؛ وقد بقي صاحب الترجمة يتعهد دائما قبل ان يتصدر فى دست التربية وبعده الى ان

توفي هذا عام ١٣٠٨ هـ وقد اخبر احد الزكريين انه مارى من شغلته نفسه واعرض عن كل العوالم جمعا ؛ واثارت فيه محبة الله فانسته اهله واولاده ونفسه حتى لايبالى بمطعم ولا بمشرب الا رجلا واحدا ؛ قال ؛ طرقتى وقد كنت يوما واقفا على صهريج قريتنا ؛ وقد وصلتني نوبة السقى بين الجماعة ؛ فبشقت منبعا فاذا بى اسمع هيللة يجهر بها ؛ وقد انجدر على من ثنية تصاقب قريتنا فلما أن سمعت هيللته حتى ملكت على مشاعرى ؛ فوقفت مشدوها ؛ فنسيت الماء الذى يتدفق من الصهريج فوقفت فى مكانى حتى مربى الرجل وهو فى مرقعته والهيفورة على كتفه والعكازة بيده ؛ وهو لا يلتفت وعلى مجياه انوار تتلألأ كأنها انوار الشمس فى الجو الصاحى ؛ فتبعته لعل اسأله من اين هو ؟ وهل يحتاج الى طعام ؟ وما مقصودى وراء ذلك الا ان اشاهد مجياه مرة اخرى ؛ فمال الى ظل سرحة ازاء القرية فاضطجع وغطى وجهه ؛ فوقفت عليه اسأله ؛ وهو لا يجيبني ولوبكلمة واحدة ؛ ثم اجترات فمددت يدي فزحزحت غطاء وجهه فنهزني بهذه الجملة « ماكان ينبغي لك ان تسال الاعن امور دينك وما تتوقف عليه ان وقفت بين يدي ربك » هذا كل ما قال ؛ ثم غطى وجهه ثانيا فذهبت الى الدار فاتيت بطعام فاذا بالرجل لاعين ولا اثر فبقيت فى قلبي نكتة منه ثم لم تمضى الاسنوات حتى وصل الينا الشيخ سيدى الحاج على بطائفته ؛ فاذا هو ذلك الرجل بعينه فكنت اول من التحق به فى القرية ؛ واحمد الله على ذلك ؛ اقول انك صاحبت معى صاحب الترجمة فى هذا الحال ورأيت كيف كان حاله فى طور التجريد وكيف كان اذا ساج وحده فقد رايناه كأنه احدرجال كتاب (روض الرياحين) أوأحد المذكورين فى (الرسالة القشيرية)

في جبالته

كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى اتصل بثال زاوية جباله الدرقاوينين ابنا شيخ شيخه ؛ وقد كان الشيخ مولاي الطيب بن العربى زار سوس عام ١٢٧٣ هـ وحل بمشهد سيدى احمد بن موسى فكان بالمعدر عند سيدى سعيد ولذلك لم ينس الشيخ المعدرى يدآل جباله فاحب ان يرسل وفدا من تلاميذه ليوصلوا هدية منه الى مولاي عبد الرحمان الذى صار خليفة لوالده ؛ فأرسل ستة فقراء اواسط عام ١٢٩٩ هـ وجعل صاحب الترجمة مقدمهم .

اخبرنى الرجل الصالح سيدى الحسن التامكونسى انهم مروا به فى ادواتان ذهابا وايابا كما حدثنى سيدى بلعيد التيزكىنى ان هؤلاء مروا اذذاك بدكالة فباتوا فى مدرسة سيدى منصور كما مروا بهم ايضا فى الاياب ؛ ثم ساروا على طريق الجديدة فالبيضاء فالرباط فزمور فطلعوا الى زاوية جباله وهم يسرون بارشاد الفقراء ؛ فما يقومون من حلة الا وقد عينوا لهم حلة اخرى ينزلون فيها ؛ اخبرنى الاستاذ البركة سيدى الحاج على من اولاد اولئك الشرفاء

انه كان فى ذلك الحين يأخذ بعض المختصر عمن نزل بزوايتهم من العلماء الزائرين ؛ قال فكان من حظى ان اخذت ايضا دروسا عن سيدى الحاج على السوسى ؛ ثم قال رحم الله سيدى الحاج على فقد نفع الله به البلاد والعباد ؛ أخبرنى بذلك فى احدى زياراته للحمرء فى حدود عام ١٣٤٠ هـ وقد لقينته فى زاوية القصور ؛ ثم حدثنى ايضا بمثل ذلك سنة ١٣٦٢ هـ وقد تغدينا فى دار ولده وجلس معنا مليا .

وفى ذلك الحين حفرت البير التى تضاف الى اهل سوس هناك ؛ فقدرى صاحب الترجمة اهل الزاوية يأتون بالماء من بعيد ؛ وتناولهم من ذلك مشقة وصعوبة ؛ فقال أليس الماء قريبا هنا فى الارض ؛ فقالوا بلى ولكن لم نجد من يحفر عنه ؛ فانتدب لذلك هو ومن معه ؛ فصاروا يجدون فى الحفر ؛ فلما حفروا ماشاء الله طلع صاحب الترجمة فاضطجع ازاء البير وبعد هنيهة انتفض من مكانه ونزل فتناول المعول من يد من معه فمال على حرف البير حفرا فصاروا يقولون له ماتصنع ؛ ان الماء يستنبط من تحت لامن جانب وهو ساكت لايجيبهم - وقد دخل ايضا فى الشروط التى بينها الصمت كما بينها فيما تقدم - وبعد حين تدفق الماء من الجانب تدفقا ؛ وبشق الانفس تناول من فى البير ماكان فيه من الاثاث قبل ان يغمر الماء ارضها ؛ وسمعت ان مولاى العربى او مولاى الطيب على اختلاف فى الروايات فى السنة المحدثين وقف عليه فى تلك النعسة ؛ فقال له انكم تتركون الماء فى جانب كذا ؛ فاراه الناحية فكان ذلك سبب مافعله وسمعت ايضا ان مولاى العربى او مولاى الطيب على اختلاف الروايات التى نسمعها ؛ وقف عليه فى الليلة المقبلة ؛ فقال له انك اجريت لقريتنا الماء الحى الدائم ؛ وسجى فى قلبك كذلك ماء حيا دائما؛ هذه الحكايات كلها سمعتها تتداول بكثرة وكل ذلك ممكن والله اعلم ؛ واما الذى صرح عنى من جهة السند فهو ماخبر به سيدى محمد بن سعيد المعدرى ابن شيخ صاحب الترجمة قال : بينما والدى ووالدتى فى تلك الايام التى كان فيها سيدى الحاج على فى جباله جالسان فى مشقة دارنا يوما وبين يدى والدى شعير تنقيه للطخن وقد جلس اليها الوالد ؛ وهما فى كلام متنوع اذا بأبى تبدلت سحنته وقفا شعره واحمرت عيناه واخذته رعدة فريعت منه امى لما تراه منه دائما اذا وقع منه مثل ذلك الحال ؛ وكثيرا مايقع منه ؛ فقالت له ماذا ؟ وما الذى اصابك من جديد ؟ فقال لها الآن دفع سيدى على اكرام - وبذلك يدعى اذ ذاك صاحب الترجمة بين الفقراء - ابواب حضرة الله فولج ؛ وقد جعل الله مقامه على مقام سيدى على الجمل ؛ هذه الحكاية ارويها باسانيد صحيحة متعددة ؛ وقد كان صاحب الترجمة مولعا بمطالعة كتاب فيه اقوال سيدى على الجمل ؛ وكان فى كوة من زاوية شيخه ؛ وكان شيخه كلما راى الكتاب فى يده يقول له «تلاقيت ثانيا يا عليان» او كما يقول له

هذا ما كنت اسمعه من الفقراء يدور حول صاحب الترجمة وهو في جباله
واما فقراء جباله انفسهم فيوردون حكاية اخرى يقولون ان اهل سوس هؤلاء
اتوا بسطل كبير من نحاس مما تسخن فيه الاوضئة عادة الى جباله ؛ بل يقول
بعضهم ان سيدي الحاج على حملة فوق راسه من سوس الى جباله ؛ حتى حص
شعر راسه بذلك ؛ فعاد اصلح وهذه الحكاية لم اسمعها الا من جهة اصحاب هؤلاء
الشرقاء ويمكن ان يشتري هؤلاء الفقراء هذا السطل بفاس او من مكان آخر
قريب ؛ فيذهبون به الى الزاوية واما انهم اتوا به من سوس فبعيد واما كون
صاحب الترجمة يحمله فوق راسه فحصى شعره بذلك فعاد اصلح ؛ فخرافة من
النوع الذي يولع به من يصاحبون ابناء الزوايا ؛ ممن يريدون ان يجعلوا لمن
يعمن في الخدمة سرا ظاهرا وربحا عاجلا ؛ حين يستشهدون بفلان وفلان انهم
خدموا الزاوية وفعلوا وفعلوا فكانوا سادة قومهم ؛ وصاحب الترجمة لم يحصى
شعر راسه اذ ذاك ولم يكن اصلح ؛ الا اذا حدث فيه قليل مما يعتاد فسى بعض
الناس زمن شيخوخته (نعم) انه ثبت عندي انهم اتوا حقيقة بذلك السطل الكبير
من سوس الى جباله)

رسالة من صاحب الترجمة الى شيخه

حكينا لك ما سمعناه مما يحكى عن صاحب الترجمة وهو هناك ؛ ولكننا
اذا اردنا التثبت فلنصخ لما يقوله هو لشيخه في هذه الرسالة فانه يحكى لنا
بنفسه ما شاهده كما قال بعض الالفيين

وما مخبر عن الفتى مثل نفسه فحدث بما قد ذقته زمن الوصل
لدى زمن تسقى الرحيق بكاسها فعدت صريع الكاس والاعين النجل

الرسالة

من على بن احمد الملقب بالدرقاوى ومن معه من الفقراء سيدي الحاج
سعيد وسيدي ابراهيم وسيدي محمد بن الحسن وسيدي مبارك وسيدي ابن
محمد الذين ساحوا الى دار الشيخ مولاى العربى ومولاى الطيب واوالادهم ؛ الى
شيخنا وقدوننا واستاذنا وملاذنا وسندنا وعمدتنا وقررة عيننا وانسنا وعزنا
وحياتنا وروحنا وفرحنا ونزهة قلوبنا ومنيتنا وغاية مرامنا من لاحت شواهد
شروق شمسهم ؛ وتبلغت من سماء العرفان بدور انسه ؛ وما زال مرتقيا لسماء
المعالى والمعانى فى يومه من بعد امسه ؛ حتى كانت قدمه على قدم من كان يركع
ويسجد فى رسمه وكيف لا وقد ادى الثمن وجاد بنفسه وفلسه ؛ واحسن العمل
فى معناه وحسه ولذلك كان طبيبا للداء العضال الذى يتبعه الوبال وكل من
يشتمكى عليه بعلته يشمكه بالترياق بعد ما ظن انه اشرف على الهلاك والاختفاق
فهذا السيد الجليل هو الذى انقذنا من الظلام الذى اسبل علينا البراقع ودأوى

بترياقه فينا السم الناقع ؛ وقلنا اتسع الخرق على الرافع ومذانا في شبكته واقع
 وأنا في ذلك الوقت يافع ؛ صارت تتزايد على القواطع فسل سيفه القاطع فقطع
 به كل ناطق وصامت وسامع ؛ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا ترى عليها باللامس
 فجازاه الله الجزاء الذي هو لانواع الجزاء جامع وانالنا على يده ما خلقنا له من
 الاخلاص الساطع ؛ من اشارت اليه الايدي بالبنان بانه حامل راية العرفان من
 رؤوس الشهود والعيان سيدنا الشريف مولاي سعيد بن محمد احمد الله
 عاقبتنا بكم آمين بسلام مزخرف بروائح المحبة والشوق للذين هما اعطر من
 المسك والريحان تزفه سحائبهما الى حضرتكم المرضية وخلواتكم الربانية
 مادام وجود واجب الوجود ؛ الذي هو المعبود (وبعد) فليعلم سيدنا انا وصلنا
 الى دار اولاد الشيخ بسلامة وعافية في الطريق والحمد لله ؛ ودخلنا يوم الثلاثاء
 الرابع والعشرين من غشت فوجدناهم بسلامة وعافية والحمد لله ؛ واول من
 لقيناهم بعد الدخول ؛ الذي تقول لنا هو وارث سمر مولاي الطيب وهو ذو الحاجة
 منهم الشريف الاصيل الجليل النبيل ؛ الذكي التقى السخى النقى الوفي الحفي
 الذكي الودعي اللبيب الحبيب الاريب الاديب النجيب ؛ سيدى ومولاي عبد
 الرحمان ابن مولاي الطيب ؛ فرحب بنا اى ترحيب وسالنا عن احوالكم واستقصي
 الاخبار استقصاء الطبيب فاخبرناه بسلامتكم وبشوقكم بالبراء وبما فى رؤوسنا
 حتى شفى الغليل وبرى العليل ؛ وكل واحد منهم لقينا بما تصدر قلب البلد
 سواء الصبيان والعيالات من الاحرار والعبيد وحتى فرحت بنا الاشجار
 والاحجار وتلاطمت علينا لجة الانوار والاسرار وقد شاهدنا ذلك عيانا على فقد
 الاعيان ؛ وزرنا مولاي الطيب فى بيته فوالله ياسيدى لقد كان على ماوصفته
 به فى حياته لما دخلنا بيته كاد لحمى وعظمى يتمزقان ؛ حتى اشرفت على الغيبة
 وكيف لا و حال مماته كحال حياته (ولانحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا
 بل احياء عند ربهم يرزقون) والحاصل انزلونا منزلة الملوك ؛ وكانوا لنا خداما
 وان لم نكن اهلا للخدمة تمسكا بالحديث (سيد القوم خادمهم) واعطيناهم
 الزيارة التى اتينا بها ؛ وهى ثلاثون ربحا ؛ عشرون بوجهها وعشرة فى رياتين
 والله لقد راينا ذلك اقل القليل ولكنهم اهل القبول ؛ جزاهم الله خيرا عنا ووقاهم
 ضيرا وقد سمعوا بالجلال الذى وقع فى بلدنا (١) حتى كان ذلك اكثر بنسبة
 بلدنا ؛ ولكن الهدية على قدر المهدى ؛ كما قالته النملة لسيدنا سليمان على
 نبينا افضل الصلاة والسلام ؛ وعلمنا منهم ان قلوبهم لم تتعلق بالدنيا ولا بمن
 اتى بها ؛ بل كان احب منه عندهم الذى اتى بوجه الاخلاص لانا راينا كذا وكذا
 من الفقراء جاءوا على وجه الله ماتوا بشئ بل ربما اتى بعضهم باولاده ليعيشوا
 عندهم ؛ فرفدوه هو واولاده ؛ وجعلوه فى عين التعظيم ؛ والحاصل ان احوالهم

احوال الكمال فمن اتى بشيء فلنفسه واماهم فمستغنون في القلوب عن ذلك والحمد لله بقي الخير في مكانه كما قلت لنا في الوقت الذي مات (١) مولاى الطيب ؛ رايت الاولياء اجتمعوا واقاموا مولاى عبد الرحمان مقامه ؛ وقد صح ذلك المقال يقظة ومناما وسلم منا ياسيدى على جميع اخواننا واخواتنا فان شوقكم قد قطع اكبادنا ؛ فهانحن ان شاء الله متى خرجنا من الزيارة نتوجه الى البلد ونسيح على الاخوان ؛ كما قلت لنا ؛ حتى نصل في الزمان الذى اراد الله ولو فى مارس ؛ وادع لنا ياسيدى وجل فينا ؛ فوالله لقد راينا قلوبكم كانت معنا ابدوا رايتمونا فى السفر كما رايتمونا فى الحضر ؛ جزاك الله بكل امر ظاهر أو باطن حسي او معنوي ؛ نرى فتياكم فيه متى وقفنا عليه وسلبنا فيه الارادة لله ؛ هكذا يكون الاشياخ يرعون المريدين فى السفر كالحضر والحمد لله الذى كمل علينا الوصول الى هذه الدار الذى احببته لنا وامرنا به وارسلنا اليها جعلنا الله ممن يستمع القول فيتبع احسنه والسلام .

هذه هي الرسالة والقارىء لايتهم قراءتها حتى يخرج منها بامور كثيرة من نواح عديدة ؛ فكما يفهم منها ما شاهده كاتبها هناك ؛ ويرى منها نظر هؤلاء الفقراء الى مولاى عبد الرحمان الذى نعلم عنه في آخر حياته (٢) مانعلم ؛ يفهم منها الاحترام العظيم الذى يحمله هذا العالم صاحب الترجمة لذلك الامى الذى استولى بهيمته النافذة على قلوب كثيرين من علماء اهل زمانه ؛ فنعرف لذلك كيف مكانته ؛ وكما يفهم ايضا منها نظريات أخرى لاتخفى عن يالف ان يستنتج وان يستكنه البواطن من الظواهر ؛ مما لا فراغ معنا الا نحتي نتعرض له فانه يكفيننا الآن ان نفهم هذه الغمرة الروحية التى ماجت على المترجم فانسته كل شيء كان فيه قبل بين المدارس ؛ حتى كان لسان حاله ينشد امام هؤلاء العلماء السوسيين الذين غادرهم فيما هم فيه

تركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن اين يدري الناس انى توجهنا

في فاس

فى الالسنه احاديث كثيرة مختلفة ؛ وقعت لصاحب الترجمة مع رفقائه حين حلوا بفاس مرجعهم من جباله ؛ ويورد بعض ذلك على صورة الكرامات ولكن لم تكن فى ذلك الآن حتى على ظن ؛ الا ما كان من خلوة اختلوا هناك فى محل منقوت لى خلته مدرسة الوادى - ان امكن ان يجد فيها غريب ماوى - فخرج احد الفقراء فاوصاه صاحب الترجمة ان يتطلب فى السوق بالجهر وهو واقف عددا خاصا من الخبز وان لايقبل دون ذلك العدد ؛ فصادف بعض التجار الكرام فقال له لك مثل ذلك كل يوم ؛ مادمت انت ورفقاؤك فى فاس ؛ والا ما اخبرنى به

(١) توفي مولاى الطيب ١٢٨٨ هـ

(٢) ايام ثورة الريف

بعضهم واظنه صحيحا ؛ ان بعض الفاسيين دخل الى خلوتهم تلك فسمعهم فسي
مذاكرة من مذاكرات ارباب القلوب - كما تسمى في اصطلاح الصوفية هؤلاء -
فأعجب بما يقولون وكلهم يتكلمون باللغة العربية ان كان بعضهم يعرفها وهو
غير بعيد ؛ والا فبماذا يتخاطبون مع من في الطرق من الشياظمة الى ان يرجعوا
اليها ؟ فاقترح عليهم ان يكونوا اضيافه فأضافهم مرات في داره وهذا الفاسي
احد الرؤساء في الطريقة الحراقية بفاس من اصحاب سيدي الخضر السجعي ،
ثم وقفت في نونية التعريف بالشيخ لابن مسعود على مايل

وراهم شيخ بزواية وقد	وجدوه في ركن من الاركان
فراى من أهبة جدهم مارقا	فأتوه للتسليم واللقيان
سألوه كيف الحال سيدنا فقا	ل انا اعتزلت هنا لصمت لسان
للذكر ثم رايتكم فذكرت من	احوالكم صحب الرضا الصمداني
اعنى الامام الدرقي العربي كـ	سنت رايتهم بمحجة الرضوان
ناهيك من حال يذكر حال صـ	حب العارف المذكور قطب الآن

وقفت على ذلك فعلمت انه يشير الى هذه القضية التي وقعت لهم بفاس
واخبرني الشيخ سيدي محمد العطار الحراق حين نزولي بفاس مفتتح
عام ١٣٤٣ هـ بما علمت به ان لصاحب الترجمة ورقفته اتصالا بالحراقيين هناك
وذكر ان تحت يده رسالة كتبها اليهم الشيخ من الطريق بعدما ارتحل مع اصحابه
عنهم الى سوس ؛ كان وعدني بها ولكن الصبا وغرارة الشبيبة منعاني من ان
اتردد اليه حتى افوز بنسخة منها ؛ وهذا الذي اضافهم من هؤلاء الحراقيين
بلاديب

ثم وقفت بعد كتابة هذا على رسالة للشيخ كتبها الى اصحابه الذين
بزواية مراکش يلم فيها ببعض ذلك وقد صرح فيها بان ذلك الحراقي خليفة
سيدي الخضر ؛ ونصها

اخواننا في الله المتجردين السيد الحاج محمد البوالطبي ومن معه من
حضرة مراکش سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركته وبعد فلا بأس ولله الحمد
عندنا وعند الفقراء جميعا في كل جهة في سوس والمتجردون سائحون الى جهة
فم نالت عند سيدي احمد بن يوسف ؛ ثم الى الوكوم وزكيط ؛ ويرجعون ان
شاء الله في يناير ؛ وسيدي سعيد التناي معهم في السياحة ونحن في البلد
بخير وعلى خير والحمد لله ونرجو من الله ان تكونوا كذلك ؛ وهانا ارسلت
هؤلاء السادة ياتوننا بأخباركم ويأتوكم بأخبارنا لاغير ؛ واما الامور فكل شئ
في رؤوسكم ولا نحتاج ان نذكره لكم ان كنتم بعقولكم ؛ لان العاقل يفعل في
الخير مالا توصيه عليه ؛ وغير العاقل لا يفعل شيئا سواء وصيته ام لا ؛ وتعمير
الزواية بالذكر في كل ليلة مطلوب منكم ؛ وانتم اولي بذلك ؛ فقد وصيت
سادتنا اهل مراکش في براءتهم على ذلك ؛ فانتم اولي بذلك ؛ وكذلك ان تحرفوا

الناس على ذكر الله والورد وتلقونه لعباد الله ؛ فأنتم أولى ان تفتشوا عن الناس وتجذبوهم الى الورد بكل ما يمكن فذلك هو المقصود بالزاوية لابناؤها فقط ؛ وسيدي الحسن الركابى يلزم الرحامنة لايفارقهم وقوموا بالطريقة كما كانت فقد عرفتم اساسها وبناءها ومايضرها وماينفعها ومايصلحها ومليدهمها واياكم والخلل فى الطريقة ؛ فانكم احتجت للمقال وللحال ولاتركوا واحدا منهما ومكنوا ترابا للفقراء وأكثروا من ذكر الله والصمت والعزلة والجوع واتركوا الهزل مع الفقراء فانكم ان صلحتم يصلحون فى الحين والزموا الصديق فى القول والفعل ؛ واياكم والكذب وازهدوا فيما فى ايديهم فلايرون فيكم الطمع الذى يفسد المحبة ؛ فكل ماكان عندهم من الفلوس فلابد ان يروا الشئ الذى صرفتموها فيه لئلا يظنوا انكم تجمعون الدنيا ؛ فان النفس لاابد ان تنظن الظنون ان لم تشاهد (قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) فالفقر اذا ذكر الله تعالى يعرف كل هذا بقلبه ؛ ولايحتاج الى تنبيه ؛ واياكم والشهوات فالمدينة موضعها لافى اللباس ولا فى الفراش ولافى الماكول؛ فالطريقة ابتداءؤها الجلال وانتهاءها الجمال وعظموا كل منتسب لله تعالى وجميع عباد الله ؛ واياكم وسوء الخلق فالطريقة كلها ادب والادب مع الحق ومع الخلق وقد قال مولانا سيدي مولاي العربى الدرقاوى رضى الله عنه : زينوا وجوهنا يافقراء بترك الطمع ولاتغيروها هكذا قلنا فالفقر العاقل لايتقدم الفقراء الا ان اتصف باوصاف الكمال ؛ من كثرة الذكر ؛ وكثرة الصمت وكثرة الجوع فحينئذ يتقدم امامهم ويكون امامهم بهمة العلية عن الاكوان ؛ فيمد الناس من نور همته فى مقاله وحاله ؛ فكل من رءاه اوجلس معه يسوقه الى حضرة ربه ؛ رغما عن انفه احب ام كره ؛ فقد كنا فى حياة شيخنا سيدي سعيد بن محمد المعدرى السملالى حين ارسلنا الى زيارة مولانا العربى فى جباله كل من رءانا اوسمع بناواحرى ان جلس معنا لايقدر ان يفارقنا ؛ وكانوا يشناقون الينا من بعيد لافى الذكر ولا فى المذاكرة وقلوبنا فى الملكوت كما قال سيدي على الجمل ؛ على فى الحانوت وعلى فى الملكوت وقد قال لنا خليفة سيدي الخضر فى فاس ؛ وقد قبضنا ثلاثة عشر يوما اذ قلنا له نمشى « والله مااتى بكم ربي الاى لاغير وكنا نقيب فى كل ليلة ونهار فى الذكر والمذاكرة ووقعت لنا فى فاس كرامات كثيرة وخرق العادة لاينشأ الا عن خرق العادة ؛ كما قال فى الحكم «كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من نفسك العوائد» والفقير المتجرد تمكن من كل خير ان اراده الله للخيرات ؛ ومن وجد من يعمر معه وقته لله ؛ فصار ينظر الى غير الله فذلك والله هو الاحمق فالزاوية للفقير الصادق بمنزلة الكعبة الشريفة للمصلى ؛ فهو قريب من ربه غاية القرب ولذلك يعمل اهل الله الزوايا للذكر لاستحضار القلب مع الله تعالى فاذا كان واحد عند الكعبة الشريفة ؛ وجب عليه تعظيمها غاية باقامة ما بنيت له فى كل وقت وحين ؛ واصل تسميتها بالزاوية ؛ انما هو كونها موضعا لله تعالى لان الزاوية فى الاصل ركن بيت فقط ؛ وحالة الذكر ان يجلس فى ركن بيت

يذكر الله فيه ؛ فهذا هو الغالب على الذاكر ؛ فلما صنع الموضع كله للذكر رمى بالزاوية ؛ وحينئذ فكل من اقام بالزاوية من الفقراء ولم يشتغل بذكر الله تعالى فيها فهو ظالم (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) وهانحن وصيناكم هذه الوصية التي صلت لكل فقير يكون في الزاوية اية كانت ؛ فاتخذوا هذه الوصية ولا تهملوها ؛ فالله يقويكم وايانا جميعا على الخيرات ويقينا واياكم من جميع المضرات آمين في تاريخ ليلة الجمعة ٢٨ ١٠-١٣٢٧ هـ

في محاوراة الشيخ كنون

اشتهرت عند الناس قاطبة تلك الحملات التي كان شيخ الاسلام علامة فاس في النصف الاخير من القرن الماضي الحاج محمد كنون ؛ ويعلم كل من له ادنى اتصال بالاستاذ الصوفي سيدى احمد بن الخياط ماكان لاقاه من استلاذه هذا ؛ وما كان يسمعه من التنديد على ماكان يلاسه من احوال الصوفية والجرأة كنون في ذلك الميدان كان لايدانيه كل من له اتصال بالصوفية ؛ خصوصا من اتصل بالدرقاوية ؛ التي فيها مظاهر تستثير من الاستاذ موجات جارفة هائلة لاتبقى ولا تذر ؛ حتى انه يبادر صاحبها بضربه بلجام بغلته وسط الطريق

استوى الشيخ كنون يوما على كرسيه في القرويين ؛ وقد استدار به مئات فمئات من الطلبة ؛ فصار يخب في درسه ويضع ويفسر ويشرح ويقبل ويرد بفصاحته الشهيرة ؛ وذلاقته التي تفوق بها على اقرانه ويستميل عينه فينة بعد فينة رجل في عرض المجلس عليه مرقعة بيضاء لاتنتمى رقعة منها الى رقعة بسبب وفي عنقه سبحة غليظة الحبات حمراء كانها كريات المرجان الكبيرة وهو يزدلف الى صدر المجلس ازدلاف من يفهم مايقدر ؛ ويمد بصره الى منبر الاستاذ مد من يعرف هاتيك المسائل التي يقبل فيها الاستاذ ويدبر ويخلق بها في سماوات مجلسه بين سوارى القرويين ؛ فكان الاستاذ وقد لاحظ سمة ذلك الرجل ؛ وقد ظهر له منه انه عارف بما يقال عراةعجب ان يرى من كان في ذلك الزى يفهم مافيه الدراسة ؛ فلما انقضى الدرس وسلم الطلبة على الاستاذ كما هي العادة ؛ اقبل اليه في اخريات الناس صاحب المرقعة فسلم عليه بدوره ؛ فقال له اراك بين الطلبة تتبع ماقرره ؛ فهل تعرف مانحن فيه ؟ فقال له نعم والحمد لله ؛ فكان الاستاذ القى عليه من مسائل الدرس فاعجب بجوابه ورباطة جاشه ؛ وقوة جنانه فقال له حين انت بهذه المثابة فلماذااويت الى هذه الحالة المزرية التي لايتزيا بها الا اهل الرياء والسمعة الذين يريدون ان يتظاهروا بانهم على قدم الجنيد ؛ مع ان بينهم وبين مافيه الجنيد وامثاله من الرعيل الاول ؛ ما بين السماء والارض فقال له صاحب المرقعة اما هذاالزى فهو زى المساكين الذين لايريدون علوا فى الارض ولافسادا ؛ واما حكمك

بانه لايتزيا به اليوم الا اهل الرياء والسمعة فحكم غير مقبول ؛ الا ممن له
الاطلاع التام على كل سرائر اصحاب هذا الزى ؛ ومن الذى يزعم لنفسه ان له
هذا الاطلاع التام ؛ واما قول سيدنا انهم يتظاهرون بانهم على قدم الجنيد
وتابعه ؛ فقد اتنى على القوم من حيث يحسب انه يقدح فيهم ؛ لانه لما شهد لهم
بالتشبه بالجنيد وامثاله فقد كفاهم بذلك اهتداء ورباحا ؛ لان التشبه بالكرام
رباح ؛ ومن تشبه بقوم فهو منهم ؛ واما قوله ان بينهم وبين مافيه الجنيد بعد
ما بين السماء والارض ؛ فان ذلك لا يضرهم لان عليهم ان يسيروا فى الطريق
وان ينتحوا ذلك الدرب ؛ وكل من سار على الدرب وصل ؛ وان يذلوا جهودهم
واما أن ينالوا كل ما يطلبون فذلك من الاقدار على ان هذا الكلام الذى صدر من
سيادتكم يدل على انكم ممن يقولون بان فضل الله قد انقطع ؛ فطويت الصحف
وجفت الاقلام ؛ مع ان هذه الدعوى من اخذ بها وتمسك بحبالها فلاشك ان رايه
قاتل لامحالة ؛ وهو من المدحضين عند المناظرة ؛ وانت ايها الاستاذ ان حكمت
بان فضل الله قد انقطع وان امثال الجنيد والتستري ومالك بن دينار وابي
على الدقاق وعبد الرحمان السلمي والقشيري ومولاي عبد السلام بن مشيش
والشاذلى قد انقطعوا ؛ وان ما كانوا معروفين به فى ذلك العصر قد انقطع فى
هذا العصر ؛ فماذا يكون جوابكم ايها العلماء الجهابذة اذا وجه اليكم آخر مثل
هذه الدعوى ؛ وقال لكم هذه العلوم الفقهية والدينية التى تخوضون فيها ان
بينكم وبين المكانة التى كان فيها ابن القاسم واشهب وعبد الرحمان بن الحكم
وعبد الله بن وهب وابن حبيب بعد ما بين السماء والارض ؛ وقد كان بين ما
تقررونه فى دروسكم ؛ ان الاجتهاد قد انقطع اليوم ؛ وانكم انما تمثلون اولئك
الجهتهدين كما يمثل الماء النجوم ؛ فاذا كان التشبه كله رياء وسمعة فقد وقع
العلماء فيما ينسبون اليه صوفية اليوم ؛ فما كان جواب علماء اليوم كان
جواب صوفية اليوم

هكذا افاض الرجل -صاحب الترجمة- فى هذه المحاورة كما حكى ذلك
احد رفقاءه المتثبتين وقد كان المترجم ممن اوتى الجواب المسكت وحز الفصل
والقول الفصل فى امثال هذه المقامات ؛ وممن رزق الحكمة وفصل الخطاب
فى المحاورات ؛ حتى ان اصحابه ليعدون ذلك من كراماته ؛ فلا يقال له كلام الا
أتى فيه بجواب مقنع مسكت ؛ وهذه المحاورة صحيحة الا ان اختلاف رواياتها
تجعل السامع المتثبت واقفا ازاءها وقوف الحيرة ولكننا فعلنا بتلك الروايات
التي بعضها يزيد على بعض او ينقص ؛ ما فعله الزهرى بحديث الافك الذى
مزج فيه بين الروايات ؛ وادخل بعضها فى بعض وهى لعمر الحق محاورة
عجيبة يكفى من شرف الشيخ كنون ومن انصافه ؛ انه لما رأى من صاحبه
كلاما طويلا ابى الا ان يخضع مع صبر الشيخ كنون ازاء كرسية طويلا - وقد
جلسا حين المحاورة- فقال له المرء فقيه نفسه ؛ وعند الله علم السرائر ؛ فقام

وذلك على عكس الحالة المعروفة المشتهرة عن كنون حين يحتدم في امثال هذه
المواقف فانه ربما يتناول صاحبه بلسانه اوبيده ؛ ولعل الله راف بذلك
الغريب فنجاه من ذلك الجيش الجرار المتعوج في القرويين ؛ فلو ان الشيخ
كنون اشار اليهم لنال الغريب نكال شديد ؛ ولله الحمد على السلامة .
تلك هي زيارة صاحب الترجمة لفاس اذ ذاك ثم لم يرها بعد الى ان لحق
بربه ؛ وقد اكرمت فاس مشواه ؛ ومن ذا الذي يصدر عن فاس الا ولسانه يتدفق
على اهلها شكرا ؟ الا من فيه عرق ينزع الى النفاق ؛ فتراه يتمعر ان ذكر
المؤمنون ودار المؤمنين بخير

في سلا

ان لاهل سلا قديما وحديثا آدابا جمة ولطفا ياسر العواطف واخلاقا تؤهلهم
الى ان يحافظوا على كل غريب ؛ مادام بين ظهرانهم نازلا ؛ ثم يزودونه عند
ارتحاله وبعده حسن الاحدوثة وذكرها طيبا خالدا .

مر صاحب الترجمة ورفقته بسلا ؛ فنزلوا في الزاوية هناك مرجعهم
فبعد ارتحالهم صاروا يقولون لمن ورد عليهم - كما اخبرني به مخبرون - عجبنا من
فقراء سوسيين مروا بنا ولهم مقدم له مذكرات قوية ؛ فجسمه اضال من الديك
واقواله كامثال الجمالات الضخام ؛ واخبرني آخر من السوسيين انه بات في
زاويتهم ؛ فتذاكر كبار الفقراء في احوال صاحب الترجمة هذه ومما راوه منه
اذ ذاك ؛ فقال لهم فقير من النشء ؛ وهل تعرفونه عيانا ؟ فقال له احدهم لو كانت
تلك الناحية من القبة تتكلم لانبأتك عن احواله واذكاره ومذكراته في تلك
الايام التي قضاهها مع رفقته هنا ؛ فقد كان لايفتر عن ذكر الله سرا او جهرا
واذا جاء دور المذاكرة استولى على المشاعر واستثار القلوب حتى لانشعر بانفسنا
ذلك هو اثره في سلا ؛ وذلك الثناء هو الذي يتبعه السلويون الابرار كل
من الم بهم وكل اناء بالذي فيه ينضح ؛ ولا ينبئك مثل خير .

بين الفقراء في سوس بعد موت شيخهم

استأثر الله بالشيخ سيدي سعيد ؛ وهذه الرفقة هناك في هذه السفرة
فتوجه الحاضرون الى سياحة بمجاط تحت رئاسة سيدي الحاج الحسن
التاموديزتي ؛ فوصلت هذه الرفقة المعدر ؛ ثم توجهوا الى تاموديزت فأرسلوا
الى اخوانهم ليتلاقوا هناك ؛ فصادف ان جاءوا هم أيضا ذلك النهار الى
تاموديزت فالتقوا هناك - كما حكى لي كمن اخبره من حضر - بفرح عظيم وبشر
آخر صوفي لايمت الى بشر الناس العام وما رأى كمن سمع ؛ ثم اجالوا امودهم
بينهم فظهر لهم ان ينقلوا الشيخ سيدي سعيدا من مدفنه بتانكرت الى المعدر
حيث اهله ؛ فذهبوا اليه ليلا فنبشوه فساروا به حتى وضعوه في مقبره اليوم
وسط ساحة زاويته .

سيدي الحاج الحسن خليفة الشيخ

غادر سيدي سعيد اصحابه من غير ان يعين لهم خليفة ؛ وكانوا الجماء الغفير ؛ وقد ذكر له ذلك في مرضه ؛ فمازاد على ان قال لهم ان الشمس اذا طلعت لاتخفى على احد ؛ ولكن الفقراء المتجربين رأوا ان يعينوا فيما بينهم من يقتدون به ؛ ويجتمعون عليه ؛ ويكمل به صغار الفقراء ويتولى رفع راية الارشاد انعام كما كان شيخهم يفعل في القرى ؛ اجالوا القداح في ذلك حين اجتمعوا كلهم في مجلس عام فاشار سيدي الحاج الحسن الى صاحب الترجمة ؛ فقال له هذا لوالله مانا لها باهل ؛ فكما انه لا يحق لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله فكذلك لا يحق لي ان اتقدم بين يديك ؛ لسنك ولعلمك ؛ ثم اقبل على الفقراء ؛ فقال لهم ان سيدي الحاج الحسن هو نائب الشيخ ولا يعدونه هذا الامر ؛ ولا معنى في كثر القول والقليل ؛ فاتبعه كل الفقراء فاصبح التاموديزتي رئيسا وصاحب الترجمة من بين من ياتمرون باوامره فجالوا في سياحات في نواح متعددة احداها الى حاحة ؛ وقد اخبرني من رآه في تلك السياحة والطائفة تسير في طريق ؛ وهم مابين متداكرين او متحادثين في العاديات ؛ وهو منتبذ عن الكل يمشي مطرق الرأس متفكرا ؛ وعليه مرقعته وهيضورته ؛ فلم يخرج في هذا الدور ايضا كما كان عليه في زمن شيخه وكذلك ساحوا ايضا سياحات اخرى غيرها .

يزور أهله

انقطع خبره عن اهله منذ ذلك اليوم الذي خرج فيه صباحا الى المدر وخرجت جنازة والده العشيية الى المقبرة ؛ ولم يطرق آذانهم عنه بعد خبر وقد عرفوا انه توجه الى الغرب وذلك ما يطلق على ماوراء مراكش في تلك البلاد فابصروا منه ؛ ففي يوم كان احد اخوته يحرق عند (تيزراايفولوسن) فابصر سوادا مقبلا من القبلة فامعن نظره فاذا بصاحب الترجمة مع فقير او فقيرين جاءوا من جهة تامانارت وقد فارقوا الفقراء الذين ساحوا الى اقا ؛ فاطلق اخوه زوج البحر واقبل ركضا يشب وثبات المستعجل النشيط المرح الذي ملك السرور كل مشاعره ؛ فصاح على امه بعد ولوجه باب الدار البشارة البشارة اخي على جاء ؛ فطارت امه ؛ فأول ما قالت لابنها اجر الى الغنم اثنتا بكبش تملت الوالدة من ولدها على تقبيلها وعناقوا وضما وطالما امعنت النظر في وجهه ولو كان لايزال صغيرا لضمته الى حجرها ؛ ولكن شب عمرو عن الطوق فانتبه بكسوة جديدة ؛ فاراد ان يجبر خاطر الوالدة فاماط مرقعته ؛ فلبسها فطابت نفسها وعادت اليها الروح .

ثم بعد ايام ودعها ؛ وقد وعداها على التردد اليها احيانا فصار يختلف بين اهله وبين الفقراء عام ١٣٠٠ هـ واللذين بعده الى ان كان ماسنذكره

لطمة تردده إلى أهله بالكلية

قرأت معي ايها القارئ حالة صاحب الترجمة في هذا الدور الذي بقى فيه بين الفقراء بدموت شيخه ؛ كما رايت احواله ايضا قبله وهو تحت يد شيخه ؛ فلاشك انك تدرك من كل مارايته انه ممن يؤثر الخمول ؛ ويقنع بالعزلة ؛ وممن ينفذ على نفسه قول الصوفية الخمول كله نعمة والظهور كله نقمة ؛ فقد عرض عليه ان يكون نائب الشيخ ؛ وكان غالب الفقراء لا يستقون به بدلا ؛ ولكنه نفى اليد من ذلك وقنع بان يكون تابعا لامتبوعا ؛ ثم صدق قوله بفعله ؛ فدام نحو ثلاث سنوات على ماعاقد عليه اخوانه ؛ هذا مع انه يحكي عن نفسه انه منذ توفي شيخه كانت هواتف والهامات تستنهضه لارشاد العباد فما كان يلتفت الى ذلك خوف ان يكون من الشيطان الذي لا يومن مكره وقد حكي عن نفسه انه سمع عام ١٢٩٩ هـ وهو في قرية اينشادن قائلا يقول له (زد هان اردن ران ادتر ايدان) (اي زد امامك فان الفصح سيزداد) كما وقع له مثل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد رآه كما قال عيانا في مسجد قريته في ثاني الاضحى عام ١٣٠١ هـ ووقع له مثل ذلك كثيرا ؛ ولكنه يتهرب ويأبى الظهور كل الابداء ؛ وقال ان ذلك كان على اذاك كنقل الجبل ؛ فيقنع ان يؤدي تلك الوظيفة من ارشاد عباد الله تحت يدي سيدي الحاج الحسن فكان في تلك السنوات يبذل جهده في الارشاد مع بذل جهده ايضا ان ينسب ذلك الى هذا السيد لا له ؛ هذا ما كان نوى وعزم عليه ؛ ولكن اذا اراد الله امرا هيا اسبابه .

في لغتنا الشلحة مثل يضرب (يان واش كاي تليغ افولوسن افياسن امان) معناه (انما يكون في الدجاج منحوس واحد فيهرق ماءهم) يعنى فييقون عطاشا ؛ والمقصود بذلك ان الجماعة التى تضم فى صفوفها من يفسد عليها رأيها ؛ فانها لا يلبث رأيه ان يفسد الجميع ؛ هذا بعينه ما وقع لهؤلاء الفقراء الذين طلقوا الدنيا واقبلوا على ربهم بكلياتهم ؛ فان فيهم من ليس مقصوده ذلك كما يكون بين كل جماعة من يشذ عنها وعن مبادئها وان تزيا بزيتها

جلس اصحاب سيدي الحاج الحسن مرة للمذاكرة ؛ وفي يد المترجم كتاب يذاكر فيه ؛ فجرت عبارة صوفية اختلفت فيها اذواق الحاضرين فتداولوها ؛ وكان الغالب فى ناحية المترجم فى اخرى فتجاوزوا المسالة بأدب ووقار على عادتهم دائما وكان فقير طالب يسمى ابراهيم بن الحسن الايعدانى المجاطى حاضرا للمذاكرة ؛ وكان ممن لم يقدر تهذيب التصوف ان يستل من اعماق صدره ما كان الفه بين رجالات قبيلته من مراغمة من يجاذبونه بعنف وبطش ؛ فلم يلبث فى ذلك المجلس ان قام مسرعا من مكانه ؛ فمد يده الى خد المترجم فطمه ونزع من حجره الكتاب ؛ وهو يقول له فى كل مرة يامدعى

تلج في المذاكرة وتابى ان تطاطىء الراس لسادتك ؛ ويابى لك ادعاؤك الا ان يجاذبهم الحبال كأنك لاتعرف مقامك ولامتتهى قدرك ؛ فقام المترجم واعلن بالتوبة فمال على راس اللطم فقبله ؛ ورجع الى مكانه مطرقا؛ وماقاله الفقير ابراهيم بن الحسن الاعداني من ان صاحبه لايسلم في المذكرات اخذه مقلوبامما يراه بينه وبين رئيس الفقراء الشيخ سيدى الحاج الحسن اذا كانا يتذاكران وهما من الاقران وسيدى الحاج الحسن لاينظر الى ذلك نظر الاعداني فكأن هذا وامثاله يريدون ان لا يروا احدا يتكلم امام خليفة شيخهم اصلا ؛ كأن ذلك مما يدل على انه لم يدخل بعد في نطاق الاجماع الذى وقع على اتخاذ سيدى الحاج الحسن خليفة للشيخ سيدى سعيد المعدرى ؛ وحول العقول امثال الاعداني موجودون في كل طائفة

اثر هذه اللطمة تم للمترجم ماتم لما ستراه امامك فقد طارت اللطمة كالدynamيت الذى يتفرقع بين اركان بناء متماسك ؛ فيهتز بغتة فيسقط ما يسقط ويشق مايشق ؛ ويبقى مايبقى فقد امتعض الفقراء مما جرى من الاعداني الا قليلين ممن هم على رايه فتمشى الشقاق بين القلوب سرا ؛ من غير ان يكون لذلك تاثير جهرا ؛ ورحم الله اباالعباس القباж اديب الرباط اذ قال

ويج الرجال من الرجا ل اذا تنافرت القلوب

ان كان هذا في مطلق الجماعات التى تملكها قوانينها ومبادئها ؛ فكيف بقلوب الفقراء الصوفية التى لا يضمنها غير العاطفة والشعور

يؤسس مر كز لا بملدتم

اخبر العم ابراهيم قال بينما نحن في ٢٦ من رمضان ١٣٠٢ هـ اذا بسيدى الحاج الحسن التاموديزتى وطائفة من الفقراء معه كبيرة ؛ منها اخونا على نزلوا بقرية ايت سليمان ؛ فيبتناهم بدارنا فنزل اليهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى ؛ وفي اليوم الثانى اقترح عليهم ان يبيتوا عنده ثم سافروا في ٢٨ غير اخينا على فانه تخلف؛ ففي وقت صار يتحدث الى الوالدة ويخبرها بانه عازم على التزوج في المعدر وعلى الاقامة هناك ؛ وقد خطب الى رجل فاخطبه وانما يريد ان يكون معه احد اخوته الاعزاب ليستعين به على مالا بد منه من الاشغال فنارت الوالدة فى وجهه ؛ وقالت له والله ما انت بمقادرننا ؛ ولا بتارك لقرية اهلك وموطن آبائك على كل حال ؛ ثم اتصلت بزواج ابنتها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فاستعانت به فى محاولة استئصال تلك الجذور من صدر ابنها على بكل ما امكن ؛ وقالت أأكون امه ارى منه قرّة عينى وفلذة كبدى وابنى على مستقبله من الامانى ما الله اعلم به ؛ حتى اذا اجنت منه الثمار ينقلب على متنبذا الى مبتعد لاراه ولا يرانى ؛ لا والله لا يكونن الامر على ذلك ؛ فمال

الاستاذ الى اخينا علي فالح عليه ان لا يفارق الخ ؛ وقال له فيما قال فاذا ذهبت انت عنى فمع من اسكن هنا ؟ أبقى هنا في غربة وحدي ؟ وانت تعلم ان من له نصيب من العلم يكون غريبا ما لم يكن معه من يعرف قدره ؛ وهل يقدر قدر العلماء الا آخرون ؟ فاعتذر اليه اخونا علي بانه خاوى الوفاض ليس عنده ما يعتمد عليه في هذه البلدة الشديدة الوطأة في الحياة ؛ قال واما في المعدر فهناك من سائر زوج من عنده ؛ فاجعله بادىء بدء معتمد ثم هي بلدة سهلة الاشغال قريبة المنافع لا يحتاج فيها الى ما يحتاج اليه هنا ؛ فقال له الاستاذ انا كفيل لك بكل ما تتوقف عليه ؛ الى ان تستقل بامرك فان كان هذا هو عذرک ؛ فهو عذر زائل منذ الآن هكذا اخذ الاستاذ بحجزته من جهة ؛ وتأخذ بها امه من جهة اخرى ؛ ليقتضى الله امرا كان مفعولا .

قال ؛ فلم يكن لـ اخينا علي بد من ان يسلس لما طلب منه وقد راي الامور تتيسر ؛ ومن علامات الاذن التيسير كما يقول الصوفية في بعض الرسائل للمترجم انه راي النبي صلى الله عليه وسلم فالزمه ان يقوم الى ارشاد الناس ولا بد ؛ قال كان ذلك من اصعب الامور على الى تلك الساعة فزال تلك الصعوبة عن قلبي ؛ فتشوفت الى ذلك كل جوارحي وكان ذلك في وقت السحر ؛ ثم عند طلوع النهار اتصل بانسان يسمى سعيدا من ايت سليمان من سكان قريته فلقنه الورد وهو يقول له نفتتح امرنا بك واسمك سعيد فلعل الله ان ييسر جميع الامور فتسعد كما يحكيه الفقير سعيد نفسه وقد تأخرت وفاته بعد شيخه اذ توفي نحو عام ١٣٣٠ هـ وكان هذا الان في آخر العام ١٣٠١ هـ ثم انه رجع الى اخوانه عند التاموديزتي الى ان جاء في رمضان ١٣٠٢ هـ كما ترى قال العم ثم ان اخانا عليا قال ان كان الامر هكذا وكانت السكنى لا تكون الا في الخ ؛ فلنبدا منذ الآن في تاسيس الزاوية ؛ ففي اول شوال اثر العيد ١٣٠٢ هـ صار خدمة ينقلون احجارا الى مكان الزاوية وقد اختار ذلك المحل لبعده عن القرية ؛ وقد قال ان الفقراء لا يلبق بهم الا مكان مبتعد عن الناس وكان مكان الزاوية لامرأة تسمى تابوريشيت فاشتراه من عندها الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله ثم ابتدا البناء في اواسط شوال ؛ فكانت الزاوية الداخلية القديمة اول ما بنى اذ كان بناء ساذجا على الكيفية التي تمشي عليها المترجم في جميع ابنيته كلها ؛ لايهمهم الا بالاحتاج اليه فقط ؛ من غير تزويق ولا تقويم ولا تصحيح واذا ذاك قال الاستاذ ابو الحسن الالفي

بيت اتيح الخير من وجهاته	فاتيح ما ينكا الحسود الغالي
منوى السعادة والسيادة والتقى	ومزار كل مهذب مفضل
سلم اله العرش اركاننا له	بنيت على تقوى وعن افضال
وادم به ذكر الحبيب وكل ما	يحدو القلوب الى المرام العالي
واجبر به كسرا بدا من ديننا	وانضح به رينا بشوب الحال

والمترجم في اول رسالة له المام بما وقع له في هذا الطور ؛ مما اشرنا اليه فالاولى ان نسوق كلامه عينه حول ذلك ؛ نصه

الحمد لله الذى يتكرم على عباده ويتفضل ويوتى من يشاء من عباده بفضلته ولايسال عما يفعل ؛ الذى معرفته هو اقرب لعباده من جبل وريدهم فلذلك تجد من طلبه لمعرفته يجده اول لحظة ؛ كما قال لسيدنا موسى حين قال له اين اجدك يارب ؟ فقال له من اول قدم رفعته لاني موجود معك وانما المفقود انت وهذا المقام لايفهمه الامن وصله ؛ وقد كنا قبل وصولنا اليه نجاهد ونظن اننا في غير الحضرة ؛ فلما فتح علينا وجدنا انفسنا غرقى في الحضرة الربانية ؛ وانما السحاب على بصائرنا فلما انجلي وجدناه كماقال جاء الحق وزهق الباطل فصرنا والحمد لله في الحضرة الربانية والنبوية جامعا لهما في الهمة قويا فيهما القوة الكبيرة ؛ الى ان تجلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة قبل فجر اليوم الثاني لعيد الاضحى عام ١٣٠١ هـ وانا على الوضوء انتظر طلوع الفجر مستغرقا في ذكر الله فقال لي اعطيناك الاذن العام والخاص ؛ فمن ذلك اليوم نهضت همتي لاصلاح العباد ؛ وارشادهم الى العزيز الحميد فلقنت الورد في عشية ذلك اليوم لهم بعد ماكان ذلك شاقا على نفسى ؛ ولااقدر ان انظر الى احد فضلا عن ان اريبه ؛ وقد كان شيخنا سيدى سعيد المعدرى ارسلنى الى فقراء السويرة مع فقير ؛ فقال لي اعطيناك الاذن في الطريقة عام ١٢٩٩ هـ فقلت له ياسيدى نفسى لا تريد الا الحق واما الخلق فلاطاقة لي بهم فقال لي هذا الامر وصله الوقت ؛ فلم ارد له جوابا ؛ ولكن وجدت ذلك الامر كالجبل على نفسى ؛ فمشينا من المعدر فرحنا الى (اينشادن) وذلك الامر هولنا ؛ فسمعت هاتفا يقول لي بالعجمية (زدهان اردن رانادتر ايدن) (١) وذلك خطاب الله تعالى لاني مستغرق في حضرته ولكن قلبى لم يلتفت الى ذلك الى ان وقع الاذن الثالث النبوى ؛ فاجتمعت همتي لذلك من غير ارادة منى لان الاذن اذا وقع من الثلاثة من الشيخ ومن الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم لابد ان يتكون الماذون فيه رغما على انفس الماذون وعلى غيره ؛ فوقع لنا كما قال مولاي العربى ببركة الاذن جاءنا اهل النخيل فربحوا منا وربحنا منهم ؛ وانقطعوا عن الدنيا وتعلقوا بالله وذلك هو الربح الكامل ؛ وهذا المقام هو الذى كان عند السادة الاولين يردون الخلق الى الحق ؛ الى ان يعرفوه حق معرفته ؛ كالامام الغزالي والشاذلى ومولاي عبد القادر الجيلانى انتهى المقصود من الرسالة

هذا ما ذكره المترجم عن نفسه اخترنا ان نسوق فيه كلامه بعينه لان المرء فقيه نفسه ؛ ولايعبر عن حالة الرجل مثل بنانه ان اعمله

(١) اى زد امامك فان القمح سيزداد

قرأت الاسباب التي دفعت المترجم الى تسنم تلك الذروة ؛ وليس لنا بعد ذلك ما نقول ؛ الا ان الفقهاء يقولون ان من رأى من نفسه اهلية للقضاء او الامامة او العدالة او لمرتبة من مراتب الدين ؛ كالوعظ والارشاد ثم لم ير من تتوفر فيه اهلية لذلك من معاصريه او مساكنيه ؛ فانه يجب عليه وجوبا عينيا ان يقوم لذلك وان يقبل وظيفته ولا بد ان عرضت عليه وان يطلبها ان لم تعرض عليه بل زاد بعضهم انه يجب عليه ان ينال ذلك ولو بدارهم ؛ هذا ما نعرفه عند الفقهاء ثم القينا نظارنا واجلناها فيما بعد هذا الحين من حياة المترجم وشاهدنا تلك الجهود العظيمة التي يبذلها في تعليم التوحيد ؛ ومكارم الاخلاق للناس حين يتبع القرى يستقرها واحدة فواحدة ؛ فيجمع الكبير والصغير والذكر والانثى فيعلم الكل الدين ومبادئه وشروطه ؛ وكيف فضائل الاسلام وتعاليمه القيمة من غير ان يتوصل من وراء ذلك بدرهم يوعيه او يتطلب رئاسة يترقى اليها بذلك ؛ ومن غير ان يقتصر على المنتسبين اليه من مريديه بل كان يجمع اليه جميع المسلمين ويجعلهم سواسية في التعليم الديني العام ؛ ثم انه امضى في ذلك كل عمره الممتد من عام ١٣٠٢ الى ١٣٢٨ هـ وهو لا يعرف مللا ولا سائمة ولا تضجرا من معاناة ذلك التعليم ومما لا بد ان يقاسيه من يشتغل بتعليم طبقات متشاكسة الطباع ؛ متنافرة الاخلاق ؛ ثم هو وراء ذلك كله قد ايد بالتوفيق وعين الاعمى قبل البصير من عمله ذلك نفعا عاما ؛ اجمع الناس على انه لم يقم به من معاصريه احد كقيامه به اذا عرفنا كل ذلك ونحن لا بد عارفوه مما سيأتي من باقى ما نتبعه من حياته ؛ فاننا سنجد من قاعدة الفقهاء نفسها مليبرد تصدره لذلك الحال ؛ ونراه وجوبا عينيا قام به ؛ على حين ان كثيرا من رجالان عصره وفقهائهم ناسون لذلك او متناسون وبحسبنا ان نجد له مبررا مما عند الفقهاء ثم نذر الصوفية وما يذهبون اليه ؛ فالفقهاء لا يمكن ان يحملوا على اقرانهم هؤلاء ما وجدوا فيما بين ايديهم مبررا يستخرجون منه برهانا وحجة لان الجميع على وفاق ؛ وبراهينهم ومقدماتها متحدة النتائج ومثل هذا القيام للتعليم العام للعامة جعله الغزالي فرض عين على كل ذي علم ؛ وذاك نفسه هو غالب ما يشتغل به المترجم

رايت ان اول يوم اتصف فيه بالمشيخة هو الحادى عشر من ذى الحجة عام ١٣٠١ هـ وان الفقير سعيدا كما ناول من تلقن منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن ؛ فكان اسم هذا المريد البكر عند شيخه دليلا ناصعا على ان السعادة ستلحفه باجنحتها الموفورة الخوافى والقوادم ثم تنابع آخرون في السنة نفسها فكان كل من لقنه الورد يثبت على مبدئه ؛ وفي الذين دخلوا اذ ذاك فى باب الصوفى الكبير سيدى الحسين بن مبارك المجاطى من

(نالات غزيغن) كان عابداً كبير المجاهدات لاينام ولايفطر ؛ فلاقى عننا وقد كان اتصل بالسيد المدني الناصرى فلقنه الطريقة الناصرية ؛ قال ابن مبارك فبقيت ماشاء الله ولم اذق السكينة والطمأنينة القلبية انتى يذكرها الصوفية فى كتبهم فشكوت ذلك لسيدى المدني فقال انتى لست من ارباب هذا الميدان ؛ وانما نلقن للناس ما بايدنا تبركا ؛ ثم قال شارطت فى مسجد من مساجد دوكلدير فاذا بالشيخ فلقننى ؛ ففى الحين وجدتنى منقطعا الى الله ؛ وقلبى قد جلببته انطمأنينة فاستجاب الله دعائى فى الحين ؛ هكذا يلتقى الشيخ بعطاش يجدون عنده ماء سلسبيلا يكرعون فيه ؛ فيعلون له من الشان ماصار يتعاطم بتوالى الايام حتى كان ماكان مما نحن ذاكره .

ذلك ما استفتح به المترجم عام ١٣٠٢ هـ ثم اتىها بتأسيس زاويته ؛ وهو الآن قد رفع عقيرته بالمناذاة اليه ؛ وقد بدا منه لاهله حال غريبة كلها نشاط تمزق به ماكانوا الفوه منه من خمول واطراق ؛ ايام كان يمشى وييدا فى مرقعته لايشغل بغير خويصة نفسه ؛ فقد كان عهدهم به على هذه الحال ؛ ثم هاهوذا رجع اليهم بوجه آخر واول ما فعله تأسيس زاويته ؛ والتصدر لتلقين الاوراد بهمة طائفة ؛ فهذا كله غريب عجيب عندهم وقد جر الى بلدته مالم تكن تعرفه فان كان صنوه الاستاذ محمد بن عبد الله جرقبله المعارف بارسنها حين اسس المدرسة ؛ فذلك امر سهل وهو معروف عند كل احد ؛ ومن الذى يجهل العلوم ومدارسها من المسلمين ؟ ولكن هذا الرجل الآخر جاء من جديد بنحلة جديدة غير معروفة فى الغ وقد كانت انباؤها احدثت ما احدثت حين اعتنقها وحده منذ سنوات ؛ ثم القى عنه هيأته الجميلة . فجال فى مرقعة غليظة وسبحة طويلة وعكازة ملمسة مجلوة ؛ فكيف يكون الحال اليوم عند اهل القرية ؟ حين نزل بين ظهرانهم يؤسس زاويته ؛ وما معنى الزاوية ؟ ويعلن انه شيخ يتصدر لآربية المريدين ؛ وما معنى الشيوخة ؟ وما المقصود بالآربية ؟ كل ذلك عجب من اهل القرية كما يعجب منه ايضا بعض الفقهاء وخصوصا حين يرى الرجل ينتفض من خموله المتراكم فجأة ؛ ومن اطرافه لراسه فيتقدم الى الميدان رافع الرأس وهانحن اولاء نتنازل فنشارك هذا البعض من القراء فى عجبهم ونظهم بمظاهر التعجب ونبقى من بعيد ننظر هل هذا الرجل صادق فى دعواه هذه فيما سيأتى من سيرته التى سنتبناها ؟ ام هو كمدعين آخرين نعرفهم فى هذا العصر بانفسنا ؛ كما نعرفهم فى بعض العصور المتقدمة بواسطة التاريخ فكثيرا مانسمع من يلبسون مظاهر مثل هذه الالوان التى رايناها لهذا الرجل فيزعمون جميعا انهم ما قاموا الا عن اذن من الله ورسوله ومن شيوخهم وانهم ما قاموا الا لنفع العباد ؛ وتهذيب النفوس ولكنهم لا يلبثون بعد ان يتجبحوا الشهرة والاقبال ان ينسوا العباد ويغرقوا فى شهواتهم الى الاذان ؛ فلسان كل انسان لاعظم فيه يديره كيف يشاء ويلفظ به من الدعاوى امثال الجبال العظام ولكن عند الاعمال

تظهر الرجال ؛ وعند الآثار تظهر الرجل المستوية من الحنفاء ؛ وعند الميمات
تظهر التراكات ؛ فما عبر عن البحر كعمله وآثاره لانه لايمكن ان يستقيم الظل
والعود اعوج ؛ ول بعض الالفين

خيل السباق تتساوى في ابتدا ولا يرى السابق الا في المدى
كذلك الرجال كل يزعم لكن لدى الاعمال كل يعلم

يتزوج بزوجه الاولى

في تلك الجلسة التي انعقدت في دار الاسرة من الاستاذ محمد بن عبد
الله ومن ام المترجم في عشية يوم ٢٨ رمضان حين قرر ان يبقى بالبلد ؛ قرر
ايضا ان تنتظر له سيدة كريمة يقترب بها ؛ ومعلوم ان الامهات يعتقدن انه لا يعقل
الابناء بعقل متينة الا الاقتران ؛ فذكرت اولاً بنت للحاج ابراهيم الايفشاسي
فقيل انها مخطوبة ؛ وقد تم امرها لابن عمها محمد بن الحاج محمد بن احمد
ثم ذكرت بنت (حوكا) اخت الحاج ابراهيم فاستنكفت حوكا ان تزوج ابنتها
ممن عادته ان يتجول في البلدان ؛ ويتكفف في الاسواق ويمشي في مرقعة
ويجرب سبحة غليظة ؛ وهو ابله يترك داره وعمله واهله ويصاحب هداويين
يصرخون بالاذكار في كل فج ومن كل ثنية وقد طلق عمله وسمته الذي يعرف
به امثاله من العلماء ؛ وحين كان يالف ان يطلق حتى نفسه وامه واهله ؛ فالاقرب
منه ان يجر ايضاً وشيكا ذيل الطلاق حتى على من تزف اليه ؛ هكذا تقول حوكا
وتعتذر لمن ارسل اليها وسيطا في الخطبة ؛ وهو الفقير مسعود يلبوش
التيبوتى بلديها وجارها ؛ ولكن عزيمة الفقير لم تقلل بتلك الاعذار ؛ فلم يزل
بالمرأة حتى اخطبت فعقد النكاح يوم عيد الاضحى نفسه من هذه السنة فزفت
الى زوجها وكان الاستاذ محمد بن عبد الله والطالب الخير الحاج صالح بن احمد
من اعمام المترجم شاهدي عقد النكاح ؛ والمستلمين للشوار على العادة ؛ كما
في عقد النكاح المكتوب فيه اثمان مجهزة به السيدة بخط الاستاذ المذكور
ويوجد نص ذلك في الجزء الثالث من كتاب (من افواه الرجال) وكان الزفاف
الى الدار الجامعة للأسرة وسط القرية لان البناء المحدث من شوال ليس فيه الا
بيت واحد فقط ياولى اليه بعض فقراء جدد قد حدثوا في هذه السنة عند المترجم
وكان ياولى معهم الى ذلك البيت يتذكرون فيه ويذكرون ؛ وقد حدثني العمان
الاستاذ ابن عبد الله جاء في عشية من تلك الشهور يفتش عن المترجم فوجده
مع اصحابه في ذلك البيت في ظلام فناداه حتى خرج اليه ؛ فقال له او كنتم في
ظلمة ؟ فقال لا باس ؛ والمتيسر هو الذي يقنع به ؛ ولم يتيسر لنا الآن مانسرج
به من الزيت لقتديل فارسل في الحين الى الفقراء اناء من زيت يسرجون به

أثر الحياة الجديدة

سائرنا حياة المترجم من عهده في الكتاب فالمدارس فمقطعه الى المدرس فسياحته ؛ فجلنا معه وهو في مرقعته متجردا عن كل شغل ؛ ثم هاهو ذا الآن نراه في هذه السنة قد ظهر بمظهر آخر جديد وقد اسس مركزه وتزوج وتصدر للمشيخة ؛ وطلق ذلك الخمول الذي كان خيم عليه في كل حياته المتقدمة فبرز واعظا مرشدا ؛ وشيخا مربيا انراه لا يزال يصاحب مرقعته كما كان قبل ام يلبس ايضا لهذه الحالة الجديدة لبوسها ؛ لان من يتصدر لتزهد الناس ووعظهم والخذ بنواصيهم لابد له من حالة تعلن بلسان حائها ؛ انه غير محتاج الى ما في ايديهم ؛ ولا متشوف الى ما في جيوبهم والا كان ذلك كحباله من حبال القنص تنفر الناس بادىء بدء اكثر مما تهدئهم وتقود ازمته ونحن نعلم من حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ذا هيئة مستحسنة في قومه ؛ لاتفحمه معها العميون ؛ ولا تشمئز منها النفوس بل كانت له حلة يتجمل بها للوافدين يوم قدومهم وتلك لاشك حالة لابد منها لكل من يشرح نفسه لمثل ذلك المقام فلذلك نريد ان نرى كيف يسلك المترجم في حياته الجديدة ؛ واية حياة سيبرز بها ؛ فقد كنا نعرف منه احوالا تستغرب في العادة قبل هذا الطور وما كانت بالارب تلائم هذا الطور الجديد ؛ مثل ماوقع له في حادثة قبل ان يلتبس بحاله الجديدة فقد سافر مع الاستاذ محمد بن عبد الله الى (تيمكيدشت) فكان الاستاذ في شارة حسنة ؛ وبزة تاخذ بالابصار وهو على بقلته كالنجم الثاقب في عليائه قال خادم الاستاذ اذ ذاك السيد الحسين المانوزي والد افغار بلقاسم الازربيسى اليوم كان معنا في تلك السفرة سيدى على بن احمد وهو في مرقعته وسبحته وعكازته يملأ الجواء بهيللته لايفتر عنها طوال الطريق ذهابا وايابا فهذه حياة ان كانت تلائم ذلك الطور في حالة التجريد فانها لاشك غير ملائمة لهذا الطور الجديد ؛ الذي يقتضى تبشير الناس وتاليفهم بلسان حاله ؛ لاتغيرهم بمجرد الرؤية ولا تستمد قلوب وعقول كثير من الناس الا مما تتأثر به ابصارهم وقديما قالت العرب : «البس لكل حالة لبوسها» فكما ان لكل مقام مقالا ؛ فكذلك ان لكل مقام لباسا ؛ فالفقر المتجرد الذي يعرض عن كل احد لايقبل الا على خويصة نفسه ؛ فانه لايبالي بغيره اقبل ام اعرض انس ام نفر ؛ ثلاثه مرقعته التي تخف بها مئونة الاهتمام باللباس في كل وقت ؛ من تجديد وغسل وما الى ذلك بخلاف من نصب نفسه للناس فانه لابد ان يكرن مثله مثل الناس ففى العادات المألوفة التي لباس بها ؛ ليكون ذلك ادعى الى تاليف القلوب والاتصال بالناس ليتمكن التأثير المطلوب .

حقا لبس المترجم للحياة الجديدة لبوسها فراجع اليهود من لباس قومه الوسط وداخل الناس وجالسهم وواصلهم ؛ فلا يترك مجتمعا في القرية ولا في

جيرانها الا الم به مؤانسا اولاً ثم واعظاً مرشداً ثانياً ؛ وكان مع ذلك قلما يفارق الاستاذ محمد بن عبد الله في المذكرات العلمية مباحثة ومراجعة ؛ فصاد الى الميدان العلمي كما كان قبل ان تستهويه الطريقة ؛ كما كان ايضا يلقي ورده لكل من آنس منه قبولاً ؛ وما تلقين الورد الا انخراط المرء في جماعته ليتمكن ان يربيه كيف يشاء وقد صار من انقطعوا اليه من اصحابه يسمونه شيخاً ؛ حتى تسرب ذلك الى انعوام كلهم ؛ فصار الشيخ كانه علم عليه وحده في تلك الناحية متى اطلق فلا يسمى الابنه عند اصحابه وعند غيرهم ؛ هكذا تلبس بحياته الجديدة فتغيرت هيأته التجريدية التي ما كان زجاً فيها الا انصواؤه تحت لواء شيخه المربي والصوفية لا يشترطون تلك الحالة الا لبعض من لا يزالون تحت نظر الشيخ ؛ ممن يونس منهم الشيوخ رعونة نفس ؛ فيداوونها فيه بما جربوه عندهم فصح دواؤه واما من سلم منها او من تخرج من عند الشيخ فلا لباس ان يلبس كل ماتيسر ؛ كما هو معلوم في الرأية الشريشية وامثالها من الكتب التي تحوم حول التربية الاصطلاحية كما يسميها القوم ؛ كذلك تغيرت ايضا حالته الاجتماعية فراجع المؤانسة وملابسة الناس لان مقصوده لا يتحصل الا بذلك ؛ ويد الله مع الجماعة على كل حال ؛ كذلك استجد له اصحابه اسما جديداً وسموه به فلاينادي ولا يذكر الا باسم الشيخ وهو نفسه قد نصب نفسه على تلك المنصة ؛ منصة المشيخة ؛ ولذلك ندخل في غمار الناس فننتع من الآن بالشيخ كما اشتهر به اشتهاراً غريباً في كل الجنوب منذ هذا الحين

الشيخ يسبح إلى آقا

كان الشيخ سيدى سعيد المعدري قد بذر بذور طريقته في قبائل كثيرة في سوس في انحاء مختلفة ؛ فكانت تانكرت ومجاط الى تامانارت فأقا من مسارحه ومثوى اتباعه ؛ وبعده صار اصحابه الكبار يتعهدون الفقراء هؤلاء ؛ فكان خليفة الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتي ومن اليه ؛ وصاحب الترجمة ومن اليه والكل على مبدأ واحد يختلفون الى الفقراء تذكيراً للعهود واستنهاضاً لهم ؛ فلهذا ذهب راجلاً في صفر سنة ١٣٠٣ هـ بعد ان مضى عرسه بقليل يتعهد من بجهة آقا ؛ فبقى هناك الى ان مضى عندهم عيد المولد ؛ وكانى باحد القراء يتعجب ويقول ؛ ان الرجل غريب حيث لم يستهوه ما يستهوى من يكونون حديثى عهد بعرس ؛ ولكن يجب ان يعرف ان الشيخ يظهر انه من رجالات لا تطمئن نفوسهم كثيراً لما تطمئن اليه نفوس كثير من الناس فلمجلس واحد يقضيه فارغ البال مستجمعا لقلبه مع اخوانه في المبدأ اعظم بهجة وسرورا مما يستهوى كثيرين في مثل موقفه ذلك ؛ من المراسقة والمغازلة فى مخادع القواني ؛ ومتى اشتغل انسان بناحية وعمرته بما كان فيها من رواء وبها فهيئات ان تبقى منه لفتة اخرى الى اية ناحية سواها ؛ الا ريشما يؤدى من الحقوق ما ينال به الخيرية التي اوما اليها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم حين قال خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلى ؛ ولا لباس ان تلقى فى اذن بعض

الحضريين المترفين ان التعيين هكذا اثر عرس حديث في متناى عن الاهل ليس مما يستكره فى عادات اهائنا والبر بالاهل انما يطلب من الرجل بحسب بيئته التى يقطن فيها وماكان مقبولا متسامحا فيه فلا تبتعة على من اعتنق فعله ؛ ولذلك يعلم ان تعيين الشيخ اول عيد نائيا عن امراته الجديدة لباس به عندنا فى البيئة الالغية التى لم تتعود شهور العسل

براجع التدريس

كثيرا ما ترى هؤلاء الذين ذاقوا من بين الفقراء المختبين المنيبين ما لسم يدوقوه مابين الطلبة المماريح المفايح المفاكية ؛ ووجدوا مابين ايديهم واثنا مذكراهم وبين طيات احوالهم مالم يكن يخطر لهم على بال حين يجولون فى متون العلوم المعهودة فتراهم وقد انتشوا بما انتشوا به ؛ مماعبر عنه بعضهم اذ قال «لو يعلم الملوك مانحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف» لا يجدون بعد ذلك من انفسهم ميلا الى خوض هذه العلوم التى يسمونها العلوم الظاهرة والرسمية الا اذا اضطروا لذلك ؛ فتراهم يقتحمونها كما يقتحم المرغم الخائف ارضا شائكة ؛ والحق يقول من يقول «ان التصوف اذا سبق تمكنه فى فكر الانسان يجتث من اعماقه جذور محبة العلم المتعارف والميل اليه» حتى قال ابن عرفة «كل من رايته ينتاب الصوفية من طلبة العلم فاعلم انه لايجي منه شيء» ويرحم الله ابا اسحاق البليقي دفين الرحبة القديمة بالحمراء ذكر الله الحمراء بكل خير- اذ قال «من اراد الله به خيرا شغله اولا بالعلوم حتى يتمكن فيها ثم بعد ذلك يديقه من التصوف فيكون سعيدا» او كما قال هذا مايقال فى الصوفية والعلماء ؛ لايزال كل واحد منهم يسعى الى غاية واحدة يوم كان التصوف لم يشب بعد بكل هذه الشوائب التى اذهبت رواءه وقلبت المقصود منه الى غمده ؛ ويوم كانت ايضا هذه العلوم لمايسف اربابها هذا الاسفاف المخزى حتى كان العلم جهل ؛ وحتى كان متعلمه يتعلم الجهل والغفلة والعنجهية والاعراض عن اصلاح نفسه ؛ وكان ذلك يوم يتقارب الفريقان ثم اتى الوادى فطم على القرى واختلط انجابل بالنابل واستنت الفصل حتى القرعى (١) فذهب رواء التصوف وانعلم معا ؛ فاختلفت النيات ففرض بين الطائفتين بسور من حديد حتى لا اتصال بينهما ؛ فما ظنك بنظرة الصوفية الى هذه العلوم واهلها؟ اولاتكون الا كمثل نظرة اصحاب هذه العلوم اليهم والى ماهم فيه ؟ فيكفر بعضهم ببعض ولكن ان شاع هذا فى صوفية المتأخرين وفقهاءهم فقد يشذ بعض افراد من الفريقين فيعلم كل واحد مالاخر من مكانة لانتكر ؛ والشيخ من هذه اثلة القليلة من الصوفية التى وان تبجحت التصوف وخاضت فيه كل مخاضة لم تنفض يدها كل النفض من العلم واهله فقد رايته تصدر فى مدرستى فوكورض وبومروان بعد ان التحق بالتصوف واتخذ شعارا وجعل مبدأه نارا

(١) طم على الشيء غمره والقرى كفى جدول الماء واستنت: جرت والفصال جمع فصيل صغار الابل والقرعى التى اصابها القرع والجمل الثلاث امثال عربية

وسترى معنا ايها القارىء اعماله الخالدة حول العلم تنشيطا واعانة فى الباقي من حياته التى امامنا ؛ وها هو ذا اليوم لم يكد يتلقى بعد رجوعه من اقرارسالة كتبها اليه رفيقه الاستاذ محمد بن عبد الله حين توجه الى مراكز تركها عند العم ابراهيم وفيها انه سيخلفه على الدراسة الى مرجعه ؛ حتى طار الى المدرسة فتصدر فى منصة التدريس فى العلوم التى تدرس فيها كلها والاستاذ وان اوصى بالمدرسة لصنوه على الا ان الشاب الفرهد (١) لايقوم مقام القارح الصبور

هكذا عاد الشيخ ايضا مدرسا يستنير بافهامه امثال الاستاذ سيدى العربى الساموكنى وسيدى الطاهر الافرانى الشاعر المفوه والفقير الحسين التاطاروسى والفقير احمد التازيمامتى والعلامة احمد بن صالح الافرانى والجهيد الشهير بلقاسم التاجارمونتى والفقير المكي اليزيدى وخليفة الاستاذ على شئون داره ومدرسته العلامة الكبير على بن عبد الله وكثيرين ممن كانوا اذذاك نجوم المدرسة الالقية والقطاحل المتفوقين فيها ؛ وهم مشحوذون اذهانا متمنون مباحثات مامنهم الا من يتقى ويعلم انه كبش الكتبية حقا ؛ وقد استفرغ فيهم استاذهم محمد ابن عبد الله كل جهوده حتى خرجهم كاسنان المشط ذكاء وتفوقا وتحقيقا فبين يدي هؤلاء تصدر الشيخ يتابع لهم دروسهم فى النحو والفقه واللغة والادب وكل ما يتعاطى هنالك من العلوم ؛ لكنهم فى اثناء اجتهادهم مع الشيخ استاذهم الجديد دهمهم نعى الاستاذ الاكبر سيدى محمد بن عبد الله اواخر ربيع الثانى فسافر الشيخ مع صنو الاستاذ سيدى على بن عبد الله فاتوا بتجاليد الاستاذ وهو مقترح الشيخ الذى اصبح اليوم كبير الغ بعد ذلك الاستاذ المنعى ؛ فعز عليه ان يبقى مجهول القبر فى ضواحي تامصلوحت فاتوا به فى صندوق ؛ ومما يتعلق بذلك انهم بانوا فى قرية سيدى ميمون فى قبيلة كسيمة فاودعوا فى قبة الضريح الصندوق الذى فيه تجاليد الاستاذ ؛ فباتوا ولم يابه بهم احد من اهل القرية وفى الصباح غدا اليهم رجل من سكانها مبكرا ؛ فقام بافطارهم وقال لهم ان له بنتا تتراى لها اخيلة الارواح ؛ فرات تلك الليلة روح الاستاذ ابن عبد الله فقال لها عجباً لكم نبئت عنكم فتبقوننا بلاضيافة فسالته من هو فافضى اليها بانه صاحب الصندوق الذى فى قبة سيدى ميمون ؛ وكان الرجل غير عارف بان مع الرفقة صندوقا فكان الشيخ بعد ذلك يداعب ويقول اننا معشر المرابطين اعتدنا بين الناس التكفف فان استعف عنه احيائنا قام به امواتنا ثم يحكى الحكاية متبسما

لازم الشيخ المدرسة كل سنة ١٣٠٣ هـ مدرسا ؛ فجال جولات الافاذ فرات منه المسوغات للابتداء بالنكرة وصور الطلاق ومقامات الحريرى ومسائل الحجب والفرض والتعصيب ؛ من كانت تعرفه قبل ١٢٩٨ هـ فاذا هو هو لم يزد تصوفه الا مايزيده المسن لظبا الصارم الخدم ؛ وبعد تمام السنة سلم الوديعه الى ربها وألقى المقاليد الى العلامة أبى الحسن ابن عبد الله (ان الله

بامرهم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) فودعه الاستاذ شاكرًا عمله في تلك السنة ثم نقل كاجرة المشاركة الى الزاوية خمسًا وعشرين غرارة من الشعير ؛ فكانت اول مداخل الزاوية من الجبوب منذ اسست ؛ ثم تزايد الخير الى ان كان ماكان ينهض بهمة عليّة الى ما هو بصدده

ان الثانية من السياحات التي قام بها الشيخ بعد تلك التي ذكرناها الى اقا ؛ هي سياحته الى قبيلة املن ومعه طائفة من مريديه الجدد كسيدي الحسين ابن مبارك المجاطي وسيدي بوهوش الدوكاديري وامثالهما من قدماء مريديه الذين ارتشفوا منه الرشقة الاولى ؛ كما كان فيها ايضا كثير من اخوانه ممن ينتسبون الى سيدي سعيد المعدرى فجال هنالك في املن بالارشاد الخاص والعام مما كان يفيض حديثه علينا به سيدي بلعيد الصوايبي ؛ قال طرقت اذ ذاك تلك القبيلة اثر رجوع الشيخ منها فوجدت احاديث المنتديات كلها تدور حوله ؛ فتسهب في تتبع مشاهدته الناس من قلوبهم اولاجين تاثرت بكلامه تاثر اعجيبا وفيما ابصروه ثانيا من احوال الشيخ حيث يباين صنيعه في سياحته ماكان معروفا عن المرابطين الذين يسيحون بزعم ارشاد الناس ولكنهم لايرضون عن اهل قرية الا بمقدار امتلاء جيوبهم وانتفاخ وفاضهم فجاء هذا الشيخ الجديد على عكس ذلك ؛ فانه عزوف عن قبول ذلك بعد مايقدم له فضلا عن ان يعرض به او يصرح به بين الملا كما هي عادة المرابطين السائحين ؛ وكل شغله الشاغل في تعليم الناس التوحيد وارشادهم الى ربهم وكف ايديهم عن مدها الى اى انسان الا بما يرضاه الله ورسوله ؛ يبت ذلك بلسان موثر ووعظ يفلق الصخور ويفتح الصدور ؛ قال وكان ايضا مما اثار عجب الناس العجائب تلك الهيئة التي يذكر بها الناس الفقراء الدرقاويين ؛ ولم يكن قط اهل هذه البلاد يسمعون بها فضلا عن ان يروها ؛ فكان مجموع ذلك مما اثار زوبعة هائجة من التعجب من الشيخ قال فوجدت اناسا كنت اعرفهم ناصريين قد استحوذ عليهم الشيخ فهدوا اليه ايديهم ؛ فاعتنقوا طريقته فصاروا يحكون لى مايدوقونه بعد ان التقوا معه من طمانينة وسكينة واخلاص ؛ مما كانوا لايتذوقونه قبل اليوم مع قيامهم باذكار كثيرة ومجاهدات لاتنقطع ؛ قال فقلت لهم اننى كنت اعرفه قبل اليوم حين كان مشارطا عندنا في مدرسة فوكرض قال وممن كان اخذ عنه اذ ذاك الفقيه سيدي موسى الاسكاورى الكرسيفي والرجل الصالح سيدي الحاج الحسن من أيت عيسى (١) التافراوتى وغيرهما من كبار القبيلة واعيان املن قال ثم كان ذلك هو السبب الذى حدا بى حتى وفدت عليه بالغ فانقطعت الى خدمته وتقيدت بالاحسان فى حضرته (ومن وجد الاحسان قيذا تقيدا) وقد ذكرت كل ماحدثنى به فى جزء من كتاب (من افواه الرجال)

ثم ان هذه السياحة كانت فى اوائل ١٣٠٤هـ فرجع الشيخ الى الخ ثم

(١) هو والد هذا التاجر الحاج عابد السوسى المشهور فى البيضاء بكل خير

صار لايبقى في زاويته الا يويمات ؛ ثم يخرج الى القرى المجاورة ينذر عشيرته الاقربين ؛ فيبيت ويظل يعلم الناس التوحيد وما يجب لله ومايجوز ومايستحيل والقواعد الخمس كلها واحكام الصلاة والصيام والزكاة ؛ فكانت عادته التي افتتح بها حركته هذه ؛ ثم دام عليها الى ان كفته كافته ؛ انه يتتبع القرى قرية قرية ؛ ثم ينادى مناديه ان يجتمع الناس في المسجد ذكورا واناثا ؛ ويامسر بعدم الاختلاط بين الجنسين وكثيرا ما يكون الرجال داخل المسجد والنساء في فنائهم ؛ ثم يطلع - اذا كان الوقت ليلا - الى مافوق السطح ان وافق الفصل ذلك ؛ فيبقى يعظ الناس وهو يلون مواعظه بين تبشير وانذار وبين تعليم ونهي وامر ؛ وهو يتخلل ذلك باذكار اصحابه ؛ او بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكثيرا ما يامر من يحفظ قصائد الوعظ المنظومة ان يقوم فيتلوها على السامعين بغنة خاصة ؛ وهو بين ذلك يسكتة احيانا فيتم ما اراد بكلامه فيتكون من مجموع ذلك تاثير غريب في قلوب السامعين ؛ وهم مبهورون حين يسمعون من الشيخ ما كانوا لا يسمعون قط من عالم ؛ ولا يقوم به بين الناس قائم ؛ والعلماء في غفلة عن هذا الواجب كانهم لا يحاسبون به امام الله

بهذه الحالة كان في اثناء سنة ١٣٠٤ هـ يتقرب القرى الالغية والسي تجاورها فراى الالغيون ومن جاورهم من ذلك الرجل الذي كانوا يسمعون به ابله ذامرقة وسبحة غليظة وعكازة طويلة عالما جديدا ومرشدا كبيرا ؛ ومهتلا بالدين اهتبالا غريبا ؛ وقائما بتعليم ما كان كل الناس جاهليه ثم لا يجدون من ينتدب احتسابا الى ان يعلمهم اياه مجانا من غير ان يطمع فيما بأيديهم ثم كان بين ذلك يلقي ورده لمن اراده وقد اندفع الناس كلهم وراءه فاما العامة فينتفعون بما يعلمهم اياه مجانا ؛ واما الخاصة وطلاب اذواق الطريقة فلهم منه مجالس اخرى ؛ وكان الشيخ لا يحدث الناس الا بما يفهمون عملا بماورد : «حدثوا الناس بما يفهمون اتريدون ان يكذب الله ورسوله؟»

هكذا انذر الشيخ عشيرته الاقربين واسمعهم مالم يكن قط لهم في حساب لانهم لم يالفوا قط من علمائهم ان يتصدر واحد منهم لذلك ؛ ويجعله كل همه ويجعل على عاتقه القيام به في المنشط والمكره قادر كذو البصائر منهم ؛ ان الرجل رجل آخر وان قيله احسن قيل (ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) فشكروا له ذلك وعرفوا له قدر هذا المجهود الذي يبذله في نصحتهم ؛ فكان منهم مريدون قد اعتنقوا طريقته وسلوكوا نهجه فسرعان ما تكونت له منهم شيعة تقابل شيعة اخرى تتكون ايضا شيئا فشيئا من الناحية الاخرى ممن يزدرون عمله ؛ او لا ينشرون به صدورا ؛ اما حسدا واما جهلا ورجما بالغيب سنة الله في كل من يتصدى لامر كان ما كان ؛ حين لا بد ان ينبعث اذاه من يخالفونه على خط مستقيم ؛ ولذلك حكم عظيمة لا تخفى عن ذوى الالباب وبضدها تتميز الاشياء

قد سحب الناس اذبال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى فى الحب غيركم وصادق ليس يدري انه صدقا

سياحات اخرى كبيرة

فى منتصف عام ١٣٠٤ هـ تكون بين يديه اتباع ينيفون على الاربعين
مامنهم الا من القى قياده له على شرط اهل التربية الاصطلاحية فيقلبه ماشاء
وهو مطاوع ؛ ولايقول له لمة ؛ فانضم الى هؤلاء الاربعين مثلهم من اخوانه
اصحاب سيدى سعيد ؛ فخرج من الغ فى ثمانين عدا ؛ فمر بايت صواب وقد
كان ساح اليها قبل هذه المرة فتكون له فيها بتتبع قراها اتباع ؛ من بينهم الفقيه
المسمى سيدى محمد بن ابراهيم ثم صمد الى جهة قبيلة اداوزكرى ؛ فكان مما
هياه الله له ؛ ان كان رئيس القبيلة راي فى منامه رؤيا بان سعيدا سيقصده
فيسعد على يديه ؛ فاذا بالشيخ نزل بمدرستهم فصادف فيها رؤساء القبيلة
فلم يكذبوا ذلك الرئيس صاحب الرؤيا حتى رسخ فى ذهنه ان هذا تعبير
رؤياه ؛ ثم لماجال الشيخ فى ميدان ارشاده ونشر بزه ؛ فرأى الرءاؤون انه من
طراز آخر غير ماكانوا يعتادون ؛ ايقن ذلك الرئيس بصحة رؤياه فغرق فى
الحين الى اذنيه فى اكبار الشيخ ؛ فاتبعه كل الناس فصار الشيخ يتقرى قرى
القبيلة ؛ وكل رجالها لايفارقونه ؛ فكان الجميع الجماء الغفير ؛ فكانت هذه
الرؤيا اساس محبة تلك القبيلة الزكرية لجناب الشيخ ذكورا واناثا من لدن
ذلك العهد الى الآن ؛ ومما زادهم فيه محبة انهم اقترحوا عليه ان يكونوا
للزاوية خداما ؛ يندرون لها من اموالهم ؛ كما صنعوا لزاوية الشيخ سيدى
محمد بن يعقوب التاتلى ؛ فعزف عن ذلك على عادته فى مثل ذلك مماخلبهم
به فسلب البابههم ومن زهدت فيما بين يديه استحوذت على ما بين جنبه .

فلا ترج الود ممن يرى انك محتاج الى فلسه

وكان الزاهد سيدى محمد الزكرى يحدث عن هذه السياحة ؛ لانهاهى
التي كانت سبب انقطاعه الى الشيخ وكان واعية ضابطا ؛ قال بينما نحن
جالسون فى قربتنا اذ تواترت علينا الاخبار من كل جهة بان رجلا عظيما ظهر
شيخا كبيرا ؛ فقام فى الناس بالارشاد والتعليم والنهى والامر ؛ والتبشير والانذار
وانه ظهر بمظهر جليل ؛ يستحوذ على قلب كل من جلس اليه ؛ اوسمع من مواعظه
وانه مداخل قرية الا اجتماع عليه من فيها ؛ فيسال كل واحد على حدة عن ربه
وعن دينه وعن نبيه وعن امور دينه كلها ؛ وهل يعرف من الحلال والحرام ؟
كان ذلك شغله الوحيد ؛ ثم يقول الناس ان العجيب منه انه لايميل ولايضعر
والاعجب من وراء ذلك كله انه لايقبل من احد شيئا ؛ قال هكذا تدفقت احاديث
الركبان ؛ فشغلت بطرافتها وبالتعجب مما تنطوى عليه من لم يصلهم الشيخ

بعد بطائفته ؛ ولم يزحف اليهم بعد بأسئلة ؛ قال وقد كانت الطوائف الناصرية
اذذاك كثيرة ؛ ولكن عرف الناس كلهم ان العطاء لابد منه ؛ كزيادة تقدمها كل
قرية الى السيد الناصري ؛ عادة ورثها الاحفاد عن الاجداد ؛ فيستثقل الناس
ذلك العطاء الا من كان حسن النية ؛ وقليل ما هم ؛ قال ثم لما ولج قبيلتنا
وشرع يتتبع قراها ؛ انقاد اليه كل الرؤساء ؛ فتعود كل قرية نزل بها موسما
حافلا يحضر الرئيس الاكبر الحاج محمد الاومريي فمن دونه ؛ والناس اتباع
رؤسائهم ثم راح الشيخ الى قريتنا فبمجرد ما القيت عليه بصرى خلبني نور
وجهه وملكت مشاعري انوار تنالق من اسرته - على حسب تعبيره - فنفضت
يدي من تلك الساعة من كل ماعندي فالقيته ظهريا ؛ فطلعت مالي وداري وكنت
بعد عزبا فانساني ما رايت كل ماكنت فيه قبل تلك الساعة ؛ فلم ارجع بعد الى
الدار ؛ بل بقيت في سطح المسجد شاخص البصر الى وجه الشيخ وهو يعظ
ويلقن الاذكار ؛ ثم حكى غريبة وقعت له مع الشيخ اذذاك ملخصها انه كان بعيدا
من مجلس الشيخ ؛ ثم لم يشعر بنفسه حتى وجد انه ازاء ركبته ثم قال انه رد
على بعض الناس مالا قدمه له ؛ فقال له بلطف رده الى جيبك ليكون فيه ان شاء
الله بركة ؛ قال ثم خرجنا من قبيلتنا مع الشيخ ؛ وقد اصطحب اناس من تلك
الجهة مع الشيخ كنت انا احدهم ؛ والحاج محمد ازبابو الايلاني الذي كان له
شأن عظيم بعد هذا الحين في قبيلة ايلالن ؛ ثم نزلنا مع راس الوادي حتى
حللنا بزواية سيدي الحسن التيملي بايرازان ؛ ثم استدرنا الى هشتوكة فالعذر
قال ومما سمعته من الشيخ في تلك السياحة انه قال لرجل واحد نلتقي معه من
كانوا يشتاقون الى من يدلهم على الله ثم لم يجدوه افضل عندنا من ملء الارض
ذهبا ؛ ولا قصد عندنا في كل هذه الجولات الا ان نصادف من يتعالى الى معرفة
ربه ؛ لنهديه الصراط اليها ؛ فهذه هي مهمتنا ومبدؤنا وغايتنا التي لها خلقنا
وفيها نمضي حياتنا (وقد ذكرت ماحدثني به هذا الحاك في جزء خاص من كتاب
(من افواه الرجال) ثم بعد ان رجع من هذه السياحة الكبيرة ساح ايضا الى
ايفران فاداي فايمي او كادير وقد صادف قبولاً عظيماً في فايمي او كادير كان هو
السبب حتى اسس هناك زاويته وصار اهل القرية كلهم من اتباع طريقته الى
الآن ؛ وقد وقعت له في هذه السياحة امور مع فقهاء وغيرهم اختصرنا من ذكرها
لأنها مكتوبة بتفاصيلها في كتاب (من افواه الرجال) كما كلن ساح ايضا في اول
عام ١٣٠٥ هـ الى هشتوكة فادواتانان وقد مر على مشهدياتي السحاب فأخذ عنه
اذ ذاك سيدي علي التتاني المقرئ المشهور ثم مر بمدرسة ايسقال حيث اخذ عنه
سيدي سعيد التتاني الذي كان فيما بعد احد عمد طريقته ؛ ثم مضى قدما في
طائفة كبيرة الى ان وصل السويرة ثم رجع ادراجه ؛ وقد كتبت ايضا تفاصيل
ذلك في ذلك الكتاب والحمد لله مما رويته عن سيدي محمد الزكري وغيره من
قدماء اصحابه .

هكذا كان مفتتح اوليات الشيخ ؛ كان كله عجباً في همته وفي انقياد

الناس له ؛ ولم يمض على قيامه الا قليل حتى انتشر اصحابه في القبائل التي كان زارها ؛ والمتجردون بين يديه يتزايدون حتى ان بعض الالفين من جيرانه يتناجون سرا بانه ساحر ؛ لما يرونه من انقياد الناس له ووطنهم عقبه وهم مشربون ؛ والحقيقة انه ساحر ولكن سحره سحر الصوفية الافذاذ الذين يستحوذون على الافئدة باذواقهم العجيبة ؛ ثم يقودون المسحور ببرته غير ملتفت لما في صرته .

ان الاسود اسود الغاب همتهما يوم الكريهة في المسلوب لالسلب

وكان خروجه لهذه السياحة السورية بعد عيد المولد سنة ١٣٠٥ هـ ورجوعه في اوائل رجب او في اواسطه ؛ وقد صادف حين رجوعه عقيقة اول مولودة له ؛ فتنابت الطوائف الى الغ من التملين والصوابيين وغيرهم ؛ وفي كل طائفة عشرات ؛ فكان ذلك اعظم دليل لدى الالفين على ان الرجل غير من يعرفونهم من بين ظهرانهم من فقهاء كتاب الرقي والتمائم؛ وانه من صنف اخر ولكنهم لم يهتدوا الى صنفه ؛ لانهم بعيدون عن احوال الصوفية الذين يمثل الشيخ دورهم احسن تمثيل .

تجاوزت اكناف السماء تساميا فكيف يرى من يبصرون مكانيا ؟

يؤدي فريضة الحج

كان سما للشيخ عزم الى ان يؤدي فريضة الحج وكان ربما ذكر ذلك في سياحته السورية التي رجع منها وشيكا ؛ ويذكر عنه في ذلك مراء نبوية ولكن كيف يحج ؟ وليس في يده مال ؛ وهل يطير البازي بغير جناح ؟ او تخاض الحرب بغير سلاح

كان لرجل غنى من امانوز يسمى ابراهيم ؛ ولد يسمى محمدا ابرغاش لقب بذلك ؛ فعزم على بعث ولده هذا لاداء فريضة الحج ؛ ولكن لمكانة حسب الابناء من الآباء لم يطق ان يرسله الا مع ثقة يثق به امانة ودينا وكأنه سمع بان الشيخ نهتم بالحج فجاء اليه وعرض عليه ان يصحب ولده وان لايهتم وراء ذلك بشيء ؛ فقال له الشيخ ان كان هذا منك عزيمة ؛ فلا حب انا الا ان سلفني ما اتوقف عليه ؛ ثم يرد عليك كما هو ؛ فاتفقا على ذلك فتيسر الصعب امام الشيخ وراى عناية الله به عزيمة فيادر الى التهيء من يومه ؛ وقد نهضت همم اخرين فقاموا لوجهته ؛ وقد اراد الله ان تبقى تلك الرحلة خالدة فوق الشيخ فكتبها نظما من يوم خروجه من الغ الى ان دخله راجعا ؛ فقيت في مبيضتها واخذت منها نسخة وهي على ما هي عليه من عدم التنقيح فخرجتها ونقحتها وتخيرت لبعض معانيها الفاظا ملائمة بحسب الطاقة مع المحافظة التامة على مقاصدها الاصلية وعلى غالب الفاظها الاصلية ؛ وربما زدت بيتا اوبيتين او

اكثر لاتمام معنى ما ذكر؛ او مبحث تعرض له فجاءت بذلك كله رحلة الغية حسنة مفيدة؛ وهى تناهز ثمان عشرة مائة بيت او اكثر وقد سلك فيها الشيخ مسلك الاسهاب؛ فيصف كل مراءاه وصفا تاما؛ فلنذكر منها بحسب منازلها ملائيسر ملاحظين للاختصار؛ وقد كنا سميناها «اصفى الموارد فى تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد»

يقول فى اوائلها :

الحمد لله الذى سددنا	ولبقاع المصطفى ارشدنا
وءالف القرشيين فى الشتا	والصيف رحلة بها امن اتى
اكرمنا بنعمة الايمان	بخير خلق الله والقرءان
وارسل الرسول بالبشارة	مصرحا بها بلا اشارة

ويقول بعد ابيات كثيرة

فى عام «شسه» (١) ويوم اثنين	يز (٢) بشعبان لقيت يمنى
خرجت من بلدنا وقت الضحى	والبين قد ابدى الاسى واوضحا
وفى القلوب حرقه الفراق	وانما يسلى رجسا التلاقي
ان الفراق قطعة العذاب	بل كله عند ذوى الاحباب
قد جرع الاخوان بالتشيع	كاس المرارة لدى التوديع
فمنهم الحائس والولهان	ومسبل الجمان والسكران
لكننى ودعتهم لله	فليس عن ودائعى بساهى
ورجعوا والدمع فى المحاجر	كانه منتثر الجواهر
وبعدهم لم يزل الفقيه	اخو العلا السמידع النبويه

الى آخر الفصل الذى ستجده فى ترجمة الاستاذ سيدى على بن عبد الله الالغى الذى هو المقصود هنا؛ وبعده الابيات المتقدمة فى ترجمة صنوه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله؛ ثم بعد ذلك كله نجد ما ذكر فيه الحاج ابراهيم الايفسانى؛ وستراه بحول الله فى ترجمته ايضا؛ ثم ما ذكر فيه الاستاذ احمد الزيمامى؛ وستراه فى ترجمته ايضا؛ ثم قال وقد نزل فى ذلك اليوم الاول فى تازروالت عند سيدى ابراهيم ابن صالح الشريف

وكل واحد نوى التشيعا	لم تقبل النفس له الرجوعا
ثم حدا الحادى بذاك اليوم	بنا فودعت القرى وقومى
فارتحل الركب بنا سيرا الى	زاوية الشيخ طفاوة العلا

سيد احمد بن موسى قاصدين	اخص احباب لديه نازلين
من انبات اخلاقه ووصفه	وعلمه وعقله ولطفه
بانه المحفوف بالعبادة	وانه الموسوم بالولاية
ذونسك وورع وزهد	وعفة وسنة ورشد
نجل لذاك الشيخ نعم الولد	والشبل في المخبر ذاك الاسد
اسمه ابراهيم نجل صالح	ولم يخالط قط غير ناصح
وكان هذا اول المراحل	نزله فنيل خير نائل
فكل ما اشتتهه نفس النازل	تناله اليد بلا مناول
وفي الصباح كنت في صباح	في ذكر اهل الخير والصلاح
فاهتز رب الدار بالحب ومال	والحب في الله دوام الاتصال
وارسلت امه خاتما الى	لكي يزار قبر سيد قصي
وبعد ما اوصلته لقبته	ازرته فيها فجاء لربته

ثم قال وقد نزلوا في اساكما عند الابلاغيين

ثم جللنا اسكا فرحبوا	بنا وفي ثاني المبيت رغبوا
فشكرت السننا احسانهم	بطلب اصغوا له اذانهم
قلنا لهم احسانكم ان تطفئوا	نيران فتنة بكم تنطفئ
فقبلوا ثم وفوا فغدروا	فهبت الريح لهم فنصروا

ثم قال وقد نزل في المعدر مسكن شيخه سيدي سعيد

ثم الى منبع عين سرنا	وجنة تلالأت في دهرنا
ومركز السر وخير الامكنة	وزهرة الدنيا بهذي الازمنة
موطن شيخنا السعيد الاسعد	شيخ المشايخ الامام الاوحد

ثم اطال النفس في احوال شيخه ؛ وسترى ما ذكره فيه حين تقرأ ترجمة شيخه هذا في (القسم الثالث) ان شاء الله ؛ وقد تقدم فصل عن هذا المكان عند ذكرنا ما وقع له يوم ملاقة شيخه ثم قال بعد ما اطال

اثنى العنان للذي فيه الكلام	من المراحل الى خير الانام
بداد شيخنا نزلت ظهرا	فانتعش القلب لديه جهرا

الى ان قال عند الرحيل من المعدر الى ماسة وكانت ماسة احب بلاد الله اليه في سياحاته لما يناله فيها هو واصحابه من النقشف والفاقة ؛ والفاقات اعياد المريدين (كما يقول الصوفية)

حصل بالوداع مثل النفيخ
نزل ركبنا بحصن الواقعة
منبع اهل الله حقا جهرا
ما قاله من كان حلف خبير
سرا من الاسرار منه بعنا
قلبي لها وحبها قد سننا
كلهم ذوو صفا الالباب

وبعد ما زرنا ضريح الشيخ
منه لماسة بحصن الساقية
ماسة موضع الكمال طورا
من كان من اهل القلوب يدري
رايت مرة بها اذ سحننا
وتلك لي الاولى بذاك حنا
فكم بها من جملة الاحباب

الى ان ذكر ان من هناك كان رجوع من شيعوه من اهله

كذا ابو سالم الحب العلي
ينشر اذ تودع الاخوان
خير نصوح للفتى المسترشد

منها اثنتي الفقيه سيدى على
قد حصل الفراق والجمان
فرجعوا مع الزمامى احمد

ثم ذكر نزوله في المزار بقبيلة كسيمة ازاء اكادير

لدى احبة عزيزى الجارى
اهل المحبة لنا والغير
مقدم لديهم بكل زين
عند نزولنا وما ذا يعمل ؟
فزال ما بنا لديهم من عنا
غاية مايكون من اكرام
بشرى رايت ملك الاسلام
ابا على نجل سيدى على
مرحبا بنا بوسط اهله
وكل ما اشتيتهم ابحت
مفضلا بقلبه وحسه
لحبه سلوك ذا السلوك
الصنو ابراهيم افضل رفيق
ولطريق القوم ذو اقتفاء
فرجع الكل الى البلدان
كانت لنا حاملة الاثقال
حمارة وناقة حمراء
تبا له من معبر ذى بوس
كيلا تكون راسبا في قلبه
الا المجربون بالطفيان

منها ارتحلنا الى المزار
جيران وادى سوس اهل الخير
ثم حللنا دار سيدى الحسين
وكلهم لم يدر ماذا يفعل ؟
لفرط ما بهم من الحب لنا
واكرموا ثلاثة الايام
وعندهم رايت فى المنام
سلطاننا سيدنا المولى العلى
فى غاية الفرح فى منزله
فقال مذ خرجتم فرحتم
وقام فى خدمتنا بنفسه
فاولت بملك الملوك
ومن هنا رجع عنى الشبيق
وهو باهل الله ذو اعتناء
ومعه بعض من الاخوان
فرجعوا بمركب البغال
ثم الى السويرة الكراء
ثم ثلاثا صد وادى سوس
اياك ان يسئل فلا تعبر به
ولم يكن يهلك فى الوديان

ثلاثة ما منهم امان
ومعنا في قطعه احباب
انا على البغلة وهى تقطف
والصنو عبد الله كان راكبا
لانه وبضعة من فقرا
فتعب الكل بهذا القطع
وفعل واد ليس فعل النحو
يعمل فى معموله بسيله
وكل ذى عقل وخذن حزم
فليقطع البر لراس الوادى
فهو يرى جميع ماكان يشا
من ملابس ومفرش ومشرب
لان ما فى ذاك من عمارة
ومن ردانة لفوق سرى
الا الامان انه مكفون
ولا يجوز نبشه من قبر
ولم يخلف وارثا فاشتغلوا
هواهم اهوى بهم فى المهوى
والحكم للغالب لا للنادر
اما الصلاة فمن الرجال
وادبهم يذهب بالابدان
فارتكب الاخف من ضرين
وبعد قطعنا شكرنا شكرا
وكلنا زار ضريح سيدى

البحر والسلطان والزمان
لولا هم تقطعت اسباب
وكل من معى اليها يعطف
فرس بعضهم فكان اثبا
قد ازمعوا ان يقصدوا ام القرى
وبعضهم اشفى به للنزع
ان كنت ذا عقل وحلف صحو
الخفض فالنصب برفع رجله
فلا يطالب قطعه بعموم
محاذى الضفاف فى البوادرى
من فجره الى حنادس العشا
وماكل وكل خير يجتبى
اضفت على السكان حسن الشارة
كل الامانى لديه فى القرى
بسبعة لديهم مدفون (١)
معروفهم هو عظيم النكر
بنقض عهد الله فيما عملوا
اسرع بهلك من اليهم اهوى
بلادهم تعمر بالبنادر
قليلة فكيف بالعيال
وجهلهم يذهب بالاديان
والويل اهون من الويلين
فى حصن منكب وصلنا الظهرا
ابسى القنادل بشوق ازيد

ثم ذكر نزولهم ذلك فى اودير ثم فى ايت امر ؛ واثنى عليهم وذكر انهم
خيار الحاجيين ؛ ثم فى تمار حيث دار القائد المحجوب اذذاك ؛ ويقول فى ذلك
ويذكر ما وقع له معه :

ثم الى المحجوب من عمال
مرامنا البيع لبغلة لنا
ومثلها يحبها العمال
قبل طلوع الشمس قد طلعا
حاجة وهو من ذوى الافصال
عل بنقده نلم شملنا
وعندهم قد توجد الاموال
لكن من الدخول قد منعنا

(١) ضمن هناك التعبير العامى الذى يعنى بسبعة اكفان المبالغة فى
مواراة الميت وتغيبه عن الانظار

وشددت حجابہ علینا
 فابوا التقريب والترحيبا
 طال بنا الوقوف ثم ملنا
 نقبل كل ذاك بالافراح
 وكان عنده الكثير الفقهاء
 لم يدر ما يفعل وهو ضيف
 نحن ذوو زاد وهذا الصيف
 لموضع في خارج قد ملنا
 شيئا من الوعظ لهم فاذنا
 بعد الصلاة نظروا ما يعمل
 لكي نبين احسن البيات
 فقبل لي سلم عليه حينما
 لانه من خارج بمعزل
 فقام للدخول بعد المغرب
 وليس يجترى عليه احد
 حاجبه يقوم ليس يجلس
 يرعى له بطرفه الخواطر
 وكل من كان بتلك الحضرة
 فجل اادابهم الظواهر
 فقامت امشي فتلاقيت معه
 فدخل الدار بغير رد
 فدخل الكل ونحن كنا
 الى ورا العشا وقد نسينا
 جاء الينا حاجب محبوبه
 اتفق اللفظ مع المعنى كما
 فقال قم فسيدي يدعوكا
 وذاك انه جرى في النادى
 ان قال بعض الفقهاء ها هنا
 بالعلم والصلاح والخيرات
 فاستسمنوا بظنهم ذا ورم
 فحسن الوصف باذن العامل
 فقال للحاجب قم فات به
 فقامت في الحين بقصد الوعظ
 وجدتهم في قبة مصنوعة
 واذا راني زال عن منصته

وسددوا رماحهم الينا
 واثروا الاقصاء والتانيب
 الى الجدار ثمت احتلنا
 من ربنا الفاعل بانشرح
 عرفني من بعضهم ذوو النهى
 رجاء شيء من لدنه حيف
 نبين حيث لا يكن سقف
 مع جميع الفقهاء ؛ وقلنا
 اذ ان مغرب فقالوا امنا
 من حيلة يجنى بها المؤمن
 مع جميع الفقهاء السادات
 يريد ان يدخل كيما يعلمنا
 عنا لدى الصلاة قرب المنزل
 والناس منه في هوى ومرهب
 كانما يخطر منه اسد
 يلزم العوس ليس ينبس
 وكيف ان اشار بالظواهر
 قلبه انتشى بتلك الخمرة
 وفي بواطنهم المناكر
 مسلما فلم يرد ان يسمعه
 سلام من سلم ؛ بل بالصد
 تحت الجدار وبه انسنا
 تحت الجدار ما راينا الكنا
 وافق حقا اسمه محبوبه
 ترى وسبحان الذي قد قسما
 لاكان من ياسيدي يجفوكا
 وهم يجولون بكل واد
 فلان من فضله الهنا
 ووعظه يطير بالمهجات
 ونفخوا وهما بغير ضم
 فاشتاقا نينال خير نائل
 نستفيد من سنا مطلبه
 له بحالى اولا واللفظ
 بزينة وفرش مرفوعة
 يشير بالجلوس في اريكته

مرحبا بقلبه وقال به
فهو كالقلب وهم كالجسد
فقلت اذ رايته قد اقبلا
ليس سبيل للكلام غير ان
فقال لي اهلا بنصح الله
فقلت للحاضر من رعيته
هل انتم تاتمرون طورا
فقال كلهم ا نحن نهمل
فقلت ان امر بالخمس لكم
فابتدورا بقولهم لوامرا
فقلت للقائد هل انت ترى
فكل من ترك في حكومتك
في سائر البلدان اذ حكمتا
ضيعت دين الله في احكامكا
ان الفريضة عمود الدين
فقد رايته من بحول داركا
احسن كونك عاملا ولا
بالوعظ والضرب وقتل الحد
انت خليفة الامام الاكبر
فارسل الرسول للمؤذن
فقال من لا يرد الصلاة
من ضربنا وجسنا وكل ما
فقلت تبني مسجدا في الداخل
فقال قد وعدت بالبناء
ففرح المجلس والاسماع

وقال كل مرحبا اذ قال به
مبتدرون ان اشار باليد
وكان للنصح له مستقبلا
رايت نفسك بنصحنا فمن
جازاك عن نصحك لي الهى
ومن بناديه من اهل طاعته
نهيا اذا نهاكم او امرا ؟
منه الاوامر اذا ما تقبل ؟
اتركون في الوقوت شغلکم ؟
بالعشر اديت بوقت امرا
من الذنوب ما عليك في الورى
اي صلاة فهى في رقتك
عليهم جهلت او علمتا
وهى عظيم ذاك في اسلامكا
كما رووا عن النبى الامين
تركها بله بنى جواركا
تجعل في الصلاة ذاك العملا ؟
وذاك في الدين تمام الجد
فانت بالتنكيل في ذاك حرى
فجاءه في الحين فورا لم ين
اعلم به فلن يرى النجاة
يرده لها الى ان ينعمنا
تجمع فيه مع كل داخل
له بهذا العام بلا مراء
وفي الصباح حصل الوداع

ثم ذكر انهم باتوا عند انسان آخر
وقد كان له معرفة بالشيخ وقد كان ألم بداره في السياحة السورية المتقدمة
وهو الذى يقول فيه :

ثم هنا لآخر اخينا
مرحبا غاية ما ترحيب
وتلك شئشنته لكل
ابى على قائد النكفانة
سياسة حنة وطبع
قد كنت قبل ذا بشهر رحنا

في صحبة صحت ولن تينا
ومفضلا بنعم وطيب
عادة اهل المجد اهل الفضل
فالبشر منه الخلق والطفة
لانت به اصوله والفرع
لديه بالاخوان حين سحنا

فكان ان وصيت عن بناء
فالآن قد وجدته مكمل
في اليوم الاول لنا برمضان
فكان دائما به يصلي
وهكذا فلتكن العمال
مسجده في الدار باعثناء
فكان ان صليت فيه اولا (١)
وهو كما رووه افضل زمان
هو ومن معه وكل الاهل
اولا فهم على الورد وبال

ثم ذكر بعد ذلك سيدى عبد الله النجار من اصحاب الشيخ المسمى
وما جرى له مع شيخه ؛ ثم الى السورة ويقول في ذلك :

ثم ارتحلنا بعد للسورة
نزولنا فيها لدى اجله
رباطهم احسن به مكانا
ينسى بحسنه لك الاوطانا
مع الذين فيه من كرام
وكان قطب جمعهم لله
خديم اهل الله حيث كانوا
سواد عين مقلة الاحباب
اخلاقه علت به ذرى العلا
افضى به عند اللقاء الفرح
يتابع الانعام والمثونة
واهل داره على الدوام
اعنى اخا الكمال سيدى عمر
وهو الموقت على السوييرة
ونحن في الصوم وفي الهجرة
احبة اعزة اهله
تملاه اذكارهم الوانسا
ان كنت ناجيت به الرحمانا
يجنون ما يراد من مرام
من فكره دوما على انباء
محب اهل الخير حيث بانوا
ومنه نور مهج الالباب
ووليت منه المكارم ولا
حتى ارتمى بالشوق منه الشبح
مدتنا هناك والمعونة
بزادنا اشتغلن مذ ايام
امه ؛ مشهور بذاك كالقمر
الطيب السمعة والسريرة

ثم اطل الكلام حول السويريين ؛ وفي ذلك مناظرة بينه وبين فقيهه هناك
يغمز الصوفية ؛ ثم ذكر كيف اكتروا في الباخرة ومقدار الكراء فقال :

ثم لبثنا خمسة وعشرة
ولم نزل مدتنا المختارة
تاتى لقصد سعة المبرة
لان ما يركبها الحجاج
ثم اتت فسار سيد الى
فقال لى وكيلها النصرانى
غيرك بالخسة من ريبال
لدى السوييرة بطيب عشرة
منتظري سفينة التجارة
فى الدين والدنيا بلا معة
تضيق حتى يكثر اللجاج
وكيلها مرغبا ان يقبل
تركبها انت بلا اثمان
لطنجة وذا بلا مقال

(١) كذلك بنى المسجد فى دار القائد المحجوب المتقدم فى الحين
فالمسجدان عامران الى الآن ١٣٨٠ هـ

فقلت للخمسة من اصحابى
فرجعت بذا الى اربعة
لم يفعل الوكيل ما قد فعله
نقسم ماترك كالأحاب
مع سدس لواحد فى العدة
لله بل الهنا قد عمله

ثم استترد ان العمل لوجه الله الكريم بالاخلاص لا يصدر الا من موحد
عرف الله ؛ وجال فى ذلك حتى ذكر الديانات ؛ ثم ذكر حالة المسلمين اليوم
من لزوم اداء الصلوات فقال فى اهل سوس ومن اليهم

ولبنى سوس من المغاربة
واهل (ولتيت) عليه جبلوا
فاقوا بذلك اهل سوس
فاقوا برغبة لدى التدين
وبجاء فى النساء لايزول
وعفة ورأفة ونيّة
وقلة من الحطام الفانى
فهذه الخصال قد فازت بها
ثم بهم يمتد ظل الدين
جميع من بحوزهم قد وصفوا
يقر جيرانهم بذاكا
وذاك ظاهر وقد تبيننا
ذاك ومن كانوا جوار سوس
فاقوا كذاك غيرهم ثم كذاك
جيران اهل سوس فى الحدود
فجل تر الاسواق والمداشرا
من كان فى مخدع امه جهل
وذاك جهل منكر خصوصا
ثمت اهل المغرب الاقصى هم
جميع اهل الشرق اما قيسا
فبدونا اعرف بالاديان
وذاك كله شهير يذكر
وقد رايت ذلكم عيانا
وذاك كله بنسبة القورى
اما المدائن فقد كفى الورى

جد علوا فى الدين منه غاربه
من ضمهم سهلهم والجبل
طرا؛ واين الرجل من رؤوس؟
والزهد فى الاكثار والتزين
ورثه فروعهم عن الاصول
وهمة كهمة الصوفية
وكثرة الخوف من الديان
(ولتيتة) فى كل ءال شعبها
فى كل ما يلى من القطين
بوصفهم وبهم قد شرفوا
اذ ادركوا من يمنهم ادراكا
والصبوح لا يحتاج ان يبيننا
افضل فى الاركان والاسوس
جيرانهم ايضا فحقق ما هناك
فاقوا جميع الغرب بالشهود
فقد غدا الفرق كصبح ظاهرا
كل الذى بدارها لم يتصل
ان كان عن ذى قدوة منصوبا
فى الدين بين غيرهم تقدموا
بهم يقال بيس بيس بيسا
من بدوهم للحفظ للقرآن
فى كل مجلس تراه يوتر
ثم اختبرت امره ازمانا
فى الشرق والمغرب من غير اقترأ
فى المدن امتى وبعض فى القرى

(١) ينسب حديثا وليس بحديث

ثم قال حين يودعهم السويريون

ثمت ودعنا هناك الصحبا	ثلهم مستصحين الربا
وكل من تلقاه فى السبيل	يزور منا زائرى الرسول
تبركا بالنية المستصحبة	والكل قد اعل بشوق منجبه
والدين مهما خالط القلوبا	فجر من شعابها السيوبا
وكل قلب لايلين بالوداع	حتى يهم فى الضلوع بانصداع
فليس بالممكن بعد ان يلين	بل هو كالصفحة فى الطوداثرصن
حد التبرك بنا ومثل ما	ذكرته من الغليل والظما
ومن تشوق ومن عويل	عند مرور زائرى الرسول
سيف السويرة فمن هناكا	غادرت ذاك الصيد والشباكا
ثم اتى دور المحاسبات	وقول هاك فى العطا وهات
وليس بعد لك من مصحوب	الا الذى خبات فى الجيوب
فكل من تلقاه فهو طامع	منك اذا ساهلت او منازع
فانت من يزور بالدراهم	لكى ترى خير فتى مساهم

ثم حث على كثرة مد اليد ؛ وعلى كثرة النفقة فى هذا السبيل خصوصا فى سكان الحرم حيث الضعف البادى واكياس الحجاج من منتجات الحاضر فيه والبلدى ؛ وذكر ان التكفف من كل من رءاهم فى الطريق وفى الحجاج متصل لم ينقطع ؛ فلا بد من مد اليد بما امكن

وليس فى جميعها انيس	الا دراهم حواها الكيس
لكنما الانفاق بالاجمال	للسفر من محاسن الاحوال
لانه يجعلهم فى الراحة	وهكذا الراحة بنت الراحة

ثم ذكر كيف ركبوا الباخرة ؛ وقد اشتغل كل واحد بنفسه

ثم ركبنا فى ضحاء الجمعة	سفينة طويلة موسعة
فقلت باسم ربنا مجراها	فى بحرها وباسمه مرساها

ثم وصف السفينة وهى اول مرة رءاها فى عمره

وحيث اجريت العيون حولها	ولوحها وطولها وطولها
وشمت مالها من الكيفية	وحركات سيرها الخفية
وجدتها اكبر ما بطنى	حيث استبنت سرها بعينى
ان يد من اوصافها لسانى	فليست الاخبار كالعيان
فذرعتها كانه فى الطول	ذرع الثلاثين على المنقول
وعرضها حقا بخمس عشرة	من اذرع ان لم تفقها كثرة

الفين او ازيد بل لا تشيع	فيها ثلاث طبقات تسع
بلا اهتزاز السفن الجوارى	سارت بنا في وسط النهار
كانما نجلس فى السرير	وغير دوخة ولا فتور
اكثر ما اكون بين المدن	وجدت فيها صحة فى البدن
وجوها واكلها وماؤها	لاننى وافقنى هواؤها
بشهوة قد وافقت ما فى الحشا	فصرت اكل جميع ما اشأ
والسير فى اليم كمر الطيف	وكان هذا الوقت وقت الصيف
مع القيام ان تحل الساعة	ونجمع الصلاة فى الجماعة
من فضل ربنا الذى نفى الاذى	مع الوضوء دائماً وكل ذا
حفظ الديانات لنيل الظفر	لان همى كله فى السفر
احب كل سفر متمما	فجاء ذا والحمد لله كما

ثم ذكر مرورهم باسفى ثم حمد السفر فى البحر واثنى على السفن
التي تريح المسافرين براحتها ثم تبلغهم ما يريدونه بسرعة ثم ذكر مرورهم
بالجديدة ؛ فذكر طرفا من تاريخها ؛ ثم ذكر ايضا البيضاء فوصفها ايضا.
ثم ذكر مرورهم بالرباط وسلا فقال

كدرتين فى جبين يجتلى	ثم بدا الرباط فى جنب سلا
يسع ما يلج من سفين	بينهما نهر كما التنين
على اشتغال اهلها علامة	وكثرة الزوارق العوامة
وبعضها نزه من فى المدن	فبعضها يفرغ ما فى السفن
تعلو وتسفل كمن فى السكر	لكنها ان ولجست فى البحر
من موجها ان جاشت المياه	وذاك من شدة ما تراه

ثم ذكر ان الرباط مبتدأ ما يطلق عليه الغرب كما انه حد ما يطلق عليه
الحوز المبتدىء من الحمراء ؛ ثم ذكر اناسا ركبوا من هناك فوصفهم وصفاشيقا
واثنى على همة بعضهم حين استصحب معه ولديه للحج ؛ كما ذكر منهم آخر
استصحب حليلته فذكر ان الشوق هكذا يكون وان الصابة الى زيارة المشاعر
الدينية وقبر النبی صلی الله عليه وسلم هكذا يسطع اخلاصها فتنهض بالمال
والاهل وتنسى كل شىء دونها

ثم يخوض فى العدا الشفارا	ايلىج المتيم الاخطارا
كيما يواصل الاالى هنالك	ويعرض الحوباء للمهالك
جالس من حبه فى القلب اتقد	ويتمتع بلمحة وقد
ان كان من حب النبی فى ظما	ثمت يكسل الذى قد زعما

ثم ذكر ان الحج اليوم من اسهل ما يكون فالباخر المريضة السريعة الآمنة تدرك بها الاغراض؛ واين هذا مما كان من قديم حين تجاب الرياحي المخوفة ويكون الحاج في برقة على مشقة هائلة ؛ غير ان السلف مع تلك المشقة اكثر من اهل هذا الجيل حجا وماذا الا من كثرة ايمانهم واخلاص طواياهم ؛ ثم ذكر مرسى العرائش ثم طنجة ثم وصف برالاندلس -اسبانيا- وادسل زفرة على فقدان فردوسه انعجيب ؛ فذكر القرن الذي سد فيه دونه الباب عن الدين الحنيف ثم استطرد الى امتداد الاجانب الى هذا البر أيضا ؛ فاثني على الذين نافحوا ما نافحوا دونه ؛ كالسعديين والترك ثم ذكر بني السنين الفرنسيين الذين امتدوا أواسط القرن الماضي الى الجزائر فوصفهم بالقوة والسياسة والحيلة وبتنظيم دولتهم ؛ فعلل ذلك بسرعة تمكنهم في البلاد ثم قال ماهدنا الا من استنامة حكوماتنا الى الراحة وتركها الجهاد ؛ ثم اشار للحديث الذي يلهم بان كل امة تركت الجهاد ؛ ولازمت اذئاب البقر فانها اهل للصغار والذل ؛ ثم ذكر ان تونس وقع بها ما وقع باختها الجزائر ؛ فلم يبق الآن الا طرابلس الغرب والمغرب الاقصى في هذه الجهات ؛ ثم قال

رجع بنا الى الذي تركنا فللحديث طرق يسلكنا

ثم ذكر ان بعض اهله نزل من هناك ليمتطوا سفينة اخرى وبقي هو لان نيته المرور بتونس ليصل رحم احد قرابته انقطع هناك ؛ ثم ذكر سبته وذرف عليها دمعة ؛ ثم ذكر وصوله لجبل طارق فاجرى بعض ذكريات عنه ؛ ثم ذكر قدر المال الذي نزلوا به من الباخرة على الزورق ثم قال بعدما ذكر دخولهم للمرسى في جبل طارق

فاذ نزلنا ودخلنا في الزقاق	دير بنا حتى غدونا في نطاق
قد حلقوا جميعهم علينا	وطرف كل شاخص اليينا
كاننا قرودة في الملعب	ومن يشم زيا غريبا يعجب
ثم النزول كان في الاصيل	قبل غروب الشمس بالقليل
فحرت في المنزل كيف يوجد	ومن نومه ومن نسترشد
ومن يذق قبل اغترابا يدرى	كيف يرى الغريب وسط قطر
وليس في الجبل غير الكفر	سكني ولا مسلم فيه ندرى
قيل جميع المسلمين يطردون	من الازقة ؛ لذا لا يوجدون
قد زعموا انهم لصوص	والله يعلم من اللصوص
سرنا وكل ما يهم المنزل	اذا بصائح بنا ان اقبلوا
فرجع الكل اليه واقفين	فناول الاوراق كل الواقفين
فكانت الاوراق اوراق الدخول	من لم يحز منها فماله دخول
ثمت جزنا الباب والاوراق	تمد حتى دخل الرفاق

فظلت اسأل عن القنصو الذى
فهو يسمى عند كل سعيد
قد كان رقا للذى كان هناك
فخلف السيد فى المقام
جئنا اليه غرباء معلمين
فقام مسرعا يفتش كما
وذاك ما يدل ان كان له
كنا «يح» (١) اصاحبا اخوانا
ولم نرد تفرقا فوجدا
خمس ليال قد عزمنا المكثا
وينجب الربيع لكل ليلة
ثم هناك ما يكون اعالى
وقيل ليس موضع فيه الغلا
وذاك كله من اجل الثروة
ديارهم جميعها قصور
كذلك الاسواق جمعا بنيت
فيدهش المبصر مما ابصرا
تقول زهرة الدنا باسرها
ازقة قد فرشت بالعود
كانها فرشت احسن القصور
اما نظافة الظواهر فلا
لو رزقوا نظافة البواطن
لكنما الدنيا لهم جنات
ولاغترارهم بها اجتبوها
فاقبلت عليهم اقبالا
لكن من دخل هاتيك القصور
فليس يرتاح الى العشاء
فعربات الخيل والبغال
ولست تسمع كلام صاحبك
وكل بنت من بنات الكفر
وكل من يريد الانتقال
كذلك من يريد نقل الامتعة
وكل زبل بالمدينة وما

ياخذ امر الناس خيرا ماخذ
خليفة السلطان مولانا السعيد
قبل فاعتق فزحزح الشباك
فكان من افاضل الاسلام
بما اردناه من النزل الامين
يفعله لسيد من خدما
مع ربه اخلاص ما عمله
ونبتغي جميعنا مكانا
نزل به «يه» (٢) من ريال عددا
هناك فى جبلهم واللبثا
وذا غلاء ما سمعنا مثله
من ذا الذى كنا ذكرنا قبلا
نظير من قد سكنوا ذا الجبلا
وما لهم من جاههم والقوة
كجنة لو كان فيها الحور
مثل عروس يوم عرس جلوت
مما يفر كل من قد غررا
واتتهم بسرها وجهرها
والكنس من طبعهم المعهود
للوافدين يوم انس وجبور
تسل فشانها لديهم قد علا
بالدين كانوا خير كل ساكن
لهم بها النعم والمنيات
ثم حبوا فى الحزم ما حبوها
ولم يروا من وصلها مطالا
وكان من فراشها له المرور
لما يصمه من الضوضاء
ترتج فى الانهر والليالى
من كثرة الهز الذى بجانبك
تركب فوق عربات تجرى
ينقله ذو العربات حالا
فانها تنقله وما معه
بيده يرى بها نقلهما

فهكذا كفوا مؤنة العمل	مد قربت اليهم كل الامل
لذا تراهم والرؤوس في السما	كان كلا منهم ابن ما السما
حقا لهم مقامة فخيم	لو كانت الدنيا لهم تدوم
لكنهم وما اشد جهلهم	قد اهلكوا انفسهم واهلهم
اذ حرموا اتباع دين الحق	والرشد والخلق معا والصدق
لكنها الاديان بالهداية	من يهده الله يسدد رايه

ثم ذكر انه ركب سفينة اخرى الى مالطة ليتمكن له المرور بتونس فتبع ايضا وصف السفينة وكم فيها من اذرع ؛ وقال انها اكبر من اختها وقال انها مدينة جارية على البحر

فجملة القول لمن سيدري	ان هذه مدينة في البحر
لاتحسن الوصف ان فيه غلو	فيعلم العلام ان ليس السغلو
فكل ماتسمعه عن السفن	فلاتكذب ما وعت منه الاذن
فليس راء مثل من قد سمعا	ولا الذي يجهل مثل من وعى

هكذا يقول لاهل بيئته الذين يعجبون مما يسمعون من امثال تلك الاوصاف وفي هذا الوصف ذكر ايطالية واسبانية وفرنسة وانكلترة ؛ ووصف كل واحدة بما وصله علمه ؛ ثم ذكر ان العيد ادركه في نواحي مالطة واليوم يوم الثلاثاء قال والعجب ان التونسيين عيدوا يوم الاحد ؛ مع اننى راقبت انا بنفسى الهلال ليلة الاثنين فلم يظهر مع صفاء الجو فكيف يمكن لهم ان يعيدوا برؤية الهلال ليلة الاحد ؛ والمحل الذى راقبت فيه الهلال يحاذى سواحل تونس ؛ ثم قال بعد ما ذكر كل هذا :

فانظر الى اختلاف اهل الزمن	من قلة اعتنائهم بالسنة
لم يبق حتى الوهم فى ذاك وقد	روقب صحوا يوم سبت واحد
وما جرى للتونسيين سوى	ان تبعوا الحساب دوما باستوا
صاموا بيوم جمعة فى الابتدا	فاستيقنوا الهلال فى السبت بدا

ثم ذكر مالطة فوصفها على عادته وصفا مسهبا ؛ كانما القارىء يراها وقد الم بالغلاء فيها فقال :

دجاجة برربعين ترخص	وليس فى اسواقهم مرتخص
وعندهم صنف من المعزيباع	بعشرة ومن شرى ادعى الضياع
عشر ريات ويدعى الضياع ؟	فانها اشريفة لاتستطاع

يتعجب كما يتعجب اهل المغرب كلهم من هذا الغلاء ولكن ابنا اليوم واواخذ ١٣٥٨ هـ يشاهدون اعظم من هذا الغلاء فى المغرب نفسه ؛ بل فى قرية صاحب

الرحلة نفسها ؛ فالدجاجة اليوم بريالة ونصف وبريالتين (١) والعز بنحو
خمس وعشرين ريالة فرنسية بله النعاج التي بلغت خمسين في بعض النواحي
عش رجباً تر عجباً

ثم وصف بياتهم فيها فقال

بتنا بها باقبح البيات	في قبر عود كدوى الممات
لأننا لم نرد الغلاء	فهل نمد (ربعا) كراء ؟
وذلك القبر على ضيق به	امتد كلنا به لجنبه
وذاك كل ما يحب المعبي	ان الفضول خلق اهل الفسى
واننى فى البدو قد الفت	صبرا ان اضطجعت او وقفت

ويقول في وصف ضبط الماطيين :

فلهم الحزم على الدوام	فى كل ما يفعل للتمام
قد نظموا الامور بالتوقيت	فانتظمت لهم على الوقوت
فكل من فعل شيئا يسجن	بقدر فعله وما ان يفتن
ففيهم المسجون مدة العمر	او مات جيفة كجيفة الجمر
مع عسكر مشمر مصفف	ملفف مزوق مخفف
كأنه فى لبسه الدبى (٢) وقد	يظهر كثيرا وهو قل فى العدد
يقف او يمشى على المزامر	فصوتها الناهى لهم والامر
ولهم خان فخيم فاخر	حاطته فيما قدروا مفاخر
وعرباتهم تقاد بالخيل	وانها فى جريها مثل السيول
فتلك مالطة وذى اخبارها	قد استنارت فى الدجى انوارها

ثم وصف بعض حدود البحر الابيض الجنوبية والشرقية ؛ ثم قال

ثمت لم نبت بها اكثر من	ليل طويل ضيق الجحر خشن
كانه موج علينا سدله	ارخى ليمطر علينا ويله
وفى النهار سار فلك قهقرى	بنا الى تونس انس من يبرى

ثم وصف المركب ومن فيه فيقول فى الراكبين وفى اهل المركب

ترى الجميع فى الصباح قائمين	بالفسل والتجفيف غير نائمين
كان ذاك هو فرض الصبح	ادأؤه سبب كل نجح
وتلك عادة لهم مستحسنة	حسنة بالطبع اى حسنة

(١) ثم فى ١٣٨٠ هـ باكثر من مائة وعشرين ريالا ومثل هذا يقال فى الغنم وفى غيره
(٢) الدبى بفتح الدال ولد الجراد

مجتمعين ثم لاضراراً
عاذل كيف كنت يدي العذلاً
في ملبس ومشرب ومطعم
كانوا على الاطلاق ليس شيئا
حال شريفة وحسن مطلع
اقبح مايكون عند الناس
في كثرة وسرعة مختصرة
بينهم فذاك مما ارتضيا
فالقصد ان يمتلى السماء

كنا مع اليهود والنصارى
كل له دين وعادة فلا
لكن خير عادة للمسلم
اقبح بعادة النصارى ايا
ليس لهم في منظر ومسمع
صورتهم في حالة اللباس
وحال اكلهم كاكل البقرة
ليس لمن يجهر بالاكل حياء
فعزلة وخلطة سواء

ثم وصف انسانا من هؤلاء رءاه يلتهم مايين يديه وصفا عجيبا نعجب
نحن حين يصدر مثله من الشيخ الصوفى الوقور قال :

يلتهم الخصى التهام الذهب
وهم بلحظهم لديه غائصون
يقرض منهما بموسى قطعاً
مقدار شبر فيه او هو الطويل
يلقم فاه قنقذا ملمما
يحصل منه قبل زرد ما يراد
في لحظة ثم انثنى لغيره
او خاف ان تنسد للطعم السبل
ان فتح الشدق لآخذ اللقم
متى اجيلت في وجوه من حضر
من صنعه والوجه منه اعجب
بعد صلاة وقراءة «السم»
يسمعها اذ لم يمتع طرفه
وتمتع السامع الاخبار

وقد رايت واحداً في المركب
والحفل كلهم اليه شاخصون
وفي يديه الخصى والخبز معا
وورق الخصى غليظ وطويل
يقطعه والخبز قطعة كما
فقلت ان المضغ واف بالمراد
اذا به يبلعه بأسره
وهكذا كانا جن الرجل
وهو بنفخ كاحتدام الضرم
هذا ومقلته ترمى بشرر
كنت امامه فصرت اعجب
فقممت في الحين فامسكت القلم
اثبت للسامع هذى الطرفة
فربما حرمت الابصار

ثم كتب في اخلاق القوم من لباسهم وحلق لحاهم واعفاء شواربهم فصلا
وذكر ان هناك من يتشبه بهم من المسلمين ؛ فقال :

من مسلم بالزى قد شابههم (١)
له وفي الصحيح حقا قد كتب
وذا مشاهد فلا نزاعا
اقبح من طبع جهول ما صلح

وربما تجد من جابههم
ومن تشبه بغيره نسب
«ان الطباع تسرق الطبعا»
ما الكلب ما القرد وان كل قبح

(١) كلما رايت اولادنا اليوم في هذه الهيئة المحدثه اقول ياليت جدهم
يراهم فلعله يكف عما قاله

ثم اطل على تونس ؛ فلاقى تونس من رحالتنا ما تلاقىه دائما من الرحالين
 العبدري وامثاله الذين خلدوها بثناء عطر وجللوا اهلها وشيما مذهباً من الذكر الجميل
 قال

عند الضحى بعد البيات ليلا	في البحر بانت تونس كليلا
تلاوات في البر مثل الدرة	في نحر حسناء كعاب حرة
كل غريب عندها حبيب	وكل من سكنها اديب
مدينة السر مع الصلاح	والرشد والارشاد والفلاح
مدينة الاخيار والافاض	سكانها من فاضل لفاضل
والحسن والبهاء والجمال	اوصافها التي لها الكمال
مدينة الفنون والعلوم	والحفظ والتدريس والفهوم

ثم وصف ابن عرفة في ستة عشر بيتا ؛ ثم وصف جامع الزيتون في فصل
 طويل ؛ وذكر سوابقه وان في بعضها ما يظهر كانه حروف لكلمات محمد وابي
 بكر وعمر وعلي ؛ وذكر نظافته وفرشه ومصابحه الكثيرة ؛ فقد كان يتبعها
 حسابا حتى ضاع عليه الحساب ؛ وذكر ان المسجد حافل بالعلم والعلماء الاذكياء
 وان من رآهم فيها بلغوا الذروة في الذكاء ووصفهم بالتواضع وحسن القاء
 الدروس ؛ وان الاستاذ يلين الجنب للتلاميذ وانه يأخذ الكتاب حين التدريس :

وربما يراجع المشكوكا	اولا فيبقى عنده متروكا
فكل من يسأله يجيب	بسرعة كالبرق اذ يجوب
حتى يتم الدرس مثل ما ابتدئ	بالفهم في المدرس كالزهر الندي
هذا ولا ترى سوى تواضع	من سائل او باحث او سامع
وذاك طبع اهل تونس على	ما قد رايته لدى كل ملا
تواضع في ضمنه تسامح	تلاين يزيينه التصافح

ثم ذكر درسا حضره هناك برخصة اخذها ؛ وما جرى له مع المدرس :

حضرت في صبيحة مدرسا	برخصة قدمها من انسا
فر جامع الزيتون يوم اثنين	فكان لي اسعد يوم زين
والقصد ان احوز فضل العلما	وان انال خير من تعلمنا
والفضل بالاجماع عند العقلاء	لاهل علم الدين لا للجهلاء
فكان يدرس ابا الضياء	درس الجهابذ بلا امتراء
وهو لمن بجامع الزيتون	قدوتهم في الفهم والفنون
وهو كبيرهم على الاطلاق	حسا ومعنى ذاك باتفاق
كان يقرر لدى باب السلم	فكان في تقريره فردا علم
اجدر به لذاك ان يكونا	قطبا لمن سواء مكينا
فكل وصف كان يوصف به	فقد غدا ارفع من منصبه

ذو قلم ان كنت معه تسره
جميع من معه دلفت للسلام
جاءت بنا في الدرس افراس الكلام
تقريرها عكسا كما قد اخذ
الا الذي اخذت خير ماخذ
قابلني بطبع كل منصف
اذ ادرك الصورة بالانصاف
ينظر ان يعينه لسنه
وخير عمدة لشيخ ولسد
من اسرة حسبها سنى

وكل ما يمكن ان يزيه
وبعد ما اتم درسه وقام
فبعد ان تمت توابع السلام
فقلت قد كان بصورة كذا
فجلت معه وانا لا احتذى
فاذ راي الفجر بدا في السدف
فمال لي مستجمع الاطراف
والناس كلهم مضوا سوى ابنه
وهو كبير السن قد يعتمد
ووسمه محمد النفرى

ثم ذكر ان هذا الاستاذ كان من قبل هذا الوقت مفتيا رسميا ثم اعفي من
تلك الرتبة ؛ ثم ذكر كيف يكون المفتي عندهم ؛ وان محمدا هذا يعتنق الطريقة
التيجانية ؛ وان هذه الطريقة لها انتشار كثير هناك ؛ ولها زوايا كثيرة ثم قال :

وفتح التساؤل الرحيبا
وعن تعلقي وعن مرتبتي
كيما ارى بالحج ممن فاذا
يصحبه بـره المشكور
فسترى الرجوع منى انكا
وهل ترى مثل الكتاب مونساً؟
ثم ذهبنا نحو دارهم معا
ارى من النعيم صنفا صنفا
هل مكرم ذا غربة الا اللبيب؟

بى رجب الشيخ السنن ترحيبا
فكان ان اخبرته بمسقطي
واننى ممن لنا الحجازا
فقام مع ولده المذكور
فقال لي ولده مكانكا
ومد لي كتابه كى يونساً
فحين اوصل اباه رجعا
فكنت ليلا ونهارا ضيفا
تطوعا منهم واكرام غريب

ثم ذكر الجامع الزيتونى ؛ وانه من أعظم مساجد الاسلام ؛ وأن فيه من
خزانات الكتب فى نواحيه ثمانيا وعشرين تستعار منها الكتب ؛ زيادة على
دار كتب كبرى كقصر فخم مفعمة بالكتب ؛ وفيها قاعة للمطالعة ؛ ثم ذكر أن
مثل هذه الخزانات المحبسة موجودة فى كل المدارس هناك ؛ وقد أفاض فى
وصف دار الكتب هذه وصفا حسنا ؛ وقد أعجب بالصمت الذى يسود
المطالعين فيها ؛ ثم رجع لذكر الجامع الزيتونى ؛ فذكر أن من جملة مئثاره كون
أبى الحسن الشاذلى درس فيه بمحل معهود ثم استطرد شيئا مما يتعلق
بهذا الشيخ وتنقلاته ؛ ثم ذكر ان للشاذلى مقاما سنيا فى تونس ؛ وان له فى
تلك المدينة مقاما منسوباً له يقصد كثيرا ؛ خصوصا يوم السبت يوم يحضر
الفقراء فيذكرون ويتواجدون ؛ ثم ذكر الوجد واستدل له ؛ ثم ذكر انه زار هذا
المقام فحدث هناك المقدم واثنى عليه ؛ وسلسل له كيفية التواجد الى الشاذلى
فحمل صاحب الرحلة على من ينكر ذلك ؛ وان الواجب هو التسليم للاشياخ

قد ندين ماشاء الله حول هذا الموضوع ؛ ثم ذكر انه لقي هنالك اناسا اثني عليهم
من بينهم عالم صالح ومن بينهم صوفى كبير القدر اثني عليه كثيرا ؛ قال :

كذا لقيت جبل المعارف
شارب كاس الخمرة اللدنية
من عام فى مقام جمع الجمع
له من الفهوم والرقائق
ولو رايت صفوه لشربه
لقلت ذا الجنيد فى ذا العصر
السيد المبجل الشيخ السعيد
له اخ فى السن كان اكبرا
ولاخيه ولد على
له دره لدى الافهام
يجلو بفكره صدى الاوهام
ولم يزل فى حالة ازدياد
لكونه ملازم القراءة
متسما بسمه الصلاح
همته نحو الذرى تعالت
فكان اخذا لاسم الاعظم
بوصفه المعلوم والمشهور
سبب ذا ان اباه قد راي
قال رايتنى القن لديك
فقلت يكفيك الذى قد وقعا
فقال لابد من الاشباح
فيحصل السر على الكمال
فكنت معهم على المدام
نجنى ثمار الوصل بعد الهجر
قد نضجت اثمارها للجانى
والكون كله لنا اشجار
والدهر كله لنا اسجار
ونحن بين الحور والولدان
فلا تسلم عما جنت اكفنا
فتونس عاداتها ان تونسنا
حياهم الرحمان ثم بيا

ومركز العلوم واللطائف
فى حضرة شريفة صمدية
وقام بالوتر حيال الشفع
رسوخ من كرع فى الحقائق
من بحر وادى عشقه وحبه
فازت به تونس خير مصر
ذوالشرف الاثيل والخلق اسعيد
وفى المعانى والمذاق اصغرا
على منارة العلا على
يعجب بالحدس او الالهام
فهو به فى الكر والاقدام
لترتب العليا وفى ارتياد
مرتديا متشج الجراءة
منتجع الفلاح والنجاح
وكل همة تهم نالت
عنى مع الاب له المكرم
ينتج فى الحين بلا شهور
رؤيا فقصها على نبا
ذكر كذا فخذ يدى الى يديك
فى عالم الارواح فالقلب وعى
تذوق ما قد ذيق فى الارواح
فى الحسن والمعنى على التوالى
وفى المعانى خمرة الكرام
فى روضة العشق براح الفكر
وزهرها لقاطفيها دان
قد غردت من فوقها الاطيوار
والحب قد حلت له الازرار
فى جنة الاذواق والمعانى
من امل محجب ومن منى
كل غريب عند اهلها رسا
فكل من يصفهم سيعبى

ثم ذكر حسن بناء تونس العاصمة اتساعا وارتفاعا وزخرفة
 ذلك عيرة على احتلالها فذكر كيف احتلها الاجانب ؛ وكيف احتالوا حتى وقعت
 الحماية بيد اميرها ؛ ثم لم يجد بعد ذلك دفاع المدافعين ؛ ثم افاض في ذلك سجلا
 ثم ذكر انسانا جلس اليه في مجلس اخر يوم له بتونس ؛ فكان بينهما مكالمة من
 تاوهات وزفرات على ما كان مقدرا على الاسلام واهله ؛ وكان امر الله قدرا مقدورا
 ثم ذكر بعض اشياء من جغرافية تلك النواحي وما يصاحبها ؛ ثم قال

فبعد ان مضت لنا ايام بتونس كانها احلام
 «يه» (١) تكون ثم كنت في الخميس

كريت بـ «الحاء» (٢) بمركب نفيس
 لجة من بعد عصر اليوم مسيرنا نجوب موج اليم
 ثم وصف المركب ورئيسه ؛ ثم ذكر طرابلس فقال فيها

احسن بها مدينة للخير ما مسها توسيخ اهل الكفر
 وكلها مملوءة بعسكر به يخيف الترك من قد يجترى
 خمس وعشرون من الالوف يمشون في مرصوة الصفوف

ثم مر في وصف هذا الجند ؛ وكيف يمثلون قوة واعظم شكيمة الى ان قال :

امتلات بهم جميع الطرق فلا ترى فيها سوى ذى الدرق
 كذا المساجد الى الابواب (ما احسن المحراب فى المحراب)

الى ان قال بعدما وصف بوارج عثمانية بالمرسى ؛ يذكر ما شاهد في المدينة:

صرت اجول فى الازقة وفى وسط المساجد التى للسلف
 اشاهد الهمم كيف تفعل والبذل للاموال كيف يعمل

فمر فى وصف المدينة الى ان قال :

صليت فيها الظهر والعصرما وزرت اهل الخير فيها اجمعا
 جالست فيها عالما مفضلا يظهر انه من اصل ذى علا
 طويل باع العلم والاخلاق مع تواضع لى التلاقى
 قد كان فى زاوية الربانى المدنى العالم الصمدانى

فمر فى ذكر الشيخ المدنى ناصر الدرقاوية فى المشرق من اصحاب الشيخ
 مولاى العربى ؛ فذكر ترجمته وتنقلاته ؛ ثم استطرد ذكر ولده الذى لا يزال

ذاك حيا في الاستانة ثم في عشي اليوم راجع مركبه ؛ ثم ذكر شدة عظيمة
بوها على ظهر البحر بين طرابلس ومصر ؛ يقول :

هذا ولم نقطع عباب البحر حتى راينا كيف وقع الذعر
والقىء والميد على الركاب تسلطا بالسقم والاصاب
سواى مع ناس قليلين حمى ربهم بين الورى وسلما

ثم ارسي بهم المركب في موسى الصعيد ؛ ثم ذكر بعض الجغرافية لتلك
بلاد مع ذكر البحرين الابيض والاحمر وقناة السويس ؛ ثم وصف مصر
فصبا ثم قال يصف قطع المركب للقناة

فبعد مغرب مشى برفق بنا بقنديل بذاك الفتق
لكون ذا المضيق مثل الوادى مسيح الاطراف بالاوتاد
لتدفع الرمل فلم يزالوا توسعة تزحزح الرمال

ثم ذكر انه بقى في البحر الاحمر ثلاثا ؛ ثم بدت لهم اعلام الحجاز ثم
زلوا بجدة فوصف القبر المنسوب غلطا الى حواء ثم امتطى المطية الى مكة والشوق يفعل
هم ما يفعل ثم ذكر نزولهم بحدة موضع الحديدية الذى وقعت فيه بيعة الرضوان
م ذكر اغتسالهم بذى طوى ؛ فدخلوهم الى مكة ؛ فطوافهم بالبيت الشريف وقد
ناض في هذا المقام بما افاض به من تباريح الشوق ؛ ولواعج الوجد

وابرح مايكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

ثم ذكر كيف كان يجتمع مع صوفية في زاوية شاذلية هناك ؛ فيفعلون
ثل ماكان يفعله صوفية المغرب من التواجد ؛ وفي اثناء الاجتماع قال له احد
حاضرين ؛ اننى ارى ماارى وانت مقبل علينا ثم اذا وليت ولى عنا ؛ ثم اقترح
ليه ان ياخذ عنه وان يتخذة شيخا

والى هنا كانت عندى النسخة الاولى من الرحلة ؛ ثم لم اقف على نسخة
خرى تمت فيها الرحلة الا بعد ذلك بازمان ؛ ولذلك اقف هنا فيما كنت انقله
ن الرحلة (١) فانقل منذ الآن عما وصل الى مما حدث به الشيخ او من رافقوه
اقول

ثم لما وقف الناس في عرفة وفتهم حصل شك في صحتها ؛ فاعادها
لترجم مع ثلة ؛ ثم ثار حول ذلك ماثار بعد رجوعه فافتي مفتون بصحة الاعادة
اخرى بعدم الصحة ؛ ثم توجهوا الى المدينة فتوفى اخوه الذى صاحبه الى
حج فيما بين مكة والمدينة ؛ ولما وقف بين يدي القبر الشريف فى المسجد

(خرجنا الرحلة تامة بالالة الكاتبة مع رحلتى ابني الشيخ سيدى محمد وسيدى
بلا فالجميع فى مجلد

النبوى توجه الى الله ان يؤيده على الاستقامة ؛ قال وكنت ارى ان ذلك خير ما يدعى به فى ذلك المقام ؛ فاذا بهاتف من جهة القبر ينادى : «ان افضل ما يطلب فى هذا المقام هو رضا الله الاكبر» وكان الشيخ يحكى هذا الذى وقع له هناك مرارا ؛ ثم رجعوا الى المغرب فى سفينتهم فوصلوا السويرة فى الوقت المحدد وقد لاقاه اصحابه هناك ؛ ثم فى دارالقائد عدى بنكنافة فقال لهم اننا لم نسرأى واحد من اخواننا هناك فى كل مالم ننس فيه انفسنا فى الحضرة الربانية ؛ فقد وجدنا انفسنا هناك فى الحضرة الربانية كما كنا نجدنا فى الحضرة الربانية هنا ، فان الله لا تختلف حضراته باختلاف الامكنة ، ثم وصل البلد -الغا- فسالت اليه الطرق للتهنئة بالرجوع

محو حياته

ان حياة الشيخ منذ عام ١٣٠٣ هـ الى مختتم ١٣٢٨ هـ كانت كلها على وتيرة واحدة لا تغير فيها ؛ جولان فى البلدان لا يتقطع وارشاد مستمر لكل من لاقاه من الخاصة والعامة ؛ فيقتصر للعامة على ما يتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليم الصلاة ومن تحرى علم الحلال من الحرام ؛ ومراقبة الله فى كل احوالهم واما الخاصة وهم اصحابه الذين اخذوا عنه ؛ واستسلموا بين يديه فانه يواخذهم على قاعدة التربية الاصلاحية بالشروط الصوفية التى توجد فى رائية الشريش والمباحث الاصلية ؛ وعوارف المعارف والاحياء والحكم العطائية ورسالة القشري وكتب الشعرانى خصوصا العهود ؛ زيادة على تعهدهم بتفسير القرآن وبالحديث النبوى ؛ وبنهاهم عن (المنن) للشعرانى لئلا يالفوا الاهتبال باعمالهم الحسنة وعن (الذهب الابريز) فى اخبار سيدى عبد العزيز الدباغ لئلا يتعلقوا بعالم الكشوفات واقتناص العلوم من الروحيات وعن (المدخل) لابن الحاج لئلا يشغلوا انفسهم بمحاسبة الناس ؛ وهكذا كان قيوما على حفظ اصحابه مما عسى ان يغتروا به فهو يريد منهم العبودية المحضة والمعرفة بالله ؛ فيعطيه من الاقوال بمقدار الملح ؛ فى الوقت الذى يدلهم على التوجه بالقلب وعلى عمل الجوارح فيعطيه بها بمقدار الطعام ؛ من غير ان يرهقهم باعمال الطاعات والتوافل وانما يحرص على تنويعها لهم بحيث ينظم لهم عمل اليوم والليلة تنظيما سهلا لكنه معمور كله ، وسترى تفصيل ذلك فيما ستقرؤه بعد ، وترجمة الانسان حقيقة فيما عليه اصحابه فبذلك يعلم ان تربية الشيخ تنوع بحسب الناس ؛ فتربيته للخاصة من اصحابه ؛ غير تربيته للعامة من غير اصحابه ؛ فيعطى لكل ذى حق حقه فتيسر لكل الجهات التى يطرقها بسوس ؛ ولكل الذين يطرقونه فى زايته الالقية ان ينتفعوا به انتفاعا تاما ؛ ادى به الواجب عليه نحو الامة ومن لا يعرف امزجة المرضى فاني يحصل التداوى على يديه ؛ ومن جعل الناس سواه فليس لحمقه من دواء -كما يقولون-

ان اكثر ايام الشيخ يمضيها في السياحات وكان من عاداته التي اقتبسها من عادة شيخه سيدى سعيد بن هموم المعدي ؛ ان يتبع القرى مستعجلا فلا يكاد يبيت في قرية ليلتين الا نادرا جدا ؛ ومتى طلب منه اهل قرية ان يبيت عندهم اكثر من ليلة يجيبهم بان الحق الذي عليه لكل الناس يحفزهم الى عدم التريث في مكان خاص ؛ وكان دائما يسيح في طائفة المريدين المتجربين من اصحابه ويصلون غالبا مائة او ازيد ؛ سوى من يلتحق بهم من الفقراء واصحاب القرى فاذا اقبلوا على قرية يدخلونها بذكر خاص يتداولونه فرقتين جهرة ؛ وهو (الله الله لا اله الا الله) (١) بغنة مؤثرة تستفز كل اهل القرية فيتلقون الشيخ واصحابه ثم ينزلون في المسجد ولا يدخلون القرى غالبا الا بعد العصر ثم يتوضئون ويصطفون ذاكرين الى ان تصل المغرب ؛ ثم يقرأ الحزب فيسكتون سوية يذكرون فيها اذكارا خاصة فرادى ؛ ثم يفتتح مجلس الذكر قليلا ثم يتوجه الشيخ الى التحديث الذي يراعى فيه العامة ان حضروا والا فحديث الخاصة ؛ ثم اذا صلوا العشاء وتناولوا ما اتى به اهل القرية من العشاء توجه الشيخ الى اهل القرية خاصة يعظهم ويذكرهم بلسانه اوبلسان وعاظ يحفظون قصائد الوعظ بالشلحة ؛ وكثيرا ما يامر احد الوعاظ ان يطلع الى سطح المسجد فيعل صوتة بالوعظ ؛ فتسمعه النساء من سطوح الديار من القرية ؛ ويتحسّن الشيخ ذلك في ايام الصيف وكثيرا ما يمضي غالب الليل هكذا فيما ينفع المجموع نساء ورجالا ؛ حتى اذا راي النساء اللاتي الفن منه سماع الوعظ اقبلن الى المسجد يامرهن فيعتزان وبيتعن عن الرجال ؛ فيتوجه اليهن بصوته وبوعاظه واما في الصباح فانه يامر باجتماع كل رجال القرية امامه ؛ فيسال كل واحد عن التوحيد . وعما يصلي به وعن مطعمه من اين يستمدّه امن الحلال ام من الحرام ويستتيبهم واحدا واحدا ؛ وذلك يقع بعد طلوع الشمس ؛ لان اصحابه يستيقظون دائما في وقت خاص في السحر ولولم يناموا الا قليلا ، فيذكرون جهرا الى ان يصلوا ويقرأوا الحزب ؛ ثم يذكرون جماعة حتى تطل الضحى عادة لا يحرمونها ابدا ، وبعد ان يمتنع النهار يميل كل واحد منهم الى ما يقرؤه في لوحة خاصة لان لكل واحد منهم ما يقرؤه ، فكل امي دخل معهم لابد ان يفتتح الحروف

(١) كان المعتاد في الطوائف الناصرية ان تدخل القرى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان معهودا لطوائف سيدي محمد بن يعقوب ان تقول يا عظيم الجود يا مولانا بلغ المقصود يا مولانا وليعلم ان لمطلق الناس اناشيد دينية عند مزاوله اعمالهم حصادا ودراسا وتذرية للمدرّوس وعند تقديم الذبائح الى مشاهد الصالحين

والهجاء ؛ كما انه لابد ان يقضى ماعليه من الصلاة ؛ امر لازم ولا بد ان يسؤدى التبعات جهده ثم يقلون الى الزوال فبعد الظهر يسافرون الى قرية اخرى ان كانت قريبة ؛ والا فيخرجون فى النهار قبل الزوال ؛ وكان الشيخ لا يترك اية قرية امامه ؛ وقد كان يلاقى فى اول امره العنت من اهل القرى قبل ان يعرفوا مقصوده ؛ فكم ليال قضوها سغبا تعمدا من اهل القرى ؛ مع ان العادة السائدة فى سوس اكرام ضيوف المسجد ولكن الناس سرعان ما عرفوا مغزى الشيخ فيتلقى من بعيد ؛ وتتسابق الى ضيافته القرى ؛ وخصوصا حيث يكثر مسن ينتسبون اليه كمريدين ؛ وهى قبائل كثيرة فى نواحي سوس انبثت فيها زوايا اصحابه التى وصل عددها عندى ٨٩ عدا

بهذه السياحات ملا الشيخ حياته وفيها ادى واجبه كداع الى الله باخلاص وذلك فى الوقت الذى كان آخرون يدورون مثله فى القرى ؛ ولكن غالبهم يدورون لجمع حطام الدنيا الذى يظهر هو دائما الشسم والزهد التام اذاء ؛ حتى عرف بذلك عند كل الناس ؛ وقد كان يجتهد فى ان يهتدى الناس الى الصراط السوى ؛ فلا يوقر احدا ايا كان ؛ وقد اشتهرت له مواقف غريبة فى ذلك ولولا حفظ الله اياه لكان فى بعضها من الهالكين .

عمله فى زاويته

كان يخرج من داره متوضئا قبل الفجر بساعتين ؛ ولا يهيل المؤذن فى السحر حتى يخرج فاذا كان يتوجه الى ركن فى مصلى الزاوية يتنفل ويذكر ما يذكر فى السحر ؛ على حين ان اصحابه يستيقظون اذ ذاك فقط فيتوضئون ثم يذكرون جهرا الى الفجر ثم يقرأ الحزب ثم يذكرون جماعة ؛ والشيخ فى محله ولا يمكن ان يفارقه الا فى الضحى ثم يصل الضحى ؛ ثم ان كان عنده اضياف قام اليهم ؛ والا انعزل فى مكان ؛ الا فى اوقات الحرث والحصاد فانه يكون احد الفقراء فيكون معهم فى محل العمل ؛ ثم يبكر بصلاة الظهر فى اول الوقت بلا عجلة ؛ ثم يجتمع باصحابه فى المذاكرة الى العصر ان لم يكونوا فى شغل من اشغال الزاوية ثم يعتزل فى مكان خاص ؛ اما لملاقة اضياف واما للمطالعة واذا قربت المغرب وقد توضع اصحابه صلى بهم ويقرأ الحزب ؛ ثم يذكرون اورادهم ثم يجلس ايضا الى درس قرآن او حديث او سيرة نبوية ، وبعد صلاة العشاء يذكر اصحابه ايضا جماعة ؛ فان لم يكن عنده ضيوف يذهب الى دار الفقيه سيدى على بن عبد الله حيث يبقى الى ان يبهار الليل ؛ ولا يشغل هناك معهم الا فى المسائل العلمية مذاكرة او مراجعة ؛ حتى ان علامة الخ اليوم سيدى عبد الله ابن محمد يقول اننى ما استفدت الا فى المجالس التى كان خالى الشيخ يحضرها بعد العشاء فى دار الفقيه ؛ لانه يملأها علما ومذاكرة ومراجعة ؛ واكون انا هو آخر من يقوم ممن كانوا جالسين ثم اذا نزل الشيخ من دار الفقيه دخل داه وصلى وردة القراءة ؛ وهو على ما اشتهر عند اهله وعند اصحابه خمسة من

الاحزاب ؛ ما كان يترك هذه الخمسة حضرا ولا سفرا ؛ ثم يغمض اغماضة ثم يتوضأ في السحر ثم يخرج الى اصحابه هذا هو عمله في زاويته غالبا .
تف من اخلاقه

وقع الاجماع التام على ان الشيخ عمرى زمانه ؛ بذلك كان يعرف منذ ان تدرج بين اقرانه في عهد شيخه ؛ ثم زاد فيه هذا الجد الغريب حين توجه بكليته الى ارشاد العباد الى الله واستنابتهم وزجهم في العبودية الخالصة وقد ذاعت اخباره بذلك في الحواضر ؛ حتى ان بعض كبار علماء فاس كابن الخياط ونظرائه ممن ذاقوا من مذاقاته الصوفية يحكمون بانه آخر رجال الجد فى الطريقة ؛ فقد بلغهم مافيه من الحزم والعزم والاكباب الذى لا يمل فيما هو بصدده ؛ فرزقه الله اصحابا كانما خلقوا لهمة العليا ؛ وصفهم الفقيه سيدى محمد بن على التادلى دفين الجديدة بانهم عفاريت سليمان ؛ لا يضجرون ولا يكلون ولا يسأمون ومن رآهم بين يديه رآى شبابا فولاذيا مخلصا نسى نفسه واهله وكونه فى الوجود ؛ والشيخ يقلبهم بهمة كيف يشاء وهم مطاوعون طاعة عمياء مع عدم ادعاء اية مرتبة باذكارهم وتضحياتهم وتعمقهم فى الانابة الى الله اى انابة ؛ فبهؤلاء يخوض الشيخ قبائل سوس كلها فى شهور كثيرة فى السنة ؛ كثيرا ما تكون لهم سياحتان فى الشتاء والصيف ؛ وان لم يكن معهم الشيخ يقومون هم وحدهم بدوره الذى يقوم به فى الارشاد والدلالة على الله ؛ وقد كان سيدى سعيد اثنتانى وسيدى الحسين بن مبارك المجاطى وامثالهما من كبار اصحابه يحسنون تمثيل دور الشيخ فى الهمة واستشارة القلوب الى الله فيتركون القرى التى يخرجون منها كما كان الشيخ تيركها هياما بالله وجوارا بذكر الله وقد كان الفقهاء والمتفقهون ومقدموا الطرق الاخرى يرون هذه الهمة فيفترقون ازاءها فرقتين فمن مسلم بان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومن قائل ما قال الثعلب:

رام عنقودا فلما ان رآى العنقود طاله

قال هذا حامض لمــــ ا رآى ان لا يناله

ومن اخلاق الشيخ عزوفه ان يتبع بالهدايا ان خرج من عند رئيس ؛ فقد خرج يوما فى السويرة من عند الباشا عياد المناهى فاتبعه بخنشة ريال مخزنية ويكون على العادة فيها مائتان ؛ فامر اصحابه بردها له ؛ فتحيل بعضهم ليدسهل فى متاع الشيخ ووقع له مثل هذا مع القائد الطيب الكنتا فى حين خرج من داره مع اصحابه يوما . ولكن الشيخ العمرى حتى فى النباهة حين لا يندخ ؛ امر بردها امرا جازما ؛ قائلا بلسان حاله اننا نريد اصحاب الهدايه لنعديهم الى الله ؛ لاهدائهم والشيخ الذى يثق ماعنده على الناس ليردهم الى الله ؛ كيف يقبل منهم مالا او يتطلبه منهم

لم ينفق الذهب الربى بكثرتة على الحسا وبه فقر الى الذهب

ومن اخلاقه التى يواخذ بها اصحابه ولايسامحهم فيها المحافظة على عمارة اوقاتهم لاسيما فى الفرائض الموقوتة ؛ فيؤنب بل يضرب بل قد يغرم مالا ممن تاخر عن الصف ؛ وقد ضرب مرة فى تاكوكة من الاطلس كل الفقراء من طائفته الا ثلاثة لتخلفهم عن الصف ؛ وقد نزلوا تحت اشجار للقلولة فى احدى سياحاته فى جبل درن (١) ومتى صلى فى زاويته يدخل الى الدار فيسال عمن فاتتها من زوجاته وبناته الركعة الاولى فى مصلاهن الخاص بهن ؛ فيقرصها لايمل من هذا التعهد ؛ وقد بات ليلة مع اصحابه فى دار القائد عبد السلام الجرادى وهؤلاء الجراديون يحبونه ويعرفون قدره ؛ وينتسبون للطريقة ؛ فتاخر القائد عن صلاة الصبح فانبه فى الجماعة على ذلك تائيبا ؛ ثم امره ان ياتى بعشرريالات فلما اتى بها امره ان يشتري بها حمارا يأتى بالحطب الى المسجد وعلفه عل القائد ؛ وجعل الحمار امانة تحت يد موذن المسجد ؛ وبقي الحمار سنين وبات ليلة عند القائد المحجوب الكلولى بحاجة ؛ فلم يفارقه حتى امر ببناء المسجد فى داره ليصلى فيه مع اصحابه ؛ وكذلك فعل فى دار القائد الحسن النكفانى وقد مر هذان الخبران فى طريقه الى الحج ؛ وبهذا الخلق من الشيخ احيا الله فى جميع النواحي التى يطرقها الدين حتى رفرت اعلامه ؛ ثم يربى اصحابه تربيته هذه ؛ فكانوا اعاجيب فى ملازمة الصف ؛ وفى المحافظة على اول الوقت حتى اشتهروا بذلك عند غيرهم

ومن اخلاقه عدم اهتباله بالتعصب لطريقته ؛ فيخالط كل اصحاب الطرق الاخرى كالناصرين والتجانيين ؛ ولم يسمع منه قط لمز لاية طريقة ؛ فقد قيل له يوما اى هذه الطرق الصوفية افضل ؟ فقال : المزية فى الرجال الذين يلتقى بهم الانسان ويتربى بهم ؛ واما الاذكار فكلها اذكار ؛ وقد كان جاره الفقيه سيدى على بن عبد الله الالفى عميد المدرسة وقرين الشيخ يذكره دائما بذلك ويقول اثناءمناقبه ؛ لم ار مثل الشيخ فانه قال لى لماذهبنا لمراكش علم ١٣٠٣ اذهب بنا الى فلان براوية مراكش التيجانية ؛ لتاخذ من عنده ورد اخيك وايبك التيجاني ؛ ولم يعرض على قط ورده الدرقاوى ومن اخلاقه الزهد التام فى لذاته الحياة كيفما كانت ؛ فلايطبخ فى زاويته الاطعام واحد وهو الكسكسو الساذج الغليظ الذى يكلل فى القصاع بالخضر الحاضرة من لفت وجزر وقرع وبصل او العصيدة التى تجعل الحرية فى وسطها يؤتم بها ؛ ومن ذلك يتناول هو بنفسه ؛ وقد حاولت امراة من اهله ان تخصص له فى بعض الايام طعاما لينا فنهرها على ذلك ؛ هذا مع كثرة الخيرات فى الزاوية ؛ وعلى هذا ايضا يربى

(١) ومثل هذا التشديد فى حضور الصلاة معروف عن عبد الله بن ياسين وعن الموحدين الذين يقتلون عن ترك الصلاة كما فى كتاب (التشوف)

اولاده وكان قليل الاكل قليل النوم فمتى اراد طعاما يتناول مما تيسر او نوما اضطجع فى اى مكان وعلى اى فراش ؛ وكان اية الايات فى فطام نفسه عن الشهوات التى تعرض عليه ان نزل عند اصحابه ؛ حتى ان بعض خدمه من الفقراء كان دائما يرصد له بعض الاطعمة الساذجة كالعصيدة ؛ بعد ان يراه لا يتناول مما يمر به من الطواجن وامثالها ؛ ولكنه على كل حال لا يلزم حالة واحدة دائما لانه قد يواكل مجالسيه كانه احدهم ايناسا لهم كما هى السنة وقد يريد ادخال السرور على بعض المريدات من صواحبه الآخذات عنه فيتناول من طعامهن ؛ وهذا الخلق كما ءاخذ به نفسه ءاخذ به كذلك اصحابه المتجردين فترامهم فترة بعد فترة يعلنون بينهم فى بعض السياحات تقليل الطعام الا لقيمات معدودات ؛ تعد على كل واحد منهم بحيث تقيم طلبة لا غير ؛ ثم تحمل نقصان وهى لاتزال طافحة بالاطعمة ؛ وقد ياتى من لا يتحرون الحلال بالطعام الى الشيخ فيقول لاصحابه كلوا وتبركوا فمتى سمعوا منه ذلك عرفوا انه امر بعدم الامعان او بعدم الاكل اصلا ؛ هذا ديدن الشيخ فى نفسه ودينه مع اصحابه ؛ فقد ملكوا ازمة نفوسهم فيزهدون فيما يريدون ويتناولون مما يريدون بلاشره ويحسنون الصبر الجميل ان فقدوا ممضوغا ؛ وما اكثر ماتتوالى عليهم ليال بين قرى لاترفع لهم راسا ؛ فيمضونها سعبا ثم لا يتأثرون بذلك وكثيرا ما يقول لهم الشيخ لا يعمل للفقير ان ياكل من طعام من لا يتحرون الا اذا حلت له الميتة ؛ يعنى حتى يجوع جوعا كثيرا يخشى عليه به العنت ؛ وهذا الزهد الذى ذكرناه من شمائل الشيخ يحيط به من كل جانب حتى فى مسكنه ؛ فان بناءات زاويته ساذجة ؛ بناها الفقراء بناءات متعرجة لاتزال تتداعى بادنى سبب ؛ لانه متى احتاج الى زيادة بناء يامر كل الفقراء ان يبنيوا سواء من عرف كيف يبني ومن لم يعرف ويقول : «يتعلم من ليس بمعلم» وقد مر به الرجل الصالح سيدى الحاج عبد الله بن صالح وهو مع اصحابه فى مثل هذا البناء ؛ فقال للشيخ ما هكذا يكون البناء الذى يراد تاييده ؛ فاجابه : «اننا سننقى فيه اعمارنا على ما هو عليه ومن سيأتى بعدنا ان لم يعجبه فليبنه وفق ما يريد فقد كفينا مئونة جمع التراب والاحجار» ثم اتبع ذلك قوله : «افتحن تاركون مانيط بنا من ارشاد العباد حتى نمضى اعمارنا ونفائس اوقاتنا فى جدران تقوم وسقوف تصحح» ؟ ان اعمارنا اقصر من ذلك وبمثل هذا الجواب فاه الشيخ ايضا وقد أمر الفقراء أن يحرقوا ما سيجرث فى مبدأ ابان الحرث او قبله قائلا : «ان حرقنا نحن فى ارشاد العباد لافى شق التراب» وهكذا كل احوال الشيخ لايبالى الا بما نصب له نفسه وجعله محور حياته ومما يعتنى به الشيخ عناية زائدة نشر التعليم ولذلك ياخذ كل اصحابه الذين يلازمونه بالتعليم الابتدائى المجدى المفيد ؛ من التوحيد وصحة العقيدة وما تصح به الديانة ؛ وما هو حلال وما هو حرام كما انه يرسل من فيه أهلية لتتبع الدراسة فى الفنون الى المدارس ؛ فيعينهم ويمدهم بالكتب هؤلاء الاساتذة : سيدى احمد بن محمد اليزيدى والعلامة سيدى الحاج مسعود

الوفقاوى وسيدى محمد بن عبد الله الزيكى والقاضى سيدى مسعود الشياظمى وسيدى الحسين التيمولائى الافرانى وسيدى بريك بن عمر المجاطى وعشرات امثالهم هو الذى دفع بهم الى المدارس ؛ زيادة على زمرة من اهله كسيدى عبد الله ابن ابراهيم ؛ وسيدى موسى بن الطيب واخيه البشير وسيدى عبد الله بن محمد ويفعل مثل هذا فى العلماء والقراء الذين ينفعون فى المدارس ؛ فيحثهم على عمارتها ويردهم عن صحبة الفقراء فى السياحات ؛ كالعلامة سيدى محمد بن مسعود ؛ واخيه سيدى احمد وسيدى عبد الله ابن القاضى وسيدى عبد الله خرباش وسيدى مبارك الميلى وسيدى عبد الله الرركراكى وسيدى محمد بن العربى القارىء الاوصالى وسيدى على التنانى وسيدى الطاهر السماهرى وسيدى عبد القادر السباعى ؛ وامثالهم من العلماء الذين استهوتهم نفحات ما يرونه بين اصحابه فيحبون ان يتجردوا وان يلقوا وراءهم ظهريا ما هم فيه من التعليم فيكبح عزائهم ويريه ان ما هم فيه هو عين ما يطلبه التصوف منهم حتى ان سيدى عبد الله بن محمد يقول : اننى ما استفدت الا فى المجالس التى كان خالى الشيخ يحضرها القواد والرؤساء الذين انقادوا له ؛ كثيرا ما يهيمون ان يطلقوا ما هم فيه فيلمرهم ان يبقوا قائمين فيه بالقسطاس ؛ فاذا هم فى اعلى مجالات التصوف الحقيقي وقد اثنى يوما الاستاذ سيدى محمد بن مسعود على الشيخ بهذا واطال

هكذا الشيخ يربى كل واحد فى بيئته ويرقيه فى محيطه ؛ ويراعى كل لون من ألوان الحياة ؛ فيخالط اهله فيستمدون منه ما كتب لكل واحد ؛ وقديما يقول الصوفية « ان الشيخ الكامل هو الذى ليس لتربيته لون واحد » كما قال بعضهم فى حال العارف : « لون الماء لون انائه » وفى (الاخلاق المتبوية) للشعرانى ما معناه : ومن اخلاقهم - يعنى الصوفية - انهم يبقون من اتباعهم من كانوا ينفعون العباد من علماء الدين على ما هم عليه من الافتاء والتعليم ؛ ولا يرفعونهم من ذلك المقام ؛ لانه مقام محمود مطلوب ان يقوم به امثالهم ؛ وانما الواجب ان يقوموا فيه بنية حسنة او كما قال : الى آخر ما فى كلامه .

هذه قبضة صغيرة من اخلاق الشيخ فى تربيته وفى احواله وفى اجتماعاته ويكفى من القلادة ما احاط بالعنق ؛ وقد بسطت اخباره هذه فى كتاب (الترياق المداوى)

الشيخ فى انظار معاصريه السوسيين وغيرهم

كان المعروف من الطرق الصوفية فى سوس الطريقة الناصرية وحدها ولا ريب ان هذه الطريقة قد اسست على السنة فى كل مظاهرها ؛ لامت فيها ولا عوج ؛ ولا يجد فيها اى قائل ما يقول ؛ وماذا يقال فى طريقة هادئة ناصحة مرشدة معلمة ؟ لا يعرف منها الا اذكار افراد يذكرها من تلقفها ، ثم لا غرق فيها فى اجلال المشايخ الا لماما ؛ وقد يجتمع اصحابها على الصلاة على النبى

صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ما عرفت سوس هذه الطريقة الا بواسطة العلماء الذين تخرجوا من تامكروت فرجعوا يؤسسون المدارس اذا كانوا علماء او بواسطة قراء أميين ءابوا فيعلمون الدين الصحيح في الاسواق وفي المواسم وفي المجتمعات وهم كلهم معروفون بالاهتداء ونصح العباد والاخلاص فيما هم فيه ؛ ولهذا صارت سوس كلها قاطبة بلا استثناء ناصرية ؛ ياتى اولاد الشيخ الناصرى فيلقونهم قبيلة قبيلة باجلال عظيم واهتبال كبير ؛ فينفعون في اصلاح ذات البين وفي فتح العيون العمى والآذان الصم والقلوب انگلف ، حتى ألف الناس هذه الطريقة ونسأ فيها جيل بعد جيل من اوائل القرن الثاني عشر الى ان كاد يختتم القرن الثالث عشر

ثم فيما بعد عام ١٢٦٠ هـ اتصل بعض فقهاء سوسيين بالشيخ الاديب الكبير اكسسوس فنلقنوا منه الطريقة التيجانية كسيدى الحسن بن الطيفور الساموكنى نزيل تزيت المتوفى نحو عام ١٢٧٤ هـ وسيدى عبد الله بن محمد بن احمد الادوزى نزيل العويضة المتوفى نحو عام ١٢٨٢ هـ وسيدى سعيد الدراركى نزيل كسيمة المتوفى نحو عام ١٢٨٦ هـ وسيدى احمد بن محمد من ءال حساين الططائسى المتوفى فى نيف وتسعين من القرن الثالث عشر وسيدى الحاج الحسين الافرانى نزيل تزيت المتوفى عام ١٣٢٨ هـ وسيدى الزبير البعمرانى المتوفى نحو عام ١٣٥٠ هـ الاخذ عن السائح الرباطى وبهؤلاء الاساطين الكبار ابتدأت الطريقة التيجانية بسوس ولكنها فى مبتدأ أمرها لم تنتشر الا عند افراد قليلين جدا ، وقد كان اهلها الاولون يعترضون بها ولا يعرضونها عرضا ، كما كلن الدرقلويون يفعلون

وفى الوقت الذى دبت فيه التيجانية الى سوس دبّت ايضا الطريقة الدرقلوية فكما كان لاكسسوس المراكشى يد فى نشر الاولى ؛ كان لشيخ ءاخر مراكشى يد فى نشر الاخرى وهو الشيخ سيدى احمد بن عبد الله من اصحاب الشيخ مولاى العربى ، ورد عليه من سوس اولاء الحاج مبارك الهوارى الكلوشى ؛ وبوتكلاى الذى اسمه الحقيقى هو الحاج محمد البلفاعى ؛ ثم اصطحب بعد حين سيدى سعيد بن هو المعدرى الثانى منهما الى ان كان السوسسيون الذين يترددون الى الشيخ بمراكش سبعة ؛ لم يظهر منهم الا الشيخان سيدى الحاج مبارك العالم اجليل الذى له مؤلفات راينا بعضها وقد خلفه بعد موته سيدى عبد القادر البعادرى ؛ وقد كان للزاوية المباركية اتباع لم يكتروا ولكن الشيخ سيدى سعيد بن هو المعدرى الامى طفحت ساحتها بكثيرين ؛ فيهم علماء خناذيد كالعلامة سيدى محمد بن ابراهيم التامانرتى والد شيخ العصر سيدى الطاهر بن محمد الشهير ؛ كالعلامة الاديب سيدى الحبيب ابو سليمانى الجرارى ؛ وجنيد زمنه سيدى الحاج الحسن التاموديزتى والعلامة المدرس سيدى محمد بن المحفوظ الادوزى وكثيرين يصلون نحو اربعين عالما كلهم تتلمذوا لهذا الشيخ الامى وبالشيوخ الامى سيدى سعيد بن هو هذا ظهرت الطريقة الدرقلوية باحوالها الخاصة التى لم تولف فى الناصرية ؛ كما لازمة المرقعة عند

المتجردين فقط وخرق العادة في الاسواق ؛ متى اريد ازالة الكبر ممن فيه الكبر
وبالمجاهدات الدائمة ؛ وبحلق الاذكار بالمداولة بين الاشعار وبين الهيلة على
نعمة خاصة ؛ وبما يقومون فيه حلقة واحدة مستديرة وهو المسمى عندهم ذكر
العمارة وبالجهر بالاذكار في الطرقات وفي الاسواق .

بهذه الاخلاق ظهرت هذه الطريقة فقامت الناصرية واهلها ضدها تعلن
ان ذلك بدعة ؛ ولكن نشاط اهل الطريقة الجديدة وحسن نية معتقيها ؛ وما
كان عليه شيخها من روحانية قوية عجيبة ؛ وما تؤثره في كل من اليها كل ذلك
فتح الطريق امام تميموعها ؛ فكان الشيخ يسبح باصحابه ؛ ويدل الناس على الله
في ضمن طريقته وقد استطاع بعض من اعتنق هذه الطريقة ؛ وقد حج وهر
بمصر ؛ ان ياتي من هناك من عند كبار العلماء بان هذه الطريقة التي تحمل مثل
هذه الاحوال تعرف كذلك في الشرق من قديم ؛ وقد قرأت انا بنفسى هذه
الفتاوى التي اتى بها سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى لما حج علم ١٢٩٣هـ
هكذا ابتدأت المعركة بين الطريقتين الناصرية والدرداوية الاولى تدل بمظاهرها
السليمة ؛ والثانية تدل باسرار روحانيتها ؛ ولانس ماكان قلله سيدى على
الجمال لمولاي العربى لما اخذ عنه وعلمه القدر المعلوم من لاله الا الله والاستغفار
والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، قال له «ان هذه الاذكار اخذناها عن
اهل الظاهر اهل تامكروت ؛ واما ذكر السر وهو الله فقد اخذناه عن اهل
المخفية» يعنى سيدى العربى بن احمد بن عبد الله الذى اخذ شيخه عن الابى
المحاسن جدود الاسرة الفاسية المجيدة المنجية اليوم للمفكرين والزعماء والوزراء
والخطباء وبذلك يعلم القارئ ان الدرداويين يقولون انهم لا يعتنون بالمظاهر في
الطريقة ؛ على اية حالة كانت ؛ فالسر فيما في القلوب لاما في القوالب ويقولون
ان هذه المظاهر لا تقدم ولا تؤخر الفقير الا قليلا ، ولكن المدار على مافى النيات
والقلوب ؛ ويقولون ما قاله المتنبي في الفرس

وما الخيل الا كالصديق قليلة وان كثرت في عين من لا يجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها واعضاؤها فالحسن عنك مفيب

وقد كان الشيخ سيدى سعيد لأميته لا يدافع الا بالسنة العلماء الذين
لا يفارقونه ؛ فمتى جالس من يجاوبه في تلك الاحوال التي ينكرها الفقهاء
السوسيون ؛ اجلس في جنبه من يحضر من اصحابه العلماء ؛ وقد استطاع سيدى
سعيد ان يتغلب بقوة حاله على كثيرين حتى ان سيدى الحسن بن احمد
التمكدشتى انقاد له يوم صالح بينه وبين قرينه سيدى الحسن التملى الايرازانى
وبتاثره بحال سيدى سعيد اخذ عن مولاي المهدي الدرداوى بمراکش من
اصحاب سيدى محمد العربى المضرى او اخذ عنه قبل ذلك ؛ وسترى ذلك في
ترجمته ان شاء الله ؛ وهكذا يقبل ويدبر ابطال الدين في ذلك العصر تحت

رايات الطرق ؛ كما يقبل ويدبر اليوم ابطال ءآخرون تحت رايات الاحزاب وكل يغمر بيئته ؛ فان كانت الطرق اليوم لايراهها الناس بمثل النظرة التي يراها بها من كانوا امس ؛ فكذلك سيقع لهذه الاحزاب نفسها غدا ؛ والعاقل من المؤرخين هو الذى يزن كل واحد بميزان بيئته وحده ثم لما تصدر الشيخ الالفي المترجم بعد شيخه ، وقد اوتى قوة روحانية وعلمها واسعا وسعة اخلاق ومخالقة لكل الناس وحضور الاجوبة ؛ دفع بالطريقة الى الامام حتى صارت اعلامها تخفق فى كل نواحي سوس ؛ لكونه يتتبع القرى ويجعل السياحات ديدنه وقد توجه الى منفعة العامة ؛ والى منفعة الخاصة والى مخالطة العلماء ؛ والى طروق الرؤساء ولكون كلامه المؤثر الذى يكتسى لونا خاصا مع كل هذه الفرق التى يتكون منها الشعب ؛ فتح له ميادين متعددة فى نفع العباد فمتى جلس الى مطلق العامة فانه لا يحدثهم الا فى التوحيد والحلال والحرام والتوبة واصلاح ذات البين ؛ واقامة شعائر الدين ولا يتجاوز ذلك فى مجامعهم الى ذكر التصوف ومتى جالس الفقهاء والطلبة يتلون بلون ءآخر يستمد من العلم مع دعوته الى الله والى التوبة والى عدم الغرور بالهذر العلمى ؛ مع كثرة تعظيمه للعلم واهله واجلال مقامهم مادام فى حدود النزاهة ، ومتى جلس الى الرؤساء يعظمهم وعظا يكسر شره ما هم فيه من العنجهية والطغيان والادلال بالسلطة ونفوذ الكلمة ؛ وكل ذلك بتأن وتؤدة ؛ مع تسهيل طرق الانابة وفتح باب القرب الى الله امامهم حتى يدركوا ان ما هم فيه ان احسنوا معاملة رعاياهم ميدان من ميادين العمل الصالح واما اذا كان مع اصحابه وهم الخاصة عنده فانه يخوض معهم فى كل ما يرقىهم فى مقامات الصوفية الكبار ؛ ويهذب اخلاقهم ويفنيهم فى ربهم ؛ كما هو المعهود بين الاشياخ ومريديهم ؛ هذا حال الشيخ ؛ فاتسع نطاق شهرته وذاع له صيت يدوى فى كل الجنوب وازاء هذه الشهرة انفراد فى عصره بما لم يتيسر لغيره فنشأ ازاء أتباعه الذين تزخر بهم الطرق الى زاويته الالغية وازاء الذين يكبرون شأنه من غير اتباعه الاخصاء ؛ ما لا بد ان ينشأ من اقوال تصدر حيناً من بعض رؤساء الطرق غير الطريقة الدرقاوية حوله ؛ وذلك طبعى ما دام البشر لا يخلو من ان ينفس بعضه على بعض ، ومن حسدة يتقولون ويصطادون ما يدعمون به كل ما يقولون ؛ وغالبهم من الطلبة اصحاب الاهواء الغافلين السادرين فى غلوائهم ؛ ولا سيما ان تلقفوا اذكارا يتأبرون عليها تلاوة فقط ؛ فحسبوا انفسهم بذلك من الصوفية الذين يحق لهم ان يزنوا بموازينهم كل ما يعن لهم فتراهم يقولون ما يقولون ؛ لاعن تثبت ولاعن علم ؛ بل ولاعن عقيدة صحيحة عند بعضهم ثم يخالط اقوال هؤلاء الطريقيين والطلبة الاغمار اقوال فقهاء يتكلمون عن عقيدة وحسن نية ؛ وما مقصدهم الا ان يعلنوا للناس ما يعرفون انه السنة او انه البدعة فمن المجموع تكون ماعسى ان يجده المطالع فى كتب تاريخية معاصرة سوسية حين تترجم للشيخ الالفي الذى كان يسمع كل ذلك وتصله جلبته وضوضاؤه من بعيد ؛ ولكن لم يكن يبالي ؛ ولا عرف منه انه دافع قط ولا اجاب

ولاناظر ولااستشار من ينافع عنه بل ذهب قدما الى ماكرس له حياته ولسان حاله ينشد ما قاله بعضهم

لنا عند ربع العامرية مقصد اليها قصدنا لا لدعد ولاليل

فلم يزل شأنه يعلو وصيته ينتشر ؛ وصوت اضداده القدماء كالعلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى يخفف شيئاً فشيئاً حتى كان مالا بد ان يكون من شغوف العالمين

هذا فان كان لهذه الطائفة الحسنة النية ماتواخذ به الشيخ من بعض مظاهر فى طريقته ؛ فليس لهم مايقولون فى ارشاده العام وفى تعليمه لدهم الامة وذوده عنها بغيرة وطنية كان فيها فريدا فى عصره ، فان هذه المواقف جعلت له مقاما خاصا لاينكره عليه احد وهو لب حياته ؛ فهانحن اولاء الان وقد ذهب ذلك الجيل وانطوى سجله وصوت الشيخ لايزال يدوى ؛ وماكان يقوم به هو الباقي الوحيد ؛ واما مايتقوله فيه المتقولون ويظنه فيه الخراصون ويرميه به الجاهلون لحقيقة ماهو عليه او المتجاهلون فكل ذلك طار اليوم ادراج الرياح (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض)

بعض اقوال المثنيين عليه

قيل يوما فى حضرة الشيخ سيدى الحاج الحسين الافرانى رحمه الله فى الشيخ الالفى شىء من بعض مايقول من لايتقون الله فيما يقولون ؛ فنار لى وجهه سيدى الحاج الحسين قائلا «ان لم يكن الشيخ سيدى الحاج على رجلا اليوم فى ميدان الدعوة الى الله فارنى رجلا آخر غيره»

وقال سيدى الحاج احمد الجشتيمى وقد جرى ذكر الشيخ «ان الشيخ سيدى الحاج على فى مقام آخر غير مانحن فيه ؛ فقد فتحت له ابواب شتى فى نفع العباد ؛ ولم يفتح لنا نحن الا واحد او اثنان»

وقال الشيخ سيدى المدنى الناصرى «ماكنت ارى من سيدى على بن احمد الا انه سيكون ذا شأن فيها هو ذا ابتداء فيما كنا نظنه فيه ؛ قال ذلك سنة ١٣٠٦ هـ والشيخ سيدى الحاج على اذ ذاك كما ظهر امره ؛ وطلع فجره وقد كان يلزم مجلس سيدى المدنى فى تانكرت حين كان وهو ياخذ عن سيدى محمد بن ابراهيم اعوام ١٢٨٦ = ١٢٨٩ هـ لايتخلف عن مجلس الصلاة على النبى صل الله عليه وسلم ؛ ثم ساح الى تانكرت فى طائفة كبرى اهتز بها ذلك الوادى حوالى عام ١٣٠٦ هـ فقبل لسيدى المدنى فى الشيخ فاجاب بذلك، وقال الشيخ ماء العينين : «لوكشف الحجاب عن همة الشيخ سيدى الحاج على ماتبعنا احد» قال ذلك اثر مازاره الشيخ فى تزيت بعد نزوله فيها ذهب اليه بطائفة كبرى فاستقبله الشيخ ماء العينين فى بساط كبير انتظم فيه مئات من اصحابه ؛ فلما

خرج من عنده افضى بتلك القولة الى بعض اخصائه ؛ فاخبرني هذا بها

وقال الفقيه الصالح سيدى الحسين بن بيهى التملى المتوكى «اشهدوا بامن حضر هذا المجمع اشهد ايها القائد ، وانتم يا خلفاء وجميعكم يارؤساء قبيلة متوكة انه ما دى الحق الواجب على العلماء فى عباد الله الا الشيخ سيدى الحاج على وحده» قال ذلك فى مشور دار القائد عبد الملك فى بووابوض ، وقد بات هناك الشيخ ثم خرج ؛ وخرج كل الذين فى دار القائد وخرج القائد وخلفاؤه فاصطف الجميع صفوفا صفوفا ؛ واقفين مطرقين ؛ فيصلون فيهم الشيخ بمواعظه المؤثرة حتى تأثر كل من حضر ؛ وعلا نحيبهم ؛ وقد كان الفقيه ممن حضر فلم يملك نفسه ان قال ما تقدم

وسمعت سيدى الحاج على بن الطيب ابن مولاى العربى الدرقاوى بداره بفاس يقول : «رحم الله الشيخ سيدى الحاج على السوسى فقد احيا الله به البلاد والعباد وقد كان يعرفه قديما يوم زار دارهم سنة ١٢٩٩ هـ فاخذ عنه نبذة من مختصر خليل ثم صار يتتبع اخباره ؛ فيعجب بتربيته التى تبلغه اخبارها»

وقال سيدى احمد بن الخياط شيخ الجماعة بفاس : «ان التربية الاصطلاحية التى كان عليها مولاى العربى الدرقاوى قد انقطعت بعده حتى احياها الشيخ سيدى الحاج على السوسى فى سوس ؛ وهو آخر الشيوخ الكمل فى هذا الشأن قال ذلك مع انه لم يلاقه ؛ وانما سارت اليه باخباره احاديث الركبان

وقال سيدى الحسين الزرهونى دفين احواز الجديدة «رايت من رايت من مشايخ العصر ؛ ولكن لم ترعيني مثل الشيخ سيدى الحاج على السوسى فانه يربى اصحابه حتى ليحسبهم من يراهم ملائكة ؛ وقد رايتهم شبابا ولكنهم فى وقار الشيوخ ؛ وقد اقتطفوا ثمر التصوف ؛ واجتنبوا غيرهم وراقه» قال ذلك بعد رجوعه من زيارته عام ١٣١٦ هـ

وقال ابو الاسعاد الفاسى فى الشيخ : «انه آخر اصحاب الجد فى هذا العصر» .

وقال الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح «ما وضعت يدي فى يد الشيخ سيدى الحاج على حتى تيقنت ان مقامه اعلى من مقام جدى سيدى احمد بن موسى»

وحدث الفقير احمد بن الطيب الزكرى ؛ انه سمع من سيدى الهاشمى التيمكيد شتى انه قال له وهم يذكرون المشايخ : «اتريد ان اقول لك ما تعول عليه وتدع عنك الشرهات ان الشيخ الدرقاوى بالغ قد وضع اليوم رجله على كل رقبة كما علت طريقته وحاله على كل الطرق والاحوال»

وقال الشيخ سيدى محمد العربى المطقرى لبعض من ذكر له احوال الشيخ الالقى عام ١٣٠٨ هـ : «ان هذه الاحوال التى ذكرتها لا يتصف بها الا العارفون

الافاذ ؛ ولئن طال العمر بهذا الشيخ الجديد لتكسفن شمسه كل نجوم تلك
الجهة»

وقال الشيخ سيدى محمد النظيفي «هكذا يكون الفحول لا يخافون من
احد ؛ فاني اتجنب دائما مخالطة اصحاب الاحوال لئلا تفيض عيني ببجلهم
واما العفريت سيدى الحاج على فانه لا يهاب احدا ؛ فقد جاء الى ليلقاني فهربت
منه خوفا ان يشربني لقوة روحانيته ولغلبة حاله ومن هو مثيله في هذا العصر»

تلك اثاره مما امكن لي جمعه من اقوال بعض معاصريه من غير اصحابه
واما اصحابه فانهم يرون له مقاما اعلى من كل المقامات ؛ والعجيب اننى كلما
جلست الى واحد من اصحابه لاكتب عنه مراءه من الشيخ اسمع منه عجائب
وغرائب عنه ، فما شئت من توجيهه الى الله وحده بحيث لا يلتفت الى غيره الا
بمقدار المأمور به من الاسباب المشروعة ؛ ومن مكاشفات وكرامات وخوارق
وروحانيات ؛ وهذا شيء طال منه عجبى انا قبل ان يطول به عجب من سيقرا
هذا بعد الغد ؛ وقد رايت كثيرا من اتباع المشايخ ؛ فمارايت مثل اصحابه في
اسقاط الدعوى وتعظيمهم له تعظيما لا يصل الى حد الغلو الا فى قليلين جدا
ولاجلالهم لقماته ؛ ولتمرنهم على سقوط الدعوى قل فيهم البارزون بعده الى
الشيخه حتى ان من برز منهم لا يرى لنفسه مقاما ؛ وهذا شيء رايت وخبرته
وكنيت به من المؤمنين وما راءكم سمع ؛ اكتب هذا لاعتز تحيز لعلمي ان الله
يراقبنى ويكتب عني ما اقول

قول المؤرخ سيدى علي بن الحبيب فيه

هناك اثنان ممن ارخ لمعاصري الشيخ من السوسيين احدهما سيدى
علي بن الحبيب التيجاني الطريقة ؛ وقد حاول ان ينصف الشيخ ؛ ولذلك ذكر
كثيرا من احواله العجيبة والم بنواح كثيرة من حياته وثانيهما الفقيه سيدى محمد
ابن احمد الاكرارى وهو ناصرى الطريقة ، وحين كان القارىء ملما فيما تقدم
بما بين الطرق فى ذلك الوقت من تنازع السيادة ؛ وحين كانت الناصرية
هى الطريقة القديمة التى شاخ عليها الكبار ؛ وشب فيها الصغار ؛ كان تعصب
اهلها اعظم واكبر من غيرها ؛ ولذلك ترى مما قاله الفقيه الاكرارى تحاملا
ظاهرا فى جناب الشيخ وقد ورث ذلك عن استاذه سيدى محمد بن العربى
الادوزى الذى كان ينادى فى موسم سيدى احمد بن موسى على رؤس الاشهاد بان
الدرقاويين مبتدون ؛ ولكنه اخيرا غلب على حاله لما راي غالب من اخذوا عنه
خرجوا عن طريقته الناصرية الى الدرقاوية ثم سقط فى يده يوم يرى نفسه
مصاهرا للشيخ الاكبر فى الطريقة الدرقاوية على بنته سوانا ابن بنت سيدى
محمد بن العربى اكتب هذا- ولذلك ارسل تلك الصيحة التى ضمنها تلك
القصيدا التى تافف فيها من مصاهرة الدرقاويين ؛ وسترى بعض هذه القصيدة

في محل آخر

وهاك ماقاله الاديب علي بن الحبيب السكراتي

ومنهم الفقيه العالم الرباني الشيخ الصمداني المربي الصوفي السالك ؛ سيدي الحاج علي بن احمد الدرقاوي من (تحت الحصن) السملالي الشيخ المشهور ؛ كان هذا السيد رحمه الله حاملا لواء الطريقة الدرقاوية في هذا القطر السوسي ؛ وله فيه تلاميذ لا يحصون عددا ؛ وزوايا كثيرة معمرة وكان في اول بدايته تعثره احوال جذبية؛ يمسي في حال ويصبح في حال آخر ؛ وكان يلبس المرقعة ويحمل العصا ويذكر في الاسواق بالجهر في الطرقات ويأخذ الفتوحات ولايبالي ؛ وكان له كيس مثقوب كلما طرح فيه شيء سقط الى الارض ؛ ويسأل الناس ويقول على عادة الفقراء «متاع الله» وهو في هذه الحال في بعض الاسواق اذوقف على الشيخ سيدي الحسن بن مبارك التاموديزتي مع الفقيه سيدي محمد بن العربي الادوزي يتحادثان في ظل جدار ؛ فقال لهما : «متاع الله ؛ متاع الله» فضحك الشيخان ثم قبضا على جلابيبه وقالاه : «ياشيخ هذا الذي انت فيه من دسائس النفس ؛ ما زلت لم تخرج عن هواها لانها لاتحب الا الاخذ ؛ ولكن ربها وعلمها هاك متاع الله هاك متاع الله؛ فهل كانت تقبل منك ام لا) فاعرض عنهما ولم يبال بكلامهما وذهب ، (اقول ان الشيخ التاموديزتي سبق المترجم الى هذه الطريقة ولا بد ان هناك غلطا فيمن كان اذ ذاك واقفا مع سيدي محمد بن العربي الادوزي) وعلى كل حال فهو شيخ الطريقة وعالم الشريعة والحقيقة ؛ ومثله لاتفرق له العصا ؛ وكان في غاية من الكشف تظهر على يده الخوارق لقيته مرة بالركادة ؛ وانا حينئذ متقيد بالطريقة الدرقاوية اعلی الله منارها ؛ وحانت صلاة العصر ؛ فقمنا للصلاة معه وهو امام وفي القوم الفقيه سيدي محمد بن مسعود المعدري وسيدي سعيد التناي ؛ فلما فرغنا من الصلاة توجه الينا بوجهه المنور ؛ فقال لي يافلان ؛ قلت لبيك ياسيدي قال لي اعنذك كتاب الذهب الابريز قلت له نعم قال لي هل رايت فيه حكاية الشيخ عبد العزيز الدباغ مع تلميذه سيدي احمد بن مبارك المراكشي (هكذا مع انه سجلماسي لامراكشي) حيث قال له الشيخ اتريد ان نزور سيدي موسى براس الدرب ؛ فقال له نعم ؛ وما نكره في زيارة سيدي موسى الخ القصة وقد كان في اول امره ترد عليه كثرة الفقراء ببلده وضاق به الحال ؛ قال ثم نويت ان ارحل منها الى المعدر ؛ فاستخرت الله في ذلك قال رحمه الله فلما عزمتم على الرحيل وقف على النبي صلى الله عليه وسلم وانا بحيرة قرب داري ؛ فقال لي اتريد ان ترحل الى المعدر خوفا من الجوع ؟ قلت له نعم ؛ قال لي : «لاترحل من بلدك وقال لي كل شيء يصلك الى هنا» وضرب بقدمه الشريعة الارض ؛ قال رحمه الله فطابت نفسي من يومئذ بالسكنى في بلدي فصارت الدنيا من يومئذ تزيد وتجيء من كل جهة الى ان بلغ بنا الامر الى ماترون والحمد لله (قلت) قد اقبلت

الدينيا على الشيخ ببركته صلى الله عليه وسلم من كل جهة ؛ وكان لا يستقر بداره غالبا ؛ افنى جل عمره فى الاسفار والسياحات مع طوائف الفقراء وكثرة سياحاته الى جهة الشرق درعة وحوز مراکش وحاجة وادواتانان ؛ حدثت بعض فقرائه ان زواياه نافت على مائتين وكان معظمها عند الامراء والسلاطين والقبائل ؛ لا يكادون يصون له امرا ؛ وفد مرة على فقراء مراکش وبها يومئذ السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن ؛ فلقبه واحتفل به احتفالا كبيرا الا ان الناس قد اكلوا فيه القيل والقال ؛ ومعلوم فى الفاضل قول الحسدة ؛ وهو فى الحقيقة كمال للمحسود

واذا انتك مذمتى من ناقص فهى الشهادة لى بانى كامل
فقد كتب له العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى بعد مصاهرته له فى شأنها قوله :

بعثت اليك بعض كلى فان راعيتك كنت كلى راعيا ياخى حكما الخ
(ثم ذكر القصيدة وجوابها الذى مطلعها (جزاك اله العرش خير جزائه)
(ثم ذكر ان صاحب الترجمة رحمه الله لما لم يف بعهد الشيخ قال فيه ثانيا ؛
(لاتظاهر فى سوس درقاويا الخ) (ثم ذكر القطعة الاخرى التى قالها ابن العربى لما ودع بنته ومطلعها (فراق بنتى صعب الخ)

(ثم قال) اخذ صاحب الترجمة علمه عن شيخه هذا سيدى محمد بن العربى الادوزى واخذ الطريقة الدرقاوية على شيخه سيدى سعيد المعدرى وبيتهم بيت علم وصلاح ؛ كان جدهم سيدى عبد الله بن صالح - بل هو عبد الله بن سعيد فى غاية من التقوى والولاية ؛ ثم حكى المؤلف حكاية استطرادية ثم انشد بعدها:

وما مات من ابقى ثناء خلدا وما عاش من قد عاش عيشا مذمما

وله اشعار ونظم ؛ وقد نظم حكم ابن عطاء الله؛ حكى ابن الجوزى فى بعض مجالسه قال «والله ما اجتمع لاحد امله الاوسعى فى تفريقه اجله» (ثم ذكر وفاة المترجم وغلط فيه اولا ؛ ثم اصلح الغلط فى طرة الكتاب) ثم قال : وعهد الى ولده الكبير سيدى محمد بالخلافة بعده واوصاه ؛ (ثم ذكر وصية الشيخ المشهورة وهى شائعة ذائعة عند اصحابه) ثم قال : وترك اولادا اصلحهم الله اكبرهم سنا سيدى محمد وباقي الاولاد كلهم نجباء مقبلون على شئونهم وفيما يرضى الله ؛ نشأوا فى حجر العلم والادب والتربية على شاكلة ايهم من التيقظ والتشمير عن ساق الجد فى الدين وتحصيل العلوم الشريفة ثم ذكر كلاما عن الغزالي فى الذين يخالفون اباءهم الامجاد انكالا على شرفهم»

انتهى ما كتبه المؤرخ الذى حاول ان يخالف القول الاتى للمؤرخ الاكرادى فى بعض ما قاله عن الشيخ ؛ فرحم الله الجميع وباقي الابيات المتقدمة توجد فى ترجمة الوالدة (رقية) فى القسم الثانى ان شاء الله

قولة المؤرخ الاكراري فيه :

ومنهم شيخ المربين ومحراب المتجربين وسلوة المتقشفين ووزر المطرودين
مربي الانام ؛ ومدير كاس الهيام ومذل الانوف ومعدل الصفوف قانع الشهوات
والمجلى عن القلوب الظلمات ؛ قاهر النفس ودافع اللبس ابو الحسن سيدى
الحاج على الدرقاوى طريقة العبالوى نسبة ؛ التحت الجبل دارا ومنشأ - يعنى
التحت الحصنى - قرأ العلم على العلامة الادوزى واخذ الطريقة على الفقير سيدى
سعيد المعدرى وعلى منواله حاك وبمسواكه استناك افنى عمره فى الجهد والاجتهاد
وجال بطوائفه فى البلاد ؛ يقيم اودهم بالدرة ويفطم بعضهم بالدرة ؛ يسوس
كلا بالاثقوبه ويكون لدهاء قلبه متنبه - كذا - فكثر لذلك متبعوه وازدحم على ورده
مشيعوه ؛ اخذ فى نفسه اولاً بالتقشف وازدان وقته بالعنف ؛ فلما امتلات
احواضه بالاناس واطمانت محافله بالايانس قلب لهم ظهر المجن ومد شباك
الزوايا لما اتى وعن ؛ وقرأ (القها ياموسى فآلقها فاذا هى حية تسعى قال
خذها ولا تخف) فاتته الدنيا ونال منها المنى ؛ فجمع وعدد وبنى وشيد ونكح
وشاد واكثر السواد ؛ فخطب ابنة شيخه الادوزى ؛ فجهاد ولم يقل مكنوزى
وحين كمل النكاح وابرز الزفاف من غير كفاح كتب له الشيخ مانصه وذكر
الايات التى اولها «بعثت اليك بعض كل الخ» فاجابه الصهر سيدى الحاج على
فقال ناسجا على ذلك المنوال ، الا انه ليس التكلج كالكحال - هكذا الكلمة
بخطه قائلا ان الالف للسجع - (ثم ذكر الايات التى اولها : «جزاك اله الخلق
خير جزائه» الخ) (ثم ذكر ما انتقده فى الايات) ثم قال «هذا شعر الفقراء
فليتة قال فى الجواب ؛ لياتى بالصواب ويترك لفظه الظهر الذى فيه ارتياب
(ثم ذكر ابياتا له هو مطلعها فسمعا ابا الدلفاء الخ) ثم قال الشيخ - يعنى
ابن العربى - متشكيا وللقضاء مسلما وراضيا - (ثم ذكر ابياتا اولها : فراق
بنتى صعب الخ) ثم ان الصهر لم يف بالعهود ولادى الموعود بل اهان المهرة وعصى
للشيخ امره فجعلها من جملة العيال ؛ تطحن ودمعها سيال ؛ ومنعها من الزيارة
وزاد فى الفحة بالنفس الامارة ؛ فتململ الشيخ لذا وتمنى ان يفديها لو امكن
الفدا ؛ فلما اعوزه الحال ولم تراع الحرمة الرجال ؛ قال رحمه الله (ثم ذكر
ابياتا فيها النهى عن مصاهرة الدرقاوين بسوس ؛ مطلعها لاتصاهر بسوس
درقاويا الخ) ولنصرف عن الكر العنان طالبا من الله المنان ان يمدنا برضا
الاشياخ والغفران ويقلل عثرات اللسان ؛ وما زبره فى ذلك البنان وحواه
الجنان ؛ وبرزقنا معهم المجاورة فى الجنان بجاه سيد ولد عدنان وعليه فى كل
حين التكلان ؛ مادام الملوان ودام النيران ؛ فصاحب الترجمة حج وصام وجال
وهام وعزر واقام وخاصم فى الله وخام وصارم من استحق الصرام الى ان ادركه
الحمام فادى الامانة ورضى باختتام وذلك فى ٤-١٠- طلوع الشمس يوم

السبت عام ١٣٢٨ هـ فقال سيدى الحاج ابراهيم ايريفى «ايطاس (اى نام) الشيخ رحمه الله ورضى عنه ءامين»

ذلك ما قاله المؤرخ وقد وجب التنبيه اولا الى ان الغلط وقع له فى وقت وفاة الشيخ ؛ فانه توفى عصر السبت ٢٨ ذى الحجة عام ١٣٢٨ هـ ومن هذا الغلط الذى لم يسلم منه مؤرخنا لعدم تثبته تدرك ان الغلط يكون اليه اسهل فسى مجريات الظنون ؛ فقد افتتح الترجمة بذكر ماهو الواقع فى احوال الشيخ ثم لما رأى اتساع نطاق دائرة الشيخ ظنه استسلم للشهوات ولو اراد المؤرخ ان يعرف الحقيقة لادركها فان المئات الذين يزورون الشيخ يرون كيف حالة زاويته فى التقشف الى ان مات ؛ وانا اعلم واقن بالمشاهدة ان اكل اللحوم وشرب الاتاى اللذين هما اذذاك من مظاهر الرفاهية لانراهما فى دار الشيخ الا لهما وفينة بعد فينة؛ ولكن الذى حفز المؤرخ الى مقال كونه سلف الشيخ فانه تزوج اخت زوجته ؛ فاصاخ الى تناجى النساء فى مضاجعهن وقد بينا كل ما بين الشيخ واستاذ العلامة ابن العربى فى ترجمة والدتى فى هذا القسم كما بينا ايضا بعض ما يتعلق بتزوجها من الوالد فى كتابى «الترياق المداوى» و«طاقة ربحان» واما الابيات التى اختصرناها فانها توجد فى ترجمة الوالدة فى القسم الثانى على اننى اعذر المؤرخ فما كتب الا ما اعتقد، فرحم الله الجميع وجعل الجميع فى جنة الفردوس على سرر متقابلين ؛ فانما العبرة بالنيات وهى من البواطن

بعض الامداح فى الشيخ

يقول العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود من اكابر اصحاب الشيخ ومن استقوا منه عللا بعد نهل ؛ فى اثناء قصيدته المسماة «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد بما للطريقة الالغية من استى الاسناد» يقول فيها بعد مدح نبوى كريم يخاطب الجنب النبوى

سم سليل روحك غوثنا الصمدانى
نور العيون وعين نور الآذ
ملك المعارف فارس الميدان
فرد الاوان وسيد الاقران
فى العصر شمس الايمة الاعيان
ءثاره بعهاده الهتان
صوالة كالسيف يوم طعان
والعلم ليس الخبر مثل عيان
طر حاضريه فئاية الرحمان
لداخليه بدا على الاعلان
ر على مشيئته ربه المنان

مالى سواك وسيلة لله ثـ
شيخ الحقيقة والطريقة من غدا
صبح الظلام وحل نجر عاطل
شيخ الجلالة شاذل زمانه
شيخى ابو الحسن ابن احمد من بدا
اعلى من الدين المنار واحييت
ذوهمة فعالة وعزيمة
وله الكرامات البواهر والتقى
اما الفراسة والكلام على خوا
وله من التصريف امر واضح
هذا على ادب يحيل به الامو

يانجل احمد ياعلى علت بكم
 انت الهمام الشهم ياذا الهمه الـ
 انت الجواد متى يعد الجود ما
 ان كان يخرج منهما المرجان والـ
 فلکم ندى الارواح بالعرفان بلـ
 اوما جلوت صدا القلوب بحكمة
 وغسلت من ادائها وجبوتها
 فسقيتها من خمرة نبوية
 من ذا يبارى البدر فى مجلاه او
 بعد الكرائم وانتفاع الناس بالا
 احببت رسم الدين بعد دروسه
 ونصبت مرفوع الدعائم من هدى
 وبسرك انصلحت عصائب صقنا
 وبك المعارف والحقائق تجتلى
 قلدت اعناق الرجال اولى النهى
 ماذا وراء النفع يطلب شاهدا
 هذا الامام العارف الفاسى ابو
 قد قال ان شهود نفع الناس من
 بصميم ما منحوا من السر الذى
 ولقد سمعت بشارة من شيخكم
 قد قال انك فى مقام الشيخ غو
 هذا الى ما جاء عن اهل البصا
 يامن عليه الباب مسدود انخ
 خيم بباب الفضل والكرم الذى
 فى حضرة قدسية نبوية
 فاذا الخطوب عدت عليك وارجف الـ
 فاعطف لمن القت مقاليد الوجو
 هذا العماد وذا السناد وذا الغيا
 هذا الذى ما امه ذو عسرة
 هذا الذى تعنو وجوه العارفيـ
 فاذا افاد العلم فهو الشاذلي
 اخاذ افئدة الرجال بهمة
 يصطاد ارباب القلوب لحضرة الـ
 شرفا وفخرا باذخا للغرب من
 بزغت به فى «الغ» ما ادراك ما

رتب سمت قدرا على كيوان
 قعساء ياغوث الكسير العانى
 كعب وما هرم وما البحران ؟
 بدر النضيد فذا نفيس فان
 هـ الجود للاشباح بالالوان
 صمدية من سرك الصمدانى
 علقا نفيسا غالى الاثمان
 ازرت بما اروت بخمر جنان
 يرتاب فى شمس سوى العميان ؟
 مداد فى الاسرار والاعلان
 وخبو نور الحق بالطغيان
 خفضوه بالدعوى مدى ازمان
 سوسى من قاصيهم والدانى
 صرفا على رغم الحسود الشانى
 منها عقود الدر والعقيان
 بجلالة التخصيص للاعيان
 زيد من الغر الكبار الثنان
 اهل الولاية واضح البرهان
 خص الاله به ذوى العرفان
 العارف الاسنى ابى عثمان
 م زمانه الجمل الرضى العمرانى
 ثر غيره فيما لكم من شان
 واحظط رحالك فى هنا وامان
 من حل فيه ثوى اعز مكان
 هذا على بابها الرحمانى
 عادى واشمتك انقلاب زمان
 د وملكته سائر الاكوان
 ث وذا حمى المستضعف الولهان
 الا وباء يحفه اليسران
 من لنور طلعتة كما السلطان
 او فاض بالاحوال فالجيلانى
 من هم فيه غدا مقود عنان
 محبوب مغنى الروح والريحان
 شمس المعارف والهدى الربانى
 (الغ) لقد اربت على البلدان

عطرت بطيبك بعد عترتك الالى ورتوا اثر المجد عن اعيان
سلف لهم نالوا العلا بولادة الـ طيار جعفر اكرم الفتيان (١)
ربي بحرمة انلنى المبتغى من فيض جود الواهب المنان

وبمناسبة مذكره العلامة ابن مسعود فى هذه القصيدة ، وبمناسبة ما
تقدم عن المورخين المذكورين ؛ اثبت هنا بعض ماقيده ابن مسعود مما يتعلق
بروحانية الشيخ ؛ ومن هناك يعرف القارىء كيف الشيخ عند اصحابه ؛ وقد
ظفرت بهذه المقيدة وشيكا حين وصلت هذا الموضوع من الترجمة ؛ انقلها من
خط ابن مسعود نفسه ومن هذا يعرف القارىء المكانة التى للشيخ عند علامة
سوس ابن مسعود ؛ بله غيره ؛ قال مانصه

«اخبرنى بعض الفقراء الاخوان انه كان فى مرض شديد من علة القرحة
المعروفة بقرحة النار ؛ فلزم الفراش وعالج القرحة بالنار الا انه مازال ملازما
للفراش بعد المعالجة فرأى شيخنا رضى الله عنه جاءه وهو يقظان غير نائم
فكشف الثوب عن وجه المريض بيده وتقل على يده ومسح بها موضع القرحة
فعل ذلك مرتين وخرج عنه ولم يكلمه ؛ فنادى المريض امراته وقال لها ان
الشيخ رضى الله عنه خرج من عندى فانظروا اين هو وانزلوه فى محل الضيوف
فقالته له ما رايناه ولا رآه احد فخرجت وفتشت فلم تجد احدا ولا رآه احد من
الجيران فظهر الشفاء عليه من ذلك الوقت ؛ ولله الحمد مع ان بلدة الشيخ بعيدة
من بلدة الاخ المذكور ؛ بينهما مسافة قريبة من يومين

متى كان حكم الروح للجسم لم يكن ليثقل من كثافة البشرية
اذا ازدوجا وزالت الحجب التى تعوق من تنافر الثانوية
افاضت عليه الروح ما كان مودعا بها فارتدى بالخلعة الملكية
بامدادها يسير فى الجو ماشيا على الماء والدنيا لديه كخطوة

وسمعت الاخ المذكور وغيره يقول : سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول :
ما من فقير ينتسب الينا (الاوهمتنا) معه فى اى موضع كان فى جميع حركاته
(او كما قال)

ووقفت على رسالة ارسلها الشيخ رضى الله عنه الى بعض الفقراء فيها
من جملة كلام له مانصه وقد اشتقنا للملاقة اكثر من اشتياق الوالدة لولدها
المرضع ولكن الحمد لله قد بلغنا مرتبه فى ملاقة الارواح ، تغنى عن ملاقة
الاشباح ؛ ولذلك يسرى المدد من الاشياخ الى المريدين ؛ ولولا ذلك لم يمكن
احد ان يربى احدا ولم يعرف ذلك الا من ذاقه . وكيف يكون ذلك عند من يجد

(١) انظر فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ما يتعلق بهذه النسبة الجعفرية

ذاته تتمثل بذات مرديه ؛ او بذات شيخه ؛ وانما ذلك من غلبة الروح على الشيخ وبذلك تقع المشاهدة النبوية عند جولان فكر اهل ذلك المقام يقظة ؛ وذكر الشيء بترك سواء هو الذى يفنى» انتهى الغرض منها

واخبرنى بعض الاخوان انه وقف على رسالة للشيخ رضى الله عنه بخط يده الكريمة ؛ فيها من جملة كلام له مانصه ولا تهملوا ارشاد عباد الله الى الله ؛ فذلك الذى وصيناك عليه (لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس من حمر النعم) فلاخير اكثر من ذلك ؛ (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله)؟ الى ان قال: وسلم منا على جميع الاحباب اينما كانوا (فهاهمتنا) معهم اينما كانوا والاحوال كلها بخير

واخبرتني بعض افاضل الاخوان ؛ من المتجربين ان بعض من ينتسب لطريقة الشيخ رضى الله عنه ممن تلقن منه ؛لقى في بعض الامصار بعض الامراء ممن كان بينه وبينه صداقة ومع الامير المذكور بعض من جاء من قبل السلطان رسولا اليه يدعوه الى حضرته ؛ فذهب الفقير المذكور معهم صحبة الامير المذكور ؛ فلما دخلوا اغلقت عليهم الابواب ؛ وظهر للفقير انهم اريد بهم الحبس والنكال فاستغاث بشيخنا رضى الله عنه ؛ قال فجاءني الشيخ بنفسه رضى الله عنه واخذ بعضدى وقال مالكم وللدخول فيما لا يناسبكم او ما يقرب من هذا ، ودفعه الى خارج الابواب ؛ والحرس على الابواب كالعادة فى مثل ذلك ونجاه الله تعالى قال المخبر بهذه الحكاية؛ قد حضرت الشيخ رضى الله عنه يوما وقد فرق المتجربين رضى الله عنهم لجمع الناس الى موسمته على العادة ؛ وكان فى الوقت خوف وفتنة ؛ فقال لهم ما حاصله لا يخطر ببال فقيرنا خوف اللصوص ولا السباع ولا الحيات ولا العقارب يشير الى انه لا ينبغي ان يظن توحده عن شيخه لانه معه سره وهمته دائما نحو ما تقدم عنه رضى الله عنه

واخبرنى الفقير المذكور ان رجلا كان من رؤساء قبيلته قال له انه ورد علينا الشيخ مع الفقراء ؛ ولم يكن فى الموضع من يهتبل بهم فطلبوا علف دابته فلم يجدوه فاتيتهم بمخلاة مملوءة شعيرا ففرح الشيخ رضى الله عنه بذلك، قال ومضت مدة عن ذلك ؛ ثم لحقنى مرض لزمته منه الفراش ولحقننى منه شدة فظهر لى الشيخ وقد خرج الى من جدار البيت الذى انا فيه ويده المخلاة التى ملاتها له بالعلف ؛ قال فرفعنى من ضجعتى ؛ واسندنى الى الحائط وجعل بينى وبين الجدار تلك المخلاة وهى مملوءة شعيرا ؛ ثم دخل فى الجدار فى الموضع الذى منه خرج ؛ وجاءنى بحمد الله الشفاء فى الحال

واخبرنى بعض الاخوان من الفقراء ان بعض رؤساء قبيلته لقنه الشيخ رضى الله عنه الذكر ؛ فنهاه عن مخالطة رؤساء القبيلة وامره بالاجتناب والانكفاف عما هو شأنه قبل الانتساب الى الشيخ وبعدما فارقه جاءه فى بعض

الايام رسول الرؤساء المذكورين يستدعونه الى مجملهم كالعادة فجاء اليهم ؛ فلما كان في الطريق احس ببطنه تحرك عليه كانه يريد الاستفراغ ؛ فذهب الى محل قضاء الحاجة فلم يمكن له الاستفراغ فذهب اليهم فلما جلس اليهم لحقه مرض البطن ؛ فقام عنهم الى داره وبقي كذلك الى مضي سبعة ايام وهو بحال المرض المذكور محصور عن قضاء حاجة الانسان وفي اليوم السابع بقرب الزوال اخذته غفوة من المنام ؛ فرأى الشيخ رضى الله عنه قد خرج من بعض بيوت دارالرجل المذكور ؛ وجاء اليه ومسح بيده الكريمة على بدنه فانتهبه ؛ ونظر في جوانب البيت الذي هو فيه كانه بحال فزع فسألته زوجته مابالك فحصل له الشفاء في الحين ؛ وقام من فوره وذهب الى الكنيف لقضاء الحاجة انتهى ما نقلته (مع بعض اختصار) من خط الاستاذ سقته كتمة لما هو في القصيدة النونية؛ ولمعرفة ناحية اخرى عن الشيخ مما يتداوله عنه اصحابه وتتكب نحن الاكثار منه . لان ذلك ينافي بعضه سنن الكون التي لا يومن الا بها عند غالب أهل هذا العصر وان كان المومن يوقن بان الله قادر على كل شيء مما يخرق عادة تلك السنن

ومن امداح ابن مسعود في الشيخ قوله :

باكر بها	لمرابح الزهراء	تلق المنى	بالقاعة الوعساء
واجل بمسرحها	الفسيح الطرفا	رح ناعما	بتواصل السراء
اتخالني	كلفا بغزلان النقي	او وصل كل خريدة	غيدا
حسبي	هوى فئة تظن وجوههم	زهر النجوم تضيء في	الظلماء
نور السرائر	في الاسرة لائح	متبلجا فيهم لفرط	صفاء
جلي مرايا القوم	صيقل حكمة	وهداية من عارف	الفبراء
الشيخ قطب العصر	سيدنا ابي ال	حسن بن احمد فارس	الهيحاء
ياكعبة ياوى لساحة	برهسا	اهل القلوب وجلة	العظماء
ياروضة من جنة بل	حضرة	تنسي نعيم الخلد	بالالاء
يانبعة المرتاد	يانور البلاء	د وملجأ الملهوف في	الحوباء
طال التقاعد والتكاسل	بالفتى	فسعى لبابك سيد	الكرماء
قصدي من الكرم العريض	اغائة	بتخلص من كربة	اللاواء
برحيل هذا القلب عن كدر	العوا	تد والحظوظ وغفلة	القرناء
وتعلق بالله في الاحوال	والـ	جمع المزبل لمعضل	الادواء
انت الملاذ ومن يلوذ بك	احتمى	في دهره من فادح	الاسواء
انت المعز لمن هواه	هوى به	لهزيمة الارجاس	والارجاء
انت الطبيب لكل من جنحت	به	نفس تبوء به الى	الرمضاء
انت الممد بنظرة يرقى	بها	قلب الحضيض لهمة	قضاء
انت النفس كربة المكروب	يلـ	ههب قلبه بشماتة	الاعداء
انت المسود والمتوج	تاج اهـ	ل الله باب مصادر	الاشياء

تهواه ينفذ دون ما ابطاء
بالسقى حفظ صنيعه وذماء
يزرى بفيض البحر والانواء
محضطر من ممن لكم بيضاء
والعبد عبدك رافع الحوجاء
عود تموه فواضل الآلاء
ما الحق العرجاء بالوجناء
ستسخ الظلام بغرة وضياء
فقدنا بتاجرها رباح زكاء
احسان والعرفان ريع كباء
سامي يصحبكم كما الحكماء
ل الخمر ملتبسا بحسن بهاء
عي الحب للتقريد والانشاء
حلل الحياء تيمس كالحسناء
مقروحة تنغي جزيل حباء
ب سناؤها بصفاتك العليا
عجبا ولا تكليف بعد فناء
عافين بالالطاف والنعماء

وحين اطلع على القصيدة شيخنا الاديب سيدى محمد بن الطاهر
الافرانى قال فى تقريرها

شمس الذكا باشعة وسناء
والزهر يمحق نورها بذكاء
نفح الزهور مطيرة وكباء
ازرى بما يهمى من الانداء
ل تبليج الانوار فى الظلماء
اعطافها بالعجب والخيلاء
حاكت مديح معطر الانباء
حسن ابن احمد قدوة العلماء
اغنى عن الانشاد والانشاء
صيت سرى بشواسع الارجاء
شمس المكارم دون طول عناء
عالى عن التسرين والجوزاء
من معدر قد حل بدر سماء
غرر الدهور وكاشفوا الحوباء
فيض ومن سر ومن نعماء

انت الخليفة عن رسول الله ما
انا غرس نعمة سادتى فليدركوا
حاشاكم ياسادتى ونداكم
حاشاكم حاشاكم ان يحرم الـ
والجاء اعظم والعوارف جمـة
لولاكم ما كان يطمع فى النداء
او لم تفيضوا من جدا نفحاتكم
حييت بنورك شرعة التوحيد وانـ
واقمت سوق العشق بعد كسادها
وعمرتها حللا يفوح بها من الـ
ويح الجهول اما كفاه تبجر الـ
وتهذب الجلف الغليظ كما استحا
هاذى عجالة راكمض ناداه دا
واليكها شيخ المشايخ ترتدى
بنت السبيل على كلال قريحة
فان ازدهت مماحوت من نشر طـ
فمن اطباء جمال بركم فلا
لازال جودك وابلا ينهل للـ

لاحت فاعشت اعين البصراء
اخفت نجوم قرائح لما بدت
وسرت روائحها معطرة فما
وهمت بودق بلاغة وفصاحة
وتبلجت بلوائح الاسرار مثـ
وزهت بطلعتها على خود ثنت
سرت قلوب العارفين لانها
مدح الكريم الشيخ سيدنا ابي الـ
شيخ الهدى بحر الجدا من فضله
العارف الجهم المحاسن من له
وابانها الشيخ الذى دانت له
الثاقب الذهن الرفيع المجد والـ
ذاك ابن مسعود الامام محمد
ورث المكارم عن جدود كلهم
بشراك انك نلت ماتبعيه من

وحبيت بالانوار والاسرار والـ
ايه ابا عبد الاله فقد منحـ
لما نزلت بها ازدهت وترجبت
فاهنا بما اوليت من مولاك من

وله فيه ايضا :

قفا بالمطى في اراكة نعمان
وأما بها صوب الحبيب مرابعا
بها نشر النسيم من كل نفحة
منازل من اهوى منازل للصفاء
اذا ماصبا نجد سرت نسوماتها
وان غرد القمري في غصن ايكه
اكانم شان الوجد ثم يبشه
وتروى احاديث الهوى ورعيه
واني لاستحلى اذكاهم وما
ولو ان ما الاضلاع منى تكنه
وما شاقنى وصل القواني ولاهمت
تجمعت الاهواء في حب من غدت
وذاك امام الدين من شهدت له
ابو الحسن ابن احمد الغوث من بد
ابان دقائق الحقائق فاهتدت
وجلجى بها حلجى به كل مسمع
افاد وهذب القلوب فاصبحت
مجالسه رياض جنة ازلقت
وينقع من انهارها كل غلة
وفيه شفاء كل قلب مكدر
نتيجة خلوة مع الله جلجت
فما شئت من معنى لطيف وحكمة
ومن مدد يسرى بنور محبة
ويرقى به من سفلى فرق مشئت
ومن كلمات يفلق الصم وعظها
فيصبح من بعد الغواية واضح الـ
على قدم التجريد للحق سالكا
وعلم واشار بمال ومهجة
على سنن العلم القويم لحجة

اجلال والاعظام والالاء
ست عوارفا من حضرة غراء
بك يا حليف سيادة وعلاء
فضل عظيم جل عن احصاء

وعوجا بها وهنا لمكنس غزلان
سقتها غواذى الزمن من سح هتان
يفار لها نصير زهر وريخان
نسيت بها فردوس حور وولدان
تملى بها لبي وروحي وجثمانى
اثار بلابلى بتغريد الحان
من الدمع غرب ذوسكوب وتهتان
فتحتاج لوعتى بجيران غسان
ازيد به الاصابة هيمان
برضوى لذاب من حرارة اشجان
دموع محاجرى لفرقة خلان
محاسنه فى العصر زينة اكوان
معالى الهوى ان ماله فيه من ثان
تفضائله كالشمس فى سطع برهان
اليها النهى من حسن لفظ وتبيان
من الدر ما انسى جواهر تيجان
كزهر النجوم زانها حسن ايقان
تدار بها مدام حب وعرفان
بها سلسبيل لاحميم ولاءان
ضليل عن الخيرات فى الارض حيران
طرائفها لكل غرثان صديان
منضدة تزهو على عقد مرجان
كما سرت الصهبا فى عقل نشوان
لاوج فناء الجمع منزل احسان
ينيب بها لله كم من فتى جان
زهادة موسوما بهجة ايمان
بعزم وصدق فى تبذل رهبان
وحزم وجد عن بصيرة يقظان
بها سلك الهداة من كل ربانى

فزرهم تر التوحيد في شخص انسان
اما في انبلاج الصبح احسن عنوان؟
هم السادة الابرار من غير اعيان
عطرن بذكر الله من بعد انتان
فيوضهم يحظى بما فوق حسابان
وللشيل شبه من غضنفر خفان
— اما جدد يافرد الندى طود اقران
كما خلف الصديق مفخر عدنان
وشيدتها صرحا باوثق اركان
غدت كعبة للفضل من بين اوطان
وهل شرف الاوطان الا بقطان؟
بها فلها فخار فضل ورجحان
وهل برمال عالج طوق حسابان
على نفس النسيم امداح حسان
عن القصد والمجدود من ليس بالوانى
وقد حيل بين العير والغرض الداني
بنور من السر المويد صمداني
عليك به ينهل وابل رضوان

اناس من اتوحيد صيغت نفوسهم
هم الانجم الزهر السواطع للعلا
هم القادة الاخيار شم ججاج
لهم في السهول والتجود موطن
هم القوم لايشقى جليسهم ومن
هناك الهلال موذن بتمامه
اشمس الهدى بدر الفتوة مقتدى ال
خلفت الامام الشاذلى بهديه
واحبيت من رسم الطريقة ما عفا
وشرفت من تلك البقاع معاقلا
طلعت بها سعد السعود وزهره
ليهنأ بلاد الغرب انك ناشىء
تطفلت بالقريض ابغى امتداد حكم
ولو مدلى فى الباع سيرت نحوكم
ولكنها الاقدار تعدل بالفتى
«اهم بامر الحزم لو استطيعه
بقيت لاهل الدين روحا تدمهم
وازكى سلام طيب النشر فائسح

وله فيه ايضا

بسمت مطالعه من الافراح
بجبينها الاعلام كالاصباح
ويروح تحمله صبا الارواح
صرفا بلا مزح رحيق الراح
ومواهبها من ربك الفتح
مجد خصصت به من المدايح
— نجوم قلاندا لنفائس الامدايح
سفر التي استغنت عن الايضاح
فيما يروم بضاعة الافصاح
ست الكتب من عجل عن استفتاح
تحى به الارواح كالاشباح

ياسيدا من نوره الوضاح
زانت بك الايام غرة اهتدت
الف التحايا من الهك يفتدى
تسقى نديم الروح فى نادى الندى
ترداد منه معارفا ولطائفا
ماذا يعد الشعر من شرف ومن
هبنى بسطت القول اوصفت النـ
من لى بعشر العشر من اوصافك ال
فاعذر ضعيفا مفجما قصرت به
ضاققت به سبل الكلام وضاق وقد
لازلت شمس الدين صيب رحمة

وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ:

ابى الحسن الالفى ياسلوة القلب
بهم دارهم فالجمع فى وحدة الحب

اسادتنا صحب الامام الرضا القطب
سلام عليكم من محبين ان نات

وينهون انهم لفرط تشوق
فمنوا تفضلا عليهم بزورة
بقيتم نجوما للهدى بسنائكم

وله فيه ايضا

ليهنكم يا آل الخ مفاخر
سموتم بدورا بل شموسابنورك
فابقاكم للعلم والفضل والهدى

وله فيه ايضا

نسمات الرضا وروح سلام
شيخنا الاوحد الهمام امام الس
شاذلى الزمان روح الكمالا

وله فيه ايضا :

سقى الله الحمى من تحت حصن
هناك من الاماجد كل ندب
هناك احبة يسلو فؤادى
وهم روحى وريحانى وانسى
فلا برحت مرابعهم رياضا

وله فيه ايضا

تلك شمس القلوب بانت فتاهو
عللانى فالاسم عين المسمى
وتلاشى بنوره كل شئ
ياعربيا هم الكرام اصيخوا
بلسان عن حضرة القدس ينشئ
ارحموا العبد منة واقبلوه
ياعلى بن احمد من به قد
وتعطر غربنا بشذاه
يااماما قوت القلوب واحي
له در السعيد شيخكم قد
عارف اثر عارف وشموس
ان فى القول لاتساعا ولكن
فعليكم تحية وسلام

ام سبى اللب سمع قول الفتى «هو»
بحديث من طاح عنه سواء
صار عيني اذا انا اياه
لعييد يهدى اليكم ثناه
منكم واليكم منتهاه
فهو ضيف لكم وفكوا عنه
طاب سوس وذكره وسناه
وبانواره استنار دجاء
ساء المعارف من مفاض نداءه
طب فرعا وطاب اصل جناه
نخبة الشاذلى طاب ثراه
لات حين استقصائنا ادناه
يعبق الكون دائما من شذاه

وله فيه ايضا

من الروح والعرقان ويحك في الخ
بانواره غين الضلالة في دمع
لتحفظ من كيد الشياطين والنزغ
تروق كما النصار بالسبك والصوغ
فؤادك مصوغ من الحب بالصبغ

اقول لمن قد شفه الوجد ماتبغى
انخها بنال احمد فعليهم
فلذ بحماه واحتفظ بجنابه
محلى مهذب الخلائق بالتقوى
وتصبح في روض المعارف نائرا

فاجابه الشيخ بقوله

فغين السوى عن عين قلبكم الخ
تقر به العينان من كل ما تبغى
يلوح على الاشياء طرا بلا زيغ

ايا طالبا سر المعارف في الخ
وداوم على ذكر الاله تر الذى
وجاهد وراقب ثم شاهد جماله

وله فيه ايضا

فاهتز من طرب بل ازدهى تيهها
تحبى به نفس هم كاد يفنيها
كيما ينال لدى مولاه تنويها

ياسيدا اطلعت بالسوس طلعتيه
حيثك عنى صبا نسيمها ارج
يستوهب العبد ان يرعاه خاطرهم

وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ من المتجردين

السالكين محجة العرفان
محسن ابن احمد نخبه الاعيان
ارواح نفح تحية الرضوان
متطارح فى عتبة الحنان
ز من المهالك وامتطا الاحسان
عار عليكم ضيعة الجيران

ياسادتي الغر العظام الشان
اصحاب عارف عصرنا الالفى ابى الـ
هبت على اشباحكم وقلوبكم
منوا بدعوة صادق متوجه
للعبء بالتوب الصحيح مع المفا
فالسعيد محسوب على ابوابكم

وله فيه ايضا

منجدا زائرا لا وثق حصن
بالمطايا واعمد الى خير ركن
قاده لهواهم كل حسن
نازح فى استلامك المازمين
وعسى ان يعود وصل لبين

حى ربع الرباب من تحت حصن
وبوادي العقيق فيه فرج
واقرا عنى تحبة من مشوق
وتمل من الجمال ونسب عن
عاقه ان يزورهم سوء حظ

وله فيه ايضا

بدا خليفته الالفى ابى الحسن
لذروة العز نائيا من المحن

ان فاتك القطب ذاك الشاذل فلذ
ففر من الله بالرضوان واقتعدن

وله فيه ايضا :

وترى الهوى وسط المنى متلافا
روح الهداية للذى قد سافا ؟
يحيا فؤادك تنتعش وتلافي
في الخ تكشف في القلوب سجايا
يزلن طول حياته مهيا
بين الآوان قراحها وسلافا
كف تعير لغيرهم اطرافا
عندى وما اعتده اطرافا
من لايراهم غير ما قد عافا
نال العلوم وعاشر الاشرافا
الصاد ثم الدال ثم القافا
دنا ابي الحسن الذى قد صافى
ها منية القلب الذى قد زافا
لقى القبول لديه والالطافا
لايغنى قولى لديه غرافا
متطلب من فضله اتحافا
لله من قد مولوا من سافا
رفع اللواء وارشد الاطرافا
فاشى اذا ما حكته افوافا
لقى كلامى فى المديح جزافا
م ومن هم قد البسوا الانصافا
الخ الهدى وعلى سناه اشافا
امواجها ان تغمر الاسيافا
بالغيث حتى افعم الاكتافا
بضيائها من كونها الاعطافا
س سوى القصور لمن غداوصافا؟
سوهاج من انوارها اوصافا ؟
فيمن شأى الاخلاف والاسلاف
فتح القلوب وزحزح الاصدا
متلألا ببريقه خطافا
عرضا ولو فى ساعة أسدا
نحى الظلام عن النهى فتجافى
فيه قصير مجفف اجحافا
ض شمائلنا ومناظرا ولطافا

ذق من كؤوس ودادهم فتصافى
كيف الحياة بلا شعور القلب من
فاجعلك من اتباعهم ان شئت ان
ان الطريقة قد تبلج بدرها
من لم يرد من عند منبعها فلا
مذ ذقت من رشقاتهم انسيت من
قد تيمونى من جمالهم فلا
فهم فؤادى واللسان وكل ما
فهم جمال الكون اجمع لايرى
ليس النجاة بكف غيرهم وان
فهم الدواء لغيرهم حتى غدوا
لاسيما مثل الامام القطب سيب
فاليه كل محامدى جمعاء فيـ
وببابه القى الرحال لعلنى
وانا على لسن القريض اريخ ان
فانا له حسان مدح دائم
فليعلم الثقلان انى عبد اهـ
اصحاب قطب الكون من فى الخ قد
فيه القريض اذا اقول يلذ لى
لايحسب الشعراء انى مثلهم
فالله يعلم والملائكة الكرا
وجميع من قد ابصروا ماكان فى
انى كمن يشئ على الدماء فى
وكمن يطيل المدح فى غيم همى
وكمن يشيد بنور شمس الحفت
هل فى البحار وفى الغيوث وفى الشمو
انى يحيط بمائها الشجاج والـ
فاذا يكون المدح حقا صادقا
مثل الامام امام هذا الجيل من
وابان هذا الدين صحوا مشرقا
وازاح عن ألباب من يلقي ولو
وارى العيون من الخ نورا ساطعا
فالمدح فيمن كان هذا بعض ما
وان استعار المادحون من الريا

او من عزيمة باسل متدرع
 ماذا اجمع ما يؤدي ما هنا
 تحكى كما يحكى الصدا من شعبة
 لكن ما قد كان حقا يجتلى
 مازال مكتنما وليس يراه من
 سر من الاسرار يلقيه الالـ
 واذا يمس كلام صاحبه القلو
 فينيرها نور الهدى فيكون حـا
 لاسعد الا ان تكون نظيرهم

* * *

يامن به عاد الفؤاد لا منه
 لك ما يفوق حقوق من نجلا وقد
 انقلت من سنة تمدى سجعها
 واملت من رسنى الى جهة الهدى
 فباى شكر يلتقى من كان من
 من لم يفق لم يدر ما غفلاته
 ما اغفل المستهينين هواهم
 لكنه هيهات ان يستيقظوا
 يضع الهناء مواضع النقب التى
 مثل الامام اما منا من دابه
 خواض كل تنوفة ركاب كـ
 ماقصده الا انتشال الغافليـ
 كم من جهول غافل فى اهله
 لم يدر كيف الرشدا وكيف الهدى
 سبقت سعادته فقيد لداره
 فيسيمه رغما دواء شافيا
 من ياب تطيب العياء بجنبه
 فاذا بذاك الغفل عاد كانه
 ادر العيون تر الالوف وكلهم
 عادوا رؤوس الدين بين هداته
 هذى يد الغية تسدى الى
 كل ينزل فى منازل ينـا
 هذا يرى الفردوس منزله وذا
 والكل راض والمقاصد واحـد
 فتراهم زمرا اذا ما يرضعو

من بعد ان ذاق الجسو وعافا
 نحيث عن قلب العبيد غلافا
 زمنا طويلا سمت فيه تلافا
 واريتنى كيف الهدى اشرافا
 جرف القواية والضلال تلافى
 وان ارتقى العلماء والاشرافا
 وان ادعوا وتنكبوا الانصافا
 ما لم يلاقوا واعظا لطافا
 كانت لكل مضرة اهدافا
 وعظ الورى فيعلق الاشنافا
 لـ هواجر فى عمره ءالافا
 من وهزه بعظاته الاكتافا
 جعل الهوى فى جانبه سلافا
 ضخم الكرادس لايميد ؛ معافي
 شيخ المشايخ حاملا الطافا
 والطب يغدو تارة عنافا
 يبصر طبيب عيائه كتافا
 ما قط عاشر همدا اجلافا
 من هؤلاء تحولوا اشرافا
 من بعد ان كانوا هم الاظلافا
 الاقوام تهدى منهم اصنافا
 ول من ثمار نظيره اقطافا
 ك يرى له من دونه الاعرافا
 ما ان ترى فى الممرعات عجافا
 ن لسر شيخهم الهنى الاخلافا

يتواردون عليه هياما ثم يصـ
الله اكبر هكذا كنا سمعـ
كالشاذلي ونجمله المرسى ان
لكن يفوقهم الامام الشيخ قطـ
بعزيمة فعالة قوالة
يلج البيوت على بنى الفللات رغـ
فيريهم نهجا الى خلاقهم
هذى المفآخر لا مفآخر قصعة
قد كملت بسديفها اطرافا

* * *

يا ايها الشيخ الذى فخرت به
دم للطريقة قائدا فى رتبة
وعليك منى يامام تحية
وارع العبيد القدم من بعد لكى
سفن السعادة لائى اجدا
عليا تربى الفرش والصفصافا
ممن حباك الفضل والانحافا
يسقى بكأس محبة فيصافى

لابن مسعود فى هذه القصيدة نفس يريد ان يحلق به ؛ لو انه نقح القصيدة
وراجع بعض الفاظها ؛ لكن الخطب فى ذلك سهل من امثاله الذين يلقون ما يلقون
على عواهنه وهى من قصائده التى خاطب بها الشيخ بعد رجوعه من السياحة
الآخيرة ؛ اعطاها له فى المعدر ثم بقيت فى مبيضتها الى ان ظفرنا بها ؛ وكذلك هذه
التي يليها فقد ارسلها الى الشيخ فى مرضته التى توفى فيها ؛ وقد سمع بانه ابل
من مرضته ؛ وهى

لبيها الورى طرا بابلالك السعد
ولاح لها من نور وجهك نورها
لقد ضجت الآفاق وانهد من قوى
بشكواك يافرد الوجود وزعزعت
مرضت فامرضت القلوب وحل فى
وخلنا قوام الدين قد حان حينه
فحمدا لمن بالبرء رد حياته
وءاض الى افراحه كل مشهد
غدوت معافى يا امام فعوفيت
وعاد ابتسام مستطاب مؤثر
ففى اليوم عاد الجو ابيض مشرقا
وعاد الغرار بعد طول تسهد
فهذى عيون الناس يغمرها الكرى
واصبح فى تلك المعالم نافع
فماشئت من قوت القلوب تجيش من
فقد عاد منه للعلا البخت والجد
وزال بها من برئك البؤس والجهد
مكارمها ما لا يظن له هد
حلوم قروم دونها الشامخ الطود
سويدائها ما تشق من حملة الصلد
غداة راينا قطبه هزة الميـد
فتنبج البشرى وينكشف النكد
من الخبر واحلولى لراشفه الشهد
مكارم قد اشفت وساومها الفقد
الى فئة الايمان فالشكر والحمد
وزال ظلام النجس وانبلج السعد
الى نظرات طالما مضها السهد
وقد امننت وارتاح بالراقـد المهد
من الانس طال عن نوافحه العهد
ينابيعه الامداد ما ان لها حد

نها الحب والتوفيق والشكر والزهد
 وشرعته حبا يصوع به الند
 د صب به اشفى على لحدده الوجد
 ملابس بهجات تغار لها هند
 مجال الكمال الحق ما دونه بعد
 بطيب شذاهم التهاثم والنجد
 قبورك عزا دونه الابلق الفرد
 د لا يستبيح جاره الدهر من يعدو
 ضعيف على الخذلان اعوزه الايد
 بهم تبلغ المنى؛ بهم يقتفى الرشد
 الى العرش تحت بطشها الملك والجند
 اصول على دهر به تهضم الاسد
 وفخرى اذا الناس المفاخر قدعدوا
 غنيت ؛ وكثر النطف يفنى له العد
 بسر جمال من اشعتهم يبدو
 يهيجك نور الحق ما دونه صد
 — زمان ففوت العمر ليس له رد
 هنيئا فان السم يودعه الشهد
 من جدعان بل اودى بجفنته الاد
 ره الرأى لم تلبس له الادرع السرد
 سه زهرة فان وجد رقرقه فقد
 ستفظ بالتقى ؛ والعلم ما فوقه مجد
 وفي غفلة عما يراد له العبد
 بتنفيه يوم الرهان التظى الوقد
 مصارع بقى هزلها فى الورى جد
 هلاك امرى ينماع من بطشه الفهد
 ض بالفتك دون ان يتم له الوعد
 على الشيع والقيصوم فاغتاله الكيد
 عليه ؛ ومن يحقر فلا بد ان يعدو
 عليه وقد يستهون الفاتك الجلد
 مزلة اقوال يضيق بها القصد
 فهم بهرج يبدو اذا سبر النقد
 عن الغى لاتحفل وان عذلت دعد
 دلاء ولم يخب لرائده قصد
 يدود من الاكدار ما ان له حد

بها انتعشت من بعد ادوائها وزا
 وما شئت من حب النبى وصحبه
 وما شئت من روح يروح عن قوا
 وما شئت من ريحان نور يرف فى
 وما شئت من معنى شهود يريك فى
 كذا فلتطب اعمار زهر تارجت
 بهم يحتمى من سامه الدهر خسفه
 حمى الله لاجوار جار ابى دوا
 بهم فى دجنات النوائب يلتجى
 بهم تنجلى الحوباء والغزى والردى
 لهم همم تفرى الطباق وترتقى
 هم اسرتى ونصرتى وبغزهم
 وهم مقبى وفيلقى ومقاولى
 وهم كرشى وعيبتى وبجهم
 فيعاذلى كن عاذرى فى تولهى
 اخالك مختل المزاج وكيف لا
 فرد سلسبيلا واغتنم فرصة من ال
 ولا تغتر بالدهر يوسعك الجدى
 فما قر قارون على كنزه ولا ابـ
 وغال نديم الفرقدن من اغترا
 فقبحا وشقحا للمفتن تطبيـ
 وراقب على مدى الزمان الاله واحد
 تهاونت بالانفاس وهى نفيسة
 فلا تحقرن فى الشر نورا فداحس
 وحاذر وان اركبت عزا ممنعا
 فكم كان من جرا تهور ناطق
 فذا عروة الرحال عارضه البرا
 اراد اجازة اللطيمة ذمة
 وماخاله بالخفر يجسر ضلة
 الم باقذاع فاوغر صدره
 ومن يعتصم بلبه لا يخاف من
 وكن نابذا من لم يعنك على الهدى
 وسر فى محجات الصواب منكبا
 فهذا امام لا تكدر بحره الـ
 يوجد على الالباب من نوره كما

يحل باذن الله ما ابرم الشد
نعم قطرة من سيبه دونها الجود
والاحنف حيث الغيظ في جمره وقد
بها سالك البيداء جد به الجود
من الرق التنغيص؛ يا حبذا الورد
سمروغ لم يستمه ناب ولاحد
الى غيثها الهطل ينتجع الورد
ولكنها كالدرد ضمنه العقد
بتعدادها من طيب انفاسه المد
بتوصيفه والعقل يحجزه الحد

* * *

تراجعت الآمال وانتعش المجد
فمنك له المحيا يراوح او يغدو
نهني به الاسلام حق له الحمد
بها بهجة العرفان تم لها العود
لكم عمرا ينمو به للورى الرغد
وغرب بها الوراد يغمرهم ورد
عبارات من امداحه حولكم تشدو
يسيح له من فوق ممدوحه مد
بليغ فما من جزر تقصيره بد
صريع الغواني واللهي رشحها الحمد
ابو الطيب الجعفي يقتاده الجود
مرصع تاج ليس يصدأ والعقد
تطيب به في روضة اللسن الملد
لها الماس والياقوت والسلوك والنقد
يحجوك ابن اوس حين فصحه الرغد
ففي مدحك الطول الذي ما له حد
كما هي عند من هو الصمد الفرد
منمنمة ارقامها العزم والجود
مدارك ذوق خالص ما له ند
تفجره فيها مواعظك المد
بنور الهدى والشح يكنسه الزهد
يديك ، ونوفيق الاله لها يحدو
يربون يعلوهم من العصمة البند
على النفس الغالي فيكنفه السعد

متى حلت الاحزان واشتد عقدها
ينسى ابن سعد جوده وابن مامة
يشابهه في الحلم قيس بن عاصم
هي الشمس ما من دونها السحب يهتدى
هو المورد العذب الذي لا يشوبه
هو الجنة التي متى ما اوى لها الـ
هو الكعبة التي على كل ضامر
يفوت القريض حصر عليا صفاته
تطيب به اوقاتنا وبمدنا
ومن نعتنا من نعت مولاه كيف لي

فيا بها الشيخ الذي بشفائه
كانك روح الكون بل انت روحه
فما نحن هأنذا الامام وانما
على ان بقيت في حبور بمتعة
فمد الاله عن افاضة نعمة
وتنبع منه كل عين بمشرق
فما انت الا الفرد تقصر دونه
لئن سوغوا في المدح قول مبالغ
فانت سموت المدح من كل قائل
لعمري لئن اطرى يزيد بن مزيد
واغرب بل اربى على كل شاعر
فجاء بنى حمدان من نقاته
واسدى لكافور ثناء مخلقا
فانت احق بالقصائد ينتقى
احق لعمري بالمدائح فوق ما
لئن كسبوا في مدحهم كل طائل
فما انت الا الروح والروح علمها
كسوت جميع العصر حلة همة
فكل الالى قد ابصروك تنيلهم
فكم قرية ماتت فاحييتها بما
تزلزل فيها الجهل بالعلم والدجا
فتنقاد نحو السعد يقتاد هاجدى
كذلك يكون الفخر بالرشد عندهم
وما عصمة الصوفي الا احتفاظه

ففى كل قطر كان مشرق سعدة (الخ) لنا فى عصرنا اشرق السعد

✱

بقيت لهذا الدين تحمى ذماره بسطوة شهيم دونه الاسد الورد
وازكى سلام يعبق الكون عاطرا به دائما يغار من نشره الورد
على الحضرة الغراء لازال مجدها تظل الندى والعز افئانه الملد

ثم كتب ابن مسعود تحتها

تم تبويضها فى آخر يوم من ذى الحجة الحرام عام ١٣٢٨ هـ عرفنا الله خير
الدهور؛ ووقانا جميع الآفات والشُرور على يد الضعيف محمد بن مسعود الطالبى
تأان الله له وليا ءامين

اقول ان القصيدة اذن بيضها قائلها فى اليوم التالى ليوم وفاة الشيخ
التي كانت فى ٢٨ من ذى الحجة المذكور وفى آخر اليوم نفسه وصله خبر وفاة
الشيخ

وقال فيه ايضا :

سلام كما ازدانت بصوب مرابع بها همعت للعاشقين مدامع
يؤم الامام الاوحد المرتضى الذى به رونق الهدى لمحياء راجع
اباالحسن ابن احمد الاحمدى الرضا ومن نوره فى الكون روح وساطع
فلله فطر زانه منك طلعة نضىء بها الدجا كما البدر طالع
ولم لا وسر الله فيك وراثة عن الزهر من اهل الفضائل ناصع
يخاطبكم عبد ذليل تقاعست به النفس عن مطلوبه فهو شاسع
يرجى حياة القلب من فيض مالكم من السر والعرفان فالفضل واسع
فمنوا بنفحة تهب ولمحة تسر وتغنى من له العمر ضائع
وعذرا من الحقوق فالعبد عاجز وما لقضاء الله رد ودافع
بقيتم لاهل الدين روحا وملجا وكهفا به نجاة من هو فازع
وازكى سلام طيب وتحية عليكم كما العبيق فى الجو ضائع

وله فيه ايضا :

وافت لوصل الهائم الحيران من سفح مربعا الشذى النوراني
فزهرت بمسراها البسيطة وازدهت وترنحت طربا من الاظعان
وتعطرت ارجاؤها بعبير ما نشر النسيم بها كنفج البان
وانارت الاحلاك اذ بزغت بها شمسا يغار لنورها القمران
فكانها وبها حياة الكون مو لانا الامام العارف الصمدانى

الى آخرها وقد ادمجها الشاعر فى النونية الاولى المتقدم ذكرها .

وللفقيه الاجل سيدى محمد بن على السويرى المنشأ ؛ الاكاديرى الاصل
من اصحاب الشيخ قصائد فيه نرجئها الى ترجمته؛ ففي مطلع قصيدة (فيها ٣٣ بيتا)

قصدت حمى ذى الجباء المديد كريم تسامى بغير نديد
ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر ياوى الذى يخشى خطوب الاعصر
ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

امولاي يا على ناداك ضارع ببابك قد ضاقت عليه المذاهب
ومطلع اخرى نونية قالها فى مجلس حضر فيه الشيخ بالسورة (فيها ٢٢ بيتا)
احبة خير الخلق امته التى توالى لها البشرى وقرت به عينا
ومطلع اخرى

انفسى الجئى بالواحد الاحد الصمد فليس سواء فى المهمات يعتمد
ومطلع اخرى

ايا شيخنا الاعلى ايا ملجأ الورى ويا غوث اهل الجود والمجد والفخر
والاديب سيدى الحسن بن محمد الركنى من اصحاب الشيخ حين وفد
عليه اول يوم

ابو حسن نجم به السارى يهتدى ولكنه فلك النجاة لمقتدى
حوى البر والتوفيق والعلم صدره وقلبه بالانوار والسر مرتد
حماء من الدنيا الدنية زهده ومن كان ذا تقى عن الفانى يزهد
رمتنى اليه غربتى فقصدته فيانعم مقصودى ويا حسن مقصدى
وكتب اليه ايضا

الا بلغ الشيخ المربى بورده حديثى بانى مستديم لعهد
واوصه بالصفح الجميل عن الخطا وذكرى عند ذكره اهل وده
والعلامة سيدى الحاج عبد الحميد الايلانى نزيل مدرسة سيدى يعقوب
وهو من الآخذين عن الشيخ

الا ابلى الشيخ الامام ابا الحسن بالغ تحايا من هداه الى السنن
تحايا شكور شكر ترب اذا همى عليها الحيا فافتى زهر على الفن

نصحت امام الدين نصحا جزاك من يخص ذوى النصح الممعن باليمن
فانى منظوم بعقد صحابكم لعل تحت الظل اظفر بالجنن
وللفقيه سيدى محمد بن المحفوظ السملالى نزير افران ممن ينتسبون
الشيخ سيدى سعيد المعدرى ؛ فهو صنو المترجم فى الانتماء الى هذا الشيخ
ه القطعة فى المترجم ؛ مع هذه الرسالة

«الاخ فى الله الذى اقامه الله فى هذا العهد شيخ الطريقة والينبوع الجامع
ربعة والحقيقة والباذل نفسه ونفيسه فى عداية العباد ؛ وفى رفع راية النصح
ارشاد ؛ سيدى الحاج على الدرقاوى ؛ فالسلام على الاخ فى الله ممن يعرفون
ما انتصبت له احتسابا ومقدار ما تلاقونه من الغوغاء كلما طرقتم بلبل بلبل
ببركم وحسن نيتكم وجميل قصدكم نصركم الله فى هذا الصقع نصرا موزرا
الجهلة المبطلين كما هى عادة الله فى نصر المحقين ؛ فعاينكم الله ووفقكم
ما انتم فيه ؛ فاننا نقر بالعجز فى هذا الميدان ونرفع عقيرتنا بأن ليس لنا
الجرى فيه والعمل فيه صباح مساء مثلكم يدان ؛ وهاك ياسيدى ابياتنا
مرت لى فى جنبكم اقدمها على حياء الى اعتابكم وان لم اكن اهلا لهذا الشأن
تريض لى فى ميدانه لسان :

انت خير الشيوخ فى الاقران وفريد للنصح فى الازمان
كل يوم تظل فيه فتغدو ثم تمسى تقتاد من عميان
فجميع القرى درت منك جدا واجتهادا تهدي بنى البلدان
كم جهول علمته الدين فالتنا ح اماما والغير كالبعران
صدقت فيك قولة الشيخ اذ قال ل مقالا قد مر فى الاذان
سوف يغدو للناس فى ضوئه جه سرا كما ضاء فيهم القمران
رضى الله عنك ياسيدى فالى شعر ما ان يصوغ منه لسانى
وسلاما من ابن محفوظ يغشاك من الله سابغ الرضوان
والمقصود بالشيخ فى البيت الخامس هو سيدى سعيد المعدرى رضى الله عنه
اقول اننى هنا لا اتحيز فاننا نكتب للتاريخ لا للادباء اصحاب الاذواق وحدهم
سما مجونى فى سوقنا لامثال هذه الابيات ؛ وما اكثر امثالها فى الكتاب *
وللشريف الركايبى الفقيه العدل محمد الوالى بن البهالى نزير مراکش ممن
نوا عن الشيخ قصيدة فيه مطلعها

ابدر بكل الافق لاحت شمائله وعم سناه العالمين ونائله
وجد ماوقفنا عليه منها فى ترجمة المذكور فيما سيأتى ان شاء الله فى القسم
ابج
وللعامة سيدى محمد بن عبد الله الالفى مؤسس المدرسة يخاطب المترجم
لورد الى الخ من بعض سياحاته قطعة مطلعها :

سلام كما المسك والعنبر على من من ادران وصف برى
وتوجد كلها في غير هذا المكان

وله اليه ايضا يستدعيه

ابا حسن مني سلام عليكم على رحمة تترى لدار سلام
وبعد ففي دار العبيد جماعة من اخوان صدق طاهرين كرام
وانك سر الجمع فاحضر اذا تشا فاتيانكم والله قصد نظامسى
وان نالك الاعياء او عن عارض فانت برىء من عتاب ملامى
وثم عليك حيثما كنت دائما سلام بسء امركم وختام
وكتب اليه العلامة سيدى على بن عبد الله صنو المتقدم يستدعيه ايضا:

ابا حسن انهى لحضرتك التى زهت بشذى العرفان ازهى سلام
تشيعه منى الصباة فائقا فيزرى بزه الروض فوق كمام
وبعد فاعلام المحب بحبه اتى مسندا الى شفيع انام
وعندى لكم فى الحب اوفر منصب ينادى الا زوروا وذاك مرامى
ولما عرتنى وحشة من فراقكم بعثت نيابة كتاب نظامى
اجب دعوة المشتاق لازلت داعيا الى كل ما يفضى لدار سلام

وفى يوم من الايام كان الشيخ استدعى العلامة المذكور بقوله

ابا حسن زرنا على عجل ومن تحب من الاخوان طرا بلا فرق
اجب دعوة المحب من كان قلبه لاجر شوقكم مدى الدهر فى غرق

فاجابه بقوله

اجيب بجثمانى وقلبي لديكم رهين فما احل اجتماعا على فرق
فلازلت بحر الجمع والفرق من يخضه به يحظ بنيل الدر منه بلاغرق
وانهى الى علياء قدرك اننى اطير اذا ما كنت فى الغرب من شرق
ومن لى بان ابقى اذا ما دعوتنى وقلبي الى لقياك فى شدة الحرق

وكتب هذا العلامة الى الشيخ ايضا يستدعيه يوم عيد

ابا حسن تتم مسرة عيدنا باقدامكم فالعيد وجه وديدنا
فعيد ولم تحضره مازال ناقصا فحق علينا جبر نقص لعيدنا

سلام على النسيب الحبيب والداعى المجيب والواعظ النجيب والنطاسى
الطبيب الصهر الكريم والاخ المنيع الحريم سيدى على بن احمد وبعد فصل
خاطرك عن مراد هذا القرطاس وامثله قبل تكدر الخاطر بالاياس ازاح الله
عنك كل باس

فاجابه الشيخ بقوله

وفيت بما نهوى جزيت جزاء من يرى في الوصال للاحبة قرته
وليس يجازى مثل هذا اذا ثوى لدى ربه الا بمشواه جنته
واستدعى الشيخ ايضا المذكور مع وفد من العلماء الافرانيين بهذا
البيت :

ابا حسن هذا غداء جميعكم لدينا فجيئونا لدى ساعة الضحى
فاجابه

عليك سلام يا كريم معبر يتوج منك الذكر ما دمت تذكر
فليبك من اخوان صدق تراهم كبستان زهر الورد حيث ينور
الا فانتظرنا حينما يمتع الضحى لان بهذا الجمع من لا يكر
وذيل عليها بعض العلماء ولعله شيخنا سيدى الطاهر وان لم يكن من نفسه
واحسب انه لم يحضر فى هذا الوفد والالكان هو المجيب

على اننا لانبغى غير نظرة تكون بها الاذبال منا تجر
فلولاكم حددتم الوقت لانتحى لحضرتكم ياشيخنا من يكر
وللعلامة على بن عبد الله المذكور قطعة فى زاوية الشيخ الالغية يوم اسست
فى شوال عام ١٣٠٢ هـ مطلعها

بيت اتيح الخير من وجهاته فاتيح ما ينكا الحسود القالى
وقد تقدمت حين ذكر تاسيس الزاوية فى اواسط هذه الترجمة
ولشيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى يخاطب الشيخ مهنا بولده سيدى
محمد ما مطلعها

اتى نبا دال به دولة الانس واضحت به العليا طيبة النفس
وتوجد كلها فى ترجمة سيدى محمد المذكور فى (الفصل الثانى) من هذا
القسم نفسه
وله ايضا ترحيبا بالشيخ ورفيقه سيدى على بن عبد الله ؛ وسيدى بلقاسم
التاجارمونتى وقد وفدوا عليه الى افران

هنيئا لقلبي والهنا على مثل يحق وقد جادت موالى بالوصل
راى الدهر ذلى واشتعال صبابتى فرق واولى الفضل منه على بخل
فانشدت قول ابن الحسين واننى لاوى به والشكل يذكر بالشكل
(وليس الذى يطلب الوبل رائدا كمن جاءه فى داره رائد الوبل)

ووفد مرة الوفد الافرانى الى الخ . وفيه العلامة سيدى الطاهر بن محمد والاديب
سيدى البشير الناصرى ، فصادفا الفقيه سيدى محمد بن الطيب الانراضى فرحب
بهم الالغيون على عادتهم بالقصائد ، يقول كل اديب من الالغيين فيجيبه احد
الافرانيين ، وانغائب ان يكون سيدى الطاهر

فقال الشيخ المترجم فى الترحيب بالوفد مسائرا وان لم يكن فى مسالاح الادباء

بشير وطاهر ونجل لطيب ثلاثة اقمار ببيض طواسع
فضاءت ونارت ارضنا بطلوعهم فابدت نهارها البدور السواطع
وان شيتت قلت فارة المسك فتقت فطابت وفاحت النواحي الشواسع

فاجابه سيدى الطاهر بن محمد :

انفج نسيم الروض والروض ناصع ام انشق معروف من الفجر ساطع
ام ابتسمت هذى الثلاث كأنها (ثلاثة اقمار بسبيض طواسع)
بل انها من بحر شيخ تلاطمت معارفه او علمه المستتابع
امام اضاءت من سنا نور سره قلوب غدت من قبل وهى بلاقع
وعطرت الارحاء من نفج طيبه فطابت وفاحت النواحي الشواسع
هو البدر اشراقا هو البحر نائلا هو السيف تائيرا؛ فهل من ينازع؟
امام الهدى الشيخ ابن احمد من علا على البدر مقدارا فاقصر طامع
فلازال العلياء تزهر بنوره ويجرى كما يبغى القضا ويطاوع

كان الشيخ المترجم بنى ثوبا (١) زاهى السقف . تلونت فيه الالوان . مما
يعد كالبديع بمن القصور اذا قويس ببيوت الاضياف التى يعتنى بتبييضها
وتلوين خشب سقوفها عند اثرياء الخ . فقد وقف سيدى سعيد التناى على
ساج السقوف فى السورة حتى تم تلويته وتزويقه على يد امهر النجارين المزوقين
ثم حمل مفرقا الواحا الواحا على البهائم الى الخ حيث وضعه صانع ماهر فى
سماء الثوى بعد ماسقف مافوقه بجوائز عادية ؛ وقد ذيل مستدار مافى السقف
الى ما تحته من الجدار بذلك الساج على الجهات الاربع ؛ ليستتم البصر بهجته
ثم فرش الثوى وهو فسيح بفرش حضرة من الزرابى المزركشة والمسند
وبعض الحشيات وراءها حائطى رفيع . وفى ربع من ارباع المكان صف من
الساعات الكبرى ذوات القامات نحو ثمانية تدق كلها على راس كل ساعة وهذا
كله غير معروف فى الخ فكان اضياف الشيخ يستأثرون بالجلوس هناك وحدهم
فوجد بعض المتبدين من شباب الخ مسرحا جديدا لقرائحهم ؛ فقد رايت من ذلك
قطعا لا يستحق ان يعتنى بها ؛ فاخترت ماياتى وقد كان الالغيون يسمون ذلك
الثوى (الكايضة) وغيرهم القبة . قال العلامة سيدى الطاهر بن محمد الافرانى

(١) الثوى كغنى البيت المعد للاضياف

ويا واحد العلياء من دون مائان
بما ضمنت من كل حسن واحسان
وقد سفرت تزهو بحلية اتقان
على روضة اكمام ورد وريحان
كما لاح نجم الافق في الشفق الفاني
تبدت به شهب المطالع للرائي
ترن بما يزرى برنات الحان
بتنبيه ساه او بايقاظ وسان
فأربت معاليه على كل بنيان
من المفخم الباقي الى الزخرف الفاني
مد رب الوري فيها لابرار عبدان

اياتاج هام الفضل ياملجأ العاني
بنيت لاهل الله دارا ترفعت
تجلت عروسا للعيون فاصبحت
سماء كما حل النسيم اذا سرى
فمن ناصع في ناضر حول احمر
محاسن تعشو العين منها كانما
لقد علقت فيها (مواكين) لم تزل
تذكر وقت الدين في كل ساعة
مكان رسا بالدين والعلم والتقوى
لك الله من بيت رفيع بما حوى
يذكرنا جنات عدن وما اعد

ومن ذلك ماقاله ايضا بعضهم واخاله ابن مسعود او لاحد الازاغاريين

بزراب منوعات انيقة
كزهور تنوعت فى حديقة
وتعاريج ضخمة ورقيقة
راى عين كدرة فى عقيقة
جذب لها زهرة الرياض الافتيقه
ت بعينيك باهرا عن حقيقة
معجيات قاماتها مشوقة
ست برناتها لكل دقيقة
ة نفسا بربها صديقة
ستاج نحو الفردوس اى مشوقة
من بناها لعلية دون سوقه
فغ نهج الهدى وانفق سوقه
لكسول محاول ان يفوقه
من سناه صبوحة وغبوقه
مصدر عن شريعة وحقيقة
يدرك الزائرون الف شروقه
دانيات الجنى بخير طريقة

هذه (كيزة) الضيوف الرشيقة
فوفت بالالوان حتى تراها
تترأى الوانها فى خطوط
تلك بيضاء حشو حمراء تبدو
افقها زهرة وفى ارضها فاعـ
واذا ما نظرت جنبيك ابصر
(ماكنات) بطولها قائمات
تذكر الله فى كل وقت اذا دقـ
بهجة فذة تشوق الى الجنـ
كل من زارها يرى نفسه تهـ
رضى الله عن امام البرايا
من ابان الدين الحنيف به فى الـ
خير شيخ قد فاق بالجد فاعجب
كان لله مخلصا فحباه
حيهل ايها الظماء لشيخ
فهو غوث فى العصر هذا وبدر
فاتنه يامريد تجن قطوفا

ومن ذلك قطعة للفقيه سيدى موسى بن الطيب يقول فيها

الا نزه العينين فى خير ماقبة
ففى سقفاها او ارضها وجه روضة
تشوق من يعنو امام الهه
لخير امام حائر خير ما رتبة
ازاهيرها شتى واكوابها غلبة
لجنته ترضى عبادته ربه

فمن مثل هذا الشيخ جمع حوله من الدين للدنيا قضى بهما نجسه
ومن ذلك قطعة للامام سيدى محمد بن مسعود ، وهى اكثر من هذا ، ولكن
لم استحضر الا ما ياتى :

لله سيدنا الشيخ الامام وما ابداه فى الحسن مما يخلب البصرا
بنى بناء لمن لا يبصرون سوى ما يبصرون كأن لم يرزقوا الفكر
للعارفين شهود فى مقاصدهم ويستوى عندهم ما سر اوجهر
للجهر والسر اسرار وعندهم فى السر معنى جلى عند من بصرا
ومن ذلك قطعة للاديب الشاب المعتبط سيدى الطاهر بن المدنى الناصرى
وهو اذذاك فى المدرسة الالغية

الى بيت اهل الجود والفضل والرشد
فبيت الضيوف عندهم خير مبتنى
ترى العين فيه مثل روض تفتحت
قلله مثوى الشيخ سيدنا اذا
عليك سلام ما تقوم على الهدى
أميلوا عنان المدح والشكر والحمد
يعيد به الصباغ سقفا كما يبدى
به الزهر او كالدر فى وسط العقد
يقوح بعرف العود فى الجوى والند
فتهدى بما اوتيته من سنا الرشد

واخرى له ايضا

قلله بيت شيد للدين والتقى وذكر لاهل الله فى كل ما شان
يذكرنا جنات عدن وما احتوت عليه ، وما ابداه ملك سليمان
فلازال محفوا بالطاف ربنا فيطرد عن اطرافه كل شيطان
وبعد ما بنى هذا الثوى بسنين بنى العلامة على بن عبد الله ايضا مثله ،
فهناك زخرت قصائد الادباء فى وصفه وصفا شعريا حقيقيا ، لامثل هذا الذى
لا يرى فيه القارئ الا محاولات ضعيفة لاتسمن ولا تغنى من جوع ، ثم ان هذا الثوى
تهدم سريعا بعد الشيخ حوالى عام ١٣٤٠ هـ خر على من فيه ليلة فكاذوا يهلكون
وبعد فقد خطب الشيخ من آخرين بقواف يجدها القارئ فى تراجمهم
مثل الذى جرى بينه وبين صهره العلامة سيدى محمد بن العربى الادوذى ،
فانه يوجد فى ترجمة والدتى رقية فى (القسم الثانى) من هذا الكتاب ، كما ان
هناك ايضا قصيدة «هز الراية الجعفرية» لابن مسعود فاننا نختصر فى حذفها هنا
لانها ذكرت فى مؤلف مستقل (الترياق المداوى) ومطلعها

ياصاح اصغ لسيرة الصمدانى قطب الورى الالغى قطب الآن

كما ان هناك ايضا قصيدة اخرى له نونية مطلعها

صدحت مطوقة باثل البان ام نفحة وردت بريح البان

فهى انتى تسمى «انحاف اهل الاعتقاد والوداد ، بما للطريقة الالغية من اسنى الاسناد» فانها مؤلف على حدة ، شرح كثيرا منها مؤلفها فى مجلد ضخم وهى التى ذكرنا بعضها قريبا فى اول هذه القوافى
وحين رجع الشيخ من حجته كتب اليه العلامة سيدى الطاهر بن محمد

من تارودانت يهنئه

تأرفت لما شمت برقا حجازيا
وذكرنى اعلام طيبة فائتى
وغادر جسمنا لوبغى الفوز لامتنى
وساد مع الركب الكرام يقوده
فيقضى لبانات الهوى كيف يشتهى
فيافوز من امسى بطيبة نازلا
يروح ويغدو فى مسارح جنة
يقلد جيدا عاطلا عقد مفخر
ويغسل قلبا سودته ذنوبه
فيا ليتنى قد نلت لثم تراها
وياليتنى اذ فاتنى نلت نظرة
محيا الكريم الفاضل الندب من غدا
ابى حسن بدر الهداية من دعى
ولكنه لبي النداء مسارعا
ووالى السرى حتى اذا ما بدت له
وعفر فى مثنوى النبى جبينه
هنيئا له نال المنى واحق من
فيا سيدى ابشر بدخر شفاعه
قدمت فضاء الغرب واهتز عرشه
يباهى بك الغرب البلاد ومن تكن
وانى ممن كان ودك عقده
وكنت ارجى لثم كفك شاكرا
فارسلتها تمشى اليك وتستفى
واغض وان قصرت فى الحق فالنوى
وجد بدعاء يعق النفس من ردى
عليك سلام كالنسيم اذا سرى
وقال ايضا يخاطبه وقد ذهب
اتبكت حبوا للزيارة عندما
ولم الف احمى منك فانصر فانه

بدا اذ غدا للجو ثوب الدجازيا
بقلب لنا والوجد مازال صاليا
مطى الهوى اوصار بالجفن ساريا
زمام الهوى حتى ينال الامانيا (١)
ويحظى بوصل لم يخف منه واشيا
بخير رسول كان للضيف حافيا
ويجنى بها ثمر المكارم دانيا
ويلبس ثوب العز اسبغ ضافيا
ويشرب ماء المجد اغزر صافيا
واحدث لى فيه بعيدا لظماريا
بوجه سعيد زار تلك المساعيا
على هامة النسرين بالجد ساميا
الى الفوز فى جمع قلم يك وانيا
وصار على متن الصبابة ساعيا
أباطح سلع جدد العزم راميا
فاصبح فى ليل القواية هاديا
يهنا من زار الطبيب المداويا
واجر كبير لم يزل متواليا
سرورا وما ان زال مدغبت داجيا
اماما له لاريب فى ان يباهيا
فباح به دمعى ولفظ لسانيا
قد ومك لكن حيل دون رجائيا
بنورك ان ضللت تبث التهانيا
رمانى بهم وقعه غال باليا
تملكها مازال يملأها عيسا
يحدث عن اعلام طيبة راويا
لزيارته يستغيث به فى امر عناه
غزاف هذا الدهر فكرى فاحجما
تجمع واستعدى الحياء والعجا

(١) الباء فى الزى وفى الرى مشددة فى الاصل وكذلك الامانى المذكورات فى القصيدة

فادرك فان المرء ينصر جاده فكان الشيخ بعث الى سيدى الطاهر هذا الغز في اسمه

فما اسم رباعى الحروف ترى الذى هو الثانى اولا ونسبة اول وثان وثالث بجمع من آخر وثانيه خمس ثالث تسع اول الا فبالغير سر وفتش على الذى ولاسيما ان طاهرا او عرابيا جواب سيدى الطاهر

اتنى فحلت من عقال الردى عقلى ووافت فؤادا قارب الحنف بعدما فضلت على فرط الصباية والجوى فهشت بها ارض القريحة مثل ما فحق لها اوفى النصيب بقوله حلفت بمن اعطى الخلائق خلقها وخصك منهم بالمعارف والحجا لقد كدت اذنا جيتها فرحا بها ولكنها من بعد ان سر وصلها فقلت لها ناديت والله ميتا ولما أبت الا الوفاء وليس لى اجبت ولكن الفهاة اخرست اشرت الى اسم لاسمى وراءه فاولسه تسع وثانيه واحد فمجموعها عشر وخمس وعزوها فهاكه نظاما وفق ما كنت تبتغى فمعدرة منى الى عفو سيدى وما كنت لولا ما كلفت بحبه ودم سيدى للمشكلات تحلها وجد الضعاف العزم يرجون دعوة عليك سلام ما تلذذ عارف

والغز له الشيخ ايضا فى اللوز بقوله وما اسم ثلاثى الى الغز ينسب بخمسة اسداس له اول جلا

(١) تلميح الى قوله تعالى ومن احيانا فكأنما احيانا جميعا
(٢) السبق كفلس ولد الناقة والبازل الكبير من الابل

الجواب

تأملت لغزا اتعب القلب حله وعاناه حتى بان لي انه اللوز
ثم الغز سيدى الطاهر للشيخ فى القلم بقوله :

وما اسم تراه كلما سار يركب ويمشى يجد سيره وهو يلعب
ومفهومه مهما قلبت حروفه يدل على شوق يمر ويعذب
ومهما طرحت ثالثا جاء لفظه بامر كلام نلت ما كنت تطلب
ومهما ضمنت ثالثا للذى تلا فقلب فعنه الميل ما كان يذهب

الجواب من الاستاذ سيدى على بن عبد الله عن الشيخ
قلم البليغ يبين لغزا منبئا عن غور فهمكم السليم الانقب
يمشى ويركب وهو امر مشكل والعطف مفهوم لفظه المستعذب
قل يبق بعد ذهاب حرف ثالث والميل مفهوم غيره المستقلب

والغز ايضا سيدى الطاهر للشيخ فى النخل
خليلى دلانى على شاحذ الذهن يبين لفظا فكرتى منه فى رهن
هو اسم اذا نسبت اول لفظه لثانيه كان نصف سدس بلامين
ثلاثة اعشار لسدس يجيء ان نسبت لثان ثالثا دمت فى امن
ومقلوبه ان كنت صحفت لفظه يدل بحكم النحو فاعلم على شين
وتصحيفه من غير محن يفيد ما صنيعته فى غاية الصون والحسن
الا فابحثا واستنقدا الفكر دمتا ولا زلتما مستسهلى كل ما فن

الجواب

تأملت هذا الغز يا ايها الغل قبان كشمس فى الضحى انه النخل

بعض منظومات نفث بها الشيخ

لم يكن الشيخ ممن تربوا تربية ادبية حين كان يدرس فى مدارس تازروالت
وتانكرت وادوز ، لانك رايت من حاله اذذاك ، انه لايعنى الا بالعلوم الرئيسية
فى بيئته وما يبقى له من الوقت لايمضيه فى مطالعة كتب الادب التى تكون
النوق الادبى ، وانما يمضيه فى مطالعة كتب القوم ، او فى مناجاة ربه - اناء
الليل واطراف النهار ولكنه مع ذلك ربما ينث بعض ابيات لاينكرها رباب
النوق غالبا ، وفى مجموعة صغيرة عندنا كل ما صدر عنه وذلك قليل ، وهاك
الآن بعض ما اخترته من ذلك مما لا يغمض فيه اديب

سعد الفقير وساعدت اوقاته ما دام من أذكاره أقواته
بالله يفرح كل قلب ما له غير الاله اذا سمت نظراته
ان المريد مراده فى ربه فبه تتسم لقلبه شهواته
من لا يرى فى الكون اجمع ربه بوجوده فهل انجلت مرآته ؟

ومن ذلك في موضوع مخالفة النفس وهواها

يحد سيوف الذكر فاقطع رقابها ولازم بخلف ما اشتتهه عقابها
فان عقاب النفس مهر عرائس الـ سمعارف ان انجزت تجل نقابها
فتجنى ثمار الحسن من نور وجهها وتجنى على الوصل الشهى رضاها
عليك بشرب الكاس من راحة لها فلم يحيى الا من يذوق شرابها

ومن ذلك ايضا يخاطب من اسمه موسى وربما كان الفقيه سيدى موسى الكريشى:

اموسى اجمعن في الله همتك العليا واعرض عن الدنيا ومن كان في الدنيا
تفرغ بقلب لن يزال مولها بذكر كثير كى تكون به حيا
وان حياة القلب بالذكر وحده وهل بسوى ماء نبات الثرى يحيا؟

ومن ذلك ما قاله يخاطب به من اسمه مبارك ، ولعله سيدى مبارك الميلى الشير:

ادخل مبارك حضرة الرحمان بعزيمة المستوفى الربانى
وانس السوى حتى يكون مشعشعا منك الفؤاد بساطع نورانى
فالسر كل السر فى ان تغتدى فى حضرة قد كنت فيها فانى
ان العبودية التى يابى الهوى فى النفس منها اس من هو بان
فعبيد ربك كن ولازم منهاجا قد مهدته شريعة الرحمان

ومن ذلك مانسبه اليه العلامة سيدى محمد بن مسعود المعدرى

ولى مذهب فى العشق منفردا به فلست ملونا بوجد ولا فقد
قد امتزجت روحى بروح اجبتى فلا وصل فى قرب ولا فصل فى بعد
فمن شاء فليصل ومن شاء فليصل فحالى لم تحل عن الود والعهد

ومن ذلك ما أجاب به ابيانا ارسلها اليه شيخه سيدى محمد بن العربى الادوزى
حين زف اليه بنته التى هى والدتى ، رحم الله الجميع :

جزاك اله العرش خير جزائه ايا شيخنا اوليت فوق المنى جزما
زفت لنا البنيتين بنتا لفكركم وبنتا لصلبكم فدى نعمة عظمى
جمعت لنا اختين والعقد واحد وما كان ذاك فى قضيتنا اثما

كان الشيخ قال فى الشطر الاول من البيت الاخير هكذا زفت لنا البنيتين
فى عقد واحد ، باضافة عقد الى واحد من اضافة الموصوف الى الصفة ، كما ورد فى
الحديث : الكعبة اليمانية باضافة الكعبة الى اليمانية ، على ما فى بعض الروايات
ثم ان الاستاذ سيدى محمدا الرفاكي اصلح الشطر بما رأيته

ومن ذلك يخاطب جماعة من ارباب القلوب :

لله دركم يامن لهم دول
انتم فؤادى وما مولى وملتجئى
وبابكم هو باب الله من غلقت
ومعشرى كل اهل الله قاطبة
فنظم جوهركم يسرى به المثل
ومن بهم نحو ربى الدهر مرتحل
ابوابكم دونه ما ان له حيل
والله قصدى ومالى فى السوى امل
ويكفى هذا القدر

غيرته الدينية أمام الاحتلال

لا يزال الى الآن يطن فى اذان من كانوا يعيشون فى سوس سنوات ١٣٢٥ هـ
١٣٢٨ هـ ، من تلك الصرخات الصاخة ، التى كان الشيخ يرسلها فى المجمع
وفى الاسواق وفى المواسم ، وفى كل مجلس ، حين يستنهض الناس لمقاومة
المحتلين الذين نزلوا اذذاك فى الدار البيضاء ، فكادوا يغمرون بدسائسهم وبحيلهم
وبمكايدهم على ايدي العيون السريين كل نواحي المغرب من ادناه الى اقصاه وهذه الغيرة
الهائجة الشائرة كانت معروفة عن الشيخ ياثرها عنه اصحابه قبل هذا الحين
وكثيرا ما كان يغارها من سنة ١٣١١ هـ عام موت الملك مولاي الحسن ، فى
مجالسه الخاصة اذذاك ، بل كانت له فى رحلته الحجازية جذوة متأججة فى هذا
الموضوع فاسمع لما يقوله فى هذه الرحلة يوم يفارق تونس وذلك سنة ١٣٠٥ هـ
اثر ما قص كيف احتلت تونس بعد الجزائر :

وقد جرى فى آخر الايام
ان كنت من بعد صلاة العصر
اعنى به ذاك الذى سطرته
مستندا الى عمود الشاذلى
ذاكرنى فى العقد للمحبة
فقال بلغن الى الرسول
فقال قولا الهب القلوبا
وحرك الاشباح والارواحا
قال اذا وصلت قبره الشريف
وفازت النفس هناك بالمنى
فقل له يا ايها الرسول
وانها لامة مستضعفة
حتى غدت كاللحم فوق وضم
رموا وراء كل ما خلفنا
ونبذوا الدين سوى اطلال
واقبلوا كلهم للشهوات
هناك مع فذ من الاعلام
فى جامع الزيتون عند الحبر
وبرقيق القلب قد ذكرته
وهو مكانه لدى الاصائل
لله كالعادة فى الاحبة
متى حظيت منه بالمثل
حتى تكاد منه ان تذوبا
وحرك الجبال والبطاحا
وكنت اثناء مقامه المنيف
واكتحلت عينك منه بالسنا
غربنى ملتك الدهول
احتوشتها أمم مستضعفة
من يفتح الشدق اليها يلهم
وضيعوا فى الدين ما اسلفنا
تبدو لما اسست كالظلال
كانهم قد خلقوا من شهوات

قياسهم بينهم شديد
بيناهم في غفلة ووسن
اذ دهمت بين الديار الجلي
قد زعزعت بلادهم كفار
فاستحوذوا على بلاد امك
حتى غدا كل بنى الايمان
ودينهم ممتهن عيانا
قد مزقوا وشتتوا واحتقروا
فهاهم في صقعهم لاحولا
وما لهم وجه به يستشفعون
سواك يا خير البرايا عنده
فليس للمستضعفين غير
فانت باب للدعا فيستجاب
بلغ الى نبينا هذا الكلام
يقول ذاك والدموع في العيون
والصوت بالنحيب عال وانا
حتى عراني الجذب في الحين كما
ثم جرى ما بيننا صموت
فلم يكن مني ولا منه كلام
اذ قرب المغرب فاقترقنا
من ليس ذا حزن لضعف الدين
وكيف يرضى مومن ان يحكما

من اجلها كانهم حديد
ليس لهم بين الوري من رسن
فالبعض في الاسرى والبعض قتل
كان لهم من قبل ذاك ثار
وقصدهم محو لكل ملتك
اسرى بوسط الدار في البلدان
كما يلاقى اهله الهوانا
وامتهنوا بيد من قد كفروا
لاقوة غير دعاء يستلني
الى الهك ومنه يرتجون
فانت من ليس يرد وحده
دعا اذا مس البلاء والضر
فمن اتى الباب فما اخطا الصواب
من بعد ان تقرا له منى السلام
كانما ثرت بمائها العيون
كدت اذوب لهفة وحزنا
يقع لي حين اجيش ضرما
ودأب من تحيروا السكوت
بعد سوى مد اليدين للسلام
واننا بما جرى احترقنا
فدو نفاق مخفف مكنون
امر بنى الايمان وال اجرما

وقد كان الشيخ لما التقت حلقتنا البطان على المغرب ، لا يدع مجتمعا الا نادى فيه بالبراح (١) ان الزمان قد استدار . وان الكفر قد وغل عليكم وسيحتل عقر الدار ، وهو في اثناء ذلك يشتري السلاح ، فقد عدما تركه بعد موته بست عشر بندقية رومية زيادة على البنادق الاهلية ، وهذا القدر من اسرة واحدة كثير فوق جهد الطاقة ، وقد كان معلوما ان مثله كان يعاب عليه ان يلتفت الى السلاح لانه صاحب زاوية وقدر ايت من اهله المرابطين مارايت من انهم لا يكادون يتسلحون وان تسلحوا يكاد السلاح لا يجدى في ايديهم بين جيرانهم المغاوير كالمجايطين والبحرييليين ، ولسان حالهم ينشد :

على م تقول الرمح يتقل عاتقى اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت
هذا في ذلك المقام بين الاهالي ، واما في الاستعداد للدفاع عن الوطن فان ذلك مقام آخر ، ويرحم الله من أظهر من ضعفه قوة وانما الاعمال بالنيات .
ثم ان الشيخ كان يحمل معه في السياحات بندقية بين يديه وهو راكب

(١) البراح كشدهاد : المنادى في الاسواق عادة

فهكذا ورد الى موسم تازار والت حيث أمر بالنداء فوق المراكع (١) : ان يتهيا الناس وأن يستعدوا للجهاد ، فان الكفار قد دهموا البلاد . وكذلك كان يوما آخر في سوق الخميس بأيت بعمران وقد اجتمع كل رؤساء القبيلة فاستحثهم على ترك المخاصمات بينهم ، وان الوقت قدحان ليتكفل الناس كلهم امام العدو ويجب على جميع الرؤساء ان يامروا المرابطين والعلماء والطلبة أن يتكفوا في السلاح . فهم أولى من يقود الناس الى الشهادة في سبيل الله فينبما يقول ذلك ، اذا الاشكر - الرئيس هناك - يتخذ كلامه سخرية اذ قال له «لن نقوم بهذا الذي تقول حتى يموت جميع اصحابك هؤلاء امامنا ويستشهدوا واذ ذاك نقوم بعدكم بدورنا» فالتفت اليه الشيخ محمر العينين وقال : «او قد استنكفت ان تسمع الحق وابيت ان تنقاد للنصيحة ، فها انتذا تابي ان تدافع الكفار بعيدا ويوشك ان يدهموا عليك دارك حتى يخربوها» ثم اعرض عنه الشيخ كعادته متى خاطبه الجهال ، فسبق القضاء ان خربت داره بعد نحو ست سنين بيد الجيش الفرنسي الذي هاجم تلك الجهة سنة ١٣٣٥ هـ فكان عبرة لمن اعتبر ، ولا يزال الحاضرون الذين هم احياء الآن يروونها من فراسات الشيخ

وكذلك ذهب الشيخ عام ١٣٢٨ هـ الى جيوش تجمعت في هشتوكه للقتال بينها ، فنادى في رؤسائها يكفيكم من هذه الفتن يكفيكم ، فقد توجه اليكم من الاعداء - ان لم تدافعوهم - من لا يكتفى منكم بمال ولا بارض ولا بدين حتى يستبعدكم انتم وابناءكم ، في كلام طويل مثل هذا يتداوله الناس متى تذكروا بعد الاحتلال النذراتي يسمعونها من الشيخ ثم لا يابوهون بها فلم يعرفوا حتى خرجت البصرة

وكذلك وقع للشيخ ايضا مع رؤساء اهل المعذر فبعد صلاة الجمعة فسي مسجد القرية ، خرج الناس الى خارج المسجد ، فوقف الشيخ يحثهم على جمع الكلمة وعلى تعيين حراسة على فريضة اكلوا ، فقال له قائل ان العدو لا يزال بعيدا عنا فهو في الدار البيضاء ، ولا يصلنا الا بعد عشرين سنة ان لم يحل بيننا وبينه الدكاليون والحوزيون والحاحيون ، فحرك الشيخ راسه فقال يا عجب ان المسلمين كالجسد الواحد وهذا الامر يجب ان يكون فيه الناس كلهم بدا واحدة فمتى تركنا الدكاليين والحوزيين والحاحيين فلا بد ان يغلبوا ان لم يعنهم السوسيون وامثال السوسيين ، على انك يا هذا - يخاطب ذلك القائل - تستبعد ان يصل العدو هنا ان لم يقاوم بالجد ثم تنفس الشيخ الصعداء واغرورقت عيناه بالدموع فقال واسفا ايها الناس فوالله ان لم يقيم الناس في هذا الامر قومة واحدة لترون الكفار هنا ، هنا ، هنا وأشار الى ذلك المكان ثم غلب الحال على الشيخ

(١) محل يجتمع فيه الناس كلهم بعد الموسم للدعاء جوار مشهد الشيخ سيدي احمد بن موسى

فغلبه الاستعبار فانقتل عن القوم ، قال الحاكى ثم لم يمض الا سنوات قليلة
فاذا بى شاهدت المراقب الفرنسى فى تزيت واقفا فى ذلك المكان بعينه فظهر
مصدق قول الشيخ ، ولكن بعد ان ازهقت ارواح

وكذلك كان الشيخ يلم باكادير ، ويوصى تلميذه الحاج الحسن
الكلولى رئيس اكادير ان يتعهد المدافع الموجهة الى البحر فعل ذلك مرارا

هذا وقد اشترى الشيخ فرسا اذذاك فصار يركب عليها ، ويبدده البندقية
وذلك كله لاستنهاض الهمم ، ولكن اين الهمم ؟ واين العزائم ؟ واين من يعرف
ماهو الاستعمار اذا ألقى على امة كلاكه ؟ وقد قال الشيخ مرة لبعض مجالسيه:
ان قلبى ليمزق على هذا القطر ، فاننى اخاف ان يلتحق بالجزائر وتونس ، فقد
اجلت بصيرتى فى هؤلاء الناس ، فلم ار من يمكن ان يقاوم لامن الحكومة ولا من
الناس فلا مال ولا رجال ولا ايمان وانما انا وحدى الذى افلض الله على هذا
الجيشان ولكن ، ولكن ، ولكن واشار الى قرب انتقاله عن هذا العالم - كما
قال الحاكى -

حضرت يوما فى نزهة من اخلاط الناس فى عرصة البياز فى باب دكالة
وكانت محلا للنزّه ومجتمع الاصدقاء فيظنون هناك تحت الاشجار المختلفة وبين
الحقول المخضرة وبين الجداول المتدفقة الى العشى ، فجرى ذكر ايام الاحتلال
الاولى وصار الحاضرون يخوضون فى عدم الدفاع ، فقال قائل : ان الناس كلنا
معدورين ، لان غالبهم ماكان يدرى ماهو الاحتلال ، ولا كيف يعرك عركاته متى
امتد الى شعب من الشعوب على ان علماءنا ورؤساءنا وحكومتنا هم المسؤولون
حقا ، لانهم لم يستنهضوا الامة ، ولا ادوا الحق الواجب عليهم فى هذا الموضوع
فالتفت اليه انسان من غمار الناس ساقته الاقدار الى مراكش فصاحبه بعضاهل
الجومة الى النزهة ، فقال : اننا فى تلك الجهة من حاجة الى سوس لم نؤخذ على
غرة ، فقد كان الشيخ سيدى الحاج على الالفى ينادى فينا صباح مساء انذارا
واستنهاضا للدافع عن البلاد ، فانه ماكان يترك من الجهات التى يسيح اليها
مجتمعا ولا سوقا ولا موسما الا نادى فيه بالتهيب التام من جميع الناس للجهاد
فلا يعذر فقيها ولا مرابطا ولا اى انسان قادرا ، ثم قال وقد شهدت الشيخ يوما
عند قائدها فى تامانار وقد اجتمع كل كبار الاحابيين وعلمائهم فى حضرة القائد
فقام فى الناس موقفا لا ينساه له الناس ، فلم يزل يلهب القلوب بمواعظه
ويستنهض الناس بانذاراته ، ويبين للحاضرين ما ينتظرهم من العدو متى
استولى على البلاد من حيف وجور ومكر وانتهاك الحرم ، واذلال الاعزة وبس
الاخلاق الفاسدة ، ثم التفت الى القائد فقال له ان جل هذا الواجب يقع على
عنقك انت وعلى اعناق امثالك ، فقال له القائد اننا يا سيدنا - معشر القواد -
نتبع ما ترسمه لنا الحكومة وملكننا المعظم ، فلا يمكن لنا ان نخرج عن خطتها

وملئنا اليوم يميل الى مسالة العدو ، حتى انه ليرسل الينا ان نحافظ على النصرارى اكثر مما نحافظ على المسلمين، وان نراعى خواطر الذين احتموا بالدول اكثر مما نراعى من يتسلطون عليهم بدعاو زائفة ، فما عسى ان نعمله نحن ؟ والافهاك ياشيخنا يدى على ان اكون اول من يموت فى سبيل الله متى كان الجهاد قائما قال الحاكى فاعرض الشيخ عملا جذبه فيه القلائد ، فقال « اما انا وكل من يتبعنى من الفقراء فقد هبنا انفسنا للموت فى سبيل الله ، لوفتح لنا الميدان ، وساعف السلطان فان امثالنا ليس لهم فى مخالفة السلطان ايضا مصلحة » ثم بعد ان اتم الحاكى حكايته ، قال اننى اوقن ان الشيخ لو تيسر له ان يحضر فى ميدان الجهاد لمات هو وكل الآلاف الذين معه شهداء فقال قائل للحاكى اتعرف احدا من ابناء شيخك هذا ؟ فقال لا ، فقال هذا احدهم وقدمنى اليه فلم اكن اعرفه قبل ، ولا عرفنى فاحفى فى السلام ، وترحم كثيرا على الشيخ وكانت هذه الجلسة حوالى ١٣٤٠ هـ حين كنت لازال تلميذا مغمورا فى الجامع الیوسفی

ارایت كيف يتحدث الحاحيون عن الشيخ حول هذا الموضوع ؟ فكيف اذن يتحدث عنه السوسيون فيه ، وهم الذين كان يماسيهم بذلك ويصاحبهم نحو ثلاث سنين ؟ فقد كان مايقوله اذذاك حديث المجالس حتى ان الذين لا يتقون الا ولا ذمة فى اهل الخير اتخذوا ما يقوله الشيخ سخريه وهزءا ، فمنهم من يقول انما يريد بذلك الذى يعلنه ان يقتدى به كل الناس ، فيجدد له مكانة اخرى اعظم من مكانته التى كانت له ، حتى ان الشيخ اقبل يوما فى الطريق عند قرية عين ابراهيم بن صالح من ارباض تزنت ، فلاحظته جماعة كثيرة وهم منتدون على شىء ، فقال منهم قائل هذا الشيخ قد اقبل وهو الذى ينادى بالجهاد فهل تقدر ان لاتقوموا له اذام ربكم ، لتروه باعراضكم انكم لاتبالون به ولا بما يقوله فتعاهدوا كلهم على ذلك ، ولكن ماكاد الشيخ يقبل عليهم حتى بادروا جميعهم الى مقابلته والسلام عليه بكل اجلال واحترام ، قال من حكى ذلك وهو من تلك الجماعة لما رایت ذلك تبث الى الله ، فعرفت ان الشيخ مؤيد من عند الله .

كان الشيخ عام ١٣٢٧ هـ فى السويرة وقد احدثت فيها اذذاك محطة البرق باذن من السلطان مولای حفيظ ، فذهب الى المحطة فاکثر السؤال والبحث حتى ادرك الذى يؤديه التلفزيون ، فلما رجع صار يحكى لمثل الفقيه سيدى على بن عبد الله ماراى وقد قال لغيره ان المسلمين اخاف ان لا يجدوا شيئا فى المقاومة لان عند العدو من السلاح ومن الات الهجوم والدفاع والمخادعات ما ليس عند المسلمين ، ولكننا مع كل هذا لانياس ، « كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين »

وكانت عادة الشيخ انه كلما جال فى مجالاته الخاصة والعلمة حول هذه المقلومة لايمك عينيه ، على خلاف مايعهده منه اصحابه من التجلد ومغالبة حاله

عند ما يخوض في كل شيء مؤثر ، ولكنه في هذا الموضوع يغلب على حاله ، لعمق الفكرة في نفسه بغمرة الايمان ، فلا يجس ان تجيش دموعه رغما عن تجلده المعروف .

حكى لي من لاتهم ان الشيخ زار مرة مشهد الشيخ سيدى عبد الرحمان من مقبرة تزيت مع اصحابه ، ثم تخلف عنهم ، قال الحاكي فوفقت ازاء باب الصريح فاذا بى اسمع نشيج بكاء الشيخ ، فتحتته حتى خرج بعد حين ، فسلمت عليه ، ثانياً - وكان ممن لا يستجيب كثيرا من الشيخ - قال فسألته عن سبب بكائه الكثير فقال هجم على ان رايت تزيت هذه مفعومة بالنصارى يقبلون ويدبرون كما شاءوا فامتعضت لهذا الهوان ، فلم املك نفسى حتى كان ما كان ثم تنهد تنهدا طويلا ، فقال : «وا اسفاه على هذه الامة التى استولى عليها ما استولى ، حتى لا مطعم فيها لطامع متى جد الجدد ، وحان الجهاد» فقلت له «ان الله سيدفع بكم عنها» فقال اجل بصرى ، وامعن بعقلك فهل تحس من يشعر بواجبه في هذا الوقت ؟ قال : ثم والى الشيخ تنهدات وآهات ثم قطع كلامه وكان لسان حاله ينشد :

ان دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

قال قائل يوما للشيخ لماذا لا تقوم فتقود انت بنفسك الناس الى الجهاد فاننا لانرى الا ان الناس كلهم يتبعونك ؟ فقال له ان تصدر امثالى في ذلك انما يجبر الى ميادين اخرى غير محمودة ، فان الجهاد خطة عظمى لا يتصدرها الا الامام الاعظم ، وامامنا اليوم هو مولاي حفيظ ، فانه لم يعد بعد قيامه على اخيه مولاي عبد العزيز بالجهاد ، ان دخل فاس فاسكن هناك ، فوقع فيما وقع فيه اخوه بل صار يأمر الناس بالهدوء ، فهذا الشيخ ماء العينين قدامه ان يترك هو واصحابه الجهاد فى الصحراء ، وكذلك يقع لكل من يتصدر لذلك ومتى خرق سياج ماءمر به السلطان تاتى وراء ذلك فتن اعظم واعظم ونحن الآن ان اردنا ان نذهب الى الشاوية لنكون هناك مع المجاهدين فاننا لا بد ان نذهب نحن والفقراء وهم الاف ، فاين الزاد واين النظام المطلوب ، وهذا الامر لا يستقيم الا بالسلطان وكل من تصدر له دونه - خصوصا ان كان ذا شهرة - فانه لا بد ان يظن منه انه يخالف السلطان ، ومخالفة السلطان لا تؤدى الى خير كيفما كانت

هكذا يرى القارئ الشيخ جاشا متلظيا متشوقا الى ان يكون في صفوف المقاومة الا انه تتراعى له من بعيد موانع عظيمة ، هذا مع ما يغلب عليه احيانا فقلت منه - على جهة الالمية والفراسة - من ان الاحتلال واقع ولا بد لعدم المقاومة المجدية ولقوة العدو وضعف المغاربة ولكون الناس لم يدركوا بعد كيفية الاحتلال ولا مسلكه فى الناس ، وقد جمعت من اقوال الشيخ فى هذه الناحية كثيرا واودعتها فى جزء من اجزاء «من افواه الرجال»

كان اصحاب الشيخ المنخرطون فى طريقته ممتدين الى درعة فتايل

فما وراء تافيلالت الى قبائل ذوى منيع ، فكان بعض ذوى منيع يكتابون الشيخ ويسالونه في المقاومة في الحدود التي كانت بينهم وبين الجزائر ، ووقبائل ذوى منيع اذذاك لاتزال مغربية لم تلتهمها الجزائر بعد فكان الشيخ يجيبهم بالتحريض على الجهاد ، وهاك رسالة من الرسائل التي يكتبها اليهم

«وبعد فقد وصلت الرسائل واطلنا على جميع مافيها من المسائل وهانحن نجيبها بكل صامت وناطق سائل ، وقد اخبرتم واشتكيتم بجرء عدو الله ورسوله على بلادكم وحریمكم واموالكم وايمانكم ، ونعمة الايمان والاسلام اكبر النعم فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، فلتعلموا ان باب الجنة قدفتح لكم في بلادكم وهو الجهاد والهجرة الى الله ورسوله ، فادخلوا في باب الجنة بان تسلموا اموالكم وانفسكم لله في سبيله ، فقد قال الله تبارك وتعالى : (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) وقال صلى الله عليه وسلم : «الجنة تحت ظلال السيوف» وقال كلکم تدخلون الجنة الا من ابى انصروا دين الله تعالى» (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) وقد استندتم الى اخوانكم المسلمين في هذه الجهة تنحازون اليهم ، وتشنون الغارات والاغزية على عدو الله ورسوله الى ان يطلب منكم الهناء وقد اخبرنا بان ذوى منيع يغيرون بالاغزية على وادى نون مسيرة شهر في اخوانهم المسلمين ويتركون النصارى وراءهم في بلادهم ، فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ولا تقولوا تقوى علينا بجيوشه (فكم من فمة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقولوا

«ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» هل تحسبون وتظنون في الله غير نصرکم ؟ (وما النصر الا من عند الله) (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) والدنيا منفعتها الايمان والاسلام ، من لم يقض في سوقها تجارة الايمان والاسلام لم تنفعه حياته ، فالاولى له ان لا يكون ، واى حياة واى ايمان واى اسلام كان عند من اذل نفسه لعدو الله ورسوله لئلا يخرج من داره واهله فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وقد قال الله عز وجل : (قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتى الله بامره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين ، لقد نصرکم الله فى مواطن كثيرة) ، (ولقد نصرکم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلکم تشکرون) وهذا الزمان بمثابة زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوب الجهاد بل اكثر واكثر واكثر ، لان جهاد زماننا هذا لدفع الكفر وحفظ الايمان الذى هو موجود من غير زيادة ، واما جهاد السلف فلزيادة الايمان وحفظ الشئ الذى هو موجود من الايمان اوجب من طلب زيادته ، تفكروا وتذكروا واعتبروا وانظروا بعقولكم ، اى صلاة واى صيام واى حج واى زكاة لمن راي عدو الله ورسوله اجترأ على الاسلام ثم لا يجاهد فيه بامواله ونفسه ، وقد قال تعالى

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله) ولم يكن شئ يؤكد الله عز وجل اكثر من الجهاد ، لان السيف هو الذى قام به الدين ، وقد كان المسلمون يشتهون الجهاد فى قديم الزمان ، فهاهو اليوم فى بلادهم وناموا ، ويطلبون المهادنة معه فى بلادهم فلاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، جاء الى بلادهم فصاروا يخافون منه ولو قتمتم بالحق الذى وجب عليكم فى الشرع من الغارات عليه والاغزبة وتنحازون الى اخوانكم المسلمين لرددتموه وتجدون من المسلمين الذين استولى عليهم بالظلم والعدوان المعاونة والنصرة ، فيغدرونه وتتبعونه شيئا فشيئا، وما هو الا ابن ادم مثلكم ، يضره مايضركم كما قال الله عز وجل (ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما) وان قريبتم من مكانه فابعدوا منه بقدر منع انفسكم منه (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة) (وقضل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما) ولا تقولوا ان تركنا نتركه ، فلا يجوز لكم ذلك فى الشرع لانه ان وصلكم فلاعذر لكم فانه جلس عليكم وعلى بلدكم ، ان لم تدفعوه فلا بد ان يدخلكم بالحبلة او بالقهر ولا تقولوا هانحن معه فى الهدنة فلو انكم قتمتم فى هذه السنين التى كان ثم لكسرتموه بحول الله وقوته ولا تقولوا نحن قليلون، بل انتم كثيرون عنده فقد خاف منكم غاية ، ولكن اظهرتم له الذل لما كنتم تعاملونه فى الاسباب ، وتطلبون هدنته وها بلاد المسلمين تكفيكم فى الاسباب والسكنى ، وهو لم يحط بكم انما هو لكم فى جهة واحدة وجهة المسلمين تخرجون اليها بالاسباب وبالهجرة • ولا تجوز لكم المهادنة معه ، بل وجب عليكم ان تسمروا عن ساق الجد • واجمعوا رايكم فى اهل الخير • وتجاهدون فى سبيل الله ، فهنيئا لكم فقد قزتم بخير الدنيا والاخرة ، واشركونا فى اجركم والله لقد اشتهينا الحضور معكم ولا حرمنا الله من ذلك الا اجر بجاه النبى واهله والبخارى ورجاله ، وهذه الساعة الخير كله فى الجهاد لا غير ، وان احتجتم الينا فى شئ فاكتبوا مع الحامل ، ويرحم الله الذى صار الى رحمته سيدى الحاج الحسن الذى عرفتموه وحامل الكتاب الذى هو خليفتى فى كل شئ استمعوا منه واتبعوه والسلام»

ثم ان الشيخ الذى خامرته هذه الفكرة فاستولت عليه يقظة ومناما، بينما هو فى قرية (اورير) ازاء اكادير بزاوية اصحابه هناك ، فى عام ١٣٢٧ هـ اذ رأى مناما حكاها لى الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح ، فاهالى اذنى ، فقد قال «ان الشيخ اخبرنى مشافهة انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فى اورير فقال له اننى اراك كثيرا لاهتمام بأمر النصارى ، فاجبتة نعم ياسيدى ، فقال «ان هذا الذى وقعت فيه من الهم والغم والقلق وقعت فى مثله يوم الخندق ، فرجعت الى الله بالكلية فصرت اقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، فتوكلت عليه وفوضت أمرى اليه ، فاذا بنصر الله جاء بفضلته فك الله عنا الاحزاب ، فانهزموا بالاحرب

ومر كذلك انت اصحابك الآن بان يزيدوا في وردهم مائة من حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانهم سيجدون بركة ذلك في حفظ قلوبهم ، كما سيجد المغرب كله بركة ذلك فيجعل الله في امر النصارى فرجا ومخرجا بخرق العادة»
بسبب هذه الرؤيا صار اصحاب الشيخ يذكرون ذلك في وردهم ، وهاك من رسالة للشيخ في ذلك ، ونص المقصود منها

«نوصيكم بالتواضع والصبر وترك التدبير والاختيار لله تعالى فهو المدبر في ملكه وفي ملكوته في المسلمين وفي اليهود وفي النصارى ، فالامر لله الواحد القهار ، واخدموا (حسبنا الله ونعم الوكيل) مائة في الصباح ومائة في العشي فقد امرنا به لجميع الاحباب ان يخدموه على تعدى النصارى وظلمهم (فيكفيكم الله وهو السميع العليم) ولا يمكن ان يخدم على امر فيبقى على حاله ، بل لابد ان يكشفه الله حتى امر النصارى ان خدمتموه فلا بد ان يزولوا ان شاء الله ، حتى ان قدرتم ان تبرحوا به في اسواقكم ان يخدمه الناس جميعا كبيرا وصغيرا ذكورا واناثا في الجوامع وغيرها ادبار الصلاة وغيرها ، فذلك افضل واكمل وليس الدواء الا في الاضطرار اليه لان قوة الله هي الغالبة لقوتهم بلا شك ولا خلاف فمتى رجع الناس اليه حقا فلا بد ان يرد كيدهم في نحورهم (وهو القاهر فوق عباده) ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»

ومن رسالة أخرى

«..... متى اراد الله ان يرد النصارى عن المسلمين فلا يصعب عليه ، اما بسر ظاهر على يدولى (١) من اوليائه واما بسر باطن من غير واسطة اصلا ، وهو على كل شئ قدير وهو القاهر فوق عباده ، ولا ملجأ لامهرب من الله الا اليه فقد ظهرت تعدى النصارى ولم يبق الا قوله تعالى «حسبنا الله ونعم الوكيل» فهو السيف القاطع ، فاخدموه انما كنتم على نية رد الله كيدهم في نحورهم، تصديقا لقول الله «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا» (وما ذلك على الله بعزيز) وقد امرنا في العام الاول في ثالث عاشوراء بخدمته في الصباح والمساء مائة لكل وقت لجميع الفقراء يزيدونه في الورد، على نية هزيمة النصارى من بلاد المسلمين ان شاء الله» الخ

اقول : ان الشيخ مع اخذه بالاسباب التي رأيتها من الاستنهاض ودتبيه الناس لما يهددهم ، صاريث في اصحابه - كما رايت - ما يستنهض ايضا القوة المعنوية في كل اتباعه الذين تشبعوا بروحه فان الجهاد المنظم المجدى لا يفيد مادام ملك العصر فاترا ازاءه فصار يقوم بما في طوقه فيملأ به مجالسه وقد تواتر عنه انه يقول اخيرا بعدما رأى أن المقاومة المجدية اعرض الناس عنها «ان

(١) الله اكبر - اننا من رعايا ملكنا الهمام محمد بن يوسف هذا لولى الذى على يده خرج النصارى فاستقلت البلاد

النصارى سيدخلون بخرق العادة وسيخرجون بخرق العادة» فأما دخولهم بخرق العادة حين لم يقاومهم الناس مقاومة فعالة ، فقد رايناها وليت شعري متى تكون الثانية (١) فرحمه الله فقد قام بما في طاقته •

بعض دعواته وأذكاره الخاصة

هذا باب من أبواب تحنث الشيخ ، وغالب ذلك يدور متى اختل بنفسه على التجهد ليلا بالقرآن ، وهذا مما واطب عليه طوال حياته ، لا يتركه وإن احتوشته الاشغال وكثرة الاضياف ، وكان ورده من ذلك - كما قال ملازموه كسيدي سعيد اثنتاني وسيدى احمد الفقيه الركنى وسيدى مولود وآخرون - خمسة من القرآن بلاء النوافل المعتادة كالضحى وما قبل الظهر والعصر وما بعد الظهر والمغرب ومائة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة عصر الجمعة ، وجل اصحابه اقتدوا به في كل ذلك واما الصيام فانه اقتدى فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة ، فانه يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم الا انه في السياحات لا يصوم النوافل غالبا الا في الامكنة التي لا يحتاج فيها الى مخالطة الناس وتبليغهم ما اوجب على نفسه ان يبلغه لهم

هذه نبذة يسيرة مما يتعلق بهذه الناحية لخصناها تلخيصا لان هذا انكتاب لم يجعل لمثل ذلك ، فهناك كتب خاصة الفت في الشيخ المت بكثير من من هذه النواحي ، وان لم تستوف ذلك ، وقديم بنافى هذه الترجمة وفي تراجم اصحابه اشياء اخرى لم نذكرها هنا

واما الدعوات التي يدعو بها كثيرا فقد حدثني بها كثير من اصحابه ، كهذا الدعاء «اللهم اجمعنا على محبتك ، اللهم اعنا على طاعتك وخدمتك ، اللهم طهرنا تطهيرا نصلح به لحضرتك ، ولقينا بك ، اللهم زدنا فيك تحيرا وبك افتتانا وغيبنا بك عن كل شيء سواك حتى لانكون الا بك ولك ، اللهم احفظنا فيك سائر عمرنا حتى تتوفانا وانت عنا راض ، ونحن بك غير مفتونين ، بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم»

وقلما يقوم من مجلس عام الادعا بهذا الدعاء اثناء الادعية المألوفة التقليدية ويقول ايضا كثيرا :

«اعطانا الله سرا من اسراره ، واعطانا نورا من انواره ، وجعل ريحنا فوق الرياح وجعلنا من خدامه ، وجعلنا من خدام بيته ، وجعلنا من خدام سنة سيدنا

(١) كنت افكر يوم محاولة الاستقلال وسهولة امره فادركت ان ذلك هو خرق العادة التي كان الشيخ يذكره دائما

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلنا من اهل الخير وجعل حياتنا مع اهل الخير في هذه الدار ، وتلك الدار وجعلنا من المقبولين ومن المغفورلهم ، ومن الرحومين» الى غير هذه ، ولم نسقها الا لئلا نرى كيف نفسية الشيخ من هذه الناحية ايضا فان المعروف منه انه فان في عبودية الله ، ولا يلتفت الى غير الله في الازمان فما يستغيث بالاشياخ ولا هو يقبل من اصحابه ان يستغيثوا به في الازمان ، وله في ذلك حكايات .

مؤلفاته

للشيخ ولوع بكل ما يمت الى الافادة والاستفادة ، وحين كان يخاضق الفقهاء والفقراء . كان يعمل في كلا الميدانين باقواله وبافعاله ، فاما افعاله فقد رأيت منها ما رايت في الذي تقدم من هذه الترجمة ، واما اقواله فما كان منها مراسلا كالتي يطلقها في مجالس تذكيره او مواقف حثه على الالتجاء الى الله فقد جمعت منها عن اصحابه كثيرا وان لم يكن ما جمعت الا كنقطة من بحر وهو في باب من ابواب كتابي الذي جمعته في الشيخ خاصة وسميته «الترياق المداوي» ومما يتعلق باقواله ما يكتبه الى اصحابه في رسائله ، فانها مجموعة على ثلاث نسخ واحدة جمعها تلميذه الكبير سيدى سعيد التنانى وقد نسخت منها نسخ متعددة ، والثانية جمعها تلميذه سيدى محمد الشيخ الدرعى ، وقد رايت منها كذلك نسخا على قتلها ، والثالثة جمعها تلميذه الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح التازروالتى ، وتوجد ايضا ولكنها اقل من القليل ، ورسائل الشيخ عليها مسحة من حاله العام ، فلا كلفة ولا تزويق كلام ، ومن اقواله ماضنه مؤلفات في موضوعات شتى وهذه قائمة مؤلفاته :

١ - مترجم الربع الاول من مجموع الشيخ الامير المصرى ، فقد اودعه كل ما يتعلق بربع العبادات ، ولم يكد يترك مسألة من الزرقانى والرهونى يمكن ان يتوقف عليها الاحترها هناك ، فجاء مجلدا ضخما بلسان الشلحة ونسخه كثيرة عند اصحابه ، وبه يتفقهون

٢ - (عقد الجمان) رسالة كبيرة بالنسبة لرسائله وضع بها لاصحابه اداب الطريق في فجر تصدره للتربية ، ومنها نسخ كثيرة جدا ، وهى جزء صغير .

٣ - (ترجمة الحكم العطائية) نظما مشلحا ، يقرؤه اصحابه كل صباح بعد مجلس الذكر ، ولكنه لم يستوف كل الحكم .

٤ - (المبدئى المعيد في اخبار الشيخ سيدى سعيد) وهو شيخه المعدرى لم ارمه الا خطبته ، وقد ادخلتها في ترجمته الآتية على ما كتبه فى الشيخ المعدرى العلامة سيدى محمد بن مسعود .

٥ - (كتاب فى الطب) ذكر لى ولم اره .

٦ - (رحلته الى الحج) عام ١٣٠٥ هـ وجدتھا في مبيعتها فخرجتها وحررت قوافيھا فجاءت في نحو الفی بیت من الرجز ، وقد ذكرت بعضها فيما تقدم .

هذه هي اثار الشيخ في التأليف ، فرطت منه وان لم يكن متصدا لمثل ذلك .

وفاته الشيخ

مضت حياة الشيخ كلها - كما رأيت فيما تقدم - في الجولان بين قري سوس الى الحوز الى اسفى ، فالسوية لارشاد الناس وتعليمهم امور دينهم ولتنبيههم على ترميم مساجدهم واصلاح ذات بينهم ، واستتابتهم مما يقتربونه فهدى الله به من سبقت له الهداية ، وعمى عن محاولاته من قضت عليه اغواية وكان من اواخر سياحاته سياحة الى مراکش ، فقد وصل الى قبيلة اولاد ابي انسباع حيث احتفلت به المدارس السباعية وعلماؤها سيدى الحسن بن احمد الرسموكى في بوغفير ، والفقيه سيدى العربى فى الساعدات وسيدى الحنفى فى مزوطة وقد كان كل واحد يخرج بطلبة مدرسته فيلاقون الشيخ من بعد الطلبة بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، والفقراء بذكرهم المعتاد فيختلط الجمعان حتى يدخلوا الى المدرسة ، كما مر بتزكين من قبيلة كدميوّة حيث زاووته ثم بات فى قرية القائد عمر السكتانى ثم فى مسفيوة ، فمر الى الرحامنة حيث اقبل عليه كل الرحمانيين عامة وخاصة ، فرأى على عادته كلما دخل قبيلة - وكانت له فى ذلك نية حسنة - القواد الرحمانيين اذذاك كالقائد عبد السلام والقائد العيادى ، وغيرهما ، وقد كانت الطريقة الالغية انتشرت فى هذه القبيلة على يد سيدى ابراهيم البصير الركائبى فلم يكد الشيخ يظهر حتى تطارح عليه الناس وهو يرشد ويهذب ، ومعلوم ما للعرب من النية الحسنة ، ثم لم يدخل الشيخ الى مراکش حتى بنيت زاويته فى الرميّة ، وقد كان ينتظر ان تتم على يدا صاحبه الذين منهم سيدى الحاج محمد البوطيبى الهشتوكى ، وحين حل بمراكش اهتزت المدينة وطفحت الرميّة باصحاب الشيخ الذين يعدون بالمئات فاجتمع اهل الحومة على ضيافتهم فضيفوهم فى مسجد باب دكالة الذى يتسع لاولئك الجماء الغفير ، وقد اخبرنى مقدم الحومة بعد ذلك ان الموائد التى اتى بها اهل الحومة بلغت خمسمائة ، وقد التف كل الدرقاوين المراكشيين على الشيخ فى هذه الضيافة ، ثم داروا معه على السبعة الرجال صبيحة يوم ، وهم يعلنون بلسان واحد (حسبنا الله ونعم الوكيل) فكان يوما مشهودا بمراكش ، وقد قيل للشيخ اما تخاف ان يقع لك ما وقع للشيخ ماء العينين وقد كان اذذاك ذهب الى فاس فرد فى الطريق وراء تادلة بقوة الاحتلال الذى تم اذذاك فى البيضاء واحوازها فقال: اننا لم ندخل مراکش الا باذن خاص ، ولن نهتبل الا بالله ، فذكر له

ما يخافه الناس من النصارى المحتلين فظهر لهم قوة من نفسه ، ثم وقعت منه كلمات يدل بعضها على ان الواجب هو مدافعة الاجانب لو كان في الناس ايمان قوى ، وامر منتظم وشمل مجتمع ، وبعضها على ان المحتلين لابد ان يخرجوا اخيرا من هذه البلاد الا ان الذين سيخرجونهم لا يزالون الى الآن صغارا او لا يزالون في اصلا بآبائهم ، وهناك كلمات اخرى تفرط من الشيخ من غير ان يحتفل بها تدل كلها على غيرته وعلى اهتمامه العجيب بالوطن العزيز ، وقد مر بك فيما تقدم بعض ما يتعلق بهذا الموضوع .

ثم خرج من مراكش ، فرجع الى سوس على طريق حاحة ، فبات في اذاكيلول فأورير حيث زاوية اصحابه ، ثم الى كسيمة حيث الاهال كلهم يكادون يكونون من اصحابه لان رؤساء القبيلة من قرية الدشيرة منهم ، وهناك في قرية انزكان فرق الشيخ المتجردين ثلة ثلة ، وهو يوصيهم كتوصية مودع ثم الى هشتوكة فمر بنا ونحن نقرأ القرآن في قرية ايفريان ، فبتنا معه في حامي الصوابي بماسة ، ولا ازال استحضر ان الحزب في العشية يقرأ بغير الوقف ثم الى المدر حيث اجتمع فقراء كل ازاغاد وفي رئاستهم سيدى محمد بن مسعود وذلك في مفتتح رمضان ، فخرج صبيحة اليوم الثاني قاصطف الحاضرون امام زاوية سيدى سعيد ، فكان مما قال (هنا ابتدائها ، وهنا اختتمناها) كلمة سمعها الجميع ، ولكن لم يفهموا من الكلمة الا هذه السياحة الخاصة ، ثم ظهر مقصوده بعد ذلك ، ثم طلعنا الى الغ ، فدخلنا في اصيل اليوم فمر العيد فسافر الشيخ الى تامانارت فرجع موعوكا ، وقد كانت السنة شهباء فتوارد جيران الزاوية على الشيخ ، ليمدهم بما عنده ، ففتح المخازن فامر ان يباع الشعر والتمر بشمن السوق مع زيادة حفنة حفنة فوق كل صاع ، فثارت ثائرة بعض الاثرياء هناك ، لانهم يبيعون الى اجل باضعاف اضعاف ذلك ، فكان الشيخ يقبل املاك الناس رهنا لايضا قاطعا تسهيلا عليهم ، وهو يقول لهم «دعوا رجاء اولادكم ليتمد الى فك المرهونات» فجعل الله البركة في مخازن الزاوية حتى تعجب الناس ، هذا والشيخ يزداد مرضه ، وقد كان كتب وصيته في اول مرضه فأرسلها الى سيدى محمد بن مسعود حيث سترت الى مابعد وفاته ، وفي صبيحة السبت ٢٨ من ذى الحجة عام ١٣٢٨ هـ ازداد المرض وعند صلاة العصر فاظت روحه فالتحق بالرفيق الاعلى ، وفي الليل تولى غسله الفقيه سيدى علي بن عبد الله ومؤذن الزاوية سيدى محمد بن بلعيد التنانى ، وقد كان الناس علموا بوفاته العشية بطلقتين من البنادق على العادة اذذاك ، وفي الصباح اجتمع كل الجيران فصل الفقيه على الشيخ ثم دفن وراء الدار في مشهد الآن

هكذا طويت تلك الصحيفة وتلك الهمة ، وتلك العزيمة وتلك الغيرة الدينية الغربية العجيبة ، ولكل مبتدأ منتهى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)

مراثي الشيخ والتعزيات فيه

قلت لآخي أحمد يوما لماذا لا أرى مراثي كثيرة في الشيخ الوالد بعد وفاته ؟ ولماذا لم ترعف اقسام الادباء بما يستحقه منعاه من عويل طويل بين قواف متخيرة ورسائل مجبرة ؟ فقال لا اخال الا ان السبب في ذلك هو كونه لم يذر وراءه عقباً يراعى ويفهم عن الادباء ما يقولون ، فيتقرب اليهم المتقربون ، ويجد في متداهم من هم لآدابهم يرجون ، فيدركون مغزى توجع الشعراء حين يتوجعون ومقدار مالبينات قوافيهم التي يصوغون ، لان كثيرا من المراثي انما هي تحية لوجه الاحياء لآثار لما يخلفه الموتى والغائب غائب دائما . وقلما يراعى من هم غائبون عن المجلس ، فضلا عن الغرباء عن الحياة ، ذلك معنى ماقاله وهي قوله لها حظ من النظر والا فإين ما يستحقه الشيخ الجليل الطائر الصيت وما تستحقه اعماله الكثيرة التي شرقت احاديث الركبان بها وغربت واشامت الاسمار عنها واعرقت من زفريات ادبية على قدرها ، وهل يطيل الثياب الاطول لابسها «ان الرداء على العملاق عملاق» هذا مع اننا نجد من بنات السن الادباء السوسيين عشرات فسي موافق هي من موقف الشيخ بمزلة الارض من السماء ، اوبمزلة الشمع من الاكليل

وبعد فقد اطلت البحث عما يتعلق بهذا الموضوع ، فلم اقع الاعلى بعض قصائد والاعلى رسائل مختلفة النسيج في التعزية ، وغالبها لا يستحق جرة قلم ، وهانذا ساجتهد لالتقط من تلك الرسائل ما ينبغي ان يعنى به ، فاما ان اسوق الرسالة كلها اوبعضها وعلى الله الاتكال ، وبه المعونة

من ذلك رسالة الفقيه سيدى محمد بن عبد السلام الورزازى المراكشى

اخواننا في الله الفقراء المتجردين والمتسببين في زاوية الشيخ الهمام صاحب الفيوضات الربانية ، والنظرات الصمدانية ، السلام عليكم ورحمة الله عموما وخصوصا الفقيه ذا الهمة العلية سيدى سعيدا التتاني وسيدى احمد الركنى وسيدى محمد بن مسعود وغيرهم ممن نسمع بهم .

أما بعد فقد وصل نعى الشيخ رضى الله عنه فبلغ فينا الحزن مبلغا عظيما نحن وكل اهاليها ، فرحم الله تلك الهمة العالية والعزيمة الطائرة فلم نبك لموت الشيخ فان الموت مكتوب على كل انسان ، ولكن نبكى على مثل تلك الهمة التى يربى بها الشيخ المريدين وما اقلها حتى في كثير من العارفين ، فقد راينا كثيرين من مشايخ هذه الطريقة الدرقاوية ، وشاهدنا لكثيرين منهم اسرادا واستنهاضا الى الله ، ولكن لم يكن منهم مثل هذا الشيخ الذى رزئت به الطريقة فلا حول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون ، فانه يزيد مقامه على مقام فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، والسلام من اخيكم فى الله الضعيف محمد بن عبد السلام الورزازى لطف الله به كتبه فى ربيع الثانى عام ١٣٢٩ هـ

ومن ذلك ماكتبه الفقيه سيدى محمد التادلى ثم الرباطى ثم الجديدى وهو من اصحاب الشيخ: «حياء الله تلك الوجوه النيرة منكم يا اخواننا اصحاب شيخنا سيدى الحاج على بن احمد الالفى السوسى ، وانبت الله نباتا حسنا من خلفه من الاولاد الذين نتمنى ان يسلكوا طريقة الشيخ التى يعز نظيرها اليوم ، فاعلم يا سيدى سعيد التانى اننا سمعنا بالخبر الصحيح فى وفاة الشيخ رضى الله عنه ، فثارت مشاعرنا لله والى الله وفى الله لاننا نوقن ان ارواح العارفين لا يلحقها الموت كارواح الشهداء ، وانما تنتقل الى عالم اوسع وافصح ، حيث تستمتع بالقرب من الله اكثر مما لها فى هذه الدار ، فاحوال العارفين خاصة سواء مجاهدين ومماتهم ومشهدهم ومغييهم ، لالذة لهم الا فى المشاهدة ، وهم يرون من الاكوان عين المكون بلا حلول ، وهذا مقام لا يتكلم فيه مثل الامك يا سيدى سعيد لان صدور الاحرار قبور الاسرار ، والفقيه يجب عليه ان يملك الاحوال لا ان تملكه

يقولون خبرنا فانت امينها وما انا ان خبرتهم بامين

هذا وقد كنت ذكرت من احوال سيدنا الشيخ للعلامة الجليل سيدى احمد بن الخطاط وللمدرس النفاة ، سيدى احمد بن الجيلانى ، فتاسفا اليوم حين لم يلاقياه ، ونحن يا اخواننا على العهد والسلام على سيدنا محمد الذى جعله الشيخ خليفته فيجب عليك يا سيدى سعيد ان تهذب وان تسلك به الطريقة فى مسالكها المعلومة ، حتى يستحق ان يكون خليفة الشيخ عن حق والسلام من مجلكم الفقير محمد بن على التادلى عفا الله عنه .

ومن ذلك ماكتبه الفقيه سيدى الزبير البعمرانى من رسالة :

• ونعزيكم فى الفقيه شيخكم ، فان على امثاله تسهيل الجفون دما وما كان الا فريدا فى حرصه على نفع العباد ، واحياء القلوب ، والاخذ بايدى العامة فى اصلاح ذات بينها ، والخاصة فى تربيتها على الطريقة التى تسلكها فرحم الله الشيخ وقوى الله الفقراء وكل ابنائه على الصبر ، وانما الصبر عند الصدمة الاولى ...

ومن ذلك ماكتب به الرجل الصالح سيدى الحسين صاحب الزاوية ازاء الجديدة ، وقد كان زار سوس فنزل على الشيخ عام ١٣١٦ هـ :

«الاخوان الذين لا تجتمع قلوبهم الا على محبة الله ومحبة نبيه ، اصحاب الشيخ سيدى الحاج على بن احمد السوسى ، رضى الله عنكم جميعا ، وافاض علينا وعليكم من سحائب رضوانه ، وكذلك اولاد الشيخ الصغار واخوانه وكل اهل داره ، فالسلام والرحمة والبركة على الجميع

اما بعد فانه الله الله فى الاجتماع على الله ، والعرض بالنواجذ على هذه الطريقة التى من يذوق من اسرارها لا يجد لها شبيها ، فنحن نعزيكم ونعزي

انفسنا ونعزى كل اهل الله فى قطب الطريقة ، وامام الشريعة والحقيقة ، هذا الشيخ الذى بلغنا انه انتقل من عالم عين اليقين الى عالم حق اليقين ، فهو والله فريد بين كل من زرتهم من المشايخ وهم كثيرون لا يكادون يحصون عددا ، فقد كنت عندهم جميعا وجالستهم ، وفى الكل خير ، الا اننى لما زرت زاوية هذا الشيخ رايت كل ما كان يذكر لنا عن اصحاب الشيخ مولاي العربى من تجريد ومحافضة على الاوقات ، والحرص على الانفاس ان لا يضيع واحد منها فسى غير مشاهدة مكون الاكوان ، فقد تعجبت حين رايته استطاع ان يجد له اصحابا يقومون مثل قيامه فى همة الصوفى الذى يعرف ما طلب ، فقد مضت لنا معه مذاكرات استفدنا منها الشيء الكثير ، ولولم ارتبط بشيخ آخر حى لسلمت له زمامى ، وجعلته فى الطريقة امامى ولكن الزوجة لا يكون لها الا زوج واحد على ان الاشياخ كلهم على طريقة واحدة ، كما قال الله : (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) والآن يا اخواننا نحن وانتم ذات واحدة ، فلانسوننا كما لانساكم وان لم يمكن الاتصال كثير البعد المقربين ونوصيكم على الطريقة فالمحافضة على شروطها من اوكد الواجبات على الفقير والسلام عليكم جميعا من عبد ضعيف خديم لاهل الله الحسين لطف الله به»

ظفرت بهذه الرسالة ممن حافظ عليها ويظهر انها لم تصل الى الخ ، والا لسمعت بها من عند امثال سيدى سعيد التنانى

ومن ذلك رسالة كتب بها الفقيه العلامة سيدى على بن عبد الله الى ابي فارس الادوزى

«الفقيه الدراكة الذى ما بيننا وبينه الا الاتصال التام ، والذى كل ما يهيمه فى جهتنا فهو عندنا من المهام ، سيدى عبد العزيز الادوزى ، وعليكم السلام ورحمة الله ، وبعد فقد وصلت رسالتك ، فقصيت فى الحين حاجتك على ان رسولكم وجدنا فى حزن عظيم ، واسى لا يكيف مقعد مقيم ، حتى اننى اتكلف الصبر فلا اجد اليه سيلا ، بعد ما فقدت ازائى من لا اجد له فى النصيحة والاخوة والمعاونة مثيلا ، فقد صرت غريبا فى بلدتنا هذه بعدما صار سيدى الحاج على الى ما لا بد ان نصير اليه جميعا ، فقد غادرنى مفردا لا انيس ولا مشتكى اليه متى كنت وجيعا ، على انه صار الى جوار ، وانا بقيت فى جوار كما يقول التهامى فى رثاء ولده

جاورت اعدائى وجاور ربه شتان بين جواره وجوارى

فما امر الحياة التى لا اخوان فيها ولا معينين ، ولا جيران فيها مخلصين محتسبين فانه يرحم ، ويجعل لنا فى امثالكم البركة فى السكون والحركة ، والسلام وكتب الفقيه ايضا الى بعضهم اثر وفاة الشيخ متمثلا اثناء رسالته «لعمرك ما المصيبة فقد مال ولاشاة تموت ولا يعير

يموت لموته خلق كثير»

ولكن المصيبة موت حر

وأما المراتي فقد قال العلامة عميد المدرسة الالغية سيدى على بن عبد الله

رفيق الشيخ الدائم :

يجديك غير تحسر وتفقد ؟
من بعد ذاك الجمع غير تبدد ؟
ايوب هل تنجو به او تفتدى ؟
لا بد تصبح فى مقيم مقعد
ذمما ولا الا لاهل السؤدد
بلثام هذا الجيل فوق الفرقد
اخوان صدق همة لم تحمد
ما زال يقصده بنبل مقصد
لا بد من وضع بيومك او غد
والسعد يسعدنى لعيش ارغد
مات الكمال به فغير مفند
فى عصره للدين خير مجدد
ادب يزيد وهمة لم تهجد
غير الاله ورفعة لم تجحد
وصداقة فى غيره لم تشهد
وترد كثرتها لسان المقصد
طارت بها العنقا الى متصعد

هنا ملكنا المال عفوا ما الذى
او قد جمعت جموع كسرى ما الذى
او قد حييت حياة نوح فى غنى
او سالتك صروف دهرك حقة
تبا لدهر لايراعى برهة
وتراه يسفل بالكرام ويعتلى
ويهم بالتنقيص والتشتيت فى
لايخد عنك اذا استلان فانه
ما راغنى والدهر حبلى مقرب
والشمل مجتمع بمن احبته
الا النعى بموت شيخ ان تقل
شيخ الشيوخ سليل احمد من بدا
ماشتت من علم ومن عمل ومن
وديانة تنسى اذا عاينتها
ونصيحة قد زانها اخلاصها
لمناقب يعبى المفوه عداها
اه على تلك المحاسن انها

وقال الشاعر المفوه شيخ الاسلام شيخنا سيدى الطاهر بن محمد

الافرانى

جزعت وحق ان تنوح وتجزعا
غدا للعلا والدين عينا ومسمعا
حوت كل اءاداب السياسة اجمعا
مريدين مرعى للفضائل امرعا
له الزهر لما ان تبدى واطلعا
ه ثدى العلا والعلم طفلا وارضا
بهمة طماح العزائم اروعا
الى رتبة تنأى منالا ومطمعا
لركن الهدى لما وهى وتضعضا
وفتت مسك العلم ثم تفسعا
بلاد وزال الجهل عنها واقلعا

امن حادث بكر الم فاجزعا
لفقد امام الدين شيخ الرسوخ من
مربى مريدى الرشيد بالسيرة التى
محط رحال القصد مطمح همة ال
زال صفا ذوقا وبدر تضاءلت
ابى الحسن البرابن احمد من غذا
وجد الى ان بد كل منازع
فقال منالا دونه النسر وانتهى
اقام يشيد الدين دهره مجددا
طمت لجج العرفان من بحر صدره
الى ان انارت من سناه جوانب الـ

اهاب به ريب المنون ففجعا
واصبح عرين المكارم اجدءا
السيادة لما ان قضى فتقشعا
سبيل ولم يلفوا الى القصد مهيعا
ليهديه او من يجبر المروعا ؟
بدن الرجا والخوف طرا لينجعا ؟
من الخلد فى اعلى الفرايس مربعا
تكاد لها شم الذرى ان ترزععا
لشيخ مرب بعده متطلعا
تسير مغذا بالمقارف ضلعا ؟
اليك ولكن خل عينيك تدمعا
من الله ماغنى الحمام ورجعا
سامام فقد اسدى وارضى وامنا
لمن سار يرتاد الكمال فاوضعا
وناوى له ان صال خطب وروعا
وبارك فيه الله ركنا ممنا

فلما استوى بدرا وازهر ناضرا
فهيض جناح المجد وانقض نجمه
وغاض معين الفضل وانجاب ماطر
وحار ذوو الحاجات لم يهتدوا الى
ومن ذا يرجى سائح متجرد
واى طبيب للقلوب يلدها
مضى يجتنى ثمر الرضا متبوءا
وخلف وجدا لايريم ووحشة
فقل للذى يغى العلا متطلبا
امن بعد ما اعتدت الجواد تريدان
«فليست عشيائ الحمى برواجع
على قبره سحب التحية والرضا
ولكن ما ابقى لنا الله شيخنا الـ
ففى مجده - والحمد لله - غنية
نلوذ من الدهر المخيف بظله
فلازالت العليا تخدم بابه

وقال ابنه الاديب الكبير سيدى محمد بن الطاهر

عين المعارف والعلوم الامجد
حسن ابن احمد من غذاه السؤدد
بسناه ازمانا تؤم وتقصد
ثوب المذلة بعد عز يشهد
يفنى الكلام وفضله لاينفد
شمس الفحى تعشى الذى قد يججد ؟
بلغت به اقصى البلاد الوخذ ؟
عنه الليالى اذ بها يتجهجد
شهدت مواقفه اذا ما يعبد
ارض يقيم بها الصلاة العبد
طمست بصيرته وذاك المبعد
واحسرة الضليل من يسترشد
رضوانه فى انعم تتجدد
غنى على ولد الغصون مفرد

قالوا قضى العلم الامام السيد
ذاك الامام المرتضى المولى ابو الـ
فعفت ربوع المكرمات وقد زهت
وتعطلت درج المنابر واكتست
قالوا ارثه باللد علمت وانه
فأجبتهم كيف الرثاء لمن غدا
ماذا يفيد لمجده قول وقد
واذا اختفت عنك الفضائل فاسالن
واسال مساجده انتى قد طالما
فلقد غدت مثل النجوم لكل ما
لايجحد الفضل المبين سوى الذى
واحسرة الدين الخيف لفقده
رحم المهيمن روحه وانا له
بالصطفى صلى عليه الله ما

وقال الاستاذ الكبير شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ابن اخت الشيخ:
قد انقضى الخير وحاد الكمال واستحكم الجهل وعم الضلال

وصار رسم المجد من بعد ما
واعلن الدين الشتات بما
قلت احتسب يادين لا احد
لا قضى الشيخ على بن احـ
اودى فئاد بعده صبره
قالوا وما اودى به قلت ما
ياليته يبقى ونعطى به
وقل لو امكن فى حقه
لانه الموت فلا يرتشى
ما الموت الا الدين مهما اتى
اولا فمثل تاجر يشتري
لذا يحوم عن بحور التقى
الدهر قدما هكذا دأبه
لم يغن عن كسرى ولا قيصر
ولا الخورنق لنعمانه
ولا حمى الابيض اربابه
ولا نجا منادما ابرش
سعى الى ان نال فى المجد ما
والبدر ان تمت منازلـه
قلت وقد عاينته علما
وازدحم الناس على نعشه
العين لا يرقا لها دمعها
لا تعنقوا السير فقالوا اتد
فيا له مشهود يوم بما
يا هائل الترب عليه فان
اقام فى القبر واثاره
وكيف لا وهو امام الورى
مقصد اهل الله يهديهم
واكرم الناس ولكنه
مجدد دين الهدى بعد ما
قد اوتى المنشور وهو التقى
وعلمه بحر زلال غدا
وحكمه ينسبك هرمس مع
اما اصطباره فنحو اولى الـ
ما شئت من حزم وعزم ومن

كان متينا عرضة للزوال
اصابه من ضر داء عضال
يشكيك من داء الضى واعتلال
مدد امام الوقت اكرم خال
فؤاد من رأى كمال الجمال
اودى به غير عيون الكمال
ماعز من نفس وولد ومال
وانها (ليت) دليل الخيال
كالحكم العدل الرفيع المنال
ميعاده يقضى بدون مطال
نفائس الدر ورطب اللئال
ياخذ منها من خيار الرجال
تشتيت اخوان الصفا واغتيال
معاقل شيدت ولا ذخر مال
ولا اخو الحضر نجا باحتفال
ريب المنون بعد طول احتلال
معه بحسن عشرة واحتيال
يناله عن ارث اصل وءال
لا بد من سراره وانتقال
يرفع من فوق رقاب الرجال
حتى تقطعت شسوع النعال
اما الشهيق فهو باد وعال
فانه يوم تسيير الجبال
حوى من الكرب وعظم النكال
تدفنه لم تدفن حسان الخلال
سيارة تتلى بكل مجال
وهو المهذب الغياث الشمال
معالم الذكر الورىف الظلال
يبدأ عفاة بابه بالنوال
يكاد تمفوه عوادى اختلال
وهو الذى حاز سنى الخصال
يقذف بالدر لاهل السؤال
بقراط فى غابر عصر وخال
معزم من الرسل بفرط المثال
رصانة العقل وصدق المقال

وهمة النفس فما واجهت
وفى فراسة يظن كان
ومن رئاسة حباه بها
وفى سياسة يقال لمن
ومن شمائل حكى لطفها
ان قام فى الناس بوعظ ترى
او باغت المجلس اطرق من
لغير هذا من صفات لوى
من ذا يحل بعده مشكلا
او يورد البحث على وجهه
مضى ولا يمضى بنا ذكره
صب عليه الله فى قبره
صبرا جميلا يابنى احمد
فرزؤكم عم جميع الورى
وفى ابنه محمد غنية
هما لأفلاك العلا توأم
يسعى لادراك العلا سعيه
وبارك اللهم فيه وفى
واغفر لعبد الله من بعده
أرخ وفاته بدى حجة

وقال الفقيه سيدى موسى بن الطيب السليماني صهر الشيخ وابن اخته
واحد من يديه

مضى الاخيار وانقضت الدهور
مضى الصهر الوفى اخو المعالي
فوا أسفا على قطب المزايا
ووا أسفا على وجه تقضى
ووا أسفا على وعظ اذا ما
ووا أسفا لكل الناس طرا
ووا أسفا لهذا القطر غابت
مصاب عم مفضعه وهادا
مضى من كان فينا خير وال
وخير وسيلة فى كل خير
مضى من هو فى الاحداث طود
فان شئت العلوم تراه يبدى

وتم الخير واتصل الشرور
وخالى شيخنا الليث الهصور
رحى الخيرات حوله تدور
يسر به غنى والفقيهير
يسجره تذوب به الصخود
سواء منجد وفتى مغير
به شمس على الجوزا تنير
وسهلا والجبال كذا البحود
اذا ما جاءنا امر عسير
اتيناه يحق لنا البرود
رسوخ فى الشدائد واضبور
مسائل قد تضيق بها اسطور

او الجود العميم تراه يعطى
او العزم اعترف بوضوح عجز
وليس بمنكر ذا الفضل الا ذليل او جهول او حقير

* * *

ايا من جد فى نيل المعالى
رئيتك عن مجامر فى فؤادى
فيا بدر التمام ويا مناطا
انت سكرات موتك لاتفدى
يحق لجفنا ابداء دموع
فيا تربا حوى اشلاء شيخ
رأيناه عيانا ذا وضوح
وبعض من مريديه رءاه
فصبرا يابنى شيخي جميلا
فبارك فيكم ربى كثيرا
فيا شيخي نزلت جنان عدن
فلا يحصى رثاءك دو قريض
سقى الرحمان قبرك مزن رحى
ولاقتك الملائك باحتفال
عليك سلام ربك كل حين

وقال الاديب الكبير سيدى احمد بن محمد اليزيدى :

الدين يجزع والصدور توجع
وتلهب النيران بين جوانجى
الدمع قد خد الخدود وقتها
أين الذين مضوا عنوا لملمة
واذا رمت اصمت سواء عندها الـ
لم انس حين وقفت فى ربع فما
حظ الذى ملك الدنية كلها
ان المصائب جملة لكنه
اودى فاودى العلم وانجاب الندى
لم تشنها عنه المعارف والعوا
انت الكريم ابن الكريم ابن الكر
ضاق بموتتك الفجاء عن الورى
ماكنت انسى يوم موتك اذ غدا
نفديك هل نفس تفدى مثلها

والعين تدمع والقلوب تصدع
ابدا يزيد ، هلكت لولا الادمع
مثل الاصابع فت فيها اليرمع
نزلت فصاروا كل حى بلقع ؟
سبازى الاشهب والغراب الابقع
اجدى الوقوف ولا اجاب المربع
حظ الخيال مضى وذلك اسرع
ما مثل رزء على بن احمد مفعج
ان السهام لدى المنية شرع
رف والحجافل والبناء الارفع
يم ابن الكريم الالমেى الاطوع
كل بكاك ولا بكاؤك ينفع
جسم غفير خلف نعشك شيعوا
ان المنية بالفدا لاتقنع

من للشهامة والصرامة بعدكم
الشمس والبدر المتير ودوحة الـ
للشمس غور والمنير افولسه
ما فيهما للغير بعدك مطمع
—مجد الاصيل ثلاثة لاتربع
وبقيت فردا في دهورك تلمع

✽

ما البحر عندك في النداء ما الليث به
غاضت بحور العلم بعد ترحل الـ
نرضى الرضى بالشيب فرقة سيد
ان الذى ملا القلوب جلاله
عجا لبدر كان منزله الثرى
قسما بحب الاريجى محمد
وله بشم قد مضوا كالجشتمى
فسقت سحائب رحمة ديماس من
صلى الاله على النبي محمد
وعليهم ابدا لدى محبة
—دك فى الشجاعة ما الشجاع الاقرع؟
سبحر المحيط وما تفيض الادمع
ولكل شخص بعد شخص مصرع
وهدى الانام له مقام ارفع
ولبحر اعظم فى الركبة يجمع
لله على قلب الاحبة موقع
واليفرنى اسوة تستتبغ
يهدى ويهدى بالمواعظ يقرع
ما الورق فى اغضان ايك تسجع
ما الدين يجزع والصدور توجع

يعنى الشاعر بمحمد الاريجى كبير اولاد الشيخ اذذاك ، وبالجشتمى ابا
العباس احمد بن عبد الرحمان وباليفرنى الحاج الحسين اليفرنى دفين تزيت
مات الجشتمى عام ١٣٢٧ هـ ومات اليفرنى عام ١٣٢٨ هـ
وقال ايضا

قد استوى الله على عرشه
والملك والبقاء والجبرو
يا ايها الباكي على فقد من
ايه فقد اودى المنون بمن
ابك او اعول ذاكرا وعظه
وقل لدى وعظ وذى ادب
والوعظ والمجد الاصيل كذا
هدى الجهول واستفاد العمى
(ليس على الله بمستنكر
الدهر قد نذر ان يغدر الـ
فالرزء كل الرزء موت ابي
لكنه هون ذاك بقا
مجدد الملة شيخ الشيو
محيى الهدى مهدى الندى والجدى
لازال ملحوظا بعين الرضا
والموت فرض يحتسى كاسه
والله غالب على امره
ت والعللا لله لا غيره
علا على الشموس فى قدره
كان امام الناس فى عصره
وجدد الحزن لدى ذكره
الوعظ والآداب فى قبره
الذكر الجميل غرن فى غوره
من بعد ما غرق فى بحره
ان يجمع الاسرار فى سره
كرام بر الدهر فى نذره
حسن السامى على غيره
الشيخ مجد الدين فى مصره
خ من غذا كالبدر فى دهره
مردى العدا الشهير فى قطره
ممتعا بالسؤل فى عمره
نظير ذاك الشيخ فى قصره

فالشيوخ هون بترحاله مصائب الدهر الى نشره

وكتب العلامة سيدى عبد العزيز الادوزى فى التعزية بالشيوخ

اخواننا فى الله والاخوة فى الله اعظم رحم يجب وصلها ، وللطريقة ااداب
وكل من يقوم بها فانه اهلها ، ياسادتنا اصحاب العارف بلله الشيخ الاكبر
سيدى الحاج على الالفى المرحوم ، ليس هذا الخطب العظيم خطبكم وحدكم ، ولا
الرزاء به هو التأثير الذى عندكم ، بل ان موت الشيخ موت ركن عظيم من اركان
الاسلام ، فمن لنصيحة العباد بعد هذا الشيخ الامام فشهادتنا انه قام بما يجب
ان يقوم به كل العلماء ، فى نصيحة الدهماء بله تربية الخاصة من الفقراء من
جلاء مقلدة عمياء اودواء اذن صماء

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فقد كان المرحوم يقيم القلوب ويقعدها ، ويقوم العزائم نحو الوجهة الربانية
ويسددها فكم معوج قوم ، ومتأخر قدم ، وغافل يقظ من وسن وسادر غض مهاله
من رسن فعزأونا فيه واحد ، والله على ما نقول شاهد والسلام

وقال الاديب الصوفى سيدى الحبيب البوسليماني بعد نثر ونص الجميع:
اولاد الشيخ الامام كبير العارفين ، وقدوة المتطلعين الى وصول رب العالمين
المرحوم الذى رزى به الاسلام ، علم الاعلام الشيخ سيدى الحاج على بن احمد
الالفى مربى المريدين ، ومرشد الضالين من كان عمرى الهمة والبدر المشرق
فى الليلة المدهمة فكم كشف عن قلب غمة ، ولم انفاس المريدين الى الله لمة
فعلحكم يا اولاده وجميع الفقراء المتنسبين الى الطريقة الالفية ، من المريدين اذكى
سلام واذكى تحية ، ما ابدر قمر واظهر شجر وحلا ثمر

اما بعد فقد وقعت السماء على الارض ، ومنيت البحار المحيطة بالفيض
وكسفت الشمس والقمر وغطى على السمع والبصر ، حين نعى الينا شيخ الاسلام
وامام الائمة الاعلام قطب الطريقة ، والجامع بين الشريعة والحقيقة ، فياله من
مصاب ذك العزائم وتنف الخوافى والقوادم ، وكاد لولا الرجاء فى الله ان يؤيس
فى الخلف ، لخير من سلف وما هى الا مصيبة جلى هاضت الاعضاء ، وانست
الاجداد والاحفاد فمن مثل الشيخ رضى الله عنه فى همته العمرية وعزيمته
الخالدية ، فكيف الصبر بعده ام كيف يرجى ان يجد المريد نده ، ولكن على قدر
المصيبة ينبغى ان يكون الصبر ، فصبر جميل وان اتقد فى كل القلوب الجمر
فاحسن الله عزاءنا وعزاءكم يا اولاده وفقراءه وهاكم ابيانا تكلفتها فى رثائه
وان كنت لادرك كما اهوى رثاءه

قضى امام الدين من لا يرى له نظير فى جميع الورى
ما كان فى افاقنا هذه الا كمثل البدر ان ابدر

كم مقله اسالها ادمعا بوعظه المشهور ان ذكرنا
وكم سفيه رده سيذا فذا متى هذبه اكبرا
يارب الحف بالرضا قبره ومن يزور ذلك المقبرا

أولاده

ترك الشيخ من الذكور ومن الاناث خمسة عشر ، محمد وعبد الحميد
وحبيبة ومريم اشقاء من السيدة فاطمة الالقية ، واحمد وعبدالله وعبدالرحمان
وعائشة وصفية وائمة اشقاء من السيدة خديجة التملية، ومحمد المختار والحبيب
وابالقاسم وابراهيم وفاطمة من السيدة رقية الادوزية ، وقد بينا بعض احوال
اولاده في كتاب (الترياق المداوى) وسترى امامك تراجم من يستحقون الترجمة
من اولاد الشيخ واحفاده

الكتب المؤلفة في الشيخ

- ١ - «المآمول المبغي في مناقب الشيخ سيدى الحاج على السوسى الالفى»
للفقيه سيدى محمد التادلى
- ٢ - «الفتح الموهوب في مناقب الشيخ المحبوب» للفقيه سيدى الطاهر السماهرى
- ٣ - «هز الراية الجعفرية» للعلامة محمد بن مسعود
- ٤ - «السر الجلى في مناقب الشيخ سيدى الحاج على» لسيدى بريك بن
عمر المجاطى
- ٥ - «حياة الشيخ سيدى الحاج على» كتبتها لبعض الاجانب بطلب منه
- ٦ - «من افواه الرجال» جمعت فيه بلا ترتيب ماكنت اأخذه عن اصحاب
الشيخ فى كل مايتعلق به . كمااضفت الى ذلك اخبار كثيرة من غير اخبار
الشيخ فيه عشرة اجزاء واتمنى لوامكن لى أن اميز من الكتاب اخبار الشيخ من
غيرها على ناحية
- ٧ - «الترياق المداوى فى احوال الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى» لبيت
فيه رغبة من طلبه منى ، وهو فى جزء وسط

العلامة علي بن عبد الله الالغي

= ١٢٧٥ هـ = ١٣٤٧-٤-٦ هـ =

نسبه :

علي بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد .

ليس كل من وصفه المترجمون الذين يخبط بعضهم خبط عشواء بكونه علامة ، كان علامة حقا ، ولاكل من قيل فيه انه استاذ هو استاذ بلفظه ومعناه كما تقصده به العرب العرباء فقد صارت الاوصاف تنثر يمئة ويسرة ، حتى صار من يريد ان يضع الاشياء في مواضعها ، والاوصاف ازاء مستحقها يستحسى ان يصف باحدى تلك الاوصاف من قامت به حق القيام ، خوف ان يظن انه القى ايضا ذلك الوصف بغير تبصر وأنه ممن يخبط خبط عشواء كثيرين غيره ولكن بالآثار تظهر الرجال ، وبالأصحاب والاعمال يعرف العاملون الذين بذلوا جهود حياتهم في التثقيف والتهذيب ، فمن اعوزك ان تعرفه ، وان تتبصر هل ما وصف به يستحقه حقيقة فانظر الى اصحابه واعماله واثاره ، قبل ان تستهويك بنيات الالسنه ، فهناك تلمس حياة الرجل ويكتنه قدره كيف هو

العلامة علي بن عبد الله ، هو ذلك الرجل العظيم الذي خلف صنوه الاستاذ المتقدم محمد بن عبد الله في تسيير دفة الدراسة في المدرسة الالغية ، فكان خير خليفة تم على يده ما افتتجه الاول ، واستتم في درسه من كان شدا في درس اخيه وسار على خطته في رفع شأن العلم واهله ، وفي تمكين اسسه في الغ ، وفي ترشيح اهله الى ان يكونوا به قادة معاصريهم ، وفي تلقي كل من وفد للورود في مناهل المدرسة ، بكلتا اليدين ، فكانت المعارف الالغية تزخر بالواردين والصادرين وقد التحم مابعد عام ١٣٠٣ هـ الى ما قبله ، فكان الغ لم تزرأ بذلك الاستاذ ، حين صار هذا الاستاذ الجديد على خطته :

اذا مات منا سيد قام سيد قئول لما قال الكرام فعول

الاستاذ علي بن عبد الله ، هو ذلك الاديب الحي الاريحي الذي وصل بالادب الالغي الى هذه الغاية التي يشاهدها المغرب اليوم ، كما سيشاهدها العالم غدا في التاريخ ، فقد قام على اللغة العربية ، والعلوم التي تدرس بها خير قيام

من حين ان تولى المدرسة ، الى ان التحق بربه عام ١٣٤٧ هـ فقد كانت الخمس والاربعون كلها اادابا وابحاثا ، ودراسات ومحاورات ومكاتبات ، وقتلوى رائعات وقصائد ومقطعات ورسائل مجربات تتسم بسجع يخف على السمع فقامت به فى الغ سوق حافلة رائجة طارت بذكرها الركبان ، وتعطرت بأحاديثها الاندية

فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب

خطوته الاولى

كان والده رحمه الله قد اعتنى بأخيه الاستاذ محمد بن عبد الله كما ذكرنا ثم انتحق بعد اخذه للقرءان بالمدرسة الثانكرتية ، وحين بلغ الاستاذ على صنوه هذا مبلغ التعلم ، صاحبه معه الى تانكرت وقد كان تخطى الحروف الهجائية وبعض احزاب عند اساتذة القرية ولم نهتد الى معرفة من هو - فالحقه صنوه باستاذ مسجد تابا حنيقت - من قرى تانكرت ، وهو سيدى محمد بن على التاعوننتى ، وبه وحده تخرج فى القرءان حتى اتقن حفظه ، ثم الحق بمدرسة سيدى همو بن الحسن عند الاستاذ الكبير سيدى محمد بن الحسن اثماسى القارىء الشهير لتعلم القراءات المختلفة ، فبقى هناك الى عام ١٢٩١ هـ

فى دراسة المعلم

تهيا للاستاذ صنوه ان يؤسس فى اول يوم ، فى مسجد قرية الزاوية مدرسة صغرى ، انضاف اليه فيها بضعة تلاميذ اولاً ، فذهب هو وصاحبه سيدى سعيد بن على الاعضيائى الى صاحب الترجمة بالاخصاص ، فالحقاه بأولئك التلاميذ ، فصار يتدرج ثم لما انتقل صنوه الى المدرسة البومروانية وقد بلغ حصلت منه فترة ، فسمت به همته الى التكبس ، فجال فى المفايزة وكادت تكون قاضية عليه لولا ان لاحظته عين السعادة ، فاتصل به الشيخ الوالد كما يقول العم اذ خلفه الاستاذ محمد بن عبد الله بتلك المدرسة ، فعرف كيف يحول فكرة الاستاذ على الى الدراسة ، وكان رحمه الله من البق الناس فى مثل ذلك واسعدهم حظا فيه ، فما شاء فى المطالعة والمراجعة والتلاوة ، فما مضت سبعة اشهر حتى تفتحت قريحته وشدا وصار فى العلم من النهمين

اذقه واطلقه فمن ذاق شربة من الكاس هذى كيف بعد يفيق؟

ثم لم يزل فى التحصيل سهرا واكبابا باذلا كل جهده فى ذلك ، حتى انه فى بعض العواشر ارتحل الى الاستاذ سيدى على بوضاض الاخصاصى ، فأخذ عنه الفرائض والحساب ثم لم يفته درس من دروس صنوه ، ولامن دروس الاستاذ

الحاج محمد اليزيدى ، حين كان فى المدرسة الالغية عام ١٣٠١ هـ ولم يزل على هذه الحالة ، الى ان توفي صنوه باحواز مراکش ، ونقله مع الشيخ الوالد الى الغ ثم استتم الوالد تلك السنة ، على ما خلفه عليه الاستاذ المرحوم فى المدرسة الالغية ، فغادره الى ما خلق لاجله ، كما رايت ذلك فى ترجمته .

فى الاستعداد لقيادة المدرسة

فى المدرسة الالغية حين توفي مؤسسها ، نبغ اصحابه المتفوقون غاية التفوق وهم بالاشك تدرّبوا على مجاذبة الابحاث مع من يتصدر امامهم ، فحين حق لصاحب الترجمة ان يقود القافلة ، وان يتصدر فى مركز الادارة ، وزن نفسه بميزانه الدقيق الذى نعرفه عنه فى طول حياته ، فلاشك انه رأى فى بعض نواح من معارفه نقصا ، فأراد ان يستدركه قبل ان يبرز فى الميدان ، وينقض عليه بواشق المدرسة بابحاثهم من كل جانب ، فاستدعى الاستاذ اليزيدى فشاركه فى المدرسة من جديد ، فأكب بمعاونته فى مخض الوطاب ، وسن الطبا وكان يتعاون هو واليزيدى والوالد الذى كان يغيب فى كل مساء الى منتصف الليل ، فى استفتاح المغلفات واستيضاح المشاكل ، فما توسط عام ١٣٠٤ هـ حتى احس من قوادمه وخوافيه بقوة يقتدر بها على مطايرة اقرانه فى المدرسة بل يذهب بها ، حتى يصلح ان يكون استاذهم بالاستحقاق وان يسموا تلاميذه بكل جدارة .

وقد حكى لى انه كان فى هذا الطور قد طلق كل اشغاله الخاصة وتركها فى ايدى العبيد ، مع انه يدرك ان السرقة من ابناء حام عادة مستمرة ان راعيتهم فكيف ان جعلتهم بأنفسهم رعاة ، يعرف ذلك حق المعرفة ، ولكنه يقدم الاهم فالاهم وهو الفقيه الذى يعرف قاعدة اذا اجتمع ضرران ارتكب اخفهما هذا مع انه تزوج اذذاك ، وقد خلف صنوه على السيدة مريم بنت احمد اخت والدنا ، بعد ان تقضت عدتها

استاذ المدرسة

صدق الذين قالوا ما افسد الطب الا انصاف الاطباء ، ولا افسد العلوم الا انصاف المعلمين ، صدقوا والله ، لان من تصدر لتعليم علم قبل ان يتمكن فيه وقبل ان تحصل له فيه ملكة ، وقبل ان يكون على ذكر من جل مسائله على الاقل فانما هو كمثل الاعرج الذى يريد ان يعلم غيره المسابقة بالارجل ، وكيف الوثبات التى يمكن للمسابق ان يذهبها صاحبه عند الحضر فى المضمار .

رأينا الاستاذ على بن عبد الله ، وما اثره تعليمه بعد ان تمكن كل التمكن فى المعلومات التى يدرسها ، وفى العلوم المختلفة التى يلقيها فى المدرسة منذ

تصدر ، فرأينا ماخبلنا وما بهر عقولنا ، وتركنا نوقن ان ذلك من اثر تمكنه ومعرفته ما يعلمه حق المعرفة •

كثيرا ما يوازن طلبة المدرسة الالغية فى اسمارهم بين ما ينقلونه عن الاستاذ ومقدار رسوخه فى قلوبهم ، كأنه نقش على حجر وبين ما ينقلونه عن غيره ممن يستنبطهم الاستاذ فى المدرسة ، فيتعجبون من ان درس غيره يطير عن ذاكرتهم قبل ان يفتل المدرس عن مجلسه ، بخلاف ما ينقلونه عن الاستاذ ، ولكنه قلما ينفذون الى هذا السبب الذى ذكرناه •

قال بعض الفتية الالغيين لدرس واحد اخذه عن الاستاذ اكثر فائدة من عشرة اخذها عن فلان ، سمعت ذلك بأذنى ، وهذا الفتى من البق النشء الالغيين •

وقال آخر ممن كان رضى بين يدى الاستاذ ماشاء الله ، ثم التحق باستاذ آخر ، فى مدرسة اخرى وهو من مشاهير المدرسين فى اول نصف هذا القرن انتى اقوم عن ذلك الاستاذ وكأننى بليد موصد القلب ، متحجر الذاكرة على حين اعهد من نفسى انتى استحضر كل ما اخذته عن الاستاذ على بن عبد الله بعد سنة وكأننى اخذته عنه الساعة او كما قال ، وما السبب فى ذلك الا ما ذكرناه •

ثم ان تحقيقه رحمه الله ومباحثته فى الدروس وارشاءه العنان للمباحثين وان عرف بادىء بدء ان سهام المباحث طائشة حتى يفهم مباحثه غلظه بالتى هى احسن ، امر مشهور عنه ، يعلمه عن كل من حضر عنده ولو درسوا واحدا او جالسهم فى محفل واحد لان محافله العامة ان كان فيها الطلبة تمضى كدرس من مجالس المدرسة ، فلا تخلو من مباحثات ومراجعات وانتقادات وتحرير مسائل من مختلف الفنون فالاستاذ يدرس دائما متى التقى مع الطلبة سواء فى الطريق على البغال او حول الصينية والكئوس تدار ، أوفى اى مكان اخر صادفهم فيه ، فهذا هو الاستاذ الذى بنفسه تولى الدراسة فى المدرسة الالغية من اواسط عام ١٣٠٤ هـ الى نحو ١٣١٣ هـ حين سلم المدرسة لنائبه وتلميذه الاستاذ ابي القاسم التاجار مونتى ثم صار يلقي بعض الدروس فينة بعد فينة ، متى وجد فراغا مما طوق به من منصب القضاء الذى تولاه رسميا كما سيأتى

قوله الشيخ الوالد فيما

اسمع ما قال الوالد فى هذا الاستاذ فى شعبان عام ١٣٠٥ هـ فى رحلته الحجازية ، حين صاحبه للتوديع فى لمة من المشيعين ، بعد ان رجع من رجع: وبعدهم لم يزل الفقيه اخو العلا السמידع النبیه يعطى الطريق معنا فى السير ومن يشيع حاز كل خير

الاخ والصهر من انتمت له محاسن الخلق فداع فضله
 علامة الدهر ونخبة الزمان وفخر ذا العصر على كل اوان
 وراية العلم عليه خافقة وشمسه وسط سماء شارقة
 اليه مرجع الصلاح والادب وفكره قطب القريض والادب
 مدرس العلم على الدوام بالبحث مثل مخدّم صمصام
 لم تلهه الدنيا عن التدريس ولا عن الذكر لدى التقديس
 وكلنا من نسب متصل وهو ابو الحسن سيدي على

يولي القضاء من حضرة السلطان

في عام ١٣٠٣ ع عاد السلطان مولاي الحسن الى سوس ، فعاد العلماء
 ووجهاء جزولة وما اليها الى اداء حق التحية الواجبة ، فكان من بينهم صاحب
 الترجمة اقتداء باخيه الذي له اختلافات متعددة الى حضرته حتى عرف فيها وكان
 نزول السلطان اولا بـتـيـزـنـيت خارجها ، فهناك التحق به الاستاذ ثم صاحب ركابه
 باذنه الى وادي نول ثم الى تـيـزـنـيت ثانيا ، وقد كان القائد احمد الابلاغسي
 الاساكي المعقيلي من المقربين حين ذاك الى السلطان لايفارق تلك الايام مجلسه
 والناس كلهم ينتظرون نكايه بالشريف الحسين الابليغي الذي يتخلف عن
 حضرة السلطان ، وكان الابلاغسي من اعدائه الالاء فيتقرب بذلك فقال للسلطان
 حين قدم اليه الاستاذ ان الحاج عبد الله والد هذا شيخنا وصالحنا والمتبرك
 به عندنا ، فزاد ذلك الاستاذ تقربا ثم ان السلطان وصله وولاه قضاء مجاط
 وما اليها وهذا نص الظهير بذلك :

«يعلم من هذا الرقيم الكريم المتلقى امره بالاجلال والتعظيم انا بعناية
 الله ومنته ، وحوله وقوته ، ولينا حامله الفقيه السيد علي بن عبد الله الالغي
 السوسي ، خطة القضاء على خدامنا قبيلة مجاطة وما والاها ، واسندنا اليه النظر
 في الفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم على ان يحكم
 بمشهور مذهب الامام مالك ، وما جرى به عمل من سلك بعده اوضح المسالك
 وان يسوى بين الخصمين ويسمع منهما سماعا مستوى الطرفين وان يردد
 الفصل بين ذوي الارحام ويشاور اهل العلم فيما اشكل عليه من الاحكام او
 يدعوا الى الصلح كما نص عليه الائمة الاعلام ، وان لايقبل من الشهود الا من
 تحققت عدالته واشتهرت خيارته وديانته وان لايتعرض لاحكام من تقدمه من
 القضاة فيما يخالفه النفوذ والامضاء ونعهد اليه بالتقوى ومراقبة المولى سبحانه
 في السر والنجوى الهمة الله رشده واعانه وسدده ، والسلام ، في ٢٢ شعبان
 الابرك عام ١٣٠٣هـ»

وفوقه الطابع الكبير في وسطه ، الحسن بن محمد بن عبد الرحمان الله
 وليه ، وفي دائرته : ومن تكن برسول الله الخ ، البيت المشهور
 ثم جدد هذا الظهير بظهير اخر عزيزي ، علي يد القائد سعيد الكيلولي

انحاحي والقائد سعيد المجاطي ، ونص الظهير الثاني
«يعلم من هذا الخطاب المحكم العرى السامى الذرى ، اننا بحول الله وقوته
وشامل يمينه ومنتنه ، أقررنا الفقيه السيد على بن عبد الله السوسى على تولية
خطة القضاء بقبيلة مجاطة وما والاها من القبائل واسندنا اليه النظر فى ذلك
فنامره بالفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم ، وليكن
فى ذلك متقيدا بمذهب امام دار الهجرة الذى ضرب اليه اكباد الابل من شد
لالتقاط درره ازره ، وبأن لا يخرج فى الحكم عما جرى به العمل ، والراجع
والمشهور ، ان لم يكن ثم عمل ، وبأن يسوى بين الخصمين وان يسمع من كليهما
سماعا مستوى الطرفين وبأن يردد الفصل بين ذوى الارحام ، وان يدعو الى
الصالح اذا اشكل الامر ، كما تقرر فى كتب الاحكام ، ونعهد اليه ان لا تاخذه
فى الله لومة لائم وان يشيد للعدل المنار ، ويحكم الدعائم وان لا يفتح على المنصب
ابواب الرشا ، ويتجافى عن تلويث الخطة بما يقدم فى الظاهر والحشا ، فان
للخطة ربا يحميها وللخليفة مولى يغار عليها فينجيها ، والله تعالى يعصمه من
انزله ، ويوفقه لصالح القول والعمل والسلام ، ٢٢ ربيع الثانى عام ١٣١٦ هـ
وفوقه الطابع الكبير فى وسطه عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه
وفى دائرته ومن تكن الخ البيت

ثم ورد مع هذا الظهير من الحمراء ، جواب القائدين وهو هذا
«خدمينا الارضييين ، القائد سعيد الكيلولى والقائد سعيد المجاطي ،
وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد وصل كتابكم طالبين مساعدة قاضى
مجاتة على تجديد الظهيرين الذين وجهتم طى كتابكم ، وصار بالبال ، فقد وصلا
وها تجديدهما مع أصلهما يصلكم والسلام فى ٢٢ ربيع الثانى عام ١٣١٦ هـ
وفوقه طابع صغير فيه عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه»
والظهير الثانى الذى ذكرهنا تجديده هو الظهير الحسنى فى تحرير
المرابطين ، وقد ذكرناه مع غيره فى ترجمة الجدد

فى رءاسة إخوان المرابطين

رأيت ان شغل الاستاذ الشاغل هو التدريس ، وادارة شئون المدرسة
مع قيامه بمنصب القضاء ، زيادة على ما لبد له منه من مشاركة امور اسرته فى
الوقوف على حرثه وعلى حصاده ، وعلى كل شاذة وفاذة ، لانه بعد ان استولى على
الدراسة وملك زمام نفسه ، ونال ثقافة تامة لأكوبة معها ، اذا جالت المباحث
فى ميادين الدروس ، واختلفت الانظار فيما بين الطروس ، يميل احدى عينيه
احيانا ليراقب اسرته التى يفرط ماشاء الله فى شئونها ، فقد يغادرها بين يدي
بنى حام ، الذين كانوا فى زمن قليل يخبون ويوضعون بغير مراقب ، فرأى ان
يرتكب الحزم الذى هو شئشنة راسخة فى اهلينا فى كسل ما يزاولون - كما

قاله الوالد فى احدى مقالاته يومًا - وان يكون من اخوان محمد بن ادريس القائل :

ماحك جلدك مثل ظفرك فتول انت جميع امرك

بهذه الامور كلها ملا الاستاذ مابين عام ١٣٠٥ هـ الى عام ١٣١٥ هـ ثم فاجأ فى تلك السنة امر هائل ، وموجة مخزنية من الحاحيين ، تركت كل من فسي جنوب سوس فى مقيم مقعد ، فاذاذك اضطر الاستاذ ان يستنيب الاستاذ ابا اتقاسم التاجارمونتى ، لئلا يقف دولاب المدرسة ، ولئلا يتسرب الفتور الى من فيها .

كان للوالد معرفة سابقة بهؤلاء الحاحيين كما تقدم ذلك فى ترجمته ، فندب الاستاذ الى أن يقوم برياسة المرابطين ، الذين اعلن القائد سعيد الكيلولى تحريرهم ايضا ، اتباعا لما فى الظواهر الملوكية ، ولكن القائد سعيدا المجاطى والقائد مبارك البنيرانى اللذين يحاوران هؤلاء المرابطين يحرقان عليهم الارم ويتطاولان الى الاتصال بهم ، فيفعلان بهم مايفعلان بالمجاطيين الذين القياعليهم تلاكهما فيطحنانهم بالمغارم المتتابعة

تلقى القائد سعيد الكيلولى الاستاذ مع الوالد فى تزنييت ، فعين الاستاذ رئيسا للمرابطين المحررين وقد مضى تحرير هذا القائد بين ما الحقناه بترجمة الجاد عبد الله بن سعيد ونفذ له اعشارهم وزكواتهم ليستعين بها فى القيام بالمدرسة ، وليعين بها غرباءها .

وهذا مرسوم القائد بذلك التنفيذ للاعشار

«فحامله الفقيه الاديب العلامة النجيب والمدرس الاريب ، سيدى على بن عبد الله بن صالح الالغى ، اذناله فى قبض اعشار من اشتمل عليهم الظهير المكتوب له على ايدينا ، وصرفها على طلبة العلم المستفيدين بمدرسته المحروسة بالله عمرها الله بدوام ذكره، وصرفها فى مصالح زاويته، اعانة على البر والتقوى وعليه ان لاينسانا فى صالح دعواته فى خلواته وجلواته وانصدر منا الاذن بذلك لعشر بقين من ذى الحجة عام ١٣١٥ هـ» وتحت طابع القائد سعيد الكيلولى

هكذا امكن للمرابطين ان ينجوا من ضغوطات قائدى مجاط ، القائد سعيد والقائد مبارك البنيرانى ، ولكنهما لايزالان يحومان حولهم ، ويمدان ايديهما الى من توصلا اليه من المرابطين ، فكتب القائد سعيد الكيلولى هذه الرسائل المتوالية اليهما ، ومن معهما من الخلفاء الحاحيين :

منها

محبتنا الطالب السيد الحسن بورواين الغماوى وخادم مولانا القائد مبارك البنيرانى ، سلام عليكما ورحمة الله وبركته ، وبعد فنامركما بحول الله

وقوته ووجود سيدنا المنصور بالله ان تجابنا كل ماهى امور المرابطين اولاد
سيدى عبد الله بن سعيد حيثما كانوا فيه لا تقربوا من بيادرهم واعشارهم وبهذا
اكدنا كما ، وكونوا منه على بلل ، فانكم لم تكلفوا بهم اصلا فضلا عن الاعشار
والسلام فى صفر عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلوى

واحمد بن محمد هذا هو خليفة القائد وعضده الايمن ، وهو القنيل فى
بعقيلة ،

ومنها

السلام والرحمة والبركة على القائد مبارك بن الحسن المجاطى ، وبعد فلا
تعرضوا للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد ، بما يؤذيهم فى كل شىء
شىء واعشارهم اعنا بها طلبة العلم بمدرسة الفقيه سيدى على بن عبد الله بن
صالح ، اعانة على البر والتقوى والسلام ، ٦ من جمادى الاولى عام ١٣١٦ هـ وتحت
طابع القائد سعيد الكيلوى

ومنها :

«خديم الحضرة العلية بالله القائد مبارك بن الحسن البيراني ، السلام
والرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فلا باس وقد نبهناك
عن التعرض للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد بما يؤذيهم وامرناك
بالتخلي عن اعشارهم ، فلم تمتثل ولم تبال على عادتك ، وعليه فان عدت لمثل
ذلك فلاتلومن الانفسك ، والسلام كتبه اليك لست مضت من جمادى الثانية
عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلوى»

ومنها :

خديم الحضرة العلية بالله القائد سعيد بن محمد المجاطى السلام والرحمة
والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فقد نهيتك عن التعرض
للمرابطين اخوان حامله الفقيه السيد على بن عبد الله ، وخادم زاويته بما
يؤذيهم ، فلم تمتثل عباذا بالله وقد اخبرت انك تنزل عليهم المخازنية وذلك
عندى عظيم عجب ، وعليه فلاتعد لمثل ذلك ابدا وخصوصا اهل (تحت الحصن)
فانهم من خدام الزاوية ، ولايلغنا عنك مايسوينا ولا تكلفهم بشىء قل او جل والسلام:
كتبه اليك ب ٢٢ ذى القعدة ١٣١٦ هـ وتحت طابع القائد سعيد

ومنها :

اخانا الخليفة الشيخ احمد بورغا وخادم مولانا القائد سعيد المجاطى سلام
عليكما ورحمة الله وبركاته وبعد فما ابرمناه للفقيه الشريف السيد على بن عبد

الله الالهي من تنفيذ عشر اخوانه ، ومن ينتمي لخدمة زاويته في الماضي من غيزهم ، لتصرف على زاويته وفيما هو بصدده من نشر العلم ، لاسبيل لاحد الى نقضه وكما تعلمان اننا قد عينا العلامة المذكور لمباشرة ماعسى ان يعرض لخوانه ومن ذكر معهم من الخدمة من المطالب المخزنية بحيث ان لمدخل لاحد غيره في مباشرة ماذكر ، وغيره من العمال والاعيان بمعزل عن ذلك ، فنامركما ان تشدا عضده وتعيناه على العمل بمقتضاه على انه لأكلفة عليهم اذهم بضعة نبوية والقصد في الشرفاء المذكورين ان يبنى امرهم على التخفيف ، فمثلكما لاتقرع له العصا ، ولاينبه بطرق الحصا ، وفقنا الله واياكم والسلام في اوائل ربيع الثاني عام ١٣١٧ هـ وتحت طابع القائد سعيد :

وهذه الرسالة بخط الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي الحاحي وهو اذذاك كاتب القائد سعيد ، وما ادعاه من ان المرابطين شرفاء من البضعة النبوية قد تكلمنا حوله في ترجمة سيدي عبد الله بن سعيد ، كما نعرفه،ولسنا من المتكلفين اللابسي ثوبي زور ، الذين يتعالون الى ما لايشبث عندهم

من هناك يدرك القاري ما يلاقه الاستاذ في الذود عن المرابطين ، من مدافعة القائد سعيد والقائد مبارك البني راني الضاريين اللذين لاير اقبان ممن توصلا به الا ولاذمة ، فقد كان رحمه الله يفرع الى القائد سعيدكلما نلوش هذان المرابطين ، فيلاقيه القائد بكل تجلة ،فيرسل الى هذين القائدين باللوم وربما يأمره ان يكتب هو بيده رسالة لاحدهما ، ثم يوقعها القائد بطابعه كماحدثني به العلم ابراهيم حين رأينا بعض هذه الرسائل بخطه فسألته عن سبب ذلك

كتب الله النجاة للمرابطين من الطغاة اهل المخزنية الحاحية العاركة اشد العرك على يد الاستاذ الذي يسانده الوالد ، في ايام القائد سعيد الحاحي ثم لما جاء القائد أنفلوس انقلبت الحالة وكان ماسنذكره

في كلاءة الله بين الزعازع

كثرت الشكوى بالقائد سعيد الكيلوي ، من بعض السوسيين وقد تولى كبر ذلك القائد دحمان الودونوني الشهر ، فصادف ذلك انقلاب الوزارة في البلاط العزيز بموت احمد بن موسى ، اخر رجالات المغرب الافذاذ ، وبتولي الحاج المهدي المنابي في الصدارة حقيقة ، وان كان لم يعد رسميا الوزارة الحربية ، ودفع بغريط الى الصدارة ، وقد كان للمنابي مع القائد محمد بن ابراهيم أنفلوس وهما في مطبق فاس صعبة ، تعاهدا بها على ان يتعاونوا ويشد احدهما أزر صاحبه ، ان تبسم له السعد ، فكان هذا هو الحامل للمنابي = كما حكى من له خبرة = على ان يوجهه الى سوس ، ويعتاض به الكيلوي لما بين النفلوسيين والكيلويين من منافرة الجيران المعتادة

سبق القائد سعيد المجاطي الى القائد النفلوسي ، بعد ما انفلت من الحصار الذي طوقه به المجاطيون منذ انجلاء الكيلوليين في شهر ربيع الاول سنة ١٣١٨ الى اواخر السنة ، وقد اطلت جيوش انفلوس ، فتقرب اليه فطلب منه اول ما لاقاه بسط يده على المرابطين السعديين ، فمكنه من ذلك فسقط في يد الاستاذ وخاف من بطش المجاطي ، ولكن الله كلاه من ذلك بعنايته ، ومن كلاته عناية الله فليمنهم في آجام الاسود ، ملء عينيه بالخوف كلهن امان

وسوس القائد سعيد المجاطي كثيرا ، والقي في روع القائد محمدا نفلوس ما القى فحين توجه اليه الوالد مع الاستاذ خاطبه الوالد في ترك ما كان على ما كان ، وان لا ينتهك من الحرمات التي كان يحترمها ابن عمه الكيلولي ، فبسر واستكبر ونفخ وحملق ، فالقى اليه الوالد كلمة قاسية في وجهه برباطة الجاش المعلومة عنه ، فالتفت القائد الى من معه ، فقال لهم ان هذا يستحق التأديب حتى يعرف كيف يراعى الادب مع اصحاب الكلمة العليا ، فقال له الوالد ، ان استحققت من الله تأديبا لشيء اجرمته ، فهو الذي يتولاني بنفسه ، ولا تتولاني انت بنفسك وانما كنا نريد ان تذر عنك المرابطين يديرون شئون انفسهم بانفسهم ، واذ ابيت الآن تولى عليهم القائد سعيدا فانت وذاك ، ثم انفتل من موضعه رافع الرأس كأنه لم يكن امام ذلك الرجل الذي لا يبالي بما يفعل ، ثم لم يرجع اليه بعد ، ولا رأى وجهه الى ان مات شرمية ، مع انه كثيرا ما ينتظر رجوعه حين لامه الذين يعرفون من الشيخ ما لا يعرف ، ولكن لسان حال الشيخ ينشد

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجه آخر الدهر تقبل

وينشد ما قاله بعض الالغيين

اذا انسدت باب من امير فان لي من ابواب ربي الف باب مفتح
فاني متى اخلص لربي وجهتي انل كل ما ابغى واظفر وانجح
أعرف باب الله ثم يخيب لي رجاء وراجي الله اكبر مفلح ؟

تولى القائد سعيد المجاطي امر المرابطين ، فكان اول ما فعله ان اجال يده في بهائمهم بغالا وجمالا ، فاحتوشها وقدمها الى انفلوس ، ثم والى عليهم المغارم الباهظة جبوبا وسمنًا ودجاجا وكباشا ، بله الدراهم التي لا ينقطع تطلبها فتال المساكين ما نالهم مما لم يعرفوه لاهم ولاءاباؤهم من قبل

ثم ان القائد سعيد المجاطي كان يراعى مع ذلك الوالد اتم مراعاة ، لما كان بين اسرتيهما من قديم المؤاخاة ، فلذلك لا يحوم حوله ، ثم لا يحوم ايضا حول الاستاذ صاحب الترجمة واشقائه بالمغارم ، لما يعلم من ان الوالد لا يذره وذلك بما أمكن فربض القائد ينتظر الفرص بالاستاذ ويهدده اشد تهديد من بعيد ويقول للناس لابد ان يؤدي كل تلك الاعشار التي ادخلها في ايام الكيلولي

ولكن يده لم تزل بعناية الله منقبضة عنه ، وكان يقول لاختصاصه لاخاف والله
الاسيدى الحاج على ، فانه كثيرا ما اهم ان انفذ ارادتي فى الفقيه ، وان لا يرجع
الى داره ان جاء الى هذه الدار ، حتى اذا اراه مصاحبا للشيخ ينخنس عزمى واقتصر
فيما انويه ، وقال مرة أخرى : عجبا من الشيخ فاني لا اكاد على رغم انفى اتخطى
مقاصده ، ولولاه لما رأى الفقيه الشمس بعد .

ثم انه عزم مرة عزمًا اكيدا على ان ينفذ ارادته فى الاستاذ ، قال القائد
العربى الضرورى الراسلوا دى الاولوزى ، فركبنا معه فى مائة فارس ، وهو
فى حنق عظيم جاعلا بين عينيه ان لا يرجع الا بصاحبه ، فرحنا الى الغ ولكننا
تعجبنا حين صدرنا بخفى حنين صبيحة اليوم الثانى .

جلس الاستاذ فى دارنا مع الوالد وهو ثالث ثلاثة ، وقد القى الاصيل
رداءه المذهب فى جو الخ الصقيل ، تحت ذيل النسيم العليل ، والنفوس مطمئنة
والبهجات فى المحافل الادبية مراسلات الاعنة ، اذا بعاديعدو الى الجالسين
فقال لهم ان خيلا كثيرة قد البست بسوادها ماحول دار الفقيه فانقتل الوالد
والفقيه وراءه فصادفوا القائد سعيدا مع اصحابه ، ومع حاحيين وغيرهم ،
فلاقياهم ببشر وسرور كأنهما لا يهجنس فى قلوبهما منهم شيء او كأنهم وفد خير
ورسل سلام ، ثم أقيمت الضيافة لهم خير قيام فى دار الاستاذ ، وفى دار الوالد
ولكن الاضياف فاجأهم ليلا ما ازعجهم عن طلبتهم التى صمدوا اليها ، فقد
طرقهم ان الوفقاويين والبدراريين (١) الذين كانوا اذذاك فى محاربة مع
الجوشى النفوسية وما اليها ، قد سروا بسرية تكمن لهم فى (دراووغ) فى
نفس الطريق الذى يسلكه السالكون من مجاط الى الغ

حكى الاستاذ رحمه الله انه كان واقفا فى تلك الليلة امام باب ثويه والقائد
سعيد واصحابه فى داخله ، وعبد جميل نشيط احوذى للاستاذ قائم على رؤوس
الاضيايف يمد اليهم ما يحتاجونه ، فالتفت القائد الى جلاسه فقال لهم : لماذا يكون
مثل هذا العبد الاحوذى الجميل لفلان الفلانى سوعبر بعبارة لا تكتب فلماذا
لانذهب به ؟ فانا اولى بمثله ، قال الاستاذ فقلت له فى نفسى : والله لا تريه
ايها الجبار العنيد ، بفضل الله وعنايته .

فى منبثق الفجر ، أجفل الاضياف وطلعوا من طريق تاكانزا وهم يكثرون
الالتفات يمنة ويسرة ، خوف ان يمتد الكمين ايضا الى تلك الجهة البعيدة عن
(دراووغ) وهم يطيطون بأجنحة النعام ، اذا رأى احدهم غير شيء ظنه رجلا .

كأن فجاج الارض وهى بسيطة على الهارب المطلوب كفة حابل
يؤتى اليه ان كل ثنية تيممها ترمى اليه بقائل

(١) البدراريون الجبليون اهل جبل جزولة الذين يدافعون اذذاك عن جبلهم

هكذا دام حفظ الله على الاستاذ ، وما تخطاه حتى في هذه المرة التي جاء فيها هذا الجبار عازما ، ثم رد الله كيده في نحره وقد اغنت عناية الله عن مضاعفات الدروع وعن عاليات الآطام .

حكى لي حاك ان النفلوسي ذاك القائد مباركا البشيراني يوما في السفك بالاستاذ لما يوسوس به القائد سعيد عند كثيرا فنهاه عن ذلك ، وقال له اياك ان تمس هؤلاء المرابطين بظفر ، فان لهم حمة لا تغلت من تمتد اليهم يده قال : وذلك مارده عما يريد باديء بدء ، ولكن هيهات ان يفلت النفلوسي منها هيهات ، فان الله يدافع عن الذين امنوا ، ومن اجترح ذنبا او مس حمي فلا يد ان يمس «ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»

طاف داء عياء بالقائد محمد النفلوسي اعيان نطس الاطباء ، فلم يمهله كثيرا فالحقه برمسه في تزييت في ١٤ محرم عام ١٣٢١ هـ كما طاف بتأزة ايضا ذلك الزعزع الهائل الذي اثاره ابو حمارة ، فضمت الحكومة كل جيوشها لمقاومته ومن بينها هذا الجيش الرابض مع القائد احمد انفلوس الذي خلف صنوه في مركز تيزيت ، فثارت القبائل على رؤسائها ، ولاقى كل قائد من اخوانه ملاقي فانجحر القائد سعيد المجاطي في تاجكالكات وضرب حوله نطاق الحصار من ذلك العام الى رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان يرسل سرايا من اصحابه الى البيوتات فينهبون ويلصقون ومن بين من اصابه شره الاستاذ صاحب الترجمة ، فقد اصبح يوما فوجد بغلة له مفقودة وقد رأى اثر اللصوص ، ففزع الى الوالد فركبامعا الى ذلك الجبار المحاصر ، وقد عرفا انه هو صاحب الفعلة فربض الاستاذ بعيدا ولم يقدر ان يلج تاجكالكات فمثل الوالد بين يديه وبمجرد ما انقضى السلام المعتاد ، قال له الشيخ : بغلة الفقيه الاستاذ تجيء الآن فصار يتلوى في الكلام فقال له : لا كلام ولا ما تقوله الا البغلة الآن وكان للشيخ في امثال هذه المواقف همة نفاذة تفعل بنفوس مخاطبيها فوق ما يفعله لسانه في اصمختهم فلم يجد القائد ما يجيب به ، ولم يسهه الا ان ارسل الى البغلة فحضرت ، فصار يعتذر فقيدت البغلة برسن كما قيدت من دار صاحبها ، قال لي امغار ابراهيم اخو القائد وهو يحكى لي القضية فقال لي الشيخ وقد خرجت معه لادعاه هذه هي نهاية القائد ، فكثيرا ما ارده عن ان يمس الفقيه ، واذمسه اليوم فقد انكشفت عنه تلك الغمامة التي يستظل بها منذ صار قائدا ، ثم لم يمض الا اربعون يوما اذا به ينحدر ليلة في عقبة تاجكالكات هاربا ، وذلك في ١٥ رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان ذلك آخر عهده بداره ، وآخر خيط انقطع بينه وبين ايبالته

هذه صفحة اخرى من صفحات تاريخ الاستاذ ظهر فيها بمظهر التجلد التام وبمنتهى الانفة ، فلم تدره نفسه ان يتطarach على عدوه هذا لعله ينزاح عنه

ما كان في صدره عليه حقدا على حقد ، وقد اكتفى بالالتجاء الى الله الذي لا يضيع احدا ، وكيف يستباح من كان في كلاءة الله ؟ وخصوصا من كان مستضعفا لا يتكل على قوة الا على قوة ربه «ليس الله بكاف عبده» ؟

في شبه غرته بعد دفن رفيقه الشيخ الالفي

اريد منك ايها القارئ ان تستحضر في ذهنك الآن معملا من المعامل زرتة في حياتك وان تذكر ان هناك آلات تستدير كلها وان كانت وجهاتها مختلفة واقرب ما تلاحظه ان لم تشاهد قط معملا آلات ساعتك ان فتحتها من ورائها فتدرك ان هذه الآلات المتحركة التي ربما لاتتجه في دورانها الى وجهة واحدة ينتج عنها وراء ذلك عمل واحد ، هو المقصود بها اولا وائخرا

مثل ذلك مثل الاستاذ العلامة المدرس سيدى علي بن عبد الله الذي افرغ جهوده كلها في التعليم والفتوى والقضاء ، ومثل الشيخ الوالد المربي للمريدين الذي افرغ جهوده كلها في الارشاد والوعظ ، والتهذيب ، وازالة غيوت النفوس عن المريدين ، حتى تصلح للمقامات العليا ، ذلك عمل الاستاذ المستمر وهذا عمل الشيخ الوالد المستمر ، ثم انهما مع ذلك يكادان يكونان كروح واحدة في جسدين ، لانهما لا يكادان يفرغان من اعمالهما هذه بعض فراغ الا تواسلا واستمرا كذلك ما لم يدعهما الواجب لمعاودة اعمالهما ، ثم يتواصلان ايضا ، وهكذا دواليك وهل يجمع بين القلوب الا الصفاء ؟ وهل يجدى الجوار الا اذا تناخى الجيران مشهدا ومغيبا ؟

وليس اخى من ودنى بلسانه ولكن اخى من ودنى وهو غائب ومن ماله مالى اذا كنت معدما ومالى له ان اعوزته التوائب

كانا يفرحان فرحا واحدا ، وكانا يقومان ويقعدان في حين واحد وينظران معانظرة متحدة الى كل شيء ، حقيقة ان لكل واحد منهما وجهة مستقلة يستقل بها ، فللوالد تصوفه الذي يرفرف عليه علمه الخفاق وملاقة الواردين عليه ، المقتبسين مما لديه المنهالين عليه من كل صوب ، والاستاذ علمه الزاخر وأدبه العالي ، وسبحه في امواج المعارف بين طلبة مدرسته الذين انقطعوا اليه من الآفاق ، فلكل وجهة هو موليا كما ترى ولكن الجامع بينهما ما وراء ذلك مما هو غاية لكل هذا ، وهو نفع العباد والسعى في مصلحة العامة

عرفت ان الوالد اكبر من الاستاذ ، وانه هو الذي له الصدارة بعد الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ولكنه لما رأى ان تصوفه هو ، وماتوق به من الطريقة واهلها لم يدع له فراغا للعلم ، والعلم هو القطب الذي يدور عليه نفع العباد الدائم ، ساند صاحب الترجمة وصار يعاونه في القيام بهذه المهمة الكبيرة التي

ماخلق الا لها كما ان الوالد ماخلق الا لتصوفه ، فكان الوالد يرسل الى المدرسة كل من انس منه ميلا الى التعلم من اولاد مريديه ، ويشجع من فيها ويعين ويوزر ويعير الكتب ويقيم الحفلات ، من غير ان يكون منه ذلك كله الا عانة فقط ، ثم لا يتداخل في ذلك لما يعلم من ان الاستاذ هورب المدرسة الذى ورثها عن صنوه وانه هو العلامة الذى لا يجارى فى ذلك الميدان ، وكذلك لا يسأل عن مسألة فقهية خارج باب العبادات الا ارشد السائل الى الاستاذ ، بل ولاتته قبيلة المرابطين بشىء من عند جميعهم الا أمرهم ان يذهبوا به الى الاستاذ ، فقد جمعوا مرة فى ايام الكيلوليين سمنا كثيرا ففرقوه ، فتوجهوا بنصفه الى الاستاذ وبالنصف الآخر اليه ، فأمرهم ان يلحقوا هذا النصف بذاك ثم لا يعودون الى مثلها ، وكان رحمه الله يرى الاستاذ مكانة عليية ومهارة يقندر بها على الادارة فى مختلف الامور فيدفعه اليها ، ثم يكون له وراء ذلك خير معين وهو الذى يتطلب منه المرابطون ان يساهم فى ايام الحاجبين فقال كلائم كلا ، فهذا مركز الفقيه فهكذا سلم له من الجميع حتى من صنوه الشيخ ، ثم لا يزالان كذلك مجتمعين فى الحضر والسفر مالم يشتغل الوالد بمريديه فى زاويته ، او مالم يسبح اليهم فى اسفاره ، وفيما سوى ذلك تراهما معا ، اما فى دار الشيخ واما فى دار الاستاذ وضيئفهما واحد ومجلسهما واحد ورأيهما واحد وكذلك كثيرا ما تراهما على بغلتيهما كأنهما فرقدان ، اما فى طريق تامانارت واما فى طريق موسم تازروالت اوفى طريقهما الى اقامة سلم بين المتحاربين ، فقلما يتطلب من احدهما امر فيه ظفر ، او تعرضت له وجهة يتوجه اليها الامر بصاحبه فراققه ، اشتهرا بذلك حتى كان ترافقهما عند كل الناس معروفا مشهورا

حكى لى حاك ان الوالد تطلب منه ءال أمتضى ان يقف لهم على عين حتى تخرج - وهى التى ذكرنا انها غارت فى ترجمة سيدى احمد بن بلقاسم التسيوتى المتقدم - وكان الوقوف فى امثال ذلك مما يكرهه الوالد ، ولا يجب ان يشتهره ولا ان يقصده الناس من أجله ، ولكنه لا يرد من ينطلبه منه الابحيلة كما فعل بهؤلاء فقد مر بصاحبه الاستاذ بن عبد الله فركبا معا فوصلا أمتضى ، فقال لمن هناك لا بد ان تعطونى وان تعطوا الفقيه سيدى عليا مقدار مائتى العين نهارا لكل واحد منا من الحقول ازاء العين ، مع ما بنى فيه ديارنا ثم مال بصاحبه وهما على شفير العين يخطان خطط الديار ، والشيخ يتباليه ويتظاهر بانه ذو حرص شديد فى ذلك ، فتراءى لئال أمتضى الجشع العظيم من العالمين الالفين فقالوا فى انفسهم ما قالوا ، فردوها بالتى هى احسن ثم رجع السيدان وهما يتبسيمان ، وقد ادرك الفقيه مقصود الشيخ ، فتمت حيلة الوالد من غير ان يشعر بها احد ثم لم يعد ءال أمتضى الى الخ بعد ذلك اليوم ولا ذكرا بعد قضيتهما •

سألت يوما سيدى سعيدا التنانى عن كتاب من الكتب ، لماذا لم يشتره الوالد فقال ان الشيخ اذا كان بمراكش ، لايهمه الا أن ياتى الى الفقيه سيدى

على والى الحاج ابراهيم الايفشانى بما يكسوان به كل من فى دورهما ، وقلما يفضل له عن ذلك شىء آخر اقول ان دارنا ودار الاستاذ ودار الايفشانى واحدة فى ذلك الوقت والآن ايضا ، لان الامهات منهن متلاحمات الارحام فزوجة الاستاذ اخت الوالد وزوجة والدى بنت اخت الايفشانى وزوجات اولاد الحاج ابراهيم بنات اخت الوالد وربيات الاستاذ ، فلذلك علاوة على اداء حقوق الصحبة والجوار ترى الوالد مهتما بشؤون الجميع كما يهتمون هم ايضا بشؤونهم فكانوا خير رجال فى خير عصر لا يعرف الحسد ولا مايكون من تباغض المتعاصرين المتجاورين اليهم من سبيل ، ولاتجد النمائى الى ذات بينهم منفذا فقام بهم من العلم والدين فى الغى ما لانزال السنة المتحدثين به رطبة الى الآن .

ثم لما توفى الوالد وفقد منه الاستاذ من كان له خير معين فى كل ناحية أصبح كغريب فى الغى ، ثم لم ينشب ان بدلت له امور تلو أمور ، فكان لسان حاله ينشد فيها قول الطغرائى

هذا جزاء امرئ اقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الاجل

وكان رحمه الله كثيرا ما يذكر الشيخ فى محادثاته كلما حزبه امر لا يجد فيه معينا ، اورأى فى بيئته من لا يقدرونه قدره ، ويقول مامات الشيخ الالى وحدى ، فقد حكى لى الفقير سيدى محمد الزكرى انه التقى معه ليلا عند مصلى العيد غربى المسجد السلیمانى وذلك حين قلب الايشتيون ظهر المجن لآل الغى فأرادوا أن يלתهموا أهلاكهم التى اشتروها فى قريتهم ، قال الزكرى فقلت له انه يجب عليك ان تدارى الايشتيين كما كان الشيخ يداريهم فى عصره ، فقد كان قام بذلك فى حياته عنك وعن نفسه خير قيام بما كان يصبه عليهم من العطايا صبا ، فانه لامقصود للايشتيين الا ما يتمصصون ولا يشكون اليوم الامن فقد انهم ماكانوا الغوه ايام الشيخ ، قال : فاجابنى الفقيه بقوله : ابراد منى ان امثل دور الشيخ فى كرمه وفى حسن معاملته مع الناس ؟ فأنى اكون كشعرة من شعراته فانه كان وحيدا فى دنياه محظوظا فى حياته ، انهالت عليه الدراهم ومختلف الالبسة من كل ناحية ، حتى اننى لأزال اتقلب فى كساء التى كسانيتها الى الآن وقد انصرفت سنوات كثيرة قال الزكرى ثم تناول سلهاما كان عليه من الملف وقميصا آخر تحته فقال اشهد على بان هذين من بقية ماكسانيه الشيخ رحمه الله ، أمثل هذا الرجل العظيم تريدان تسوينى ، وترغب فى ان اقوم مقامه للايشتيين او غيرهم ؟

هذه شهادته رحمه الله وقوله فرحمه الله من متواضع منصف ، وهل يعترف مثل هذا الاعتراف الا الافذاذ الذين يقولون فى كل وقت ؟ فقد تناخيا حياة ومماتارحمهما الله ووفق اولادهما ان يرثوا عنهما ذلك التناخى .

ولبعض الالغيين

وان اخاك الحق من كان مثنيا عليك وترب الرمس قد هيل فوقك
ويعلن في كل النوادي لسانه من الفضل والمجد المؤثر حقك

بين قضاة تزيت في عهد الهيبة

دار الزمان دورته ، وتقلب بالمغرب المنكود فتن وثوارت ، فجاء الاحتلال
الداهم بزعاذه ومعاركه فيتخطب المغاربة كلهم في امواج متلاطمة مهاجمة
ومدافعة فامتد الى سوس حظه من بين ماتتموج به جوانب المغرب فبوسع
الشيخ احمد الهيبة في جمادى الثانية عام ١٣٣٠ هـ على ايدى رؤساء القبائل
الجنوبية وفقهاؤها ، فكان صاحب الترجمة لما له من الشهرة الطائرة والسمعة
المنتشرة ممن لا بد ان يكون في طليعة الفقهاء ، لماله من غيرة دينية وشهرة بين
اقرانه في كل سوس مدوية ، ثم توجه الهيبة الى الحمراء زاحفا بجيوشه فترك
ثلة من العلماء بتزيت ، قضاة تحت رئاسة سيدى المحفوظ الادوزى رحمه الله
فكان استاذنا من بين هؤلاء القضاة بل ممن لهم هناك شرف ورهبة وجولات
اثر جولات ، وقد صدرت عنه اذذاك ادبيات ثرية او شعرية الى الشيخ الهيبة
والى اخيه النعمة فتمشى في فض النوازل على العادة ، والقضاء غير منظم ومتمى
لامثال تلك القبائل اذذاك تنظيم في شئونهم الخاصة ، فينتظر منهم ذلك فى
شئونهم العامة- فيتوصل القضاة من المحكوم له على العادة بما يتفاوضون
عليه ، فبقى هناك الاستاذ شهرين شعبان ورمضان عام ١٣٣٠ هـ ثم عيد عند
أهله بالغ ، وقد جاد على كل من زاره يوم رجوعه اوالم بداره بما عرف عنه رحمه
الله من اكرام القاصدين واتحاف من اليه بعد سفره من الجيران والاقربين

وقد وقعت له هناك بتزيت قضية تدل على تسامحه ، وذلك ان بعض
الناس المتفقرين كان تعرف به فاتخذة امينا ، يودع عنده ماياتى به الله من
قوالب السكر حتى بلغ ذلك سبعين قالبا ، فحين ازمع الرحلة طلب الوديعه
من سيدنا الفقير الصوفى فصاحبه سيدنا الامين الى البيت الذى يضع فيه
السكر ، فأراه ميل الماء الذى يكف به السقف وقال ان السكر ذاب كله من
وكفات السقوف بالمطر ، ولاأدرى اظن الاستاذ الكاغد ايضا مما ذاب فلم
يستقص فى السؤال ، امعلم ان السكر حقيقة ذائب ولكن بماء سخين غال مما
تداوله المقراج والبراد فى حضرة سيدنا الفقير الغاني فى حضرة ربه

ان قال قد ضاعت فصدق أنها ضاعت ولكن منك يعنى لوتعى
او قال قد وقعت فصدق أنها وقعت ولكن منه احسن موقع
فقد كان القاضى سيدى محمد أعمو -قاضى تيزيت اليوم- يباسط هذا

الفقير ويجاريه حول هذه القضية ، والآخر يبسم ويظهر من بسماته ان ذلك
السكر. انما ذاب بين حرف الكأس ورشقاته ، ام ان القدر هو الذى أملى ان الذى
ياتى بنقط اللداد من اليراع بين الاوراق ، فمن ان يذهب مشروبا بين حبات
السبحة وبين كأس دهاق .

بن رؤساء قماثل هذا الجمال في الكفاح

أجفل الشيخ احمد الهيبة من مراكش فحل بتارودانت حيث زاره صاحب
الترجمة مع الحاج ابراهيم الاغشاني ، وقد مرا في رجوعهما بتزيت بعدما
جلاعتها الشيخ النعمة الذى كان فيها خليفة اخيه الهيبة ، وكان انجلاؤه اثرعيد
الاضحى من عام ١٣٣٠ هـ فحل الاستاذ ورفيقه هناك فلم ينشب ان داعته امرأة
من هناك الى مجمع رؤساء تيزنيت وكان الاستاذ حكم لها في قضية في تلك
الايام الماغية ، وتوصل منها بما توصل ، على عادة القضاة كما ذكرناه ثم
حفزها الآن بعض فقهاء تيزنيت ممن كانوا يتطلبون اذذاك حظهم في تلك القضية
فلم ينالوه ، ثم انفتل الاستاذ عن تيزنيت كما ذكرنا قبل ان يتوصلوا به فوضعوا
البرغوث الآن في اذن المرأة لعلهم بذلك يتوصلون بشئ من الاستاذ فحين علم
من أين مثار هذه الموجة تبسم فناول اولئك الفقهاء شيئا يقطع به السنتهم
فسكتوا المرأة وانتهت القضية ، وقد قال الحاج ابراهيم الغيور على مرابطيه
الالغيين دائما لو علمت ان في تيزنيت مثل هذه القضية لما مرنا بها ولكن كان
امر الله قدرا مقدورا ، على ان صدر الاستاذ الفسيح الذى يعلم من أمثال هؤلاء
الفقهاء انهم انما يريدون ان ينافوا من ورائه مضغة حين اعوزهم ان يشقوا له
غبارا في ميدان انقضاء ، لا يمكن ان يضيق ولا أن يتغير ومتى تغير البحر بقداة
تسقط في عرض عبابه

افتقننى عرض البحار قداة ان رمتها في جانبيه الرياح ؟

ثم ان الهيبة ازعج ايضا من تارودانت الى اسرسييف ، ثم الى تيمكر ثم
حط رحله اخيرا بكردوس ، وفي كل هذه الامكنة لا يغيب المترجم زيارته ، ثم
دارت بين هذه القبائل الجزولية وما اليها الى ايت بعمران ، وبين الجيوش التي
ترسلها الحكومة تحت ايدى القواد حيدة بن مایس المناهى والقائد ابن دحان
والباشا الحاج التهامى الكلاوى والقائد الكتنافى وغيرهم من ضباط فرنسا
وجنرالاتها ، حروب ومجاذبات عنيفة ، وكان لصاحب الترجمة يد عليا فى
الاستجواز على القلوب فى كل مجمع بمواعظه المبكية ، وفصاحته المؤثرة حتى
لا يتكلم فى المجمع العام للقبائل - كما حكى لى الاخ احمد- سواء، وسوى القائد
المدنى فهما العضدان للشيخ احمد الهيبة، ولسانه الذى هو يبلغ به الهيبة ماشاء لهذه
القبائل ، ثم لما دفن الشيخ احمد الهيبة واقام صنوه مربيه ربه مقامه تمادى

الامر على ذلك ، وقد انقطع غالب الفقهاء عن كردوس الاهو وسيدى الطاهر الافرانى لانه لايبقى فى الميدان الا المخلصون

هذا هو شغل الاستاذ انشاغل منذ اجتمعت كلمة هذه القبائل الجبلية والجنوبية على مناصرة الهبة وخلفه فى الكفاح والمقاومة ، فعلا كعبه فى الرئاسة وكاد يكون وحده قطبا لايتخطى فى المهمات امره ، وقد اتخذه القائد المدنى الاخصاصى الذى كان هو فى الحقيقة كبش الكتيبة والمنتفع بحليب هذا الضرع الدار شريكا ونجيا ، والاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافرانى تلميذه يسانده ويشد عضده ، ويؤمن على كل دعواته ، فقد حضارعا فى وقعة وجان يوم زحف اليه القائد حيدة فكانا ممن تسللوا الى وجان حين حوصرت فى ذلك اليوم المشهود كما حضرا ايضا حين سقط القائد حيدة هذا قتيلًا ، ولهما فى ذلك نظراء وكانا عام ١٣٣٥ هـ من بين المقاومين يوم انزحف الاكبر بالجيش الجنسرائى - كما اشتهر به فى هذه الجهات الى الآن- ثم كانا ايضا من الزاحفين الى اداوزكرى مرات والى ايت ودريم والى غير ذلك مما وقعت فيه حروب ومجاذبات بين هذه القبائل وبين الحكومة وهو فى كل ذلك بذلاقة لسانه وبلاغة بيانه ، وتدفق عباراته التى تتدفق كلما قام فى مجمع من مجامع القبائل للوعظ يترقى فى اعين الناس ترقيا عظيما ، حتى كان يحسب له ولرأيه الف حساب مع ثبات جاش وشجاعة تؤثر فوطىء رؤساء القبائل عقبه ، ووفدوا زرافات الى داره وهو فى كل ذلك لامطمع له الاسداء النصيح لاخوانه لاغير ، ولا يقصد اى شىء اخر على حين ان القائد المدنى الذى كثيرا ما يجعله تكاة ، يسرفى كل ما يفعله من ذلك الحسو فى الارتقاء فمقصوده الوحيد ان يتغلب ويتمكن من اعناق الضعفاء فيمتص دماءهم ، حتى لا يذر فيها قطرة واحدة ، وانما يحكم عليه بهذا لان ذلك هو الذى يظهر منه فى كل انقبائل التى تحت كنفه ، فلاشفقة ولارحمة ، ولكن الاستاذ مع كل هذا كان يحسن فيه الظن ، لطيب سيرته وزكاء عنصره ، ولان الفقهاء ابعد الناس عن متجهات السياسة ومغامزها ، كما قاله ابن خلدون .

ذلك هو الاستاذ الرئيس المعروف بالجهر بالحق ، والاشادة بالصراحة التامة ، حتى لا يابه بما يناله فى ذلك وكان له فى مواجهة الشيخ احمد الهبة وخلفه مربيه ربه - وهما ماهما فى اعين الناس بهذه القبائل - كلمات ماثورة يجبههما بها ، يراها من الواجبات عليه من جهة دينه ومن محبته الدائمة لهم ، فكانا يتلقيان منه ذلك برضا يدل على انهما يعرفان انه لا يريد بنصيحته الا الخير حتى انه مرة القى الى الاخير منهما ان الزواج والطلاق اللذين يجعلهما هجيراه كل يوم ، مما يفسد المروءة ويفمز عرض الانسان ورجولته ، ويحكم بان لشهوته عليه سلطانا لايقدر ان يقاومه فاجابه مربيه ربه بأن المرء فقيه نفسه قلت ان كثرة الزواج والطلاق فى بلادنا هذه التى لاتعرف الزواج الثانى الانادرا ولايفرط فيها طلاق الا فى بعض ازمئة قليلة جدا ، من بين الرعاع السفلة ، من

العارواشناد اللذين لا تبقى معهما مروءة، ولا يحفظ بهما عرض الا ان الصحراويين كمال الشيخ ماء العينين يالفونهما الفة معتادة ، فهم معروفون بهذه الخلعة حتى ان الشيخ احمد الهيبة نفسه ما كاد يروح الى قصر القصبه الملوكي بمراكش ، حتى كان اول ماجالت فيه فكرته : زوجة جديدة يتملى بها على تلك الاراتك التي نسمنها جديدا ، فقد اخبرني باشا الحمراء اذذاك صديقي السيد ادريس منو انه فافوضه في ذلك بمجرد دخوله ، قال فوجدته قد استقصى اسماء الشريقات الابرار الموجودات اذ ذاك في دور القصبه من بنات الشرفاء العلويين ، استقى ذلك من بعض العبيد الذين تنازل اليهم من عليائه ، حتى صار يفافوضهم في مثل هذا ، قال : فكنت اراوغه عن كل من يريد بها من هذه الانسات العلويات ، فاجعل لكل واحدة منهن حجة خاصة ، واخترت انها متزوجة بفلان ابن عمها ، وانما تاخر زفافها اليه الى حين ثم املت عنقه عن عمد ، فقلت له اين انت من الجمال البارع والشرف الباذخ والاصالة المعبوطة ؟ فقال وايسن هذا كله ؟ فقلت له في تامصلوحت ، فقال اونساؤهم هناك ؟ فقلت له ان الخبر عن ذلك دون الخبر فهكذا اسطعت ان افلت الشريقات منه ، فخرجت وانا اتعجب منه ومن همته اقول تامل في هذا السيد الذي اطلت اليه الجيوش من كل جانب وهو يريد ان يؤسس ملكا باقيا ، وان ينقل المغرب من الاحتلال ، ثم انظر الى ما يملأ فراغ وقته ، كان الايام ساعدته في كل شيء او كأنه نال كل متمناه ولا ينقصه الا ما هو متطلبه من بنات الوسائد ، واين هذا من المؤسسين الذين ما كانوا ليا لوالا وهم في مثل هذا الطور بدوات القناع (وان بن باطهار) فهذا ابو مسلم الخراساني انخذيذ الشهير ، يعد البعال جنونا ويقول يكفي الانسان ان يجن مرة واحدة في السنة وهذا عبد الملك بن مروان تعرضت له احدى الغواني في قصره وقد استلام واستعد للخروج لمناجزة مصعب بن الزبير ، فاجهشت اليه في موقف الوداع ، وكأنها تقول له لمن تذرني وراءك ؟ فساعدها من في القصر من الجوارى على بكائها ، فلم يعد عبد الملك ان ارسل اليهن نظرة قصيرة ثم ولى وهوينشد ما قاله كثير

اذا ما اراد الغزو لم يشن همه حصان عليها نظم در يزبنها
نهته فلما لم تر النهى رده بكت فبكى مما شجاها قطينها
فمثل هذه الهمة هي التي يريد بها الاستاذ في الشيخ الهيبة ، واخيه بعد ان بذل لهما صفقته ، لان الامور العظام لاتتم الا بالاعظم ، وكيف تكون عظمة من لم يقدر ان يتملص من مثل ذلك ، فلا يستطيع ان يملك قبقه ولا ذبذبه ولا كبكبه (٢) • ولكن هؤلاء ابناء الشيخ ماء العينين الذي تزوج بمائة وست عشرة بالتوالي على نية امتثال الحديث تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة • فرضى الله عن الشيخ وابنائهم • وانما الحديث ذو شجون

(١) تفسر الكلمات، باللسان والبطن وءالة التناسل واصل ذلك حديث

الاستاذ ومدرسته اخيرا

عهدنا بالمدرسة الالغية ، ومديرها الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فقام بها خير قيام ، فلم يكن للاستاذ على بن عبد الله فيها معه الا الاشراف عليها من بعيد ، ومشاركة احوالها والقاء بعض دروس عالية خارج دائر الدروس النظامية ، يوم يمكن له ذلك ووجد فراغا من ضيوفه الكثيرين ومن منصبه لقضائى الذى شغل كثيرا من وقته ، فقد اصبح يراعه في حركة دائمة لا يفتقر في الافتاء والاحكام حتى ان سلات الرسوم في قبائل تلك النواحي لتعج بها عجيبا ، وقد اخبرت ان ديارالوفقاويين لم تكن فيها دار واحدة تخلو من فتوى او حكم مما حرره بقلمه ، واحدا او اثنين او اكثر ، وكل ذلك بعبارته التفصيحة انتى استمد بها فقهه من ادبه ، فاذا وجد من الاشغال الشاغلة فراغا فلا يدع السقاء بعض دروسه في المدرسة

وفي عام ١٣٣٥ هـ غادر الاستاذ سيدى بلقاسم المدرسة لنزوة من النزوات التى لا يخلو منها البشر ، بعد ان حضه الاستاذ على ان لا يغادرها ولكن الرزق قد انقضى له هناك ، ثم شارط صاحبها فيها الاستاذين سيدى احمد بن محمد ائيزيدى مرتين ، وسيدى على الاوفقى حينا ، فحملت الاستاذ ذبذبة الدراسة هناك على ان يجعل ايضا من وقته حظا لتمشية الدروس النظامية وخصوصا بعد ان شغرت المدرسة من هؤلاء الاساتذة الذين يعتورونها ، فهذه حاله من عام ١٣٣٥ هـ الى ان التحق بربه في عام ١٣٤٧ هـ

وكانت عادة الاستاذ ان يرسل اخص تلاميذه ليتلقوا بعض فنون العوشر عند من يتقنها ان لم يكن له الاتيان بذلك الاستاذ ، فهذان الاستاذان سيدى احمد ابن صالح الافرانى وسيدى اظاهر بن المدنى الناصرى ، قد ارسلهما الى المدرسة ابو عبدلية لياخذوا المنطق عن استاذها سيدى المحفوظ ، وكان ايضا اتى بالاستاذ شيخه سيدى على بوضاض في اوائل تصدده في المدرسة ، فأخذ عنه من فنى المدرسة الالغية الحساب والفرائض كما كان ايضا يقدم لذلك الاستاذ محمد بن على ايكيك ، وربما يجلس مع الطلبة في درسه ويعمل معهم عمل الفرائض أو اعداد الحساب وذلك من تواضعه ، وليكون خيرا قدوة للطلبة ، وقد اخبرنى ايضا ولده الاستاذ الطاهر بن على انه أرسله في عواشر الى استاذ مدرسة افلا أوكنس ، سيدى احمد بن سعيد الاكمارى لياخذ عنه الفرائض ، والبخارى سردا في رمضان ، وأين نظير الاستاذ في مثل هذا الصنيع ، حين لا يستنكف ان ياخذ تلاميذه الاخصاء عن غيره مع مانعه من غالب معاصريه من اعتداد كل واحد منهم بنفسه وبعلمه وبمدرسته الخاصة ، فلا يكاد يسلم للآخرين مكانتهم في المعارف من بعيد ، فضلا عن ان يتنازل حتى يبعث اليهم اصحابه او يستقدمهم

فيجلس مع تلاميذه بين يديهم ، فيأخذ عنهم هو ايضا كما يأخذون ، فليعرف التاريخ للمترجم هذه المنقبة ، فانها لمنقبة عظمى ، تكفي ان ترفع بها الغ راسها مفخرا الى عنان السماء وان تسكت من عسى ان يغمر المدرسة الالغية مغمزا ياباه الله والشهم

أقلوا عليهم لا ابا لابيكم من اللوم اوسدوا المكان الذي سدوا

وقد كان اخذ عن سيدى عبد الرحمن السالمى فى مبدأ أمره ثم صار يستقدمه فيبقى فى المدرسة فى بيت يأخذ عنه فيه طلبتها

نظرة عامة على اخلاقه

ماظنك برجل كان اولاً منعزلاً فى مدرسة ، مقبلاً على موالاة دروسه لايمتد بصره الى اكثر منها ثم بعد ذلك دهمته اعاصير ادارة اعمال اسرته وطلبته ومزاولة الخصوم الذين يحكمونه فى القضايا وهم الحطب الذى لا يوقد فى مطبخ الا اذا أوتى به من بعيد ، وثمان الحث والحصاد فى الغ ادهى وامر ، والعبيد وهم كثيرون عند الاستاذ- فيما بين هذا وذاك ينتهبون كل ماوجدوا ، لا يؤتمنون على حبل فضلاً عن غيره ، والوفود المستضيفة تتوارد من كل جهة ، أفترى من كان بين هذه الموجات الزخارة يهدأ خلقه ام تتنابه فينات نوبات عصبية تقيمه وتعقده ، حقا كان الاستاذ على هذه الاخلاق فكان هو فى نفسه لنا طيباً متحملاً صبوراً واسع الصدر ، مراعياً لجبر الخواطر بالغاً اقصى جهده ان لا ينصرف عنه جلسيه الاراضيا ، لاسيما فى اوقات الابحاث العلمية فانه يرخى العنان كل الارحاء ولايجبه من يخالف رأيه فى مسألة بل يسايره حتى يتجلى الحق للجانبين فيقف المباحث عن عسفه ان كان هو الذى اعتسف عن الصراط السوى ، وان كان هو الاستاذ فسرعان مايرجع ، وربما يلاقى رحمه الله فى امثال هذه المجالس من امثال الفقيه سيدى محمد بن على ايكىك مايضيق به نطاق الحليم ، ولكنه يرى لمقام رئاسته انه لا يستحق ذلك المقام الا اذا كان لا يخرج عن الاغضاء والقاء كل مامسه فى ذلك دبر اذنيه :

ليس الغبى بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتغابى

ذلك طبع الاستاذ الجبل الذى يظهر منه كل الظهور بين اقرانه وتلاميذه وجلسائه ، ولكنه لا يكاد يزاوّل الشئون الاخرى ويرى بعينه مايرى ، مما لا يتسع له حتى صدر الاحنف بن قيس وتحمل قيس بن عاصم حتى ترى منه بعض المرات ثورات ، لايقف امامها واقف ، وخصوصاً حين يشاهد افساد الحقول ودوس البقول والعبث بالمزارع واقتضاب الاغصان المثمرة فلازال أتذكر اننى فى بعض الصببة اترابى ، كنا نتجارى على فرس فى مزارع السنابل

فلم نشعر به حتى هروا الينا ، وصوته الجهورى تصتك به ، اذاننا فرجعنا
باجنحة النعام ، وهو يتبعنا بالرمى باحجار كئالها مستهدفين ، غير ان الله سلم
فولجنا ديارنا بقلوب واجفة ، وفرائص مرتعدة فكان لنا ذلك درسا لم يزل نصب
اعيينا الى الآن ، وقد يضجر ايضا احيانا من المتخاصمين الذين يحكمونه فسي
قضاياهم ، ومن كثرة الدادهم وشغبهم وعنتهم ونزولهم عليه كانوا لم يطرق
«اذانهم قول القائل

(ليس على الفقيه من ضيافة)

فينهال عليهم متفجرا بالتانيب والعتاب ماشاء الله ، ثم لا يلبث ان ينهال عليهم
ثانيا بخيرات حسان ، وجفان كالجوابى وقدور راسيات ، فتسرى الموائد
البهجة ماجرحته الصدور الحرجة

وكان يحب نجباء الطلبة ويقوم بضعتهم بمايمده الى كل انسان منهم بيده
فيما بينه وبينه ويشجع كل من «انس منه تقدما في فن من الفنون التي يعتنى
بها الالفينيون وخصوصا علوم الدين والادب وما اليها ، فكل من رأى له في ذلك
اثرا محدثا مقالة او رسالة او قصيدة او قطعة ، يعتنى به غاية الاعناء ويجمع
عليها اهله - وما اهله الا علماء نجباء متفوقون - مع من وفدوا على حضرته فيلقى
عليهم بنفسه ما احبته التلميذ من قريحته بلسانه الفصيح ، ولهفته العذبة فان
كانت شعرا وهو الغالب فانه يكر كل بيت على حدة ، ويترنم به فيستحسن بكل
اعلان ما كان مستحسنا ، ويغض عما راي من الزلل مع التلويح الى ما في ذلك
من غير تصريح ، حتى لا يحصل خجل للقائل فينكص على عقبه وتفتريهمته والتشجيع
دائما افضل للتلاميذ ، وهكذا ايضا في الرسائل والفتاوى وسواء صدر هذا
من تلاميذه الالفيين ام من تلاميذ تلاميذه ، بل يعتنى بكل ذلك وان صدر عن
اجانب عن الغ اريحية منه وحبا للادب العام وللآثار العلمية كيفما كانت وايا
كان اصحابها •

على ان له وسط تلاميذه مع هذا الخلق الواسع وقفات اخرى اذا شاهد من
احدهم خروجا عن الاحاب او «انس ما يخل بالمروءة او يهتك سمعة المدرسة
فكم ذى لحية كثة وهو عملاق يطاول النخيل ، مد أمامه في المدرسة ، فاختلفت
عليه الحبال حتى يكره الغ وما اليها ، وتمنى لو لم يعرف اليها من سبيل ولاورد
بلا شوك ولا روضة انفا بغير سياج وجزاء سيئة سيئة مثلها وكم زلة لا يمكن
ان يتلى ازاها : «فمن عفا واصلح فاجره على الله» ول بعض الالفيين في الموضوع :

اذا انت لم تكبح رفيقك مرة وقد اعتدى شاركته حيث لا تدرى
وذو الاعتداء ان اعاد غدت له خلاق تبقى لاتزول الى القبر
ونفس الفتى جماحة لا يرد لها سوى كبجها بالجناب والنهر والقهر
ومن كان ذا حزم فلا بد ان ترى له ضغطة حين وان كان ذا صبر

فما كل ذي داء يداوى بسكر فكم نفل لابد فيه من الصبر
فعل هذه الطريقة التي عليها صاحب الترجمة يسير كل الالفين ولاعلم
الآن من حاد عنها حتى الشيخ الوالد الذي هذبه التصوف وكانت تربيته قلبية غير
تربية الالفين فانه قل ان تجد من اصحابه الذين اكثروا ملازمته من لم يحدثك
عنه بانارة من هذا الخلق ، وهذا الخلق يسمى عند الاخلاقيين الاسلاميين
عمريا نسبة الى عمر الذي قل ان تجد من بقية العشرة المبشرين بالجنة فمن دونهم
من لم يصطدم ودرته ، ولايوتى هذا الخلق الامن اوتى القوتين الذاتية والروحية
وقلما يسلك صاحب هذا الخلق فجاء الاسلك المفسدون فجاء اخر فرارا منه
على ان الناس طبائع والغاية واحدة ، وان تعددت الوسائل وان كان الخلق النبوى
من الحلم والاناة والمسامحة اعظم الاخلاق وافضل ما يقتدى به ، وفي الحديث
انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، وقد سرى الى الاخلاق مناجن الالفين هذا
الخلق من الاسلاف ولكن يجب علينا ان لانتخذ المثل الاعلى

وهبنى قلت هذا الصبح ليل ايعمى العالمون عن الضياء ؟
فانا بنفسى طالما ندمت على مثل هذه المواقف (١) المزرية ولكن الطبع
وا اسفا يغلب التطبع ، فلنقل الحق ولننصف فان الله يعين على الرفق مالا
يعين على الخرق

فهذا الحق ليس به خفاء فدعنى من بنيات الطريق
وكانت له رحمه الله في رماية اليد قرطسة قلما تخطى ، اشتهر بها ،
لاسيما ان كان راجلا لذلك كان ان حربه امر واستحثه ان ينهى مفسدا من
المفسدين في المزارع وقت فصل الربيع ينفلت عن ظهر بقلته ان صادفه الحال
راكبا ، فيقف على رجله ، ليوجه الحجارة كيف يريد فاذا بالحجر من يده كالسهم
من يد احديهم ثعل وكان رحمه الله رجل الدنيا والاخرة ورجل المعارف والمكاسب
خلق لهما معا

وانما رجل الدنيا وواحداه من لايعول فى الدنيا على رجل
فكما انه هو الذى يتولى مراجع مسألة من المسائل وقعت فيها الابحاث
المختلفة فى مجلسه فلايكل ذلك الى غيره ولايكل عن ترده الى مكتبته مرارا ليوالى الكتب
التي تتوقف عليها المراجعة كذلك يقف بنفسه على جميع شؤونه ، ولايكل ذلك
الى احد وان اتفق ان ترسل احدا ليقضى غرضا ، فلايلبث ان يطل عليه لينظر
كيف يفعل ، فكثيرا ما يمكث فى قبة الاضياف بداره ، والمجفل بالعلماء غاص
وكتاب من كتب الادب اوالتفسير اوالحديث يتلى ، اوقصيدة تلقى وربما يكون

(١) كنت حين لبثت فى تينجدا معتقلا جمعت مؤلفا فى هذه المواقف التى
عددتها اذذاك ازيد من سبعين وسميته (مواقف مخجلة)

هو التالى للكتاب ، او الملقى للقصيدة ثم لا يشعر به وقد انتشب من حضر فى مبحث هم فيه بين قبول ورد والمراجعة سائرة فى طريقها ، فينسل من القية الى داره الداخلية ، فيخرج مهرولا من بابها الشمالى فيتوجه الى ضيعته بتالات نيت عيس ، فيبغت عبيده هنالك لينظر مايفعلون فيما ارسلهم اليه ، ثم يرجع بسرعة فيدخل من ذلك الباب فيمثل فى المحفل وشيكا ، فيشارك فى المبحث الذى ترك المجلس منه فى قبول ورد ، فيلقى رايه ويسلك طريق المراجعة فى الكتب الحاضرة ويأتى من الكتب بما احتيج اليه ايضا كانه خالى البال من كل شىء الا ما فيه اولئك العلماء وكانه ماقضى شغلا آخر خلصة وهم لا يعلمون ثم يشاركون فيما هم فيه يتباحثون ، وربما كان ايضا يسرد قصيدة ويترنم بها فيلقها على المسامع وادبجية الادب التى تنسى كل شىء قد غمرت المحفل ، ولكنه بين ذلك الانشاد ينادى احيانا بعض من يوصيه بما يريد ، او يسأله عما لا يريد او يأمره بعلف البغال او بايرادها الماء ، ثم لا يقطع عنه ذلك تلك الموجات التى غمرته وغمرت كل من كانوامعه جالسين

وكان رحمه الله يشاور كثيرا فى النوازل حتى ان عاداته المعهودة -وقلما يخرج عنها - انه لا يبيت فى نازلة حتى يشاور آخرين ، وكان سيدى الحاج احمد بن محمد اليزيدى رحمه الله والاستاذ سيدى الطاهر الافرانى اطال الله عمره والعلامة سيدى الحاج احمد الجشتيمى والفقيه سيدى عبد العزيز الادوزى والفقيه سيدى محمد الجرارى الاساكى المجاطى ممن يشاورهم وهم كثير ، زيادة على من وجد فى حضرته من العلماء الذين لا تخلو منهم ، فلا بد ان يذاكرهم فى كل نازلة يزاولها فتأتى له بذلك ان سار بقدم ائمة من العثار ، فلم يعهد انه حرر نازلة فقام من معاصريه من يردوها عليه بحق ، لكنه هو كثيرا ما يرد نوازل غيره وينقضها بالنصوص ، ومما وقفت له عليه فى ذلك فتاوى مراكشية للاستاذ الحاج العربى الرحمانى ، وشيخنا مولاي احمد العلمى ، فمن دونهما نقضها نقضاتهما ونكث غزلهما نكثا وقد ذكرناها فى (مجموعتنا الفقهية) بنصوصها على انه على عادة اهل هذه البلاد لا يتجاوز فى الفقهيات هذه الكتب المتداولة غالبا ولذلك نراه ونرى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى رحمه الله يميلان الى انه لازكاة فى الاوراق البنكية وماعلة ذلك الا الاقتصار على بضعة كتب فى المراجعة ولا يتوسعون فى المراجع العليا ، ولا يشاركون فى الحياة العامة خارج سوس ، وان كان هناك عذر مقبول عنهم فان الكتب الموجودة يستوعبوننها ثم لا يطالبون بما ليس فى مستطاعهم ، ولا يكلف الله نفسا الاوسعها ، وهل الانسان الا ابن بيئته خلقا وفهما وتميزا وسعة مدارك ؟

فهذه نظرة اخيرة على العلامة سيدى على بن عبد الله رحمه الله الذى كان ثانى اثنين فى الغ فى عصر واحد فنال الخ بهما ما بلغ ، ولله در بعض الالفين اذ قال فى مقام ايجاز :

اكف من مد اليراعة مرغما وان لم اقل كل الذى كان واجبا
فمن بان بان احصى الرمال بعالج ومن بان احصى بعدى الكواكب

آثار قلم الاستاذ من النشر

ليس كل استاذ ينتظر ان تشاهد منه آثار قلمه ، ولا كل اديب علامة
يفتس عن آثاره فى التقيف والتهذيب ، مالم يكن كصاحب الترجمة الذى تأتت
له وجهتان ، وتيسرت له هجرتان فأمكن للسانه الذى يدرس به ويلقى به
مختلف العلوم على تلاميذه الكثيرين ان يترك لنا ذلك الجهم الغفير من آثار
تهذيبه وتخريجه ، وامكن ايضا ليراعه الذى لا يهدأ بين الدواة والقرطاس ان
يفيض علينا بآثار قيمة رائعة ان قيسمت ببسئتها زحرت بها الكنائش وافعومت
بها الخزائن ، فلذلك يجب علينا لك ايها القارئ ان نعرض امامك من آثار قلمه
اولا ، ثم نعرض عليك ثانيا من آثار تهذيبه وتخريجه ماستراه قريبا . ان قلم
الاستاذ كان سباقا الى الغايات ، نساجا صنعا فى القصائد الاخوانيات ، وفى
الرسائل المحبرات ، فكان يتقلب بين الشعر والنثر وكان الجناس والسجع مما
يقصده الاستاذ ، وينتظم فى سلك الادباء الذين يختارونهما ويرون «ان فى
الخمر معنى ليس فى العنب» تمشيا مع البيئة ، وهل الانسان حتى الاديب الا
ابن بيئته ؟

حدث الاديب سيدى احمد بن محمد اليزيدى ان الشيخ احمد الهيبه سألته
مرة وقد زاره بكردوس عن الموازنة بين هذين الاديبين الكبيرين ، صاحب
الترجمة والاستاذ الافرانى ، فأجابته الاستاذ اليزيدى

كلاهما حين جد الجرى بينهما قد اقلعا وكلا انفيهما رابى

فقال له صدقت ، غير ان الاستاذ الالغى فى النشر ابرع ، ولا يشق له فيه
غبار وليس دون وادى ام الربيع الى شنكيط من يوازيه فى الترسل والاديب
الافرانى شاعر مصقع فرع فى براعته وبلاغته كل من يتعالى الى النزاع فى القوافى
فى الغرب كله

هذا هو حكم هذا الشيخ العلامة الصحراوى الذى لا ينكر نظره السديد
فى الادب لماله به من ولوع ، لدن شب حتى شابت سود ذوائبه وقد سمعت من
بعض ادبائنا من يعجبهم هذا الحكم ، ويقفون عنده ولا يجيدون عن سبيله فلنكن
معهم فى ذلك ، وأن كان يتراءى لى وقد مرت تحت يدى من رسائل الاستاذ
الافرانى نحو خمسين ، انه ايضا حتى فى الترسل قد بلغ فى ادباء طبقته
مبلغا بما يقصر دونه حتى باع صاحب الترجمة ولكننى وان كان يتراءى لى هذا
اخاف اننى لم اتصل الى الآن برسائل كثيرة من رسائل صاحب الترجمة ، على ان
هذا الكتاب لم نضعه لدرس هؤلاء الادباء فذلك سنتركه لغيرنا ، فى عصر غير هذا
العصر وانما وضعناه لعرض بعض مانعرفه عن المترجمين ، وسوق بعض آثارهم
بحسب الامكان

نموذج من رسائله وبعض أشعار منه وإليه

لنحوك ما اخفى من الشوق اوابدى فياليت شعرى كيف حالك من بعدى
غدونا كندمانى جذيمة حقبة فغيظت ليالينا فأصمين بالبعد

سلام ارق من نسيمات الرياض والطف من غمرات العيون الصحاح المراض
وتحية عبقة الريا مشرقة المحيا معنقة الحميا وحبب كتوسها فى ابتسام ، وسناها
يخطف ابصار الندام ، على سيدنا الذى علا كعبه على المجرة ، واتاحت له
السعادة التى لاحظته كل مسرة

من لاسميه اجلالا وتكرمة وقدره المعتلى عن ذاك يغنيانا

اما بعد ، فلا اخبرك عن قلب انت ادري الناس بعلقته باودائه حتى ليكون
النأى من احدهم اعضل ادوائه ، فقد كنت ترشفتنى بقربك ماتحلولى لىء الحياة
وترينى بمواصلتك ومباحثتك اياما لها بالسرور سمات وشيات ، فلاوربك ما
عهدت مثل استنارة ذلك الزمن الذى انارته غرتك ولامثل تلك الساعات الطيبة
التى قامت بها مقام الحدائق البهجة طلعتك

فكان الدهر عنا غافل فاختلسناها سويعات غرر
نترامى بحديث طيب فكانا نترامى بالزهر

ايام كلها غرر وخجول ، يفوز فى ميادينها بالخصل كل من يجول ، كثيرا ما
أتأملها بين ايام اخرى فاتيينها فى اثائها كثوب فى اثائه علم ، فابن منها يوم
العرجى الذى غاب عذاله ولا ماذكره الرضى عن زمنه بلى سلم ولاعيب فيها
غيرانها اقصر من انملة القطاة وانها ولت فغادرتنا فى فكدهشوق اطول من ظل
الغداة ، ولكن عادة ايام السرور ان تكون قصارا ، وان تهيب عند اقبالها بريح
رخاء ، ثم تصرصر عند ادبارها اعصارا

فتبا لهذا الدهر لايعرف البدلا سوى ان ادالت كفه بعده البخلا
كشمس تضى الكون لكنها متى تميل تدبيل الظل يستتبع الليلا

هذا وقد جاءتنى رسالتك الكريمة ودردتك اليتيمة ، فوقعت فيهما على كنوز
الجوهر والدر ، وان كان غيرى يسميها النثر والشعر ، فاقبلت بعينى امتعهما
واسميهما ما يروعهما وأتمنى لو كنت كلى عيونا بصيرة ، ليكثر استمتاعى بتلك
الرياض النضيرة غيران سيدى قاسنى على نفسه وطننى من جنسه ، فافاض
على من حلاه واقبسنى من سناه ومن طابت خصاله وخلالله ، وحسنت اقواله
وفعاله ، يخال الناس كلهم من معدنه وانهم كلهم سائرون فى سننه ، ومن حسن
فعله حسنت ظنونه وصدق ما يعتاده مما تنوهمه عيونه ، على عكس قول ابى

الطيب المتنبي ، الذى اذا قال فى معنى يزيد فيه توسعة ويربى

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

جزاك الله ياسيدى على طيب سريرتك وصفاء نيتك ، فقد عبرت عن جوهرك
الخالص خير تعبير ، ونبأتنا عن ذات نفسك ولا ينبئك مثل خير

ثم ان تلك المسائل التى راجعها سيدى فحررها غاية التحرير (لما يدل
كل الدلالة على انه بين علماء سوس ، علامة تحرير) وقد تتبعتها فظهر لى فى
بعضها ايضا بحث آخر ، غير ماجرت فيه المباحثة معكم ، وربما ازيد ذلك تاملًا
فيما بعد فارسله اليكم ، فقد وجدنى كتابك فى شغل شاغل من الدرس ، وقد
توزعت بما تحتاج اليه النفس ومتى اوعينا فى المخازن الجيوب ، (ونقضت من
همها الجيوب) تفرغت ايضا الى الابحاث القلوب واطلب منكم صالح الدعوات
فان العبد كثير العثرات واسلم على رفيقك الفقيه البركة ، سيدى عبد الرحمان
وغيره ممن انتظموا معكم فى الوفادة ، التى نرجو ان نرى لها عن قريب ثانيا
اعادة ، وأما سيدى الحاج على والحاج ابراهيم فانهما بخير وقائد الله وايدكم
كل خير ، والسلام

واقول : ان مابين القوسين ليس من الاصل وانما كتب فى طرة الرسالة

رسالة اخرى كتبها للاستاذ سيدى الحاج مسعود الوفاوى ، بعدما كتب
الوفاوى اليه بما يلاقيه من بعض جبابرة قبيلة كسيمة

«بقيت سليما لانقابل بالردى ولا مدت الدنيا اليك يد العدا
ولاشاب صفو العيش فيك تكدر ولا بات حفن العين منك مسهدا
ولا زلت مسرور الفؤاد ممتعا بكل الذى تهوى وجانبك الردى
ولا زلت حصنا للافاضل سيديا منيعا وركنا للعلوم مشيدا»

انه من عبد تلعب به ايدى الاشواق وتاخذ بتلابيب رقبته من الاطواق ،
وتسمه بالخضوع والفراسة بين بنى جنسه ، وتحول بينه وبين انسه ، ومادأبه
الا الاطراق كمن استدارت السلاسل منه بلبات الاعناق ، العبيد الجهول
المجترى على نفسه الصئول ، على بن عبد الله بن صالح الالغى ، وكيف اعبر
عن حالة ضميرك منى بها اعرف بدلها الله الى ماشهاه وابغى ، الى من لا يزال فى
الكمالات ومدارجها راقيا ، ولما يرضى الله عنه واقيا ، عالم العلماء الانقياء
وحامل علم المرسلين الاصفياء كامل الفتوة ، وضافى الاخوة ، سيدى الحاج
مسعود بن احمد بن ابراهيم الوفاوى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى
من بكم واليكم من الاخوان والاحبة عموما وخصوصا ولكم خصوصا على ما عاينت
أمره وعانيت امره ، والعاقبة للمتقين الذين من كان منهم لا يضاع ، فهل رايتم
احدا عامل مولاه فضاع ؟ هذا وقد وصل كتابك العزيز وخطابك الوجيز وذهبك

الابريز فسقانا القرقف صرفا فانتشى الندامى وما نطقوا ولو حرفا ووافانا وقد تبركت حضرتنا وتزينت بعدة من العلماء الاعلام ، هداة الانام ومصاييح الظلام وخدمة الانام ومعتقلي الكلام ، الصدر الاوحد ، والفرد الامجد شافعى وقته علما وشعرا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى ، والمدرس الاتقى والاروع الارقى سيدى بلقاسم الناجارمونتى ، والبركة المسداة للخلق والراتق للفتق ، ولسد الاقطاب ، ومن بهم ابتهج الدهر اولا واخرا وطاب ، سيدى البشير بن المدنى ونير افق السيادة وحائز قصب السبق فى ميدان المجد والاجادة ، من لا يلحق له غبار ، فى مضمار حامل راية التدريس ، حال الغدو والتعريس سيدى احمد ابن الحاج محمد اليزيدى ، ومولانا عبد الرحمان بن الحاج محمد الاحبالى من لا يغيب بشهادة علام الغيوب تعظيمك عن باله وعن بالى ، وقرأ الجميع كتابك وهم يديرون الكأس ، فلما عاينوا حلل بلاغته وذاقوا طعم وحلاوة براعته فكلهم به طاعم وكاس ، وفى ذلك الوقت انشأ سيدى الطاهر بن محمد

يا عجا كيف يخشى النحس مسعود وفوقه ظل لطف الله ممدود
وكل من حل حرز السعد ذل له وان تناوله الآساد والسود
يا خير اخواننا فى الله يا علما بهديه تهتدى الصيد الاماجيد
كن كيف شئت تنل عزا ومكرمة فانت لا شك محظوظ ومجدود
وافت رسالتك الغراء فانشرحت منا النفوس لها وزال تنكيد
شفت بما كشفت من حسن حالكم ما غمنا زمنا فيومها عيد
فالحمد لله اذ ولاك مدرسة قد فاض فيها عليك الامن والجدود
لازلت مادمت تدنو كل شاسعة الى يدك وتنقاد المني القود
ثم سلام كما هب النسيم على روض مجود به للورق تغريد
على مقامك يا بدر الكمال ويا من وسمه كرم والاسم مسعود

فهذا ما قاله لله دره ، ولا فاض فوه ، فقد ناب عنا جميعا فى الذى اداه مما تكنه الضمائر فهكذا والله يكون فى قومه من هو الشاعر ، وقد اجابك على وزن البيتين اللذين كتبت بهما فى رسالتك الفذة ، التى قرأتها بلذة اية لذة

وواثق بالليالى الخادعات له يغتر بالبيض لا يخشى من السود
فقال سعدى يحمينى فقلت له هل يطالب النحس الاكل مسعود

وبعد فلا باس لله الحمد عندنا جميعا ، والحمد لله على نعمة الايمان والاسلام امن الله الجميع بمنه وكرمه ءامين

هذه رسالة وقفت فيها على نسخ مختلفة وفيها من النقص والزيادة والتحريف ما يسمى مسخا لانسخا ، ولكننا اتقينا حسب جهدنا

وكتب الى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى بعد ان استؤنفت عنده قضية

كان حكم فيها سيدى المحفوظ ، ضد حكم آخر صدر من الاستاذ عبد العزيز الادوزى شيخ سيدى المحفوظ ، وهذه الرسالة نموذج لرسائله الاخرى فى مثل هذه المسادات التى كثيرا مانقع بين الاقران اذذاك

«حامل راية التحقيق والتدقيق ، ومن اقر له بالسبق فى ميدان المناظرة كل حر ورقيق»

علامة العلماء والليج الذى لاينقضى ولكل ليج ساحل

سيد السادات والكبير الفوائد والاستفادات ، لولا مابه من الجماح فى ميدان الافادات، وما جبل عليه من انشاء مامنشؤه المعادة، المحفوظ بن عبد الرحمان الادوزى ، جعل الله رضوانه الاكبر محوزه ومحوزى والسلام عليه ورحمة الله وبركاته ، وبعد فاشركنا فى صالح الادعية ، وقد وصل كتابك الراحة فحال بينى وبين الراحة انبت فيه اخا لايرى لك الا الوفاء ، ولايعتقد فيك الا غاية الكمال والصفاء ، وزنته بما كان منه بريثا براءة الذيب من دم ابن يعقوب ، فانى مانقضت مبرمك ولاعزمت فيه بشيء من تصحيحه ولا ابطاله ومازلت استخير الله ان يوفقنى ، ويلهمنى الى مافيه سلامة الدين والعرض ، وعدم الدرك يوم الحساب والعرض على ان جميع مارقمته فى كتابك الى دليل عليك لالك ، وحجة تشد على عنق تقصيرك اغلالك فقد حكمت وبنيت على اساس واه حين لم تستدع المحكوم عليه حتى تعلم مايجب به عن ذلك ، ولم تعجزه ولم تعذر اليه ولم تنظره فالحكم منقوض ومنبوذ بذلك كما ذكرت ، ولايجوز لك ان تستند فيه الى علمك ولا تجد جوابا فى هذا الا ان اختلقته وافتريته من عندياتك ، وهذا كله على فرض وتقدير ان لواجيز لك التعرض والتصدى لذلك شرعا ، والامر بخلاف ذلك فانك لم تحكم الا فى امر مخصوص ، علمته وادى به كاتب التحكيم ، ودلت عليه قرائن الاحوال وقد علم وظهر ظهور نار على علم ، ان دائرة المحكم دائرة تقييد ودائرة القاضي دائرة اطلاق ، ولاينبغى للمستبرىء لدينه وعرضه ان يتعرض لما اسند الى نظر العلماء المتبصرين ، وابرموا فصله على وجه يحتمل صحته ، بل يتركه كذلك ، والعهدة عليهم ، والفتنة نائمة لعن الله موقظها الا ان يسأل عنه بالخصوص واسند تعقيبه بالخصوص الى نظره فلاباس ان يتعرض له بماظهر له، وهذا الباب الذى فتحته يؤدى الى ان لاتبقى قضية على فصل ابدى ، كما نص عليه القرافى فى (فروقه) واما ما ذكرت من مخالفتى ففيما مضى وان الحامل لى على ذلك جاء المتبوع وهيبته وجبر خاطره ، فالذى اراه لك وأرضاه لكمال دينك ووفور علمك ، أن لاتتعرض لسخط الله وغضبه باسقاط من رباك وعلمك ونصحك ، وقدمك على اولاده وهو فى القبر تحت الرجام ، ام الهاكم التكاثر حتى زرتهم المقابر؟ وقد نصوا على ان علامة قبول ولاية الولي، زيادة هيبته وتعظيمه واتفاق القلوب عليه بعد موته ، وهذا السيد كذلك ، فاتق الله فى حق والدك واتهم رايك

ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي والنصح اغلى ما يباع ويوهب

قال تعالى «ولكن لا تحبون الناصحين» اقول وحليى عطل، ونطقى خطل: مكره اخاك لا بطل ، واما ما ذكرت اخيرا فانى فيه تابع لك ولا مثالك من كبار العلماء فمما ظهر فيه انه مصلحة الاسلام فانى مساعد عليه ولا ملام والسلام غبار نعلك العبيد الجهول على بن عبد الله بن صالح جبر الله كسرهم ، وحل بفضلهم من أيدي الغفلات اسره ءامين

وقد كتب الاستاذ المحفوظ على ظهر هذه الرسالة كلاما اوردناه فسي المجموعة ، ولا طلاوة ادبية عليه حتى نسوقه هنا ، حيث لامجال هنا الا للادباء والادبيات

رسالة اخرى له الى وانا بالحمراء اتلقى في الجامع اليوسفى حوالى ١٣٤٠ هـ :

«ولدنا الذى نحب له التقدم على الاقران حتى تكون له فى احراز تراث والده يدان ، من هو المختار ، خار الله لى وله واختار عليك السلام من والد يحب ان يراك مبرزا وان تكون لادوات السيادة محرزا ، واعينك ان تشتغل بما لا نتيجة وراءه وأن تلقى العلم ظهريا ثم تحاول من المجد سماءه ، فوالدك رحمه الله مع ماهو فيه، لم يفرط فى العلم قط وذويه فاسلك مسلكه ان اردت ان تكون ولده وممن جعل العلم النافع فى الدنيا والاخرة عضده ، وقد برقت منك بارقة نجابة ، ستكون عنك سحابتها ان لم تجتهد منجابه ، فماذا فقد من وجد العلم؟ وماذا وجد من فقد العلم؟ فالبطالة قد يجدها الشاب الفرير ذات حلاوة وطلاوة ولكنها بعد انقضاء الصبا يجدها كسراب بقية يحسبه الظمئان ماء حتى اذا جاءه وجده كما وجد الفرس عند البعثة بحيرة ساوة ، فهذه نصيحتى لك احملها للفقير سيدى موسى بن الطيب الذى توجه الى مراکش ، ولاتنسنا من الدعاء الصالح عند الرجال السبعة والسلام»

وقد كنت اجبته اذذاك فى شعبان عام ١٣٤٢ هـ بقصيدة كانت اذذاك نالت من الاستحسان مانالت ، لما تشتمل عليه مما كان يستحسن من الادب اذ ذاك، وربما ينظر اليها الاغنيون امس بغير نظرى اليها اليوم، والناس اذواق نصها :

اعطى كؤس السلوى	نديمى	وبى ما بى من الوجد العظيم
وأبدى فى منادتيه	انى	بجنات وقلبى فى جحيم
وادمج فى الحديث	انا سليم	وما يدرى مرادى بالسليم
واكثر عن نبى الله	موسى	لما لى معه فى لفظ الكلم
واجرى ذكر مكة فى	حديثى	لما للقلب من معنى الحطيم
اربه ان قلبى فى	نعيم	وقلبى بالصباة فى اليم
واخبره بانى الخلو	صدقا	ولكن من سوى الوجد الصميم

بجانب مقله يعفو رسومى
تغافله فانعش بالنسيم
مرادى لحظ سوداء الغيم
باخبار الفوارس من تميم
وما يعنى سوى ظبي الصريم
بالطف من نسيم فى وسيم
واين النجم من مرقى النجوم
عديم فى المجادة للمقسيم
يضى بغيه العصر البهيم
فزره تزر عظيم فى عظيم
بما يعنى عن الغيث العميم
ويخلف كثرة برق الغيوم
كمشوب على الطود العظيم
عظاما وهى فى عظم رميم
تضيف لباقل عبد الرحيم (٢)
حلال السحر فى ذاك النظيم
ويبهج بين جنات النعيم
قويم الظل الا من قويم ؟
شراك قد من ذاك الاديم
اذا ما الغير يرضى بالشميم
وكم ربع تعالى بالمقيم
مغلاة العواطل فى النظيم
مبللة الزهور يد النسيم
بلحظ الصب فى الوجه الوسيم
باطراف الحواجب غمز ريم

واظهر اننى جلد ، وغمز
اشامه الدبور لكى الاقى
واجرى وصف بيض الهند لكن
احدته وقصدى عين نجد
ويذكر ليث خفان لسانى
ويتحفه عن اخلاق لطاف
فيحسبها لقيس وابن قيس (١)
وكيف ولا تليق لغير فرد
خضم العلم يزبد نور هدى
ابى الحسن العظيم اسما وقدرا
من اللاتين ان جادوا يجودوا
تفى ابدا بروق الوعد منهم
وهم ما هم ذكاء فى وقار
فكم احيت قرائحهم علوما
اذا اقلامهم وشت نظيما
فيشهد والنواظر شاهدات
ويمرح سالم الاذواق فيه
زكوا لما زكوا اصلا اينشا
اذا نعم الاديم كذاك ياتى
وما يرضون الا باهتصار
علت بمقامهم رتب المعالى
تعالى فى حلى تلك السجايا
سجايا بل رياض صافحتها
فهن ارق من خجل تسارى
والطف من مسارقة العذارى

* *

ابا حسن ومثلك من يوالى
لقد اهدى الكتاب ، جزيت خيرا ،
وصاة لو مشيت على سناها
وصاة كنت لو انى عليها
على بعد المدى نصح الحميم
الى وصاة لقمان الحكيم
لكنت بها على قدم عظيم
على متن الصراط المستقيم

(١) قيس بن عاصم المنقرى الذى تخرج به الاحنف بن قيس فى الحلم
والنجم الاول نبت معروف
(٢) عبد الرحيم القاضى الفاضل وزير صلاح الدين واليه تنسب الطريقة
الفاضلية فى الادب

ولكن كيف - وا اسفا - ونفسى ، كما تدرون ، اشرد من ظليم
ولكن كيف - واعجزاه - دبغ - وليس بنافع - حلم الاديم (١)
على انى - ولم اقنط - لارجو قريبا رحمة الله الرحيم
ايعوز - لا ورب البيت - ما قد اشأ ؟ والله ذو الفضل العظيم

رسالة اخرى منه الى ولده الاستاذ سيدى محمد بن على وهو ياخذ بالمدرسة
الادائية :

«من على بن عبد الله الى ولده محمد ، اصلحه الله واعانه ووفقه ، وفتح له
فتح العارفين بالله ، وسلام عليه ورحمة الله وبركته ، وبعد فلاباس ولله الحمد
وبيد الحامل ماتقضى به الضروريات ، هذا وقد انشأت لصلاح الاديم سيدى
محمد بن الطاهر قصيدة عددها ١ بيتا بينت له فيها عظم نعمة الله عليه ليشرها
ومطلعها

محمد نجل الطاهر بن محمد ووارث اسلاف امائل مجد

واجابنى بقصيدة فى عددها كلها غرر ودرر ، هذا وقد طلبت منه ان يكف
عنكم معشر طلبة اداى ، وان لا يبعث اليكم سريات القصائد ، علما منى بعجزكم
عن مقابلتها وقد استشفعت اليه بوالده وقد علمتم ان شفاعتى عنده مقبولة
فوعد بذلك بشرط ضرب الاجل ستة اشهر ، حتى تحفظوا المقامات حفظ اتقان
فحينئذ تبعث السرايا ، والسلام

قف معى ايها القارىء ازاء هذه الرسالة ، لترى كيف تبعث الهمم
وتستنبط القرائح وان هذه الحلبة السوسية ، لننظر الى المقامات الحريرية بغير
العين التى تنظر اليها بها حلبة من المدرسين الكبار ، الذين ادركناهم فى الجامع
اليوسفى ، فعهدى ببعضهم حين افتتحت مع بعض الطلبة المقامات فى هذا الجامع
عام ١٣٤٩ هـ قاموا وقعدوا ، وقالوا لقد اتى فلان شيئا ادا ، وارتكب أمرا أمرا
حين اهتبل بالكذب والبهتان الذى حشيت بهما المقامات ، وقد نص فلان فى
المعيار للونشريسي على انها لاتقرأ فى الجوامع ، فاعتبر ايها القارىء وانا معك
من المعتبرين

هذا وقد حدثت اخيرا على الاستاذ غربة صريحة ، لان اقرانه كالوالد قد
توفوا عنه ، ففقد منهم اعضادا قوية ، ومعينين حاضرين ولان كبار تلاميذه قد
اتصل كل واحد منهم بمدرسة او بشغل شاغل من اسرته ، فلايراهم الا فينة
بعد فينة ، وهو ذلك الاديم الاريحي الذى نعلم منه انه اجتماعى لايطيب له

(١) حلم الاديم كتب ، افسدته الحلمة ، وهى الدودة التى تفسد السجل قال:
فانك والكتاب الى على كدابة وقد حلم الاديم

بالانفراد قلب ، وذو همة اعتادت الترقى دائما في كل ناحية ، فكيف يرتاح لسكون في عزلة او انفراد ، وحتى الحلبة الاخيرة من تلاميذه الادباء قد تفرقوا سذرا ، وءاخرهم الاديب البوزاكارنى الذى ترك بمغادرته الغ مقام الادب خاليا وثغره شاغرا فقدودعه الاستاذ بعدما كان زينة مجلسه فى عقد حياته الاخيرة ، وفارس الادب الذى يقبل بالحلبة كما شاء ويدبر . وقد اندفع ايضا هذا الاديب الى من لا يعرف قدره فادركته حرفة الادب من كل جهة ، فلنقف هنا وقفة حتى نقرأ رسالتين تعاطياهما او اسط عام ١٣٤٦ هـ قبل وفاة الاستاذ بقليل فقد نجد لما ذكرناه من الغربة التى ذكرنا ان الاستاذ صار اليها مما يلاقيه ممن لا يعرف قدره من بعض المجاطيين ونظرائهم دليلا ناصعا على ذلك

كتب اليه الاديب البوزاكارنى بما نصه :

«شيخنا شيخ الشيوخ ، المصطفى فى تحقيقه وتدقيقه ابن فروخ ، رجل الاخيرة والدنيا قصوى كانت او دنيا ، سيدى وامامى ، الذى لاسرى مسرى الا وانوار ارشاده محيطه بى من ورائى وامامى

نزىلك حيثما اتجهت ركابى وضيئك حيث كنت من البلاد وما ييممت من بيداء الا ومن جدواك راحلتى وزادى من لاسميه مهابة واجلالا ، ولاحليه اكتفاء بشهرة صفاته فناهيك بها صفات وخلالا

فعرض اذا حدثت بالبان والحمى واياك ان تنسى فتذكر زينبا ستكفيك عن ذاك الجمال اشارة قدعه مصونا بالجلال محجبا اشرى بوصف واحد من صفاتها تكن مثل من سمى وكنى ولقبا سلام الله على تلك الحضرة ، التى لا يعدوها السرور والنصرة ، هذا وقد وصل كريم كتابك • وجيليل خطابك • مؤكدا على وصول كتاب القائدا ساعة القدوم وقد وصله بحمد الله ، بمجرد وصول الحامل سيدى محمد قبل ان يرانى غير انه كما قيل

دخولك من باب الهوى ان اردته يسير ولكن الخروج عسير

ثم ، الله يعظم اجر سيدى فى مصابه ، بسيدى عبد الله بن احمد ويحسن فيه عزاءه ، فقد علمنا والله ان كان لرجل صدق وامانة وفتوة ومروءة ، وكل خلق حسن ، فلذلك عجل به - كلكم تموتون وانما يعجل بخياركم - وليتعز سيدى عنه بما امر صلى الله عليه وسلم بالتعزى به ، اذ قال «ليعز المومنين فى مصائبهم المصيبة بى»

لكل اخى ثكل عزاء واسوة اذا كان من اهل التقى فى محمد

ولولاني تركت الشعر ترك السقب لغرسه ، والرأل لتريكنه (١) لقلت فيه فانه لذلك اهل بيدانه لاطاقة لنا اليوم الابالترحم عليه ؛والاستغفارله؛ فالله يرحمه ويغفر له ، مغفرة عزا فهو الغفور الرحيم
واما عبيدكم فلم يزل يوالى الزفرات ، ويتابع العبرات ، على تلك الاوقات؛
التي كلها مذكرات ومنافحات :

يا ليت شعري والدنيا مفرقة بين الرفاق وايام الورى دول
ابعد بعد تقول الدار جامعة ام هل تعود لنا ايامنا الاول ؟

* *

ابعد بعد تقول الدار جامعة ؟ شملى بهم ام تقول البعد محتوما ؟
فها انذا ملقى في زاوية الاهمال ، غيرمنظور الى لابعين الاجلال ولابعين
الاذلال، منتبذا عن الناس، سمر الهم والوسواس، فلا راتب ولاجارى، ولا أنيس
ولا صديق ولا دار ، فالآن صرت غريبا حقا

الفقر فى اوطاننا غربة والمال فى الغربة اوطان
فلا اسمع بطرو اخ او صديق الا وددت لولم الله ، لعجزى عن بره ، والله لقد
صدق من قال

اذوب حياء من زيارة صاحب اذا لم يساعدنى على بره الوفر
فلقد طرقتى سيدى محمد البعمرانى اذ طرقتى ، فلو مات احد من الحياء لمت
اذلم يجد عندى الضوء فما فوقه ، والله للموت من بعض الحياة اهون ، فالى الله
والى سيدى المشتكى

شكوت وما الشكوى لمثل عادة ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

ثم اعلم سيدى اننى عاملت ذلك المرحوم بالله سيدى عبد الله بن احمد
معاملة اظنها مستفيضة هنا لكم ، وهى انى اعطيته خمسين ربالا قراضا ثم انه
اشترى بها من الشعر خمس وعشرين اوستا وعشرين بالمكيال الخميسى (٢) فهى
عنده معزولة فى بيت منذ شهر قبل انتقالى ، ثم لما ازمنت على الانتقال ، كان اخر
امرى معه حين تفرقنا ان يتركها كذلك معزولة ، ويرصد بها الاسواق فمهما
ظهر من ربح غنمه ، ثم يرسل لى ما هو لى والآن لما قضى الله عليه بما اراد احب
من سيدى استطلاع طلع ذلك من أهله ، هل اوصى او امر بشىء ، او علموا بذلك
ويعلم بما اجابوا به ويعمل بمقتضاه واما ما كان فما عمله سيدى فى ذلك فعلى
الراس والعين ، وحكمك مسمطا ، فانت بصيرتى فى ذلك والحاكم وكيل الغياب
والسلام ، وعلى العهد وازدياد المحبة والدعاء بظهر الغيب
واعيد السلام على جميع الاولاد ، الامثل فالامثل وقد سرنا صنيع سيدى

(١) السقب كفلس ولد اناقة ساعة يولد والغرس بالكسر: ما يخرج مع الولد
كالخاط والرأل ولد النعام والتريكة كالسفينه البيضة ان خرج منها الفرخ
(٢) بمكيال سوق الخميس الوقاوية

المدنى أعانه الله على ما هو بصدده ، وأمدّه بدائم مدده ؛ وارك سيدى فى جميعهم مايسرك ، وإكد سيدى الطاهر على قراءة اللامية ايضا ، بتوجيه كل الهمة فلأمندوحة له عنها. فأكثر مايصحفه حالة سرده انما اتاه من عدم اتقانها كما ينبغى ، فلا بد له من الصبر عليها حتى يتقنها ، فهناك يصح له السرد استقلالا وفى الملا . وعلى سيدى تنبيهه على ذلك بالاتراخ فقلما ينتبه الا بتنبيهه ولايتوجه لوجهة خير الابتوجيهه وفق الله الجميع . اوائل جمادى الاولى عام ١٣٤٦ هـ ولدكم عبد الرحمان بن محمد الاحبالى»

فأجابه الاستاذ

أخى وصريحي ، ومريحي وسنيحي ، ابقاك الله مصون العرض والعرض ، مفدى بالانفس والآباء من كل عاهة ومرض ، ومن الم كل حادث عرض ، مؤديا فى ملة الفتوة والاخوة كل حق مسنون أو مفترض ، مجددا من معالم الدين ما ندرس ، ومن رسومه ماعفاه الجهل ودرس ، مغبوط الاحوال ، مخدوم الآمال ، قاربالال ؛ فار البلبال ؛ ذلك السيد السند ؛ والصدر الاوحد ؛ انيسى وجليسى ، وهزبر خيسى ، وكاف كيسى ، ورئيسى وخندريسى ؛ من اذاغاب عن القالب فهو فى القلب حاضر ؛ لا يخلفه فيه سواء ما بين باد وحاضر ؛ الغريب بين أهله ، والحائز خصل سبق فى الكمالات على تؤدته ومهله ، الشريف العفيف ؛ والاخوذى السرى المنيف ، مولاي عبد الرحمان ابن مولاي الشريف محمد

نسب كان عليه من شمس الضحى فلما ومن نور الصباح عمودا

السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الشذية ، والمكارم الندية والسجيا السكية ؛ ومن بها واليها ، وبعد فلاباس نسأل الله لنا ولكم التوفيق لما يرضى ، واللفظ الجميل فيما قضى ، والتيسير لليسرى ؛ والختم بالحسنى ، آمين آمين ، انه على ما يشاء قدير ؛ وبالإجابة جدير ؛ وقد وصل ذلك الكتاب الحائز من اسرار البلاغة اوفى نصيب ، والرائع من هضاب الفصاحة فى كل ممرع خصيب فقرح بشكواه ، وفرح بسلامة كاتبه وهذا اعز ما هو به ، ووقفت على تفصيله وجمله ومالم به من ألم راقمه بالمفارقة وأمله ، فحرك ماسكن . وغيب عن الاهل والسكن ، واوقد نار الاشواق ، لمحجوب التلاق ، والله عليم بذات الصدور وقد تمثلت لما ذكرت فى كتابك انه لا مجالس ولا مجالس ، ولا جارى ولا راتب ولا ماوى ، بقول من قال

ارادت عرا بالهوان ومن يرد عرا لعمري بالهوان فقد ظلم

فليصبر كل منا سيدى لسهام دهره ، وعوالى مكره ، فان محاله لا يبقى على حال ؛ ومحاول اوحاله على غارب الارتحال

الدهر لا يبقى على حالة لكنه يقبل او يدبر
فان تلقاك بمكروهه فاصبر فان الدهر لا يصبر
ورحم الله البخترى اذ يقول

تنكر العيش حتى ان اكدره ياتى نظاما وياتى صفوه لمعا
وانست من خطوب الدهر كثرتها فلست ارتاع من خطب اذا طلعا

واحوال المدرسة والاهل داخلا وخارجا بخير ماذا فقد من وجد الله ؟ وماذا وجد
من فقد الله ؟ غير ان رياض الادب تصوحت بعد انقشاع سحابتك المدرار
وافول شمس مشكاتك المزهار ، ورعى فى مراتعها الهشيم ، واقلعت سحائب
الاجادة فما لمع برقها بعد ولاشيم

دوام حال من قضايا المحال واللفظ موجود على كل حال

وقد بدا من مربى نعمتنا فلان (١) ما يستقر به كل حاضر وباد ، ولا يرضى
به أدنى الاوغاد ، بله أفضل العباد ، والعرق دساس :

واسرع مفعول فعلت تغيرا تكلف شئ ، فى طباعك ضمه
والطبع املك ، قال حازم

من يسمع الجفوة من خل ولم يغضب لها فانه كمن جفا

✱

متى تسد معروفا الى غير اهله رجعت ولم تنظر بحمد ولا شكر
وقال حازم ايضا

من صاحب الانسان فى العسر كما صاحبه فى يسره فقد وفى
ومن يفارقه اذا ما يسره فارقه فما وفى ولا رعى

وخير ما تمثل به فيما وقع من التباعد بينى وبينك ، واوجب على الرغم منى
بينك ، قول حازم :

يازمننا جفا المنى من بعدما قد كان والى البر منه واحتفى
قد بلغ الحزام طبيبه وقد افط حتى بلغ السيل الزبى
انابت يادهر المنى من بعدما ادنيتهما فما عدا مما بدا
ياهل انى ان ابلغ الحظ الذى كم قلت فى تاميله ياهل انى ؟

والسلام عليكم ورحمة الله

(١) يعنى الاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى وفى ترجمته تبين ماوقع

وشعر القراض على ما عهدت وما ظهر لك أنه المصلحة فيه فأخبر به ولدنا
 محمدا بفعله به بلا تراخ ، والخلق اذا قهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
 يصنعون ، ظهر الفساد في البر والبحر الآية ، والسلام على من انتهى اليكم او
 اخوتكم أو قرايتكم ، خصوصا الوالد الاتقى والخال الارقي ، سيدى احمد بن
 ابراهيم ، واسال من الجميع صالح الادعية ، على بن عبد الله الالقي»

نتف من قوافيه

واما شعره فهناك منه قصائد لطيفة، وقطعا منتقاة، مما نراه امامنا متراكما
 ككتابان يبرين ، فمن ذلك ما قابل به وفد افرايا ، فيه الاستاذان سيدى البشير
 الناصرى وسيدى محمد بن الطاهر البكرى النسب

لله يوم خميس جادى بلقا من كنت من بينهم قبل اللقاء لقي
 حيوا فاحيوا نفوسا طالما قبرت فاستاصل البعد من ارواحها الرمقا
 وفى لى الدهر مذ وافوا وجدد لى من وشى برد التهاني كل ما خلقا
 هم الكرام وابناء الكرام ومن قاد الاله بهم للرشد من خلقا
 قوم يروج بهم للعلم كاسده والجهل ينزاح من انوارهم فرقا
 ان عز قوم بمال جم او عدد فانهم جمعوا الاوراق والورقا
 ما كنت اقصيهم الحق الذى لهم وان فرشت لهم من جفنى الحدقا
 فمن يكافى وان جلت صنائعه صنع البشير الذى بفضلته سبقا
 ومن يكافى ندى البكرى غير الله قد جباه من الاخلاق ما عبقا
 منى عليهم سلام طاب مورده ما اشتد بالبرق شوق كلما برقا

وقد ثارت اثر هذه المقطعة مقطعات اخرى ، وقصائد بعضها فى رويها ، وبعضها
 على روى آخر على عادة الادباء الالقيين اذ ذاك حين يولعون بان يقول كل واحد
 قصيدة فى امثال هذه المحافل ، التى تحفل بادباء وافدين ، ثم يجيبهم الوافدون
 ويكيلون كل صاع بصاع فكم شعور يجرى برذونا قطوفا ، وكم كهام مفلول
 تراه فى يد بعض البلداء مسلولا

وقال يخاطب الاستاذ سيدى الطاهر بن محمد حين زار العلامة سيدى
 الحاج احمد الجشتيمى عام ١٣٢٧ هـ ثم مر بالغ

شنف باخبار من احيا اذا ذكروا مسامع القلب واعرفهم وان نكروا
 واربع على ربهم وقل اذا سألوا عن عبدهم هام فيمن قبله اسروا
 فاعجب لصب بمن شدوا الوثاق فلا من لديهم ولا فداءهم ذكروا
 كأنهم مارعوا حق الوداد له وحقه اعظم الحقوق لو قدروا
 فما لهم مارثوا لحاله فعفوا ان الكرام لهم عفو اذا قدروا
 وكلما اعولت نفسى اعللها بالوصل والعطف منهم بعدما هجروا

عهدتهم من نحة العصر قد قرءوا
فمالهم لزموا باب اشتغالهم
رعاهم الله قد راعوا بينهم
قطرت دمعاً بلا عين فكان دماً
جالدت جند الهوى جهدى وحاربني
كانوا منى القلب لكن زاده ولها
لله دهر تقضى كله غرر
وفوا فماشاب فود الوصل فيه ولا
منى عليهم، على متن الصبا، وعلى
وقد اجابه الاستاذ سيدى الطاهر بقوله

هذى نجوم الدجى ام هذه درر
هذبها طبع مولانا الامام كما
لفظ كما افتر ثغر الزهر قلده
فى طيها كل معنى كاد يشربه
لا سحر الا الذى ضمت لطافتها
ما كنت احسب قبل ان اشاهدها
وقال مرحباً بالاستاذ سيدى محمد بن الطاهر الافرانى ، وقد وفد عليه
ثالث شعبان عام ١٣٢٧ هـ :

اهلا بمن رحل العنا بنزوله
اهلا بوفد قل من اكرامه
اهلا بمن احيا القلوب قدومه
اهلا بمن اغنى ضياء علومه
اهلا بمن خرق العوائد فضله
اهلا بشهم جل وقت نضاله
شرفت عبداً بالزيارة لم يزل
ان الكمال جميعه لك منة
والله رب العرش يمنح كل ما
ويشيبك السر العميم فتتبنى
باجل خير الخلق صلى ربنا
فاجابه الاستاذ الضيف ، وقد غير الروى وان التزم البحر

شعر زرى بالعقد حسن نظامه
فرحابه فلقد ازال الهم عن
ما الروض فى ازهاره ما الدر فى
الى آخر القطعة ، وهى من اوليات هذا الاستاذ الجليل حفظه الله .

وقال ايضا مرحبا بقاضى اقا اليوم تلميذه سيدى الهاشمى الفاسى
ياواردا عمت الدنيا مفاخره وغم اعداءه فيها مئائره
وقاد مالم يزل فى القلب مسكنه ان غاب عنى فما غابت اواصره
اهلا بمقدمك الزاهى وموردك الـ سباهى ، وسهلا بوفد سر سائره
لله طلعتك الغرا وسيرتك الـ سرا ودهر بك انجابت دياجره
قدمت فى طلب العليا وانت لها كفو وازكى فتى طوعا تصاهره
مهر الفضائل صبر انت باذله والصدق من شرطها وانت ماهره
والحلم ان صميم يوما انت ناصره والعلم ان كان اجنى انت هاصره
سر هكذا فالعلا تدنى مقادتها لمن تدين لها منه عناصره
لازلت تنمو وتسمو للعلاء الى ان تستحيل امرأ غر مفاخره
منحتك الود منحا لا اعتصار له والود فى الله ما ترجى اواخره
منى عليك سلام زان ناصره روض اشتياقى وقد فاحت عواطره

وقال ايضا مرحبا بالعلامة الاستاذ محمد بن عبد العزيز ، كاتب آل كردوس
وهو ممن يخاف الله فيما يحكى عنه ، وذلك فى الاربعاء ١٧ رجب ١٣٤٦ هـ:

ياقادما فضله فى العلم والعمل قد كان اسير من طيف ومن مثل
وسيدا عمت الدنيا صنائعه انخ فقربك اضحى غاية الامل
وواردا جد مد ان كان شب الى ادب فى حفظ شمل الدين من خلل
احييت بالوصل حيا قد نزلت به نزول قطر بقطر سيم بالخلل
ان ساد قوم بجمع المال والخور فانت سدت الورى بصالح العمل
لازلت ياخير طب ماهر فطن تشفى برايك ما بالدين من علل
يانجل عبد العزيز ياامام هدى لم يرض مذنب ان يرعى مع الهمل
هجرت مالوف اوطان دعتك الى ما ليس يرضى به الرحمان من عمل
فقابلتك القلوب بالرضا وبما يعليك من طيبات الذكر عن زحل
اصفيتك الود فى الرحمان حين صفت منك الخواطر من غش ومن دخل
عليك منى سلام الله ماطلعت شمس وما غربت عن غارب الطفل

وقال رحمه الله يخاطبني فى بعض وفاداتى على الخ من الحمراء اعوام ١٣٤٢ هـ

يقوق على للمبشر انكم قدمت من الاحسان افضل ما خلع
يعين ان عاينت شخصك لى المنى وقلبي حاظ بالذى قبل قد ولع
طلعت طلوع البدر فى حندس الدجا الا فاعجبوا للبدر فى الغرب قدطلع
نزلت نزول الغيث فى وسط مجدب فازهر روض العلم والفصل قد نبع
فاهلا بمن احيا من الدين ما قضى وشاد كهركنا قضى الجهل ان خضع
وسهلا بمن راض العلوم فاصبحت واوبدهاما ان يقال لها (هدع) (١)

(١) هدع بكسر الهاء وفتح الدال كلمة يهدأ بها صغار الجمال

تغيبت في جمع الكمالات معرضا عن العرض الفاني وما هالك الهلع
 فشمروا وجد السير ان الذي تريب سده ستشيم برقه بعد قد لمع
 فلا شك أنت الوارث السر فاشكرالـ ساله الذي يحميك من كل ماقذع
 فلا زلت يامختار في كل مايزيـ من قدرك مختارا جماع العلاجم
 عليك سلام من قريب يحب ان يراك ونور الله فوقك قد سطع
 وقال يحرض على تحسين الخط وشاع انه يخاطب بعض اولاده ، وانها له

ان لم تكن كابن مقله في الخط جد بابن مقله
 وخط في الخد خطا اخدوده عين عقله
 وارض بخطه عجز فما لها عنك نقلة

وقال في ذلك ايضا ، وهو ماشاع ايضا انه له :

ان حسن الخط زين للفتى فهو نصف العلم من حيث اتى
 جيد من ليس يجيد الخط في عطل هبه ابن ادريس الفتى (١)
 وقد خاطبه سيدي محمد بن مسعود المعدري بقوله

تبدى فخلت البدر في الافق ينجلي اذا هو بدر المجد والشرف الجلي
 ابو حسن مأوى المكارم كلها ولا غرو في جمع المكارم في على
 فمهما ذكرنا من خصال فضائل فليس لها الا ابو حسن على
 فلو اطنب المداح في مدحه فما عسى يبلغ الاطناب من وصفه العلى
 فاجابه بقوله :

لله درك من امام عادل ورث المكارم فاضلا عن فاضل
 فقت الاوائل والاواخر والذي قرن الفضائل منكم بفواضل
 لاتكب في ميدان تدريس وكن وقت اشتداد الجهل خير مناضل

وقال ايضا يجيب الاستاذ شيخنا سيدي محمد بن الطاهر عن قصيدة خاطبه بها:

وصالك هذا ام بدا صبح اسفار ووجهك ام شمس دعت نور ابصار
 وعرفك هذا ام صبا قد تصافت اناملها وهنا بروضة ازهار
 وخلقك هذا ام خلوق تعطرت بارواحه لبات صقع واقطار
 ونظم لئال في نحور خرائد ارى ام نظاما جاز رتبة اشعار
 تفتق من روض البلاغة نورها ورقت به الالفاظ رقة اسحار
 اذا احتست الاذواق كاس رحيقه سكرنا حلالا ما رزنا باوزار
 يقلد جيدي من فرائد لفظه باطواق مدح منتقى ذات اخطار

(١) يعنى الامام محمد بن ادريس الشافعى

وانى ورب البيت لولا اعتقاده
 فما روضة جاد العهد وهادها
 وابدت ونور الشمس قابل نورها
 وتصيح في برد قشيب منق
 وينشق منها كلما هب ريحها
 باحسن من شعر يعز على ان
 فاقسم بالفضل الذى حزت خصله
 وبالادب الغض الذى كان بعض ما
 وبالود منى قد منحت صميمه
 لقد فقت يا ابن الاكرمين فما ارى
 اسال اله العرش حفظ مقامك الـ
 بجاه اجل الخلق صلى وسلم الـ

وحسن الرجا ما كنت اهلا لأكبار
 وغنت بها الاطيار فى ملة اشجار
 جداولها كالايام (١) فى حين ادبار
 وشته يد الوسمى وشيا بازهار
 شذى العنبر الشحرى فاح بمعطار
 ارى رقه فى غير صفحة افكارى
 وبالشرف العد المشيد بايثار
 منحت وما اعطيت من رفع اقدار
 فما شيب حتى شبت يوما باكدار
 لفضلك ندا عند نزع لاشعار
 سسمى من الاسواء طرا واغيار
 ساله عليه والاجلة انصارى

وقال الاستاذ ايضا فيما كتبه لطلبة مدرسته مع اجلة انصار يطلب ممن وفقه الله منهم
 أن يقرب احجارا الى بنائين عند الاستاذ ، على عادة الطلبة مع اساتذتهم فى
 بلادنا عند المهمات والبادون كلهم عملة طلبتهم وعوامهم ، فكل يحك جلده
 بظفره ، فلا يستهجن الحاضرون احلاس البيوت ، وابناء الكل ورببوا الحمائم
 حتى غدوا كما قال الشاعر

خطرات النسيم تجرح خديسه ولمس الحرير يدمى بنانه

هذا الاستخدام ، فان طلبة البادية من عاداتهم ان يقوموا بكل ضروريات
 اساتذتهم ، حصادا وبناء وسفارة وغسل ثياب ليتمكن له ان يوالى لهم الدراسة
 وهذا ما كتب به الاستاذ

اريد من خير اخوانى وصفوتهم حمل حجار غدت تضر بالعملة
 لازال فى صالحات السعى سعيكم ولا برحتم هداة جلة كملة
 بجاه خير الورى صلى الاله على مقامه وعلى اصحابه الفضلة

وكتب اليهم ايضا بعد ما تموا احصاد مزروعاته :

جزى الله اخوان الصفاء بكل ما يجازى به احبابه وسط القبر
 واعطاهم من فضله الغمر كل ما يحبونه بل فوقه دونما حصر
 كفونى مئونات الحصاد وظللوا باوجههم وجهى كفوا ازمة الدهر
 وعند امتحان المرء يظهر فضله او النقص والرجحان فى كفة الصبر
 الاهكذا الايثار لالاالى تغيـــــــــر
 كذاك تقوم السوق والناس بين من يراج له والدالجين الى الخسر

(١) الايام مخفف الايام بالتشديد الافعى

ولو لم تحف بالمكارة جنة الـ — خلود تساوى الخب فيها مع البر
عليكم سلام الله ياخير من سعو لتحصيل مايولى الهنا ساعة الحشر

وبعد فقد ان لنا ان نكتفى من اثار قلم الاستاذ بهذه النماذج التى
سقناها منها من كل ناحية ، فأتينا بنماذج مختلفة حتى يستفيد المؤرخ الذى
يقبل كل شىء ، وهذا كله كما يراه القارىء لا يخرج عن الاخوانيات ، ومن اراد
التوسع فى كل مقاله الاستاذ أوجله فانه سيجده ان شاء الله فى (جوف
القرأ) فاننا ماعدونا هنان اتينا بطاقة صغيرة جدا من تلك الروضة الاربضة
ولكن لانحسب ان القارىء يرى ماكتبناه هنا حتى يعرف مقدرة الاستاذ ومقدار
براعة يراعه ، فالحمد لله الذى يسرنا لهذا اليوم ، ونسأله تعالى ان يسرنا
لاتمام الكتاب جميعه غدا فيجد القارىء بين التراجم الامداح الكثيرة التى يخاطب
بها ادباء الغ وما اليهم هذا الاستاذ الاديب الكبير

الآخذون عن الاستاذ

مر بنا فيما تقدم العلامة على بن عبدالله فى اطوار شتى ، فرأيناه اجتماعيا
وقاضيا وهفيا ومدرسا ورئيسا وواعظا ، وقد رايتما يشهد لكل هذه الاطوار
فكثرة اصحابه وثبات مركزه فى الرئاسة ، وشفوفه فى المكانة الاجتماعية
وفتاويه واحكامه انتى تعج بها سلات الرسوم من كل القبائل المتاخمة لالغ
المفصحة كل الافصاح عن مكانته فى الافتاء والقضاء ، وهذه التمجيزات التى
لاتزال الى الآن بين علماء جزولة هى من أثر تلاميذه الذين يتتابعون طبقا عن
طبق كما أن الترحم على الاستاذ الذى يعليه كل منصف عندما يذكر
الكرم أو البخل فى الغ ، تحمل الناس على أن يرددوا اسم الاستاذ ، وأن
يجعلوه آخر الكرماء السعديين - كما يقول الاخ احمد رحمه الله - وهذه كافية
غاية الكفاية فى مقامه بين الصادر والوارد ، فقد ادى للمروءة حقها الواجب
فعادوا فاثنوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائق

ولكن استاذيته التى وصفناه بها ، وكانت الاصل الاصيل الذى تفرعت
عنه كل هذه الاخلاق الاخرى ، من اين نجد مايشهد لنا بها الا فى اثارها التى
لاتخفى فى الذين يردون الى المدرسة الالغية عطاشا ، «وقد كبرت اعناقهم ان
تقطع» ثم يصعدون عن مناهلها العذبة الصافية من بعد ما ارتنوا عللا بعد نهل
حتى ضربوا بعطن ، فكم راحل عن الغ اب اليه قريبا حين ظهر له راي العين
الفرق بين الدراستين :

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا الى مغناك والعود احمد

كنا ذكرنا فى ترجمة صنوه الاستاذ محمد بن عبد الله ان غالب من خلفهم
فى المدرسة قد اخذوا ايضا عن هذا الاستاذ ، فها نحن اولاء سندكر كل من علم

انه اخذ عنه وندخل فيهم من كانوا أخذوا قبل عن صنوه ان أخذوا عنه أيضا ،
ثم لاندكر الامن اشتهر منهم بعلم او تدريس او استبصار ، ثم ظهرت مكانته
في الرئاسة او مركز آخر ، وأما من لم يحصل اولم يعرف بعد ذلك بشي يرفع
مكانته مع الاستبصار فيما أخذ ، فاننا نتكبد ذكره ، ثم اننا نذكر كل من مر
بالمدرسة الالغية في عهده وان كان اخذ في غيرها ، قبل ان يلتحق بها ، او بعد
ان فارقها لانه على كل حال ممن أخذوا عنه ، وهذا هو شرطنا ، وعلى الله التكلان
فلنتنبههم بالقبائل ، فنبدأ بئال الاستاذ ، ثم بغيرهم من الالغيين كلهم
ثم بكل من كان من مرابطينا من غير الالغيين ، ونمزج الايفشانيين والوفقواوين
والتاكزوين والتيفشيتيين بالمراطين ، لامتزاج المساكن ، ثم بالايسيين ثم
الامانوزيين والكرسيفيين ثم التملين ومن اليهم كالكثيرين ، ثم الرسموكيين
ثم السماليين ثم البعقلين وما اليهم كالتازروالتين ثم المجاطيين ، ثم
الافرائيين ثم الاخصاصيين ، ثم البوعمرانيين ومن اليهم كالساحليين ، ثم
الازاغاريين ثم التاغاجيحيين ثم التامانارتين ومن اليهم كالاموكاديريين
والاقاوين ، ثم الساموكنيين ، وهكذا نرتب ذكرهم الآن كما سترتب ايضا
ان شاء الله تراجمهم في محلها على حسب ما تيسر ، ومن كان من غير هذه
القبائل فسنبينه نصا :

الالغيون ومن اليهم

- ١ - الاستاذ عبد الله بن محمد الالغى
- ٢ - صنوه عبدالرحمان بن محمد الالغى
- ٣ - صنوهما احمد بن محمد
- ٤ - الاستاذ محمد بن على
- ٥ - الاستاذ المدنى بن على
- ٦ - الاستاذ الطاهر بن على
- ٧ - الاستاذ الحسن بن على
- ٨ - سيدى صالح بن احمد
- ٩ - صنوه عبد الله بن احمد المرحوم
- ١٠ - النجيب المرحوم الحسين بن ابراهيم
- ١١ - النجيب محمد بن عبد الله بن محمد
- ١٢ - النجيب سيدى احمد بن محمد التهالى
- ١٣ - الشيخ محمد بن عبد التهالى
- ١٤ - السيد محمد بن الحاج بلقاسم
- ١٥ - الغم سيدى ابراهيم بن احمد
- ١٦ - سيدى موسى بن الطيب
- ١٧ - صنوه المرحوم سيدى البشير

- ١٨ - الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم
- ١٩ - الاستاذ سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح
- ٢٠ - الاستاذ على بن صالح الاوقيري
- ٢١ - سيدى على بن الحاج احمد التيفشيتي
- ٢٢ - سيدى الحسين بن بوبكر الاغودي
- ٢٣ - الاستاذ سيدى البشير صنوه
- ٢٤ - الاستاذ عبد الله بن مسعود التميمي
- ٢٥ - صنوه سيدى احمد بن مسعود
- ٢٦ - الحاج مسعود الوفاوى الاستاذ الكبير
- ٢٧ - النوازى سيدى محمد بن مبارك الوفاوى
- ٢٨ - سيدى المحفوظ بن الهاشمي
- ٢٩ - سيدى احمد بن بوهوش التاويى الايفشاني
- ٣٠ - الاستاذ سيدى احمد بن الحسن البناء الايفشاني
- ٣١ - صنوه سيدى محمد بن الحسن
- ٣٢ - سيدى محمد بن مبارك التاويى الايفشاني
- ٣٣ - سيدى الحسن اخوه
- ٣٤ - سيدى الحسين بن صالح التاكزى

الايسيون

- ٣٥ - الاستاذ سيدى المكي اليزيدى
- ٣٦ - سيدى الطيب اليزيدى
- ٣٧ - الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى
- ٣٨ - سيدى محمد بن عابد اليزيدى الصغير
- ٣٩ - الاستاذ محمد بن الحاج احمد الاستاذ اليزيدى
- ٤٠ - سيدى محمد بن عابد اليزيدى
- ٤١ - سيدى محمد بن الحسن اليزيدى
- ٤٢ - سيدى الحسن بن عبد الرحمان الاعرج الايسى
- ٤٣ - سيدى محمد بن الحنفى الفيلاى الحضيكي
- ٤٤ - صنوه سيدى الحسن بن الحنفى الحضيكي
- ٤٥ - سيدى الحسن بن البشير الحضيكي
- ٤٦ - سيدى المحفوظ التارصواطى

الامانوزيون والكرسيقيون ومن اليهم

- ٤٧ - سيدى محمد بن بومليك

- ٤٨ - سيدى محمد - فتحا - بن عبد السلام الكرسيقى
٤٩ - سيدى محمد بن عابد نسخت : اى النسخة

التمليون

- ٥٠ - سيدى الحسين التانصيلتى
٥١ - الاديب سيدى محمد بن بلقاسم الاعسرى
٥٢ - بلقاسم الانامرى التيملى
٥٣ - سيدى محمد بن بلا الانيل
٥٤ - سيدى محمد المسناتى
٥٥ - سيدى احمد بن بلقاسم
٥٦ - سيدى احمد بن محمد الدويمالنى
٥٧ - الاديب سيدى محمد الكثرى
٥٨ - صنوه احمد

الرسموكيون

- ٥٩ - العلامة على بن الطاهر
٦٠ - اخوه عبد الوهاب
٦١ - الفقيه سيدى صالح الزعنونى
٦٢ - سيدى احمد بن محمد الزعنونى
٦٣ - الاستاذ ابراهيم التازيلالى

السملاليون

- ٦٤ - سيدى احمد الاعضياوى
٦٥ - الاديب محمد بن سعيد الاعضياوى
٦٦ - سيدى احمد بن محمد الورحمانى
٦٧ - الصالح سيدى احمد التازيمامتى
٦٨ - الفقيه عبد الله المافامانى
٦٩ - الحسن بن عبد الله
٧٠ - الفقيه سيدى محمد التيقى
٧١ - العابد محمد بن محمد من ايت الحاج
٧٢ - الفرضى سيدى الطيب بن محمد الكوسالى
٧٣ - سيدى عبد الله بن محمد الورحمانى
٧٤ - سيدى الحسين بن ابراهيم الاخصاصى

الباعقليون

- ٧٥ - الاستاذ سيدى ابراهيم القاسمى
- ٧٦ - سيدى على الباعقيلى القاسمى
- ٧٧ - الاديب سيدى احمد بن سعيد الاكمارى
- ٧٨ - السيد الحاج الاحسن الباعقيلى ثم البيضاوى
- ٧٩ - احمد بن صالح الايغير موسى
- ٨٠ - النجيب سيدى ابراهيم بن الطيب
- ٨١ - الفقيه سيدى محمد بن احمد بن محمد الخياطى

المجاطيون

- ٨٢ - الاستاذ الكبير بلقاسم التاجارمونتى
- ٨٣ - الاديب سيدى احمد بن محمد الاهريى
- ٨٤ - سيدى جامع بن همو الازونيسى المجاطى الشهيد

الافرانيون

- ٨٥ - العلامة الشاعر سيدى الطاهر بن محمد
- ٨٦ - الاستاذ محمد بن الحاج الاديب الشهر
- ٨٧ - صنوه سيدى الحسن بن الحاج
- ٨٨ - الاستاذ احمد بن صالح من بنى عدى
- ٨٩ - سيدى احمد بن صالح الشكوكى
- ٩٠ - الاديب سيدى الطاهر الناصرى
- ٩١ - الاديب سيدى البشير صنوه
- ٩٢ - النجيب ابنه المهدي
- ٩٣ - سيدى محمد السلامى التاغونيتى
- ٩٤ - مولاي صالح التانكرتى
- ٩٥ - الفقيه سيدى الحسين التيمولائى
- ٩٦ - صنوه احمد بن محمد

الاخصاصيون

- ٩٧ - الاديب الكبير مولاي عبد الرحمان البوزاكارتى
- ٩٨ - الفقيه سيدى الحسين التايطاروستى
- ٩٩ - سيدى محمد بن احمد بن ابراهيم
- ١٠٠ - سيدى محمد السلامى المقدم التاكانتى

- ١٠١ - صنوه سيدى على
 ١٠٢ - سيدى محمد بن على اوبالوش
 ١٠٣ - صنوه سيدى عمر
 ١٠٤ - محمد بن ابراهيم المانوزى الاخصاصى
 ١٠٥ - سيدى محمد بن مبارك الاكيسلى
 ١٠٦ - الاستاذ والده سيدى مبارك

الباعمرانيون والساحليون

- ١٠٧ - القاضى سيدى محمد بن عبد الله اوبالوش
 ١٠٨ - سيدى الحسن اخوه
 ١٠٩ - سيدى عبد الله بن الحسين الموساكناوى
 ١١٠ - سيدى محمد بن الحسن الموساكناوى
 ١١١ - الاديب محمد بن الحسين بوكرع
 ١١٢ - سيدى محمد بويشموارين الساحلى
 ١١٣ - النقيب صنوه سيدى احمد

الازغاريون وما وراءهم

- ١١٤ - سيدى محمد المرسى المهدرى
 ١١٥ - سيدى محمد بن محمد بن الحسن الماسى

التاغيجيتيون

- ١١٦ - سيدى ادريس بن الحسن
 ١١٧ - سيدى محمد بن مبارك الموش
 ١١٨ - سيدى ابراهيم بن محمد
 ١١٩ - صنوه سيدى احمد بن محمد
 ١٢٠ - القائد الحاج احمد اضارصور

التامانارتيون

- ١٢١ - سيدى اليزيد الخلاسى
 ١٢٢ - الحاج عبد الله اليزيدى
 ١٢٣ - سيدى الطيب اوباحو
 ١٢٤ - سيدى الحسين بن بلقاسم الايموكوديرى
 ١٢٥ - سيدى ابراهيم بن محمد العنترى
 ١٢٦ - سيدى سعيد بن على العنترى

الساموكيون

١٢٨ - الاستاذ سيدى العربى الساموكنى الشهر

١٢٩ - الفقيه محمد بن محمد بووازي

١٣٠ - سيدى الحسين بن احمد

١٣١ - سيدى محمد بن احمد الحافظ

١٣٢ - سيدى محمد بن الحاج عبد الرحمان

هؤلاء من امكن لنا ان نعرفهم اليوم ، ولا بد ان يفلت من احصائنا هذا بعض نجباء اخرين ، ولكننا في الغالب قد استقصينا غاية الاستقصاء ثم انتقلنا الى النجباء من غيرهم على شرطنا الذى ذكرناه ، فبقى بعد الانتحال فى ايدينا بعد ذلك من رايبتهم امامك الآن ، ولا شك ان النجابة تتمطط الى حيث يشاء الانسان ولكننا توسعنا فيها ، وادرجنا فى ضمنها ما يقصد اليوم بالثقافة العلمية ، فكل من يقدر ان يكتب ما فى ضميره باحسن عبارة ، ويتلو ما كتبه غيره اقوم تلاوة وان لم يكن ذلك المتفوق الزاخر ، فانه لاشك نجيب مثقف ، وهذا ما جعلناه محور هؤلاء الذين انتخبناهم من مئات سواهم ، فادناهم من يقدر ان يعبر عما فى ضميره باللغة العربية كتابة ونطقا بغير لحن كثير ، وقد اشرف على الفنون التى اخذها وكانت له يد متمكنة فى بعضها . واما المتفوقون فهم الفطاحل العلماء الاجلة وهم فى هؤلاء نحو الثلث ، وسترى ان شاء الله وتتم مرادنا فى ترجمة كل مقدار خطواته فى الميدان ، فانتظر فانا معك منتظرون ومن أفلتوا من هذه القائمة ثم عرفناهم بعد اليوم ، فسنبضيفهم الى اخوانهم يوم نصل الباب الذى يترجم فيه لكل واحد واحد والله الموفق

الآن ايها القارئ ادركت بلاشك مقدار استاذية صاحب الترجمة فقد برهن لك ماتراه امامك من المتخرجين تحت يده عن تلك المكانة السامية التى تنزلها استاذيته ، وتجول فيها تربيته ؛ على أنك لا تدرك ذلك غاية الادراك حتى تضع ان شاء الله بين عينيك حياة كل واحد من هؤلاء ، فتكون اذن على حق اليقين فيما كنت فيه ، اليوم على علم اليقين (واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحي الموتى ، قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى)

أيام الاستاذ الاخيرة

كان للاستاذ تلك الخطوة العظيمة فى علمه وفى رئاسته وفى قضائه فى كل ماتمسه يده ، فكان فى مقام يغبط فيه ، وفى منزلة تتطاد دونها الهامات وقد انتشر له من التلاميذ من نشروا من حاسنه ومن مفاخره ماترك ذكره كالكباء

الفائح في كل أرجاء سوس ، ينشقه القريب والبعيد ، ويقر بمقامه العظيم مكاسره ومكاشره خلقا وفضلا وعلما وأدبا ؛ واشادة للحق وهذا للباطل ؛ وحكما مسمطا في النوازل وغيره تنافح عن جزولة مع المكافحين منافحة الآساد دون اخياسها ، وهو رحمه الله يتزايد في هذه الخصال التي كللها بمائدة ممدودة وسماط ما يغلق دونه الباب ولا يسأل دونه عن السواد المقبل ، فقد سمعت اخي احمد رحمه الله ، وكان ممن يعجب بصاحب الترجمة ، فكان هو على الحقيقة من ارانى عنه ما كنت اجهله في تلك الشهور التي قضيتها معه اثر نفى من الحمراء قبل أن يلتحق بربه فذكرني بعض ما كادت تنسينيه هذه السنوات العشر التي قضيتها منذ غادرت الخ للاخذ منذ عام ١٣٣٦ هـ فكان يقول عنه رحمه الله معا ان الاستاذ هو الآخر من يتقبل في الخ اى ضيف جاء ولا يكاد يجيف بابه دون اى احدهاء ثم انطوت هذه الخلعة بعده حتى لم يبق لنا شيء في الخ كرم لاحقيقة ولا مجازا ، وهذه الشهادة من الاخ تتضمن زيادة على الاشادة بالحق لاهله انصافا اعتاده انا من الاخ ، فقد عرف كل الناس ان غالب الاقارب الذين لا يعدون في المعتاد ان يكونوا بينهم كالعقارب ، قلما يشهد بعضهم لبعض شهادة مثل هذه ، ولكن نحائز الالفيين التي حافظ فيها الابناء على ماعوده الآباء لاتزال مسترسلة - كما ترى - بعدما مضى زمن كادت فيه الخ تاتي عليها فعلة سماوية ادت باحد اولاد المترجم فجلبت وراءها جولة غير محمودة ، ثم وقى الله الخ شرها فالتأمت القلوب وانطفأت الحزازات ، وتركت تلك القطيعة وكل ماجرته ملاحس البقر اولاده ؛ فبعد أن رزى الاستاذ بفضة كبده ؛ وبعد أن جودبت الجبال فترة من الزمان مع اناس من بينهم الاخ احمد ومن اليه ، غلبت طباع التسامح حتى رايته يشيد بالاستاذ ، وحتى رمى الاستاذ نفسه كل عقايل تلك الجريرة دبرأذنه ، فعاد الالفيون ثانيا وقد نزع من قلوبهم الغل ، فيجلسون على سرر متقابلين فهذا هو الاستاذ الكريم الذي لا تخلو داره من علماء يزيديين أو افرائيين أو صحرأويين أو سمالايين أو اخصاصيين أو بعقلين او تمليين أو صوابيين او تامانارتين ، ولا يكاد يودع وفدا منهم حتى يتلقى وفدا آخر ومن اريحيته ان يتلقى النازلين بقصيدة ، ثم يودعهم باخرى ، كما يربى على ذلك تلاميذه ليتمرنوا على الانشاء ، وعلى الاخذ والرد في ميادين الادباء وخصوصا ان جاء الوفد الافرائي الذي يتركب غالبا من الاستاذ شيخنا الطاهر بن محمد ، ومن الاستاذ العربي قبل أن يتوفى عام ١٣٢٩ ومن الاستاذ البشير بن المديني الناصري وصنوه الاديب الطاهر بن المديني ، قبل ان يتوفى عام ١٣٢٦ هـ ومن الاستاذ الافرائي احمد بن صالح زيادة على من يقعدون عنده غالبا كالفقيه المكي اليزيدي والفقيه الحاج احمد بن محمد اليزيدي واخيه عبد الرحمن والفقيه أو الشلح الايسى والنوازل الحاج احمد من آل بريك الوقفاوى ، وربما كان معهم الاستاذ شيخنا محمد بن الطاهر النابغة الجديد في الادب اذذاك ، والعلامة أبو زيد البوزاكاني شيخنا الكبير ، والاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدي ، والاديب محمد بابه

الصحراوي ، فيتسابقون جميعا فى القصائد ثم تاتى حلبة اخرى من الالفين كالاستاذ عبد الله بن محمد والاديين ابني الاستاذ المترجم : محمد وصنوه النابغة المدني ، والاستاذين عبد الله بن مسعود التيبوتى وعبد الله بن ابراهيم الالفى وأدباء المدرسة الالفية ، فتتلاطم امواج القريض فى دار الاستاذ وفى دار الالفانيين ، وفى دار الوالد حين كان لايزال حيا الى مختتم عام ١٣٢٨ هـ فترى الاستاذ صاحب الترجمة بين ذلك المحفل هو الذى يسبق ويتقدم الى الصدارة ، بعد أن توفى الوالد لان الوالد كاد يتصدر وحده ، لسنه ولكانته ولكون الجميع اخذوا عنه ، ومن بعد وفاته كان الاستاذ منفردا بتلك الصدارة بجدارة واستحقاق ، ويتصدر على الكل لان هؤلاء كلهم من تلاميذه وفى كتابنا (جوف القرا) ترى غالب هذه القصائد التى تستغرق عشرات فعشرات من الصفحات مما لم يمكن لنا كتبه فى هذا الكتاب هذه كلها خلال الاستاذ التى صاحبته الى آخر حياته ، التى ابتلى فيها بتلك الرئاسة التى صار يتملح منها اخيرا ، وقد عاين بعين البصيرة تلاحب الناس بالدين ، وخلق نفوسهم من الغيرة عليه ، وفساد انبيات واختلال الاحوال وتكاثر الاهوال والمرء لا يخرج من شديد منها الا الى ما هو اشد ، فزرم عزما أكيدا ان ينزوى فى داره وأن يطلق هذه المجامع وكأنه شاهد الصخرة قد تدرجت من قنة راس الجبل فى منحدرها وقد شاهد كيف ذلك المنحدر فيقن ان الصخرة لايردها راد حتى تصل الى قعر الوادى ، هذا ماكان خطر له يوما رحمه الله ، ولكن الاعاصير لم تذره فى انزوائه فهبت عليه مرة اخرى عاصفة من عواصف تلك الايام المقلقة بين اعاصير الكفاح ، كان ابتدأت من بنى عمران فجرت كل مامامها فكان الاستاذ مما جرفته مرغما فلاقى الحملة ملاقت فى قبيلة أيت عبلا وقد وقفها الزكريون ، وهم الذين كانوا سبب هذا الزحف لامور كثيرة ذكرناها فى غير هذا المحل ثم لم تلبث هذه العاصفة ان تضاءلت تضاءلا مخجلا كساكل من كان فيها حياء فيما بينه وبين نفسه ، فضلا عن وسط الرامقين وقد ظهرت السرائر وافتضح المراءون وظهر ان لاغيرة ولايمان ، ولاقصد حسنا وان كل ذلك انما هو من أجل دراهم معدودة يتوصل بها بعض المغرضين كالفائد المدني وامثاله ، ثم لم يزلوا الزكريين قلامة ظفر ، ولا وطأوهم كما زعموا فقال الاستاذ : واأسفا على نقض عزيمتى وعلى ان راجعت هذا الهرج من جديد فرجع من ذلك الزحف الذى كان بعد عام ١٣٤٣ هـ ثم لم تلبث طلائع مسغبة - ١٣٤٥ هـ ١٣٤٦ هـ ان طلعت على اهل هذه الجهة ، فعركت الناس عركا ولاقوا منها عرق القرية ، وقد نال الاستاذ منها بعض جهد لكثرة عياله ، ولكثرة اضيافه ولعظم نفقات مجده - ومعلوم مالمجد من نفقات باهظة - وقد خلت الاهراء ونفدت الذخائر ، واعوز المعينون ، وقد اصيب الاستاذ عام ١٣٣٧ هـ بخروج املاك ايشت من يده وهى التى كانت تمدّه بثمر كثير ، وغلل اخرى غير قليلة ، فاضطر فى هذه المسغبة ان يشتري من العجوب مثل الناس مايزيده الى مدخر عنده لايزال

موجودا ، ولكنه قليل ، والاحتياط دائما كان من حزم أمثال الاستاذ من الالغيين

اخبرني الاخ احمد قال حثرت الناس عام ١٣٤٦ هـ فكان الاستاذ تغير المزارع الجيدة فاقصر عليها ولم يتجاوزها الى الارض الهشة فنزل مطر قليل فلم يقد الا الاراضى الهشة ، فصار الاستاذ فى مقيم مقعد ، فاجتمعت معه فى دار انسان فجالت اطراف كلامه حول هذه السنة الشهباء ، حتى ظهر لنا تأثيره فقال ماذا يلاقى الالغيون من هذه السنة العجفاء ؟ ثم قال : اتريدون ان نستهم لننظر من هو المنحوس فينا ؟ - قال ذلك تواضعا وهضمنا للنفس - ثم قال : ولكن واحياءه ، ربما يقع السهم على جانبى وما يدرينى ؟ افلا اخاف ان اكون مثل يونس ، حين ساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهم مليم ؟ فصارت عبراته تنتشر على لحيته البيضاء الطويلة ، وقد خنقته العبرة - وكان ذلك منه يؤثر غاية التأثير - ثم صار يقول ان الحوادث قد وعظتنا مرات فما اتعظنا وجاءتنا المثلثات تترى فما ارعوبنا وزلزلتنا النذر ونحن فى اعمالنا القبيحة سادرون ، قال الاخ فحصلت لنا منه رحمة الله موعظة اثرت فينا غاية التأثير ثم خرجنا فامالنا الى داره ، فمد سماطا يزخر سمنا وعسلا وملتوت لوز ولحم مزعفرا ، ثم مافارقنا حتى اضحكنا بكرمه بعدما ابكنا بمواعظه قلل الاخ: كذلك كان الاستاذ اذا اطلق وعظه كثيرا ما بهضم نفسه ، ويتعظ بكلامه قبل ان يتعظ به الناس ، حتى انه فى مثل ذلك الموقف ليصرح عن نفسه بما لا يقدر اى انسان اخر ان يصرح به عن نفسه انصافا منه وتواضعا

الاستاذ يلفظ نفسه الاخيرة

ذلك هو الاستاذ وهذه مجائسه وهذا هو كرمه الحق حتى فى المسابغ وتلك همته التى تستحوذ على جليسه ، حتى يبقى دائما لهجا به فى كل حين كذكرى مستطرفة بين المتسامرين

مر عام ١٣٤٦ هـ ودخل العام الذى بعده وقد ارتاش الناس ، وضمت المسغبة المشهورة اذذاك اذبالها ، ففي يوم عاشوراء من العام الجديد اجتمع الناس صباحا على العادة ؛ فقام فيهم الاستاذ خطيبا ، فبشر وانذر ووالى المواعظ المبكية ثم حمل على الحاضرين فى سكوتهم على العادات المستهجنة التى ترتكب ليلة ذلك العيد من مناداة الذئب والتعلب ، ومن اجتماعات تكتظ بالرجال والنساء فى الملاعب ثم قال ماذا صنع لنا الذئب والتعلب ؟ وهل هما اللذان اخرجانا عن الصراط المستقيم وهل هما اللذان ساقا محارمنا وشبابنا حتى خلطوا بينهم فى الملعب ؟ فمالنا ايها الناس لانعتبر ؟ ومالنا لانقف فيما بيننا وبين أنفسنا حتى نعرف من اين آتينا ؟ فياللمصائب ويا للرزية ، فقدصبت علينا الكوارث من كل جانب ، بسبب اجتراحاتنا الكثيرة واغرافنا فى الذنوب التى نسد فى غلوائها

غير مبائين ، فصار رحمه الله يعظ على هذا المتوال في كلام كهذا ، وعبراته تنهل على لحيته البيضاء وزفراته متوالية في وجوه الحاضرين ، حتى غلب على نفسه ولم يمكن له بعد أن يجلس بين الناس تأثرا وتدقق عبارات ، فانصرف من غير أن يدعوا للناس على العادة فترك كل من حضريين ذى قلب ذائب وذى نفس متطايبة فبقى له ذلك الموقف يذكر كلما عن ذكر الاستاذ ومواقفه في الوعظ، فيفعم عليه المحدثون سجلا من الثناء :

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

طرقه مرضه في ربيع الاول ، فكان ربما يخف عنه وربما يجهد وقد كان ولده الاستاذ سيدى المدنى اذذاك في المدرسة يتولى الدراسة فيها ، قال الاستاذ سيدى الطاهر فقال لى ابنى يوم السبت اليوم الاخير من ربيع الاول: ألا تزالون فى موالاة الدروس ؟ أتركوا ما أنتم فيه ، وافرغوا لى حتى تودعوني - هكذا اللفظ- يقول ذلك بكل تثبت ورباطة جأش وهمته هى فى كل شئ حتى انه وجد بعض قوة يوم الاربعاء الرابع من ربيع الثانى ، فزار ضيعته بتالات نيت عيس ثم جمع اليه اولاده كلهم قال الاستاذ الطاهر: فصار يوصينا ويقول: ان المدنى للمدرسة وان محمدا والحبيب لادارة شئون الاسرة ، والآخرى يواظبون على دراستهم ، قال ثم حثنا على ملاينة الناس والتخلق لهم بالخلق الحسن ، وقال لا تطمعوا ان تكونوا والناس كما كنت أنا وياهم فانا فى عصر وفى ناس وأنتم فى عصر آخر وفى ناس آخرين ، قال ثم حثنا على المتابعة وأن لا نزيل الستر عن دارنا ، فقال ان قدر الله ان تقسموا مابأيديكم فلا يطلعن أحد على ما عندكم ، ولا تتجاوزوا سيدى الطاهر الاقرانى وحده ، ثم تقاطرت الوفود من كل جهة حين سمعوا بمرض الاستاذ ، فحضر الاستاذ سيدى الطاهر الاقرانى والرئيس أحمد بن ابراهيم الايفشانى وسيدى سعيد الاعضياوى والعلماء والرؤساء القريبون من البلد ، ثم فى عشية الخميس ازداد مرضه وفى يوم الجمعة دخل عليه الزائرون والطلبة فاستداروا به وقد اشتد عليه ما يجده ففتح سيدى الطاهر صورة يس ، فما ختموها حتى ختمت حياة الاستاذ ، فسكت غالب من حضر عن اتمام السورة وقد خنقهم البكاء ، ولكن المتجلدين صابروا حتى أنتموها

هكذا انقضت حياة هذا العالم الجليل ، وهكذا طويت صفحة هذا الاستاذ العلامة الاديب المفتى القاضى المدرس الرئيس الكريم طيا لا انتشار له فى هذا العالم وذلك فى بهرة حلقة هؤلاء العلماء والطلبة الذين امضى معهم كل عمره ، ثم هبى لسفرتها الاخيرة ، فصلى عليه شيخنا الاقرانى فى نحو سبعمائة من جيران الخ فدفن الى جانب ابيه واخيه الاستاذ سيدى محمد فى وسط القبة التى تدعى اركانها كان تداعيا من هبة هؤلاء الاساتذة العظام ، الذين لا تتسع لحضراتهم اركانها

عظمت المصيبة بموت الاستاذ ، ورزى أهله وتلاميذه منه برزء وقع عليهم
 بفجيئته الهائلة قال ابنه سيدى محمد بن على فمرت شهور ولم تظهر مريثة
 له كأن الغ الادبية غير الغ بل كأن الارض بدلت غير الارض او كان الوفاء الذى
 تدل عليه المراثى عاد بلقعايبا ينشق فيه البوم ، فنبهت الاستاذ الاديب الطاهر
 الافرانى بلبل الشعر انصداح ، وصدى الادب الذى لا يكاد يفرغ من قصيدة
 الغية ، حتى تفتتح أخرى ، فقلت له ماهذا السكوت ؟ وهل يمضى الاستاذ الوالد
 بالمرثية ؟ قال فاجابنى بأن مايقال له فى هذا الموضوع يقال لكل اديب الغى
 ثم كان ذلك سببا على أنلقى الاستاذ الافرانى هذه القصيدة الرائية الآتية كما
 قال ايضا فى الموضوع الاديب الكثيرى ، ثم بعد ذلك قفاهما قاضى اقا سيدى محمد
 الهاشمى الفاسى بقطعتين هذا كل ماكان حفظ هذا الاستاذ من المراثى ، معانه
 كان يليق ان تتبعه عشرات من قصائد طنانة الغية ، ولكن تابى حرفة الادب الا
 أن تدرك صاحبها فى الحياة ان لم تجد منعة من همة فولاذية كهمة الاستاذ ، أو
 بعد الوفاة وقد انطوت تلك الهمة الحفازة وقل الوافون وكشرت الاعتبارات
 الواهية الباردة ، قال الاستاذ الافرانى

أمن حادث بكر جرى منه ما جرى حرى دمعك القانى فقرح محجرا
 فبت بلبل نابغى مسامرا كواكب عاققتها الدجا ان تسيرا
 وضافك هم طارق نحر الاسى له كبدا حرى وقلبا تظفرا
 وجاشت نكايات الزمان فلم تجد نصبرى عزما ايدا فتكسرا
 وخانك ماعودت من جلد سوى مدامع تهمل او زفيرا تسعرا
 ولا مسعد الا فؤاد موله تحير لايدرى اماما ولا ورا
 نعم نار ليث الدهر يفترس الالى هم زينة الدنيا وهم صفوة الأورى
 هم الغيث فى محل هم الاسد فى الوغى

هم الفوث فى أزل هم الشهب فى السرى
 فذكرنى بيتا لحسان هاج من جوى وعديا القلب ان يتذكرا (١)
 «رايت خييار المومنين تساوردوا شعوب وقد خلفت فيمن تاخرا»
 ألم تر ما غال العقول وارمض النـ سفوس ، واقدى كل عين واسهرا
 مصاب ينسى كل صاب مرارة ورزء اهان المرزيات وحقرا
 وفاة امام الدين والعلم الذى به يهتدى باغى الهدى حيثما سرى
 ابي الحسن القرم الرضا خير من اضا بانواره افق العلوم ونورا
 خضم بامواج المعارف يرتقى وروض بأزهار المعارف نورا

(١) عدياه : قصاراه وهو بالتصغير

بصير اذا ما اورد الامر اصدرنا (١)
 كما شمت برقاً في الغمامة امطرا
 على كل عاف رائحا او مبكرا
 كما يمم الحجاج جمعا ومشعرا
 عن المزريين الجهل والفقر من عرا
 رأى سره البادى السنا فتبصرا
 فاصدره عن علمه متبحرا
 بمن سواء من تربى ومن قسرا
 بغير حجاب منجدا ام مغورا
 انالك درا دون من وجوها
 هو البحر معروفاهو الليث مجترى
 هو العلم الاسمى لمن ضل في عرا
 لدى الحرب ابصرت الهزبرالغضنفا
 ومن مثل والليل والظيف في الكرى
 فجأ فرأى من لم يخله فكبرا (٢)
 وعطر ريا علمه المدن والقرى
 فقد ظن اخذت الشمس خاب من افترى
 اذا كنت ذاعينين فانظر لكي ترى
 تجاريه ام في العلم؟ فارعو واقصرا
 على غيره كالصيد ضمنه الفرا
 وكم جائر اودى وكم مفتر فرى
 وقد صار فيه اليوم اذكن أغبرا
 دماء الى ان تحسب الجون اشقرا
 وظن الجبان اليوم يوما مقدرا
 وافحم بالذعر اللسان فبربرا
 ودارت عيون خيفة وتحيرا

همام له في المجد همة سيد
 كريم له عند المكارم هشة
 يفيض بانواع المعارف والندى
 على بابه في كل يوم تزاحم
 ومن علمه او كفه يقبس الغنى
 فكم من عم في مهمه الغنى حائر
 وكم طالب يبغى المعارف امه
 هو الشيخ كل العصر معترف له
 هو الشمس أنى كنت شمت ضياءه
 هو البحر من اى النواحي اتيته
 هو البدر اشراقا هو الدهر همة
 هو الملجأ الاحمى هو الناقع الظما
 هو الصارم المسلول ان صال اوسطا
 غدا ذكره اسرى من الشهب والصبأ
 فكم طرقت اخباره سمع راغب
 لقد افعم الارحاء اضواء بره
 فمن ظن ان العصر ضم نظيره
 فقل لحسود ظل ينكر فضله
 وللمدعى هيهات ويك افي الندى
 تجمع فيه كل فضل مفرق
 فكم مجتد اجدى وكم حائر هدى
 وكم موقف ضنك لدى حومة الوغى
 وحمحت الجرد الجياد وخرجت
 وجالدت الابطال واشتجر القنا
 وصمت بصوت المرعدات سامع
 وسيئت ظنون واصطككن فرائص

(١) قال النابغة الجعدي

ولاخير في جهل اذا لم يكن له
 ولاخير في حلم اذا لم تكن له
 حليم اذا ما اورد الناس اصدرنا
 بواذر تحمى صفوه ان يكدرنا

(٢) هذا ينظر الى قول المتنبي

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشمس وليس فيها المشرق

وقارعت البيض الذكور وعقدت
فلا تبصر العينان الامرجا
جلا فيه كرب الدين لله دده
له وثبات ، او ثبات كأنما
يرى الكفر ان العز بالله لا بما
وان جموع الكافرين وان طغت
فبيض وجه الدين بالجد ناصرا
وقاتل اعداء الهدى بشهامة
وجاهدهم في الله حق جهاده
الى ان دباه الله بالفوز والرضا
فخلف صيتا طائرا ومفاخرا

على الجوارف السنايك عشرا (١)
جريحا والا مستميتا معفرا
بصادق باس لايجل التأخرا
يعاطى لدى الهيجا مداما معصفرا
يلقبه الجهال جندا وعسكرا
سترجع عند العزم جمعا مكسرا
عصابة حزب الله نصرا مؤزرا (٢)
اذقت مرارات الردى من تنصرا
فاوجب رضوان واجرا موفرا (٣)
قلباه مسرورا بما كان احضرا
مدى الدهر تستدعى الثناء المعطرا

(١) البيض بفتح الباء جمع بيضة وهى المغفر ، والذكور السيوف قال المهلهل
فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرر بالذكور
والشطر الثانى ينظ الى قول المتنبي
عقدت سنايكها عليه عشرا فلو ابتغت عنقا عليه لامكنا
(٢) ينظر هذا الفصل من هذه القصيدة الى ما جاء فى قصيدة لابراهيم النسكتانى
السوسى فى الامير محمد العالم ابن الملك مولاى اسماعيل

واعظم مقدام اذا اشتجر القنا
به يتقى فى مععان الوطيس ان
وقد قامت الهيجا حق قيامها
وقد صابر الشجعان حتى لوى بهم
وقد فلت الاسياف واندقت القنا
وجف من اوساط الحلوق لعابها
وقد قام ميزان الهزيمة فائنسى
هنالك مولانا يضىء جبينه
يقاوم فردا ثابت الجأش مقدا
يشايعه العزم الوطيد وقائم
الى ان يرد الجيش ادبارهم وقد
والجميع مستقى من قول المتنبي:

وقفت وما فى الموت شك لواقف
تمر بك الابطال كلمى هزيمة
(٣) حكى لى القائد اناجم ان ميتا من المسلمين سقط فى نحر العدو فى واقعة
ولم يقدر احد أن يتقدم لياتى بشلوه الا انفق عليه سيدى على بن عبد الله فقد
غامر بلا مبالاة حتى أتى به ورجع والرصاص يتطاير حوالية

الا انما تلك المكارم لا الالى
 واعقبنا حزنا يزيد وعبرة
 ولكننا تلقى المقادير بالرضا
 مضى شيخنا انحامى الذمار مطهرا
 سأكبيه ما ناح الحمام هديله
 وتندبه عين البيراع معى وان
 وتبكيه عين المزن فى الروض اذ حكت
 واني اعزى الجد فيه فانه
 واندبه للعلم والدين والندى
 واندبه للمشكلات يحلها
 واندبه للدرس فى الدست اذ غدا
 وللوعظ تهيم العين من رقة به
 واندبه للطالب العلم يجتنى
 وللمعتدين الظالمين يكفهم
 وللدين والدنيا وللفضل والاعلا
 وللسادة الابناء ابناؤه ومن
 وللجلة الاخوان والجرة الالى
 قصبرا جميلا يابنيه وكلنا
 فلارزء الا دون رزئكم فلا
 ولاتهنوا للحادث النكر انه
 ففى الله للعبد المنيب كفاية
 لما جزعى؟ والموت حتم وانما
 اما زار طيف الموت كل منبأ
 فلا ملك تحميه عدته ولا
 فاين ذوو التيجان من كل أمة
 واين الكرام السهم من برمك؟ اما
 دعا الكل داع لايرد لمصرع
 فلم تخلق الدنيا ليعمرها الفتى
 فتبا لها لم تصف الا تكدرت
 وطوبى لمن لم ينخدع بغرورها
 وجد حبال السوف اذ جد جده
 وبادر قبل القوت اعداد طاعة

يعدونها شيزى وقعبا مقورا (١)
 تفيض ووجدا لايزال مسعرا
 وتسليم امر كان حتما مسطرا
 مبرا ما يخفى وما كان اظهرا
 وان كان يبكيه بكاء مزورا
 جرى دمعا احوى ودمعى احمر
 شمائله الازهار طيبا ومخبرا
 ابوه الذى يحميه ان يتهورا
 وخابط ليل جانعا متحيرا
 ببرهان صدق بادها او مفكرا
 يقلده من فيه عقدا مجوهر
 اذا قام فيه مغريا ومجذرا
 من اءادبه او ماله متخييرا
 عن الظلم كفا يردع المتكبيرا
 وللشرف والترحيب بالضيف ان طرا
 أضيف له معنى فحاز التصديرا
 حووا منه بالقربى وبالقرى مفخرا
 بنوه فعجز الحر ان يتفجرا
 يكن حظكم فى الصبر ادنى واقصرا
 اذا جل رزء كان بالصبر أجدا
 تقيه اذا ابدى الزمان التكبيرا
 مدى كل حى ان يموت فيقبرا
 كريم وزار المصطفى المتخييرا؟
 عليم ينجيه من الموت مادري
 الم يستبح كسرى الملوك وقيصرا؟
 تصدى ليحيا حين عفر جعفرا؟
 يلازمه حتى يوافى محشرا
 وان عاش احقبا ولكن ليعبرا
 ولم يحل فيها العيش الا تمررا
 اذا هو بالزهد ارتدى وتأزرا
 لزداد معاد فاتقى وتبررا
 تسر اذا لاقى نكيرا ومنكرا

(١) القعب بالفتح اناء اللبن والشيزى عود تصنع منه القصاص
 قال الشاعر تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
 وقيل فى اصحاب قليب بدر وكم ذافى القليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام

قيارب ثبتنا وتب واهد واعف عن
وجد بالرضا واغفر كما انت اهله
وان الرجا في جنب عفوك شافع
ومنه لك اللهم للشيخ رحمة
وان تتلقاه برضوانك الذي
بجاه رسول الله من جنبه حمى
عليه صلاة الله قدر كماله
 واصحابه والتابعين ومن تلا
مساوى جلت ان تكت تكثرا (١)
فانك اهل ان تجود وتغفرا
كريم ، وحسن الظن من اوثق العرا
تقدسه روحا وذانا ومحضرا
يسبح له مشوى كريما ومنظرا
حصين يجير الملتجى وان اجترى
على عد ذرات الوجود واكثر
ومن نصر الدين الحنيف وعزرا

انتهت مرثية الشاعر الافرائي ، وقد تتبع فيها شمائل الاستاذ باطناب
ثم ضم الى ذلك ما يآلف الشعراء ان يزجوه بين اوصاف تجمد دائما من الحماسة
التي تخاض بها المعامع ، وان لم يكن غالب علماء الخ الامثال علماء كل هذا
العصر الذين لا يطبقون ان يسمعوا وصف معمعة كما هي ، فضلا عن ان يخوضوها
لانهم لم يتربوا تربية الجند ، ورحم الله استاذنا سيدى سعيدا التتاني الذي
يقول : اننى وامثالى يحرم فى حقنا ان نقرب المعامع ، لاننا لانجر على الناس الا
الهزيمة لاننا سرعان مانكتشف فى المعامع ، ولبعض اساتذتنا وقد انهزم فى
معمعة حكاية نطويها الآن ، على ان للمترجم مواقف جلي بين الرصاص تذكر
عنه ، كموقعة يوم وجان حين وليج القرية المحاصرة ليلا مع سيدى الطاهر ،
وكامثالها من المواقف التي اشتهرت عنه فى آيت واد ريم وغيرها

وقال الاديب محمد بن محمد الكثرى

الدهر بعد تعرف يتنكر
ما فتر عن اسنانه الا بدا
فاذا تدلل لامرئ يوما غدا
واذا آتى عفوا واصفى موردا
كم خانه من بعد ما قد صانه
ورزية تمرى ضروع مدامع
عمت وخصت كل ذى ادب فما
يا عاذلى ومؤنبى فى عبرتى
هل بعد فقدك يافقيه العصر من
طم المصاب وعم ابنا الورى
من للمخابر والمنابر والعللا
من للمجالس والمجالس يبتغى
كم من غوامض قد جلاها فكره
فسلامة من باسه تتعذر
متجهما عن نابه يتكشر
من بعد اى تدلل ينتمر
عما قليل صفوه يتكدر
واذاله من بعد ما يتصدر
كل الرزايا عندها لا تذكر
تلقاه الا حائرا يتفجر
ان الرزايا فى الاكابر تكبر
عيش يرجى او منى تذكر ؟
فتجبروا من وقعه وتحسروا
والضيف فى ذيل الطوى يتعثر
كشف الخفايا لبسها لايقبر
لولا ثقب شعوره لاشعر

(١) لا يكت : لا يعد

نشر العلوم افادة واجادة
من للحمى يحميه من لعوارف
من للعزائم والعزائم ازمئت
ناداك داعي الله ياروح العلا
وكذاك دأبك في امتثال اوامر
فاذا ترحمنا عليك فرحمة الله
واشادة عن همة لا تفتر
ومعارف وصراخ من يستنصر ؟
من للهدى من للوغى اذ تسعر ؟
فاجبت لا مستنكفا تستكبر
فلقيت رحمة ربنا تستبشر
سمول تعالى جده تستغفر

وأما مريثنا الاستاذ الاقاوى فأولاهما

موت العليم مصيبة لن تجبرا
اعلى احزنت القلوب واعينا
الناس ما حييت سيادتكم على
لو كان عهدا ان شخصا يفتدى
قمر الزمان قبرتم ، ماكنت قد
غبتهم فاشمخصنا العيون الى السما
ونانيتها
لاسيما من فاق في العصر الورى
ابكيتها ومنعتها ذوق الكرى
خير ولما ان قبرت تقهقرا
اشياخه من موتهم لن تقبرا
سط حسبت ان البدر يقبر فى الثرى
أشخاص من سلب القوى متجيرا

لنبك فما فى الارض من كان اغيرا
لنبك على موت الذى الدين زعزعت
لنبك على فقد المحلى بكل ما
ابى الحسن الالفى شيخ زمانه
همام يفيد المرء فى جلسة من الـ
عليم كريم لا يمل جليسه
ترى حاتما منه على خلق احنف
فماذا عسى ابدية من وصفه وان
أبا حسن ابكيت اعيننا كما
أجود بدمعى قائلا ومؤرخا
على العلم والاسلام مثلك فى الورى
بفقدانه اركانه فتقطرا
يزين الفتى حلما وعلمنا منورا
ومن فاق كل من غدا متبحرا
معارف ما لا يستفيدة اعصرا
اذا جئته يغنيك بالعلم والقرى
وعلم الغزالي فى لسان القبعثرى
غدا لى وجه الارض اجمع اسطرا
أذبت بنا كل القلوب تحسرا
(مواتك يا خير الزمان معفرا)

هاتان هما مريثنا الاستاذ الاقاوى نبتهما كما وجدنا هما على اختلاف
نسخهما فقد حاول حفظه الله ان يرثى الاستاذ بما هو أهله ، ولكنه رأى الرقعة
فسيححة ووصاف الاستاذ المحموده كثيرة فالقى هاتين القطعتين ثم اكتفى بهما
وهو على كل حال افضل من ادبائنا الكثيرين الذين طوقوا بعدم رثاء استاذ الادب
بما طوقوا به آخر الدهر ، حين أعرضوا عن الواجب ، ولم يتلفظوا ولو بقطعة
اوقطعتين كالاستاذ الاقاوى جزاه الله خيرا ، وقد سمعت ان سيدى عبد الله
السمالى كان أيضا من الراثين ، ولكن لم اعثر على مريثه
ثم اننى وقفت على رسالة لشيخنا الاستاذ الافرانى ارسلها بعد سنة من وفاة
الاستاذ يدل بها اولاد المرحوم على الصراط السوى ، فاحببت ان الحقها بالرائى

وهي

«سادتنا الاجلة ، بدور المعارف ونجوم الملة؛ اولاد شيخنا المقدس بكرم الله سيدى ومولاي ابنى الحسن الالغى ، الاخ الفقيه المدرس النفاة الساعى بحكم السعادة ان شاء الله فيما يزيد ارتفاعه ، سيدى المدنى ، والاخ اللطيف الشمانى ؛ والكريم الذى هو لاكتساب المجد مائل ، الاديب الاربى ، سيدى محمد والنقيب الحبيب ؛ سيدى الحبيب ؛ والفقيه المشرح للمكارم ، المهذب الطبع تهذيب الصارم ، سيدى الطاهر ، وبقية السادة المرجو رشدهم ؛ المرموق سعدهم؛ سيدى الحسن وسيدى عبد الله ، حفظ الله جمعهم السالم من التكسير واعلى مجدهم الذى يرجع عنه بصر الحاسد خاسئا وهو حسير ، وسلام عليهم وعلى من بالحضرة من السادة الاعمام والاقارب والجيرة ، ورحمة الله هذا وعليكم بتقوى الله والعمل بما يرضيه تعالى ويقر عين السلف الصالح رحمهم الله ، فجدوا فى العمل على السنن المعهودة ، والزموا قدر الطاقة عادة الاكارم من الآباء والجدود وجاروا الزمان على حسب مقتضى الحال من غير افراط ولا تفريط ، واصبروا وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ، وكونوا خير اخوة من غير انفة البعض من البعض او نخوة فيد الله مع الجماعة ، ولاتنازعوا فتفشلوا الاية واعذرونى والسلام ١٤ بذى الحجة ١٣٤٨ هـ»

هذا وقد حدثنى الاستاذ سيدى الطاهر على ان الشيخ الافرانى المذكور كان كتب اليهم اثروفاة والدهم رسالة ضمنها الرسالة الصغرى التى كتب بها القاضى الفاضل الى اولاد صلاح الدين يوم مات والدهم ، وهى معروفة فى التاريخ

قوله الاستاذ الرفاكي فى صاحب الترجمة

الشيخ الهمام ، الحافظ الامام ؛ ذوالمنائر العالية ، والمفاخر الصمدانية . الكاتب المجيد البار ، الواقف فى فن البلاغة بكل المشارع . وودنعت اليه اللطائف من عذيب المعانى والاجارع ، البليغ المصيب ، والفاتر من الاجادة باى نصيب . ابو الحسن سيدى على بن الحاج عبد الله ، بتحت الحصن ، من ذرية سيدى عبد الله بن سعيد الساموكنى - كما فى الحضيكى - التجانى الطريقة المحمدى الحقيقة قرأ فى بلده عن اخيه العلامة سيدى محمد صاحب القبة ثمة ، وهو الذى بنى المدرسة ودرس فيها ، واحيا فيها السنة ، وتلاميذهما رحمهما الله كثيرون ششنتهم كتب الادب واللغة فيها يتسامرون ، وعليها يتكلمون ، وهو فى نفسه قوى العارضة . لايطمع الفتح ان يعارضه ، ألقت اليه الرئاسة يدالطوع ، وأمنت بأقلامه من الروع ، له شعر يشهد له بالدراية ؛ وان له فى ميدان الراية ؛ وقد

أثبت له ماتبصره شعرا : وتجده عند الاختبار صخرا. وعند الانتشاق شحرا. (١)
فمن ذك قوله يخاطبني

عليك اماما اعجز اللسن في اللسن واروى بغاة العلم عذبا بلا اسن
ومن قل شكري عن عوائد برة ومن قاذود الفضل نحوى بالرسن
ومن لم يزل دهرى يبين فضله ويتلى على آرائه حسن بسن
سلام كورود فاح اذ رشه الندى واحلى بعيد الجهد والكده من وسن
وذلك جواب لقولى فيه

سلام يخوت (٢) ملخصي (٣) الى القنن

الى قدم الشيخ الهمام ابى الحسن
سلام خديم لايريم مع النوى على العهد والحنين شوقاالى الطعن
فتى خصه المولى بعلم وحكمة ويمن حيا بشر ثوى ذلك الوطن
ابى المجد الا أن تكون سريه نقيبا وان يتلى عليك حسن بسن
الى غير ذاك من معال تجمعت لديك وعدّها لدى من المحن
الى سيدى خود تفوح ليومها عبر مديح اشهى للصبى من وسن (٤)
وذلك فى جمادى الاولى عام ١٣٤٤ هـ

وكتبت اليه أيضا من جملة رسالة:

على السميزع من زرت مآثره بروتق البدر بل بروتق الشجر
ابى على مرعف اليراع اذا ما ارتج القوم فهو السن البشر
عليه من خادم ازكى السلام على عد الرمال وعد الرمل والدرر
فاجاب رحمه الله فقال

مولاي من قد زرت بطلعة القمر طلعة ماخطه نحوى من السمر
وزان عقد كمالات له نظمت لبة مجد فاضحي خير مفتخر
ويا اماما غدا من اقدر البشر على نظام حوى لطافة السحر
بعثتلى من بنات الفكر مالهم أكن (٥) أهلا لهن وما العيان كالخبر
جزيت عن حسن عهد قدجبلت على احياء ميته يا اكمل البشر
عليك منى سلام الله ما طلعت شمس وما زين عين العين بالخور

- (١) المراد بالشجر شجر عمان وهو ساحل البحر بين عمان وعدن وقيل جرت عادة الادباء أن ينسبوا ما استحسوه من الروائع الى عنبر هذا المكان وهو المعروف عندهم بالعنبر الشجرى، وذلك هو مراد مؤرخنا هذا
(٢) خات العقاب يخوت خواتا كان جناحه دوى
(٣) ملخصي من الحضيض على لغة بلحارث بن كعب
(٤) «اشهى» هكذا بخطه نفسه مع انها غير موزونة
(٥) كذا من خط المؤرخ: وكثيرا ما يقع مثل هذا فى البسيط حتى اشيخنا الافرانى

توفى رحمه الله في ٦ ربيع الثاني عام ١٣٤٧ هـ
 هذا ما ترجم به الاستاذ الرفاكي صاحب الترجمة ، وقد اتت اقواله كلها
 على اختصارها اجمالا لما بيناه نحن واسهبنا فيه بعض اسهاب والحمد لله ، ولم
 يزدعل ما قلنا الا انه تيجاني المشرب ، وقد كان صنوه الاستاذ سيدي محمد بن
 عبد الله تلقنها من شيخها بسوس سيدي الحاج الحسين الافراني ، ثم صار
 يلقيها للناس فتلقنها واثمه الحاج عبد الله ثم سائر اهله ، ثم جميع تلاميذهم
 فانتشر الفرع التيجاني الالفي على يد هؤلاء الاساتذة انتشارا ، ولا يزال ينتشر
 ولكن هذا الفرع اقرب فروع التيجانية الى الاعتدال وما نعرف عن اصحابه
 انتعصب الذي يشاهد في الفروع الاخرى وكفى في ذلك ان هذا الفرع جاور
 الطريقة الدرقاوية التي حمل الوالد رأيتها ، كما أن الاستاذ صاحب الترجمة
 صاهر رئيس الطريقة الناصرية سيدي المدني الافراني ، واستطاع الكل أن
 يتمشى جنباً لجنب مع مصافاة وأخوة تامة وحسن ظن . والمترجم تلقن التيجانية
 من مراكش

قوله المؤرخ علي بن الحبيب فيما

ومنهم اللوذعي الكامل العارف بالله الواصل ، الفقيه البركة العلامة
 ذو القلب السليم والفضل العميم ، صاحب القلم السيل ابو الحسن سيدي
 علي بن عبد الله الالفي ، احد الخاصة من احباب والدنا المقدس بكرم الله ومن
 خاصة اصحاب الشيخ التيجاني رضي الله عنه وأرضاه بالاذن المطلق ، قائما
 في ذلك أحسن قيام ، الى ما انضاف الى شعر يشهد له بالدراية وهو فيه بين
 قبيله حامل راية ، وله يخاطب بعض علماء عصره :

عليك اماما اعجز اللسن في اللسن واروى بغاة العلم عذبا بلا اسن
 الى آخرها «وقد تقدمت في ترجمة الرفاكي له»

ومما كتب به الى والدي «علم الاعلام وامام معتقلي الاقلام ، ومن له بكل
 فن - ولا اقول الاحقاف - اي امام السيد السند والصدر الاوحد ، مقيم الاود
 الشريف الحبيب ، سيدي الحبيب السكراتي ، السلام والرحمة والبركة على
 تلك الاخلاق الزكية والاحوال المسكية ، وبعد فلا باس ولله الحمد ، نسأل الله
 لنا ولكم التوفيق لما يرضى ، واللفظ الجميل فيما قضى ، وقد وصل الرسول
 ومعه من الاشعار بسلامتكم والعلم نحو جلالكم ، ماتضمن كل سؤل ، فحمدنا
 الله على ذلك وشكرناه على حق المنن هنالك ، ومعه ايضا رسالتك الغراء المهدية
 لجنابنا كل سرا

حيث فاحيت هناك ساكني القصة واسترجعت اعظما بالشوق مفتصبة

(١) كذا من خطه

فأله، يبقيك ويقيك ويرقيك ، ومن بحر عناية نبيه يسقيك ويرويك ، ويجزيك عن حسن العهد خيرا ، ويجعلنا ممن يديم لحضرته سيرا ، وهذه ابيات جادت بها القريحة القريحة، وهى بهامن بعض الشوق واعبائه مستريحة، وعلمت فى ذلك اننى والله كمن جلب التمر الى هجر ؛ اوهدى فهجر؛ لكن الحجر من يد الحبيب تفاح

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام رباح
نصها

مولاي انى وان شطت بى الدار وحكمت بالتنائى عنك اقدار
وجار بالصرف عن لقياك وهى منى قلبى صروف لها للشت اقدار
وكسرت حنقا جمع سلامتنا واثارت فلها فى العيث اثار
وغيبت ذلك الوجه الصبيح فما لصبح وصلك منذ الدهر اسفار
باق على ذلك الود الصميم وهل يدك شم الجبال الشم اعصار ؟
انى وحقك ابقى ما بقيت على عهد يجعل له فى القلب اضمار
ينمى نموك فى الخيرات شوقى ما لغيل ودى فى السلوان مضمار
لازلت بدر كمال فى سماء مجا دة تتاح له بالعز انوار
لك السعادة والاعلون سادتنا الـ سآباء دارته والكل ابرار
خصوصا الندب مولانا الامام علـ سآ من له لحضور الخير احضار
منى عليكم سلام الله ما طلعت شمس وما هاجت الاشواق اشعار

فهى من بنات افكارى احد عشر كوكبا ، وعندك الشمس والقمر ، ويسجد الكل للسن لسانك ، وسلطان احسانك ، وسلم على الاحبة عموما والسلام»

وبالجملة فصاحب الترجمة موصوف بطهارة الازرار والذيل ، وبصفاء الجيب وقلبه، لاينطوى على نكر ومكر

له شرف قد جل عن ان يناله غوائل ايدى الحادثات قدام
يلوح سنا برق الهنا ببروجه كبرق بدا بين السحاب يشام
مطافا لارباب العلا وفضائل فمنهم جثوم حوله وقيام

اخذ العلم عن أخيه الشقيق الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله ،وهو الذى بنى المدرسة ، وتسبب فيها للخير ، ونصب فيها نفسه للتدريس واحيا السنة فى تلك الجبال القبلية وطلبته كثيرة دايمهم الادب واللغة،فيهما يتمارسون وقد شهد العصر سمو تقدير صاحب الترجمة وتقديمه ، واجمعت الجماعة على تقديره وتعظيمه؛ اذا ذكر المجد فهو المرتدى بردائه ، اوالكرم فهو العامر لفنائه، أو العلم فهو الحامل للوائه ، او جميل الفعل فهو صاحب ارضه وسمائه ، وله قصائد خاطب بها ادباء الوقت لوجمعت لاستقر بها سفر (ثم ذكر وفاته وبعض

مراثيه) الى ان قال ولصاحب الترجمة يهجو ءال (فصك) دشرة من مداشر
جزولة قوله

اتيت لامر حافز (فصك) وهي بلد سدة قد خلت من كل حسن واحسان
فالفيتهم قوما برابر يدعون ان انهم في العرب من غير برهان
وليس مفيدا ان يروا عربا اذا صنائعهم ليست صنائع عربان
أما تواتر الندى فاقبروه واحبوا الـ مناكر فهي العرف من غير نكران
فلا الجود فيهم لا ولا في نسائهم حياء ، ولا فيهم غياث للهفان
ولم ار مثل حالهم في خشونة الـ معاش وفي اديانهم منذ ازمان

وقد خلف اولادا اجلة فقهاء مذكورين اتبعوا انفسهم في تحصيل العلم
عند والدهم الى ان حصلوا منه كفايتهم ، وفاقوا به رهطهم وعشيرتهم وجازوا
فخرهم ومكانتهم ، لايطمع فيهم طامع ولا يقرع لهم العصا قارع كما قال الشاعر:

اعاذلتني على اتعاب نفسي ورعي في الدجا روض السهاد
اذا شام الفتى برق المعالي فاهون فائت طيب الرقاد

أولاد الاستاذ

كان صاحب الترجمة عقب صنوه العلامة سيدي محمد بن عبد الله على
حليلته عمتنا مريم عام ١٣٠٤ هـ فولدت له من الذكور الذين ادركوا مدارك
الرجال

الاديب سيدي محمد وستقرأ ترجمته ان شاء الله

واحمد ، شاب حفظ القراءة حفظا جيدا والم ببعض الروايات وكان والده
يقول له انني اريد منك أنت بين اخوتك ان تستفرغ جهدك في تحصيل الروايات
وان تكون ممن حصل ذلك تحصيلا تاما ، وذلك لما يراه الاستاذ من عدم هذا النوع
من المعرفة عند الالفين ، فيقع الكثير منهم بورش الذي جرت العادة بالقراءة
به ، وفلم يتعدى الى حرف المكي اوقالون الا عند البعض منهم ثم لا يلبث ان ينساه
فاراد من ولده هذا ان يحیی ذلك المجد الآخر على يديه ، الا ان الاقدار قد تعاكس
أمانی المتمنين فقد كان أحمد هذا رجلا مغامرا باسلا ، برزت منه غريزة الشبيبة
وفطنتها باجلى مظاهرها ، وقدر الله ان كان يختلف الى قرية دوو كادير لقضاء
اغراض ، فكان يلتقي هناك بثلاثة رجال من كسيمة وهشتوكة كانوا عندنا في
الدار ، حين رجع الاخ سيدي محمد من قبيلة اداوزيكي اول عام ١٣٣١ هـ فكان
يجاذبهم الجبال ، يتحكك بهم ويتحكون به وفي ليلة - لسبب من الاسباب -
تاور بعضهم بعضا اواسط الليالي في ازقة القرية ، فسقط برصاصة احدهم
فكانت فتنة مشتعلة حفظ الله من نارها مرابطينا ، بعد ان ازدلفت اليهم اذ دلاف

اللهيب الى الهشيم ، فرضى حكم أحمد الهيبة فى القضية ، فحكم ان يقتل من ثبت عليه القتل قصاصا فأخذ اثنان منهم مع ان الرصاصة التى اصابته انما هى واحدة ، فاعتقلا على يد الاعراب ، فدفعوا لاولياء الدم ثم تفلت احدهما وهو مبارك الكسيمي والعجيب انه انما ظلم لانه لم يحضر مع صاحبه تلك الليلة ففكه الله ولا يظلم ربك احدا ، وأما الآخر محمد الهشتوكى وهو القاتل حقا ، دون القاضى البوعشراوي الذى كان اذذاك معه ، فقد قتل ازاء تافكاغت فانجلت العقدة بذلك وكفى المرابطون شرها والحمد لله ، وكان هذا -أخال- حوالى عام ١٣٣٣ هـ رحمه الله وهذا ما اخبرت به عن القضية من الذين يتحرون الصدق ، لاننى لم احضر اذذاك فيها ، فهكذا ذهب احمد اثر تهوره سامحه الله وغفر له ، فقد العق والده علقما بهذا ، وكادت الخ ينهار بناؤها من أجله

ثم ان الاستاذ اقترن ايضا بالسيدة نفيسة بنت الشيخ سيدى المدنى الناصرى ، بعدما وقع بينه وبين الاستاذ سيدى الحاج ياسين عليها نزاع وذلك ان الحاج ياسين كان خطبها لولده اولامن أخيها الاكبر سيدى احمد بن المدنى فعقد له عليها بغير اذنها واما اخواه الاديان سيدى البشير وسيدى الطاهر فقد اخطبا فيها صاحب الترجمة ، وبعد نزاع مستطير ، ذهب وفد من الخ فيه الحاج محمد اليزيدى والحاج ابراهيم الايفسانى وآخرون -كما حدث بذلك العم ابراهيم (وانظر هل كان هذا اليزيدى اذذاك حيا)- فخابروا الحاج ياسين ، وقالوا له ان أولى من يتبع الحق لانت ، فهذا العقد انت أول من يحكم بفساده ، والذى تقتضيه مروءتك الابتعاد عن مثل هذا ، لانك عالم كبير ، ولا تؤد بهذه الاسرة الى التفافهم فيما بين افرادها -والمقصود بين اولاد سيدى المدنى- فتبع رحمه الله رأيهم فسلم فى الامر ، فتم تزويجها من الاستاذ ، وهى سيدة عالية المقام مهيبة من كل ناحية وبينها وبين والدتى مؤاخاة مع انهما لم تترايا قط ، وقد اخبرت ان عقدها كتبه الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر ، فكان يطفح بالبلاغة ، وطالما حثت بعض اولادها ان ياتى به لنسخه للتاريخ ، ولكن ذلك لم يتيسر ثم ولدت للاستاذ من الذكور العلامة سيدى المدنى والاستاذ سيدى الطاهر والنجيب سيدى الحسن ، وسترى تراجم الكل فيما سيأتى ان شاء الله، والحبيب والحسين وعبدالله وهذا اصغرهم ، وهو الآن ١٣٥٨ هـ ما زال يتلقى ، وقد برقت منه بارقة نجابة فلئن ثابر ليكونن بين اخوته اولئك نجما ثاقبا ، فهو لاء اولاد الاستاذ الذكور ، وأما الاناث فصفية وحبيبة من السيدة نفيسة ، ماتتا عند ابني الفقيه سيدى سعيد الاكمارى الاديب سيدى احمد واخيه سيدى محمد ، وخديجة عند ابن عمها سيدى عمر وقد ولدت له الآن ١٣٥٨ هـ اولادا ، وفاطمة وهى اكبر اولاد السيدة نفيسة عانس فى الدار الى الآن (ثم ماتت خديجة فتزوج سيدى عمر فاطمة اختها العانس) وأما اللاتى من السيدة مريم ، فتعزى ، ماتت عند شيخنا سيدى محمد بن الطاهر الافرانى ، وقد خلفت ولدها النجيب سيدى

المدنى وغيره . ورقية عند سيدى احمد بن الحسين الاعضياوى ، ولا تزال ١٣٥٨ هـ حية
ولها اولاد من جملتهم بنت تزوجها ابراهيم بن الرئيس احمد الايشانى ثم ماتت
فهذا ما أعلمه عن اولاد الاستاذ حفظهم الله وكلاهم وادام بيننا وبينهم ما
بيننا والدينا قبل ، فرحم الله الاستاذ وجعل البركة فى عقبه انه سميع مجيب

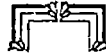
انتهى الجزء الاول من (المعسول)

فى منفاى بالغ فى واسط عام ١٣٥٨ هـ

ثم زيدت فيه زيادات بعد ذلك

وبليه الجزء الثانى فى بقية ابناء عبد الله بن سعيد

من اهل (الفصل الاول) ثم يليه (الفصل الثانى)



الفهارس خمسة :

[١] فهرس المترجمين في هذا الجزء

[٢] الفهرس العام

(٣) فهرس القوافي

(٤) » الرسائل

(٥) » الفاظ الشلحة المضبوطة

الفهرس الاول

في أسماء المترجمين في هذا الجزء

- ٨٠ سيدى عبد الله بن سعيد التاهالى
١١٧ سيدى احمد بن عبد الله بن سعيد الالغى
١٢١ سيدى محمد بن عبد الله بن سعيد
١٢٢ سيدى على بن أحمد بن عبدالله
١٢٥ سيدى عبد الله بن أحمد بن عبدالله
١٢٧ سيدى حسين بن عبدالله بن احمد
١٢٨ سيدى أحمد بن على بن احمد
١٣١ سيدى عبدالله بن موسى بن محمد الاوخضرى
١٣٢ سيدى ابراهيم بن بلقاسم بن محمد التاكانزى
١٣٤ سيدى بلقاسم بن على بن احمد التيبوتى
١٣٦ سيدى احمد بن بلقاسم التيبوتى
١٣٨ سيدى سليمان بن محمد أول فقيه فى المرباطين
١٤١ سيدى ابراهيم بن سليمان الفقيه
١٤٤ سيدى احمد بن صالح بن عبدالله الزاوى
١٤٥ سيدى صالح بن عبد الله الزاوى
١٤٧ سيدى محمد بن احمد السعيدى
١٤٨ سيدى محمد بن بلقاسم التيبوتى
١٥٤ الحاج على التيبوتى
١٥٦ الحاج عبلا بن صالح الالغى
١٦٠ الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الالغى
١٨٤ الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى
٢٢٥ العلامة سيدى على بن عبدالله الالغى

الفهرس الثاني الفهرس العام

- مقدمة بين الامس والغد
ح بيان (يتعلق بضبط الكلمات الشلحية)
١٣ خطبة الكتاب
١٥ تحية الخ بقصيدة بائية كبرى
٢٣ اسم الكتاب آتام
٢٥ وصف الخ الجغرافى
٢٨ قرى الخ كلها
٢٩ بعض العادات الالغية
٣٠ عاشوراء
٣١ نيلة المولد
٣٢ العرس
٣٣ العقيقة
٣٤ الحذاقة - العواشر - الختان
٣٥ الحصاد - والدارس وما اليهما - الجنائز
٣٦ الحرف والصنائع - الحذادة
٣٧ التجارة - الدباغة والحذاء - الاكافة
٣٨ الحباله - انشباكة - نساجة الصوف
٣٩ انخياطة
٤٠ الرفاءة - الخزافة - الحجامة
٤١ معدن النحاس - العلم والتدين والاخلاق العامة
٤٣ اطعمة الالغيين ووجبات اكلمهم
٤٦ قصائد فى بعض اطعمتهم
٥٢ المشروبات الالغية
٥٣ رجز فى تشجير الاتاى
٥٤ المعتاد فى اول السنة الفلاحية - الالبسة
٥٥ الفرش - المعتاد فى المساجد
٥٧ المعتاد فى المدرسة الالغية
٥٨ دور المرأة الالغية
٥٩ الامثال الالغية
٦٠ الالغاب الالغية ذكر فيها ١٤ نوعا
٦٣ ما قيل فى وصف الخ من الاشعار
٧٦ تقسيم الكتاب
٧٨ (الفصل الاول) من (القسم الاول)

- ٧٨ اسماء المذكورين في (الفصل الاول)
- ٨٠ الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد التهاى
- ٨١ النطقيات التى اسسها فى القفار وهى ١٢
- ٨٣ وثائق وافوال المؤرخين (حواله)
- ٩٠ استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك وهو فصل طويل لابد ان يقرأ
ليعرف الشيخ حق المعرفة
- ١١٢ بقية الوثائق المتعلقة بثال الشيخ بعده
- ١١٥ قصيدة تلمؤلف يوم زار هذا الشيخ
- ١١٧ سيدى احمد بن عبد الله اول نزيل فى الغ من ايمور احداولاد الشيخ
- ١٢١ سيدى محمد بن عبد الله . الولد الثانى للشيخ
- ١٢٢ سيدى على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٢٥ سيدى عبد الله بن احمد اخو من قبله
- ١٢٧ سيدى الحسين بن عبد الله بن احمد ولد من قبله
- ١٢٨ سيدى احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٣١ سيدى عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاوخيزى
- ١٣٢ سيدى ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٣٤ سيدى بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٣٦ سيدى احمد بن بلقاسم ولد من قبله
- ١٣٨ سيدى سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه فى
ءال الشيخ عبد الله بن سعيد
- ١٤١ سيدى ابراهيم بن سليمان الفقيه ولد من قبله
- ١٤٤ سيدى احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد . الفقيه
- ١٤٥ سيدى صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٤٧ سيدى محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله
بن سعيد
- ١٤٨ العلامة سيدى محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن
عبد الله بن سعيد
- ١٥٤ سيدى الحاج على التيبوتى ابن عمه لحا الفقيه
- ١٥٦ سيدى الحاج عبلا بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد ابو الاعلام
- ١٥٩ قصيدة فى رثائه
- ١٦٠ العلامة مؤسس المدرسة سيدى محمد بن عبد الله ابن من قبله
- ١٦١ مبتدأه
- ١٦٢ فى مدرسة تانكرت
- ١٦٢ فى مسجد قريته (مدرسا)

- ١٦٣ فى المدرسة البومروانية
 ١٦٤ المدرسة الالغية تؤسس
 ١٦٥ قوام المدرسة
 ١٦٦ الاستاذ فى مدرسته الجديدة
 ١٦٦ كيف دراسة الاستاذ
 ١٦٨ العشرة الاولى
 ١٦٩ العشرة الثانية
 ١٦٩ الاستاذ وطلبته فى وادى افران
 ١٧٠ الاستاذ يعاود ادارة الدروس بنفسه
 ١٧٠ الاستاذ يتصل بالسلطان
 ١٧١ الاستاذ يلتحق بالرفيق الاعلى
 ١٧٢ قصيدة فى التعزية فيه
 ١٧٣ تجاليد الاستاذ تنقل الى النخ
 ١٧٣ اخلاق الاستاذ مع رجز حولها
 ١٧٥ اثاره نظما ونثرا
 ١٨٠ الاخذون عنه
 ١٨٢ مراثيه
 ١٨٣ قولة على بن الحبيب فيه
 ١٨٤ الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى
 ١٨٥ موضع ولادته
 ١٨٦ فى المكتب
 ١٨٧ فى مدرسة تانالت
 ١٨٧ فى مدرسة المولود
 ١٨٧ فى مدرسة تازاروالت
 ١٨٨ فى مدرسة تانكرت
 ١٨٩ ملاقاته للشيخ سيدى سعيد المعدرى
 ١٩٠ مايدل على ذلك من رحلته ومن بعض رسائله
 ١٩١ فى مصاحبة شيخه المعدرى
 ١٩٣ محاوره لطيفة (بينه وبين ابيه وقد رده من عند الفقراء الى القراءة)
 ١٩٤ فى مدرسة ادوز
 ١٩٦ فى فض النوازل وقسم التركات
 ١٩٧ فى التجارة
 ١٩٨ فى مدرسة فوكوز معلما
 ١٩٩ فى المدرسة البومروانية
 ١٩٩ العزم على المشاركة فى المدرسة الوقاوية
 ١٩٩ الطريقة تنقض عليه ثانيا فتطير به

- ٢٠٠ وقفة قصيرة بالقارىء (للقاء نظرة على احوال المترجم)
- ٢٠٢ فى التجريد وخرق العادة
- ٢٠٨ من رحلته يصف هذه الحالة
- ٢١٠ السياحات
- ٢١٠ بين قرى سوس مع شيخه المعدرى
- ٢١١ فى جبالة
- ٢١٣ رسالة منه الى شيخه من جبالة
- ٢١٥ فى فاس
- ٢١٨ فى محاوراة الشيخ كنون
- ٢٢٠ فى سلا
- ٢٢٠ بين الفقراء فى سوس بعد موت شيخه
- ٢٢١ سيدى الحاج الحسن خليفة الشيخ
- ٢٢١ يزور اهله
- ٢٢٢ نظمة ترده الى اهله بالكلية
- ٢٢٣ يؤسس مركزه ببلدته
- ٢٢٤ قطعة نظمية يوم تاسست زاويته
- ٢٢٦ تصدره للمشيخة وتربية المريدين
- ٢٢٨ يتزوج بزوجه الاولى
- ٢٢٩ أثر الحياة الجديدة (فى المترجم)
- ٢٣٠ الشيخ يسيح الى آقا
- ٢٣١ يراجع التدريس
- ٢٣٣ ينهض بهمة عليّة الى ماهو بصدد
- ٢٣٥ سياحات اخرى كبيرة
- ٢٣٧ يؤدى فريضة الحج
- ٢٣٨ قطع من رحلته الى الحج الى ٢٥٧
- ٢٥٧ انتهاء وصفه كل مامربه وصفاشافيا
- ٢٥٨ محور حياته
- ٢٥٩ عمله فى سياحاته
- ٢٦٠ عمله فى زاويته
- ٢٦١ نتف من اخلاقه
- ٦٤ الشيخ فى انظار معاصريه السوسيين وغيرهم
- ٢٦٨ بعض اقوال المثنيين عليه
- ٢٧٠ قول المؤرخ ابن الحبيب فيه
- ٢٧٣ قول المؤرخ الاكرارى فيه
- ٢٧٤ بعض الامداح فى الشيخ الى رقم ٢٩٩

- ٢٩٩ بعض منظومات نفث بها الشيخ
 ٣٠١ غيرته الدينية امام الاحتلال
 ٣١٠ بعض دعواته واذكاره الخاصة
 ٣١١ مؤلفاته
 ٣١٢ وفاة الشيخ
 ٣١٤ مراثي الشيخ والتعزيات فيه
 ٣٢٤ اولاده
 ٣٢٤ الكتب المؤلفة في الشيخ
 ٣٢٥ العلامة سيدى على بن عبد الله الالفى
 ٣٢٦ خطوته الاولى
 ٣٢٦ فى دراسة العلم
 ٣٢٧ فى الاستعداد لقيادة المدرسة
 ٣٢٧ استاذ المدرسة
 ٣٢٨ قولة الشيخ الوالد فيه
 ٣٢٩ يولى القضاء من حضرة السلطان
 ٣٣٠ فى رئاسة اخوانه المرابطين
 ٣٣١ مراسيم رسمية حواله
 ٣٣٣ فى كلاءة الله بين الزعازع
 ٣٣٨ فى شبه غربة بعد دفن رفيقه الشيخ الالفى
 ٣٤٠ بين قضاة تزيت فى عهد الهيبة
 ٣٤١ بين رؤساء قبائل هذه الجبال فى الكفاح
 ٣٤٤ الاستاذ ومدرسته اخيرا
 ٣٤٥ نظرة عامة على اخلاقه
 ٣٤٩ اثار قلم الاستاذ من النشر
 ٣٥٠ نموذج من رسائله وبعض اشعار منه واليه
 ٣٦١ نتف من قوافيه
 ٣٦٦ الاخذون عن الاستاذ
 ٣٧٢ ايام الاستاذ الاخيرة
 ٣٧٥ الاستاذ يلفظ نفسه الاخير
 ٣٧٧ مراثيه
 ٣٨٣ قولة الرفاكي فيه
 ٣٨٥ قولة ابن الحبيب فيه
 ٣٨٧ اولاد الاستاذ

الفهرس الثالث

فى القوافى

يذكر فيه القائل مع الشطر الاول ان دلء اخره على قافية القصيدة والا فتذكر الكلمة الاخيرة ايضا لتدل على القافية وقد رتبت القوافى على حروف المعجم على عادة المشاركة

الهمزة

٦٣ الشاعر الافرانى	بانء فبان جميل الصبر اسماء
٦٦ الحسن بن على الالى	اهل بوفء الخصب وفء سماء
٦٧ المؤلف	ماذا رأى من لم يكن بالراءى
٢٧٨ محمد بن مسعود	باكر بها لمربع الزهراء
٢٧٩ محمد بن الطاهر	لاحت فاعشت اعين البصراء

الباء

١٥ المؤلف	اليكم بنى امى ائيب ركائبى
٢٨١ محمد بن مسعود	أسادتنا صءب الامام الرضا القطب
٢٩٥ موسى بن الطيب الالى	الانزه العينين فى خير ماقبة
٢٩٨ الشيخ الالى	وما اسم ثلاثى الى العز ينسب
٢٩٩ الشاعر الافرانى	وما اسم تراء كلما سار يركب
٢٩٩ الاستاذ على الالى	قلم البليغ يبين لغز منبثا - الانقب
٣٠٠ الشيخ الالى	بءد سيوف الذكر فاقطع رقابها
٣٤٨ بعض الالىين	اكفف من مءاليراعة مرغما - واجبا

التاء

٧١ المؤلف	الغ المعارف والاداب بلءتهم - الامارات
١٥٥ المؤلف	الفجر بالنور وزهر الربا - الذكيات
١٧٢ لبعض الالىين	نعزىك لانا جهلنا مقام من - الموتا
١٧٩ الاستاذ محمد الالى	اذا اوءع الله الانامل حكمة - جلت
٢٧٦ محمد بن مسعود	مءى كان حكم الروح فى الجسم لم يكن - البشرية
٢٩٣ الشيخ الالى	وفيت بما تهوى جزيت جزاء من - قرءه
٢٩٩ الشيخ الالى	سعد الفقير وساءءت اوقاءه

الءاء

٦٥ بعض الالىين	ابواب الغ لكل ءاءء تفتح
١٧٨ الاستاذ محمد الالى	اذا ماهب من افران ريع

٢٨١ محمد بن مسعود

٣٣٤ بعض الاقيين

الـدال

٦٦ محمد بابة

٢٣٨ محمد بن مسعود

٢٩٠ الحسن الركني

٢٩٠ الحسن الركني

٢٩٦ الطاهر الناصري

٣٠٠ الشيخ الالفي

٣١٧ الاستاذ علي الالفي

٣١٨ محمد بن الطاهر

٣٥٠ الاستاذ علي الالفي

٣٥١ الاستاذ علي الالفي

٣٥٢ الشاعر الافراني

الـراء

٦٤ محمد بن الحاج

٦٦ المؤلف

٧٠ المؤلف

٧٤ المؤلف

١١٥ المؤلف

١٧٦ الاستاذ محمد الالفي

١٧٩ الاستاذ محمد الالفي

١٨٠ الاستاذ محمد الالفي

٢٩٣ الاستاذ علي الالفي

٢٩٦ محمد بن مسعود

٣٢٠ موسى بن الطيب

٣٢٢ احمد بن محمد اليزيدي

٣٢٣ أنجب البوسليمانى

٣٤٦ بعض الالفيين

٣٦١ الاستاذ علي الالفي

٣٦٢ الشاعر الافراني

٣٨٤ المؤرخ الاكراري

٣٨٤ الاستاذ علي الالفي

٣٨٦ الاستاذ علي الالفي

ياسيدا من نوره الـوضاح

اذا انسد باب من اميرفان لي - مفتح

عرج بتحت الحصن يامن سادا

ليهنا الوري طرا بابلالك السعد

ابو حسن نجم به السار يهتدي

الابلغ الشيخ المربي بورده

الى بيت اهل الجود والفضل والرشد

ولى مذهب فى العشق منفردا به - ولافقد

هينا ملكنا المال عفوا ما الذى - وتفقد

قالوا قضى العلم الامام السيد

لنحوك ما اخفى من الشوق او ابدى

بقيت سليما لاتقابل بالردى

ياعجبا كيف يخشى النحس مسعود

اياساكننا ارضا هي الارض وحدها - والبصر

ما الغ غير شعوره فى شعره

نعمة الالفي فتح - داره

يقولون صبيرا انه بك احدر

لله رحلتنا الى ايمور

بدت لى احبتنا عبرة - يعتبر

ياسبعة من سعد سبعة جمعهم - الامر

سلام كما المسك والعنبر

عليك سلام ياكريم معنبر

لله سيدنا الشيخ الامام وما - البصرا

مضى الاخيار وانقضت الدهور

قد استوى الله على عرشه - امره

قضى امام الدين من لايرى

اذا انت لم تكبح رفيقك مرة - لاتدرى

شنف باسماع من احيا اذا ذكروا

هذى نجوم الدجا ام هذه درر

على السמידع من زرت ماثره - الشجر

مولاي من قدزرت بطلعة القمر

مولاي انى وان شطط بى الدار

ياواردا عمت الدنيا مفاخره
وصالك هذا ام بداصبح اسفار
جزى الله آخوان الصفاء بكل ما - الحشر
أمن جادت بكرجرى منه ما جرى
واعظم مقدام اذا اشتحر القنا - المجر
الدهر بعد تعرف يتنكر
موت العليم مصيبة لن تجبرا
لتبك فما فى الارض من كل اغيرا

٣٦٣ الاستاذ على الالغى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى
٣٦٥ الاستاذ على الالغى
٣٧٧ الشاعر الافرانى
٣٧٩ ابراهيم السكتانى
٣٨١ محمد الكثرى
٣٨٢ الاقاوى ائقاضى
٣٨٢ الاقاوى القاضى

الزراى

٢٩٩ الشاعر الافرانى تاملت لغزا اتعب القلب حله - اللوز

السين

٤٦ مساجلة
٧٥ المؤلف
٤٥ لبعض الالغيين
بسييسك يازهرء خير بسييس
الاليت شعرى هل ابيتن ليلة - سكسو
فكه مصاحبك الالغى ما الفت - قاس

العين

١٥٩ اشاعر الافرانى
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى
٢٨٩ محمد بن مسعود
٣١٧ الشاعر الافرانى
٣٢١ احمد ائيزيدى
٢٩٤ الشيخ الالغى
٢٩٤ الشاعر الافرانى
٣٦٣ الاستاذ على الالغى
على مثل هذا الحادث الفادح الوقع
اذا رمتن نظما مقفى محبرا - الوسع
سلام كما ازدانت بصوب مرايع
امن حادث بكر الم فاجزعا
الدهر يفجع والصدور توجع
بشير وطاهر ونجل لطيب
انفج نسيم الروض والروض ناصع
يحق على للمبشر انكم - خلج

الغين

٦٣ اشاعر الافرانى
٧١ المؤلف
٢٨٢ محمد بن مسعود
٢٨٣ محمد بن مسعود
٢٨٣ الشيخ الالغى
نسيم الصباهى بنشر ربا الغ
اذا احتفلت ءاداب من كان فى الغ
نسمات الرضا وروح سلام - الغ
أقول لمن قد شغه الوجد ماتبغى
اياطالبا سر المعارف فى الغ

الفاء

٦٤ محمد يحيى انولاتى يااهل تحت الحصن انتم فوقه - يشرف

بالغت فى الارشاد يامن ينصف
لله ماقد هاج ذاك الموقف
فمن للعلا والمحاسن والوفا
ذق من كؤوس ودآدهم فتصافى

٦٤ محمد بن الحاج
٦٥ البونعماني
١٨٢ الشيخ الالغى
٢٨٤ محمد بن مسعود

القاف

لمن جفنة قد أقبلت تتألق
ليهنكم ياءال الغ مفاخر - شرق
الغ فرد وس لمن منيته - رائق
فتارة ذو سرقة
ابا حسن زرنا على عجل ومن - فرق
اجيب بجثمانى وقلبي لديكم - فرق
هذه (كيزة) الضيوف الرشيقة
لله يوم خميس جادلى بلقا

٨٤ المؤلف
٢٨٢ محمد بن مسعود
٧١ المؤلف
١٧٩ الاستاذ محمد الالغى
٢٩٢ الشيخ الالغى
٢٩٢ الاستاذ على الالغى
٢٩٥ لبعضهم
٣٦١ الاستاذ على الالغى

الكاف

وان اخاك الحق من كان مثنيا - فوقكا

٣٤٠ لبعض الالغيين

اللام

وكم عانس بكرتخطت زواجها - الاهل
الغيث فى مارس بعد - الجميل
حنانيك الغ المكان الجميل
ايا ابن القطب احيا الدين جهرا - جهلا
وما مخبر عن الفتى مثل نفسه - الوصل
بيت اتيج الخير من وجهاته - القالى
هنيئا لقلبي والهناء على مثلى
فما اسم رباعى الحروف ترى الذى - اول
اتتنى فحلت من عقال التردى عقلى
تاملت هذا اللغز ياايها الخل
لله دركم يامن لهم دول
قدانقضى الخير وجاد الكمال
فتبا لهذا الدهر لايعرف البذلا
اهلا بمن رحل العنا بنزوله
ياقادما فضله فى العلم والعمل
ان لم تكن كابن مقلة
تبدي فخلت البدر فى الافق ينجلي
لله درك من امام عادل

٣٦ لبعض الالغيين
٦٨ المؤلف
٧٣ المؤلف
١٦٩ الاستاذ محمد الالغى
٢١٣ بعض الالغيين
٢٢٤ الاستاذ على الالغى
٢٩٣ الشاعر الافرانى
٢٩٨ الشيخ الالغى
٢٩٨ الشاعر الافرانى
٢٩٩ الشيخ الالغى
٣٠٠ الشيخ الالغى
٣١٨ سيدى عبد الله الالغى
٣٥٠ الاستاذ على الالغى
٣٦٢ الاستاذ على الالغى
٣٦٣ الاستاذ على الالغى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى

٣٦٤ الأستاذ على الالغى اريد من خير اخواني وصفوتهم - العملة

الميم

- ٦٥ ابن العتيق يا اهل تحت الحصن ان يقع النوى - زعيم
٦٩ المؤلف ياطيب الغ فى الربيع فما - نسيم
١٨٠ الأستاذ محمد الالغى انشئوا يا خير قوم
٢٩٢ الأستاذ محمد الالغى اباحسن منى سلام عليكم - سلام
٢٩٧ اشاعر الافرانى اتيتك حبوا للزيارة عندما
٣٠٠ الشيخ الالغى جزاك اله العرش خير جزائه - جزما
٣٥٤ المؤلف أعاطى اكؤس السلوى نديمى
٣٦٢ محمد بن الطاهر شعر زرى بالعقد حسن نظامه

النون

- ٤٧ اشاعر الافرانى ان الموائد انت من شجعانها
٢٨٣ محمد بن مسعود حى ريع الرباب من تحت حصن
٧٠ المؤلف الغ بسيط بلقع مقفر - عين
١٧٩ الأستاذ محمد الالغى سلام عليك يا على الشقيق والبنى - انغصن
٢١٦ محمد بن مسعود وراءهم شيخ بزاية وقد - الاركان
٢٧٤ محمد بن مسعود مالى سواك وسيلة لله ثم - الصمدانى
٢٨٠ محمد بن مسعود قفا بالمطى فى اراكة نعمان
٢٨٢ محمد بن مسعود سقى الله الحصى من تحت الحصن
٢٨٣ محمد بن مسعود ياسادتي الغر العظام الشان
٢٨٣ محمد بن مسعود ان فاتك القطب ذاك الشاذلى فلذ - ابى الحسن
٢٨٩ محمد بن مسعود وافت توصل الهائم الحيران
٢٩٠ الحاج عبد الحميد الا ابلغ الشيخ الامام آبا الحسن
٢٩١ محمد بن المحفوظ أنت خير الشيوخ فى الاقران
٢٩٢ الأستاذ على الالغى ابا حسن تم مسرة عيدنا
٢٩٩ اشاعر الافرانى خليلى دلانى على شاحذ الذهن
٣٠٠ الشيخ الالغى ادخل مبارك حضرة الرحمان
٣٦٤ الأستاذ على الالغى عليك اماما اعجز اللسن فى اللسن
٣٦٤ المؤرخ الاكرارى سلام يخوت ملحضيض الى اتقنن
٣٨٧ الأستاذ على الالغى اتيت لامرحافز (فصك) وهى بلدة - احسان

الهاء

- ١٥ المؤلف لى همة عالية فذة - منتهى
٢٨٢ محمد بن مسعود تلك شمس القلوب بانث فتاهوا
٢٨٣ محمد بن مسعود ياسيدا اطلعت بالسوس طلعتة - تيهها

الياء

- ٦٩ المؤلف نله الغ ومرءاها ومحيها
٣٠٠ الشيخ الالغى اموسى اجمعن فى الله همتك العليا
٢٩٧ الشاعر الافرانى تارقت لما شمت برقاً حجازيا

الالف المقصورة

- ٢٩٣ الشاعر الافرانى ابا حسن هذا غداء جميعكم - الضحى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى ان جسن الخط زين للفتى

الاراجيز

- ٤٦ بعض الالغيين املوا علينا من حديث املو
٥٣ الشاعر الافرانى هذا واني قد رايت رجزا
٦٩ لبعض الالغيين اوصاف الغ متنافيات
١٧٣ الشيخ الالغى من رحلته متبعا شقيقه محمدا
١٩٠ منها قد كنت فى غياهب الغباوة
٢٠٨ منها كت ما سوى الاله جهرا

قطع منها فى رقم ٣٠١ كما فى رقم ٣٢٨ كما من ٢٣٨ الى ٢٥٧

- ١٨٠ الاستاذ محمد الالغى اتعبت فى تملك التصريح
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى تكلف الاسفار للاوطار

الفهرس الرابع

فى الرسائل والوثائق والظواهر والمراسيم الرسمية

- سيدى عبدالله بن سعيد الايموى
وثائق وظواهر من ٨٣ - الى ٩٠ ثم من ١١٢ - الى ١١٥
سيدى محمد بن عبد الله العلامة الالغى
رسائل فى هذه الارقام - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٩
سيدى على بن عبد الله العلامة الاديب
رسائل فى هذه الارقام ٣١٦ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٤ - ٣٥٦
ظواهر ٢٩ - ٣٣٠
الشيخ الالغى
رسائل فى هذه الارقام ١٧٩ - ١٩٠ - ١٩٥ - ٢١٣ - ٢١٦ - ٢٢٥ - ٣٠٧ - ٣٠٩ - ٣٠٩
غبر الالغيين
سيدى الحسين انزهونى ٣١٥
سيدى محمد بن على التادلى ٣١٤
محمد بن عبد السلام الورزاذى ٣١٤
سيدى الزبير البعمرانى ٣١٥
سيدى عبد العزيز الادوزى ٣٢٣
محمد بن المحفوظ التازيمامتى ٢٩١
سيدى الحبيب البوسليمانى ٣٢٣

الفهرس الخامس

في الالفاظ الشلحية التي وقع فيها حرف مشددة

تَافِ كَاغَت	اِغْزَم	اِذْبِيرَان
تَاطَارُوسَت	اِيسَافِن	اَسَاكَ وَاَصِيَان
تِيَسَا	اِيشَاذَن	اَسِيف مَقُورَن
تِينُوضِفُويِن يِيَه پِن	اِيسَقَال	اَسْ كَاوَر
تِيِيُوت	اِخْف وَيِنْدِ كُونَا	اَضَارُ اُوپ كَلِيد
تِيَز رَا اِيغُولُوشَن	اَيْت اُوْمِرِي	اَفَلَا اُوپ كَنشَس
حَوِ كَا	اُوْبَا حَو	اِكْرَام
ذَرَا وُوغ	اُوْبَا لُوش	اِكْنِي اِيغَدَان
دُوپ كَادِبِر	تَاذ مُورَت	اَمَلَن
دُو تَمَرُوت	تَالَا ت غَزِيْفَن	اَمْتَضِي
دُو يَمَلَانَن	تَار كَانَشُصَلِمَاط	اَنبَد نَتُومَلِيلِيَن
الرَّ كَادَة	تَامُودِيَزَت	اُو جُو
مَامَانَس	تَابُورِ يَشَت	اِيغْد اِيْفِي
حَيْدَة بِن مَائِس	تَاغُونَت	اِيغَشَان

فهرس الخطأ والصواب

صفحة	السطر	السطر	صواب
٢	٢	هكذا هذه الابيات الثلاثة لا كما في الاصل	
		كان لم يكن الخ بلادى التى بها	سريت صغيرا بين شتى المسارب
		كان لم يكن أصلى ومنبت نبعتى	ومجمع اخوانى ومغنى أصحابى
		كان لم تكن لى أرضها خير مرتقى	سموت بها فوق الذرى والمناكب
صفحة	السطر	خطأ	صواب
١٧	١١	وبعض ماسكو	وبعض ما سكوا
٢١	٦	أنخت العيش	أنخت العيس
٢١	٧	فى الحاشية - صوا	صوى
٣٤	١	حفنة عصيدة	حفنة
٤٥	٢٠	اغدايقى	اغدا ايقى
٥١	٣	فى جانبى الحوض	فى جانب
٥٢	٢	فى الحاشية - الباديسن	البادين
٥٢	٥	فى الحاشية - شطئه	شاطئه
٥٢	١٣	فى الحاشية الضفاديع	الضفادع
٦٠	٧	يتساوون	يتساوون فيه
٦٧	١٠	يشعشعا	يشعشعها
٧٠	٢٣	رشف الكؤس	رشف لكؤوس
٧٠	١	فى الحاشية - الجرج	الجرج
٧٧	٢	وخزرتة	وحزرتة
٨١	١٣	التطفيات	النطفيات
٩٢	١٩	بعضها ولكن	بعضها لكن
٩٣	١٧	يرونها	يروونها
٩٦	٣٢	ولا يعرف	ولا يعترف
١٠٤	٢٤	فى واد ساموكن	فى وادى ساموكن
١٠٥	١٨	الاعلى	الاصلى
١١٧	٢٢	شاور	ثاور
١٤٥	١	سبدى	سبد
١٤٥	١١	فكان ممن يحرر	فكان يحرر
١٤٥	١٦	عن مجاط	عن مجاطى

صفحة	السطر	خطا	صواب
١٤٧		نحو ١٢١٥ ٤ ١٢١٦ هـ	قبل ١٢١٠ هـ = ١٢٩٦ هـ
١٤٧	٩	أتقن - اشتهر	أتقنوا - اشتهروا
١٥٩	١٩	القادح	الفادح
١٦١	٢٠	ممن سار	ممن ساروا
١٦٦	٤٤	دعائم مراسية	راسية
١٧٩	١٤	لقد كان لك	لقد كان لكم
١٧٩	٣٠	فتحو	فتحوا
١٨٣	٧	عصاية	عصامية
١٩١	٢١	منهم الوقوف	منهم من الوقوف
١٩٢	١٧	ان يكون	أن يكونوا
٢٠٦	٢٢	وينفطر	وينفطر
٢١١	١٥	لم تمضى	لم تمض
٢١٧	٥	احتجت	احتجتم
٢٢٠	٢٩	كمن اخبره	عمن اخبره
٢٢٠	٢٨	وما رأى كمن سمع	وما راء كمن سمع
٢٢١	١١	فى كثر القال	فى كثرة القال
٢٢٢	٢٩	فى ناحية المترجم	فى ناحية والترجم
٢٢٣	١١	لما ستره	كما ستره
٢٢٤	٢٧	اذاك	اذ ذاك
٢٢٦	٧	ولو بداهم	ولو بدراهم
٢٢٧	١	كبير	كثير
٢٢٧	٧	الشيخ	الشيخ
٢٢٧	٣٢	يتبجحوا	يتبجحوا
٢٢٧	٢٢	ظهرانهم	ظهرانهم
٢٣٢	٤	سيخلفه	يستخلفه
٢٣٦	٢٥	فى فايى اوكاير	فى ايمى اوكاير
٢٤٠	١٣	الجاري	الجار
٢٤٣	١٠	فابتدورا	فابتدروا
٢٤٤	١٦	ووليت	وووليت
٢٤٨	٢٦	يدرى	يدر
٢٥٢	٤	ليس	ليست
٢٥٤	١	أن يزيره	أن يزيره
٢٦٤	١٤	٠٠٠ القواد	وكذلك القواد

صفحة	السطر	خطا	صواب
٢٥٠	٣٣	الادوؤى	التازيمامتى
٢٦٨	٥	يخفف	يخف
٢٧٢	٥	يصون	يحصون
٢٨١	٣	من غير	من خير
٢٨١	٢٣	بلا مزج	بلا مزج
٢٨٢	٢٨	له - طب	لاه - طب
٢٨٤	١٦	غراما	مزافا
٢٩٠	١٦	السارى	الसार
٢٩٤	٢	الانزاضى	السكرادى
٢٩٥	٢٠	الله فى كل	الله كل
٣٠٣	١٩	حتى خرجت	حتى خربت
٣١٤	٥	ويجد	ويجدون
٣١٨	١٠	ضلعا	ظلمعا
٣٢٣	٤٢	ذك	دك
٣٢٥	٢٠	أخبار كثيرة	أخبارا
٣٤٠	١٦	ومتى لامثالهم	ومتى كان لامثالهم
٣٤٥	٣	أن يغمز	أن يغمز
٣٤٥	١٢	أوتى	أتسى
٣٤٥	١٧	يكر	يكرر
٣٤٧	١١	الى الاخلاق	الى الاخلاف
٣٤٧	١	فى الحاشية	تينجداد
٣٥٣	١٨	ففيما مضى	فيما مضى
٣٦٥	١٢	والاجلة أنصارى	مع أجلة انصار
٣٦٦	٧	جوف القرا	جوف الفرا
٣٧١	٢٤	التامانارتيون، سيدى اليزيدى	سيدى اليزيدى، التامانارتيون
٣٧٣	١٩	بفذة	بفلذة

هذه هي الاغلاط التى وقفنا عليها • وقد يكون هناك اخرى • فالقارىء النبيه
لاتخفى عنه



